"هذا الكتاب ثري بالأحداث الخطيرة والغامضة".

- لي باردوجو، مؤلفة الرواية الأعلى مبيعًا **Six of Crows**

أمير الشر

المؤلفة الأعلى مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز

هولي بلاك

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

أمـــير
الشـــر

أمير الشر

هولي بلاك

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... ليست مُجرد مكتبة

THE CRUEL PRINCE

HOLLY BLACK

إشادات بهذه الرواية

تأتي هذه الرواية على قائمة الروايات الأكثر
مبيعًا لصحيفة نيويورك تايمز
وكذلك تتصدر قائمة الروايات الأكثر مبيعًا لتجمع
إنديا باوند لمتاجر الكتب المستقلة

«هولي بلاك خبيرة في بناء العوالم السحرية، حيث تنقل التفاصيل الجوهرية دون أن تبدو للقارئ مملة أو ذات طابع معرفي استعراضي، وسواء أكنت متمرسًا في قراءة روايات العوالم السحرية أو ما زلت وافدًا حديثًا إليها... فإن تجربة قراءة رواية كهذه ستمثل لك شيئًا يحيطه السحر من جميع جوانبه».

- ملحق نيويورك تايمز بوك ريفيو

«رواية جذابة، وخطيرة، ذات أجواء فريدة. إن عالم هولي بلاك الروائي آسر ومشبع بالإحساس الدائم بالخطر الذي استحوذ على كامل انتباهي عبر كل فصل من فصول هذه الرواية. أما عن جود! فإنها بطلة تدفعك إلى حبها، فهي شجاعة لكنها ذات سلوك عملي، وإنسانيتها لا تحتاج إلى تأكيد. وستغويك هذه الرواية الفاتنة، وتجعلك مُتلهفًا على قراءة المزيد».

- لي باردوجو، مؤلفة الروايتين اللتين احتلتا صدارة قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا
Six of Crows. Crooked Kingdom

«أنا متلهفة لقراءة الجزء الثاني من هذه الرواية على الفور، فهولي هي سيدة الكتابة عن العوالم السحرية».

- فيكتوريا أفيارد، مؤلفة سلسلة روايات Red Queen المتصدرة قوائم الأكثر مبيعًا

«الرواية فاتنة. بها مشاهد سردية بالغة التشويق، وشخصيات ثانوية مكتملة البناء. وبطلة ذات شخصية جذابة للغاية، وقوة وعزم لا يلينان، وكل ذلك يعزز أحداث حبكة معقدة وذكية تتصاعد حتى تصل بنا في النهاية إلى خاتمة مثيرة للذهول».

- مجلة ببلشرز ويكلي، مراجعة متميزة

«من جديد، تقدم هولي بلاك إلى الشباب عملًا روائيًّا رائعًا وآسرًا للانتباه، يستلب تركيز قارئه من أول سطر حتى آخر كلمة».

- مجلة إس إل جيه، مراجعة متميزة

«جود، التي تصارع عالمًا تحبه وتكرهه في آن واحد، والتي تُفضِّل أن تكون قادرة وفاعلة على أن تكون آمنة وبعيدة عن خوض المشكلات، راوية موهوبة. فأيًّا يكن ما يبحث عنه القارئ هنا -إثارة متواصلة، أو رومانسية ذات طابع مأساوي، أو حبكة مخادعة، أو معضلة أخلاقية- فهذه الرواية ستمنحه ما يتوق إليه».

- مجلة بوكليست مراجعة متميزة

«هنا ستجد مزيجًا غير تقليدي من الحكايات الخرافية، والفانتازيا العالية. والدراما المحتدمة، والوصف الذي يجسد لنا تفاصيل هذا العالم السحري ويبعث في شخوصه الحياة. تؤسس لنا هولي بلاك أسطورة معقدة، والآن لقد حان الوقت المناسب لك للشروع في قراءتها».

- مجلة كيركس ريفيوز

«هولي بلاك، وعلى نحو مستحق، هي ملكة أدب العوالم السحرية، وروايتها الأخيرة تبين بوضوح أنها تتقدم الجميع في هذا المجال، إذ إنها تنسج لنا حبكات زاخرة بأسرار ومفاجآت مدهشة، وترسم لنا شخصيات نابضة بالحياة».

- مجلة فويا، مراجعة متميزة

«عبر شخصياتها متعددة الأبعاد، وحبكة مشوقة وعودة ناجحة إلى بيئة السحر والجان التي شكلت مسرح العديد من أعمالها الرائجة، من المؤكد أن رواية هولي بلاك الأخيرة ستخلب عقول القراء».

- مجلة ذا هورن بوك

«قصة أخَّاذة جديدة تنضم إلى قائمة هولي بلاك لقصص الفانتازيا».

- مجلة بيست

إهداء إلى كاساندرا كلير، التي

انجذبت أخيرًا إلى أرض الجنيات.

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: mohamed

تجهيز وتنسيق: أشرف غالب.

تقديم: عمرو «3MR»





خريطة جزر
إلفهايم المتحولة
برج
النسيان
إنسويل
إنسور
منزل لوك
الغابة الملتوية
قصر
الفهايم
إنسماير
بيحرة الأقنعة
منزل
آل مادوك
القصر الأجوف

الكتاب الأول

أطفال الجن المحظوظون

لا يرتدون قمصاناً أو فساتين،

ولا ينضب مخزونهم من الغذاء أو النار،

ودائمًا ينالون ما تشتهيه قلوبهم:

جيوب مليئة بالذهب ذي الرنين المحبب

إلى النفس،

والزواج عند بلوغ السابعة من العمر.

ولكل جني غلام حصانان قويان وعشرة

أغنام.

ولكل جني صغير منزل يملكه من حجر

الصوان أو طوب اللَّبن..

إنهم يقتاتون الكرز ويعيشون بحرية

كاملة – ليتني كنت طفلًا لجنّي.

– روبرت جريفز

قصيدة

«I'd Love to Be a Fairy's Child»







تمهيد

بعد ظهر يوم أحد هادئ، كان هناك رجل يرتدي معطفًا داكنًا طويلًا يتمشى ذهابًا وجيئةً أمام منزلٍ في شارع تصطف على جانبيه الأشجار. لم يقم الرجل بركن سيارة يملكها، ولم يترجَّل من سيارة أجرة، ولم يره أحد من الجيران يمشي على الرصيف. لقد ظهر فجأة وحسب، كما لو أنه انسل من بين الظلال. توجَّهَ الرجل نحو الباب، ورفع قبضته ليطرقه.

وفي داخل المنزل، كانت جود جالسة على بساط غرفة المعيشة، تلتهم أصابع سمك صارت لزجة بفعل التسخين في المايكرويف بعد أن غمستها في الكاتشب. وكانت تارين، أختها التوأم غافيةً على الأريكة مُلتحِّفةً ببطانية وواضعةً إبهامها في فمها الملطخ ببقايا عصير الفاكهة، وعلى الجانب الآخر من الأريكة، كانت أختهما الكبرى، فيفيان، أو كما ينادونها «فيفي» تُحدِّق إلى شاشة التليفزيون. كانت عيناها المخيفتان بحدقتيهما المشقوقتين مثبتتين على الفأر، وهو يركض هربًا من القط في فيلم الرسوم المتحركة. وضحكت عندما بدا أن الفأر على وشك أن يُؤكل.



كانت فيفي مختلفة عن غيرها من الأخوات الكبيرات، ومع أن جود وتارين، البالغتين من العمر سبع سنوات، توأمتان مُتماثلتان، ولديهما الشعر البني الأشعث والوجه البيضاوي نفسه، فإنهما كانتا مُختلفتين أيضًا في بعض الصفات الأخرى. ولم تَكُن عينا فيفي وطرفا أذنيها المكسوان بِشَعرٍ خفيف أمرًا غريبًا بالنسبة لجود مقارنة بكونها نسخة طبق الأصل من شخص آخر.

وحتى إذا لاحظت جود في بعض الأحيان الطريقة التي يتجنب بها أطفال الحي فيفي، أو الطريقة التي يتحدث بها والداهن عنها بأصوات خفيضة وقلقة فإنها لم تعتقد أن هذا أمر خطير، فدائمًا ما يكون الأشخاص الراشدون قلقين ودائمًا ما يتهامسون.

تثاءبت تارين وتمدَّدَت، وضغطت خدها على ركبة فيفي.

وفي الخارج، كانت الشمس الساطعة تكاد تحرق الأسفلت في ممرات ركن السيارات. وكانت محركات آلات جزِّ العشب تصدر أزيزًا مُتَّصلًا، بينما يتقافز الأطفال في حمامات السباحة في الباحات الخلفية، فتتناثر المياه من حولهم وكان الوالد في المبنى الخارجي، حيث كانت لديه ورشة للحدادة. بينما الأم في المطبخ تعد شطائر اللحم. إن كل شيء كان مُمِلًّا، لكن يبدو أنه على ما يرام.

عندما سُمعت الطرقات، قفزت جود لإجابة الطارق. وكانت تأمل أن يكون الطارق إحدى فتيات الجانب الآخر من الشارع، ترغب في ممارسة ألعاب الفيديو أو دعوتها للسباحة بعد الغداء.

وقف الرجل الطويل على عتبة بابهم، مُحدِّقًا إليها. وكان يرتدي معطف من الجلد البني على الرغم من حرارة الجو. وكان حذاؤه فضي اللون، وقد أصدر رنينًا أجوف عندما خطا به فوق العتبة. ونظرت جود إلى وجهه المظلم فارتجفت.

وصاحت: «أمي، أُمااااااااه. يوجد شخص ما هنا».



جاءت والدتها من المطبخ، وهي تمسح يديها المبللتين في سروالها الجينز، وعندما رأت

الرجل، شحب وجهها، وقالت لابنتها بصوتٍ يملؤه الفزع: «اذهبي إلى غرفتك، الآن!».

سألها الرجل مُشيرًا إلى جود: «ابنة مَن هذه؟». كانت نبرة صوته غريبة، وأضاف: «ابنتك، أم ابنته؟».

قالت الأم: «لا أحد». ولم تنظر تجاه جود، ثم أردفت: «ليست ابنة أحد». لم يَكُن ذلك صحيحًا، فجود وتارين تشبهان والدهما تمامًا. وقد أكد الجميع ذلك. خطت جود بضع خطوات نحو الدرج، لكنها لم تكن ترغب في البقاء بمفردها في غرفتها. فقالت في نفسها: فيفي. فيفي ستعرف مَن يكون الرجل الطويل. فيفي ستعرف ما ينبغي فعله.

لكن لم تستطع جود أن تدفع نفسها للحركة أكثر مما فعلت.

قال الرجل: «لقد رأيت من قبل أشياء كثيرة مستحيلة. فقد رأيت البذرة قبل أن تصبح شجرة بلوط، ورأيت الشرارة قبل أن تصبح لهبًا. لكنني لم أرَ قطُّ شيئًا مثل هذا؛ امرأة ميتة على قيد الحياة. وطفل يولد من لا شيء».

بدت الأم عاجزة عن الكلام. وكان جسدها يهتز من التوتر، وأرادت جود أن تمسك بيدها وتضغط عليها لطمأنتها، لكنها لم تجرؤ على فعل ذلك.

قال الرجل بصوتٍ صار أكثر خُفوتًا وليِّنًا: «لقد شككت في صدق بالكين عندما قال لي إنني سأجدك هنا، كانت عظام المرأة وطفلتها التي لم تولد بعد والتي وجدتها بين بقايا منزلي المحترق مُقنعة بالنسبة لي. فهل تعرفين ما يعنيه أن أعود من المعركة، فأجد زوجتي ووريثتي الوحيدة ميتتين؟ وأجد حياتي قد تحوَّلت إلى رماد؟».

هزَّت الأم رأسها، ليس كما لو كانت تجيبه، ولكن كما لو كانت تحاول طرد الكلمات من عقلها.

تقدَّمَ الرجل خطوةً نحوها، فتراجعت هي خطوةً إلى الوراء. وكان هناك خطب ما في ساق الرجل الطويل، إذ كان يتحرَّك بصعوبة كأنها تؤلمه. وكان الضوء مختلفًا في صالة رواق

المدخل، واستطاعت جود رؤية اللون الأخضر الغريب لبشرته، وكيف بدت أسنانه السفلية كبيرة جدًّا داخل فمه.

ثم رأت عينيه الشبيهتين بعيني فيفي..

قالت له الأم: «ما كنت سأسعد معك مطلقًا. فعالمك لا يصلح لأناس مثلي».

نظر إليها الرجل الطويل مليًّا، ثم قال: «لقد أعطيتني عهودًا».

رفعت الأم ذقنها قائلةً: «ثم نكثتُها».

تحوَّلَ بصر الغريب إلى جود، واحتدَّ كلامه: «ما قيمة العهد لدى زوجة فانية؟ أظنني عرفتُ الإجابة».

استدارت الأم إلى جود، وعندما نظرت إليها، اندفعت جود إلى غرفة المعيشة.

كانت تارين لا تزال نائمة. وكان التلفاز لا يزال مفتوحًا. نظرت فيفيان بعينين شبه مفتوحتين، وقالت: «مَن عند الباب؟ إني أسمع جدالًا».

قالت لها جود وهي تلهث، مع أنها لم تركض على الإطلاق: «هناك رجل مخيف في المنزل». وكان قلبها يخفق بشدة. ثم أضافت: «من المفترض أن نصعد إلى الطابق العلوي».

لم تكترث جود لحقيقة أن أمها طلبت منها هي فقط الصعود إلى الطابق العلوي، فما كانت لتصعد بمفردها قط. وبتنهيدة، نهضت فيفي عن الأريكة وهزَّت تارين لتوقظها. فتبعتهما وهي نصف نائمة إلى رواق المدخل.

وبينما كنَّ يتوجَّهن ناحية درجات السُّلَّم المغطاة بالسجاد، رأت جود والدها قادمًا من الحديقة الخلفية. وكان يحمل فأسًا في يده -كان قد صنعها لتكون نسخة طبق الأصل تقريبًا من فأسٍ رآها في متحف في أيسلندا. لم يَكُن من الغريب رؤية الوالد وهو يحمل فأسًا، إذ كان

هو وأصدقاؤه يمتلكون أسلحة قديمة، وكانوا يقضون الكثير من الوقت في الحديث عن «الثقافة المادية» ويرسمون صورًا لأسلحة مذهلة من مخيلاتهم. والشيء الغريب هو الطريقة التي كان يُمسك بها هذا السلاح، فقد كان كما لو أنه مُقدِم على...

ثم فجأةً ألقى والدها الفأس في اتجاه الرجل الطويل.

فيما مضى لم يرفع والدها يده قطُّ لتأديب جود أو أختيها، حتى عندما كنَّ يقعن في مشكلة كبيرة. بل إنه ما كان ليؤذي أحدًا. إذ لم يكن هذا من شيمه مطلقًا. ولكن، هذا ما حدث الآن.

تجاوزت الفأس الرجل الطويل، وانغرست في إطار الباب الخشبي.

أصدرت تارين صيحة غريبة عالية ووضعت كفيها على فمها بسرعة.

سحب الرجل الطويل سلاحًا مُقوَّسًا من تحت معطفه الجلدي. وكان سيفًا، يشبه ما يتم وصفه في القصص. كان الأب يحاول سحب الفأس من إطار الباب عندما غرس الرجل سيفه في بطنه، ودفعه إلى أعلى، كان هناك صوت. مثل صوت عصي تتحطم، وعواء حيوان يتألم. سقط الأب على سجادة مدخل المنزل، تلك السجادة التي كثيرًا ما وبختهن أمهن عندما كُنَّ يخطون عليها بأحذيتهن الملطخة بالطين.

تلك السجادة التي تخضبت الآن باللون الأحمر.

صرخت الأم. وصرخت جود. وصرخت تارين وفيفي. لقد كان كل من في المنزل يصرخ، ما عدا الرجل الطويل.

قال وهو ينظر مباشرة إلى فيفي: «تعالي إلى هنا».

صاحت أمهن، وهي تنطلق نحو المطبخ: «أيها الوحش. لقد قتلته!».

قال لها الرجل: «لا تهربي مني ليس بعد ما فعلته. وإذا هربت مرة أخرى أقسم أنني...».

لكنها ركضت. وكادت تتمكَّن من الهرب لولا أنه طعنها بسلاحه في ظهرها. فسقطت على مفرش الأرضية، وأسقطت بذراعيها المتهاويتين قطع المغناطيس الملتصقة بالثلاجة.

كانت رائحة الدم الطازج ثقيلة في الهواء، مثل رائحة الحديد الساخن حين تنسكب عليه

المياه. ومثل رائحة قطع إسفنج التنظيف التي كانت تستخدمها الأم لتنظيف المقلاة عندما تعلق الأشياء بها بشدة.

ركضت جود نحو الرجل، وراحت تضرب صدره بقبضتيها، وأخذت تركل ساقيه. لم تَكُن خائفة، إذ لم تَكُن مُتأكِّدةً من أنها تشعر بأي شيء على الإطلاق.

لم يلتفت الرجل لجود. ولفترة طويلة، ظلَّ واقفًا في مكانه، كما لو أنه لا يصدق ما فعله أو كما لو أنه تمنى أن يتمكن من استعادة الدقائق الخمس الأخيرة. ثم ارتكز بإحدى ركبتيه على الأرض، وأمسك بكتفي جود. وثبَّتَ ذراعيها على جانبيها حتى لا تتمكن من ضربه، لكنه لم ينظر إليها، وكان بصره مُثبَّتًا فقط على فيفيان.

قال لها: «لقد سُرقتِ مني. وقد جئت لآخذك إلى موطنك الحقيقي، إلى مدينة إلفهايم، موطن الجان في أسفل التل. وهناك ستكونين ثرية على نحو يفوق الحدود. بل هناك ستكونين مع بني جنسك».

قالت له فيفي بصوتها الطفولي الحزين: «لا. لن أذهب معك إلى أي مكان أبدًا».

فردَّ عليها بصوتٍ غليظ ارتفعت نبرته مثل قرقعة السوط: «أنا والدك. أنتِ وريثتي ومن دمي، وسوف تطيعينني في هذا الأمر وفي كل شيء».

لم تتحرَّك فيفي، لكنها أبدت الإصرار على كلامها.

صاحت جود في وجه الرجل: «أنت لست والدها». وعلى الرغم من أنه وفيفي لهما العينان نفساهما، فإنها لم تسمح لنفسها بتصديق ذلك.





شدَّ الرجل الغريب قبضته على كتفيها، فأصدرت صوتًا حادًّا مُختنِقًا. لكنها حدَّقت إليه بتحدٍّ. فقد فازت سابقًا بالكثير من مسابقات التحديق!

أشاح بنظره بعيدًا، حيث استدار ليشاهد تارين وهي جاثية على ركبتيها. وتهز والدتها وهي تبكي، كما لو كانت تحاول إيقاظها. لكن الأم لم تتحرَّك. مات كلٌّ من الأب والأم. ولن يتحركا

مرَّةً أخرى أبدًا.

قالت فيفي للرجل الطويل بشراسة أسعدت جود: «أنا أكرهك، وسأكرهك دائمًا. أتعهَّد بهذا».

لم تتغيَّر تعبيرات وجه الرجل الجامدة. وقال: «مع ذلك، سوف تأتين معي. وجهزي أيضًا هاتين البشريتين الصغيرتين. لكن لا تحضري الكثير من المتاع. وسوف نرحل قبل حلول الظلام».

رفعت فيفيان ذقنها في عناد، وقالت له: «دعهما وشأنهما. وإن لم يَكُن من الأمر بُد، فخذني أنا دونهما».

حدَّقَ الرجل إلى فيفي، ثم زمجر قائلًا: «تريدين أن تحمي أُختَيْكِ مني، هل تقدرين على ذلك؟ أخبريني إذن إلى أين ستذهبن؟».

لم تُجِب فيفي. ولم يَكُن لديهن أجداد ولا أقارب أحياء على الإطلاق، أو على الأقل لا يوجد أحد يعرفنه.

ثم نظر إلى جود مرة أخرى، ورفع يديه عن كتفيها، ووقف على قدميه، ثم قال: «إنهما ابنتا زوجتي، ومن ثم أنا مسئول عنهما. قد أكون قاسيًا ومُتوحِّشًا وقاتلًا. لكنني لا أتنصَّل من مسئولياتي، ويجب ألا تتنصَّلي من مسئولياتك؛ لكونكِ الأخت الكبرى».

بعد سنوات، عندما استعادت جود ذكرى ما حدث، لم تستطع تذكُّر الجزء الخاص بحزم حقائبهن. إذ يبدو أن الصدمة قد محت تفاصيل تلك الساعة كلها. وعلى نحو ما، من المؤكد



أن فيفي عثرت على الحقائب، ووضعت فيها كتبهن المصورة المفضلة، وألعابهن المُحببة إلى جانب الصور الفوتوغرافية، وملابس النوم، والمعاطف والقمصان.

أو ربما حزمت جود حقيبتها بنفسها، لم تكن متأكدة.

لم تستطع أن تتخيَّلَ كيف فعلن ذلك، وجُثَّتا الوالد والوالدة غارقتان في الدماء في الطابق

السفلي. لم يسعها تخيُّل كيف كان شعورها بالأمر، ومع مرور السنين، لم تستطع أن تستعيد هذا الشعور مرة أخرى. لقد تلاشى رعب جريمتيْ القتل مع مرور الوقت. وانطمست ذكريات ذلك اليوم.

كان هناك حصان أسود يأكل من عشب الحديقة عندما خرجن، وكانت عيناه كبيرتين ولطيفتين. أرادت جود أن تُطوِّق رقبته بذراعيها وتدفن وجهها المُبلَّل بالدموع في عُرفه الناعم. وقبل أن تتمكَّن من فعل ذلك، جذبها الرجل الطويل، ووضعها هي وتارين على السرج، كأنهما أمتعة وليستا طفلتين، ثم وضع فيفي خلفه.

قال لها: «تشبَّثي جيِّدًا».

بكت جود وأختاها طوال الطريق إلى أرض الجان.







الفصل
1



في أرض الجان، لا توجد أصابع سمك، أو كاتشب، أو تلفاز.





الفصل 2

جلستُ على وسادة، بينما قامت جنية صغيرة بضمِّ شعري في ضفيرة كي لا يتناثر على وجهي. وكانت أصابعها طويلة، وأظافرها حادَّة، فارتجفتُ من ملمسها وأصابتني قشعريرة، إذ التقت عيناها السوداوان بعينيَّ في المرآة ذات القاعدة مخلبية الشكل الموضوعة على منضدة الزينة.

قالت الجنية: «إن البطولة لا تزال أمامها أربع ليال، وبغض النظر عن مدى تحمسك لها، لا يمكنك جعل الأيام تمرُّ بشكل أسرع. فحاولي أن تجلبي المجد لمنزل الجنرال الليلة بظهورك في أبهى قدر ممكن من الجمال». كان اسمها تاترفيل، وهي خادمة في منزل مادوك، وستظل باقية هنا حتى تُسدِّد ديونها له. وقد رعتني واعتنت بشئوني منذ كنت طفلة. كانت تاترفيل هي التي تضع مرهم الجن اللاسع على عيني لمنحي الرؤية الصادقة حتى أتمكَّن من كشف حقيقة معظم تعاويذ الإغواء، وهي من تنظف الوحل عن حذائي، وكذلك تصنع لي عقودًا

من توت الروان المُجفف لأرتديها حول رقبتي حتى تحميني من التعاويذ المؤذية. وكانت تمسح أنفي المبلل، وتذكرني بأن أرتدي جواربي مقلوبة؛ حتى لا أضل طريقي في الغابة أبدًا.

تنهَّدتُ.

إنها لم تملك قطُّ الكثير من الصبر على مُشاكستي، حيث قالت: «إنه لشرف أن ترقصي مع أفراد حاشية الملك السامي تحت التل».

إن الخدم لا ينفكون يخبرونني بكم أنا محظوظة؛ فأنا ابنة غير شرعية لزوجة يعتبرونها خائنة، وبشرية لا أحمل أية قطرة من دم الجن، ومع ذلك أُعامل مثل واحدة من بنات الجن الأصيلات، كما أنهم يخبرون تارين بالشيء نفسه.

أعلم أنه لشرف كبير أن أترعرع جنبًا إلى جنب مع أبناء طبقة النبلاء، إنه شرف مرعب لا أحسب أنني جديرة به مُطلقًا.

سيكون من الصعب عليَّ أن أنسى حملي هذا الشرف مع كل ما يذكِّرني به من حولي.

وبدلًا مما أفكر فيه قلت لها: «نعم، هذا رائع»؛ لأنها تعاملني بلطف.

إن الجان لا يعرفون الكذب، ومن ثم يميلون إلى التركيز على الكلمات وتجاهل نبرة الصوت، خاصة إذا لم يعش أحدهم بين البشر من قبل. لقد تقبَّلت تاترفيل جوابي بإيماءة موافقة، ونظرت إليَّ بعينيها اللتين تشبهان حبتين مُبلَّلتين من الكهرمان الأسود، إذ إنهما بلا حدقة ولا قزحية مرئية، وقالت: «ربما يطلب شخص ما الزواج بكِ، وتصبحين عضوة دائمة في بلاط الملك».

قلت لها: «أريد أن أفوز بمكاني عن جدارة».

توقَّفت الجنية الصغيرة برهة، وبين أصابعها دبوس الشعر، ربما خطرت لها فكرة وخزي به، ثم قالت: «لا تكوني حمقاء».



لا فائدة من الجدل، ولا فائدة من تذكيرها بزواج والدتي الكارثي، إن هناك طريقتين لكي يصبح البشر الفانين من حاشية الملك الدائمين: الزواج بواحد من حاشيته، أو اكتساب مهارة عظيمة، مثل تشكيل المعادن أو العزف على العود، أو أي شيء آخر. وأنا لست مهتمة بالمهارة الأولى، وآمل أن أكون موهوبة بما يكفي لاكتساب المهارة الثانية.

انتهت من جدل شعري بأسلوب متقن جعلني أبدو كما لو كان لديَّ قرنان. وألبستني ثوبًا مخمليًّا ياقوتي اللون. لكن لا شيء من ذلك كان يُخفي حقيقة أنَّني فتاة من بني البشر.

قالت الجنية الصغيرة بلطف: «لقد جدلت لك ثلاث عُقد كي يحالفك التوفيق».

تنهَّدتُ في ارتياح عندما اتَّجهت الجنية نحو الباب، فنهضت من أمام منضدة الزينة، واستلقيت على بطني فوق فراشي المُغطى بالنسيج المزخرف. أنا معتادة وجود الخدم وعنايتهم بي. لقد اعتدت العفاريت الصغار والعفاريت الضخام، والمخلوقات من عشيرتَيْ الجوبلن والجريج، فأنا مُحاطة بأجنحة شفافة وأظافر خضراء وقرون وأنياب. إنني أعيش في مدينة الجان منذ عشر سنوات. ولم يَعُد أي شيء من ذلك يبدو غريبًا في نظري الآن، بل هنا، أنا الشخص الغريب، بأصابعي الغليظة، وأذنيَّ المستديرتين، وحياتي قصيرة الأمد.

تبدو السنوات العشر فترة طويلة بالنسبة للبشر.

بعد أن اختطفنا مادوك من عالم البشر أحضرنا إلى ضيعته في إنسماير، في جزيرة مايت، حيث معقل ملك إلفهايم السامي. وهناك، ربَّانا مادوك -أنا، وفيفيان، وتارين- بدافع من التزامه بقيم الشرف. وعلى الرغم من أنني أنا وتارين دليل على غدر أمي به، فوفقًا لعادات معشر الجان، نحن ابنتا زوجته، لذا فهو مسئول عن رعايتنا.

ولكونه قائد جيش الملك السامي، كان مادوك يغيب عنا فترات طويلة ويقاتل من أجل المملكة، ومع ذلك، تلقينا عناية جيِّدة. فكنا ننام مثلًا على مراتب محشوَّة برؤوس بذور الهندباء الناعمة. وقد علَّمنا مادوك شخصيًّا فن القتال بالسكاكين والخناجر، وبالسيوف

المعقوفة، وكذلك القتال بالأيدي. وقد لعب معنا لعبة المقطار، والشطرنج، ولعبة الثعلب والإوز أمام نيران المدفأة. وتركنا نجلس على ركبتيه، ونأكل من طبقه.

وفي ليالٍ عديدة، كنت أغرق في النوم على نبرات صوته الهادر خلال قراءته كتابًا عن إستراتيجيات المعارك، وعلى الرغم مما فعله وما هو عليه، وعلى الرغم مني، صرت أحبه. أحبه بالفعل.

لكنه ليس النوع المألوف من الحب.

قالت تارين وهي تندفع إلى غرفتي: «جدائل جميلة». كانت ترتدي ثوبًا مخمليًّا قرمزي اللون. وكان شعرها مُنسدِلًا - وخصلاته مجعدة، وطويلة وكستنائية اللون تتطاير خلفها مثل الرداء، كما كانت بضع خصلات منه مجدولة بخيط فضي لامع. ثم قفزت على الفراش بجانبي، فبعثرت كومة صغيرة من دمى الحيوانات المحشوة البالية -دب الكوالا، ثعبان، قطة سوداء- كل ما أحببته عندما كنت في السابعة من العمر. ولا أطيق التخلص من أي من تذكاراتي هذه.

جلست لأتأمَّل شكلي وألعابي في المرآة وقلت: «أحبها». ثم فاجأتني تارين بالقول: «لدي شعور داخلي بأننا سوف نحظى ببعض المرح الليلة».

قلت لها بنبرة مستنكرة: «مرح؟». كنت أتخيَّل نفسي أطل عابسةً على الناس من مخبئنا المعتاد لقلقي بشأن ما إذا كنت سأبلي بلاءً حسنًا في البطولة لإثارة إعجاب أحد أفراد العائلة المالكة حتى يمنحني لقب فارسة. ومجرد التفكير في الأمر يثير قلقي وتوتري، لكنني أفكر فيه باستمرار. مسحت بإبهامي على الطرف المفقود من إصبعي البنصر، على نحو لا إرادي.

قالت: «نعم»، ووكزتني في جنبي.

صحت: «أنتِ! لقد آلمتِني». وقفزتُ مُبتعدةً عنها. ثم تساءلت: «ما الذي تخططين له بالضبط؟».

في الغالب، عندما نذهب إلى بلاط الملك، فإننا نُخفي أنفسنا بعيدًا. لقد شاهدنا بعض الأشياء الممتعة للغاية قبل ذلك، ولكن من مسافة بعيدة.

رفعت يديها مُتسائِلةً بدورها باستغراب: «ماذا تقصدين؟ في اعتقادك ما الذي يمكن أن أخطط له؟ الاستمتاع بوقتنا بالطبع!».

ندت عني ضحكة متوترة وقلت: «ليست لديكِ خطة بالفعل، أليس كذلك؟»

«فلنرَ إن كانت لديك موهبة التنبؤ بالمستقبل».

«نحن نكبر في السن والأشياء تتغيَّر. نحن نتغيَّر. وعلى قدر حماستي للأمر، فأنا خائفة أيضًا».

دفعت تارين نفسها لتنهض عن فراشي، ومدَّت ذراعها، كما لو أنها ترغب في مشاركتي إحدى الرقصات. فبادرتُ إلى الخروج من الغرفة، وامتدَّت يدي تلقائيًّا لتطمئنني أن سكيني لا تزال مربوطة حول فخذي.

كان المشهد الداخلي لمنزل مادوك مُكوَّنًا من جص أبيض، وعوارض خشبية ضخمة خشنة السطح. وكانت الألواح الزجاجية في النوافذ رمادية داكنة اللون كالدخان المحتبس، ما يجعل الضوء المتسلِّل عبرها يبدو غريبًا. عندما نزلنا أنا وتارين على الدرج الحلزوني، لمحت فيفي مُختبِئةً في شرفة صغيرة، ومنهمكة في قراءة مجلة مصورة مسروقة من عالم البشر.

ابتسمتْ فيفي في وجهي. وكانت ترتدي سروالًا من الجينز وقميصًا مُتموِّجًا فضفاضًا - وبدا واضحًا أنها لا تنوي الذهاب إلى الحفل. لكونها ابنة مادوك الشرعية، فإنها لا تشعر بأي ضغط لإرضائه. إنها تفعل ما يحلو لها. بما في ذلك قراءة المجلات التي قد تكون صفحاتها مُثبَّتة بعضها ببعض بدبابيس حديدية بدلًا من لصقها بالغراء، ولا تكترث لتعرُّض أصابعها للوخز.

سألتنا بهدوء من مكمنها: «أأنتما مُتوجِّهتان إلى مكان ما؟»، ففزعت تارين.

تعلم فيفي جيِّدًا إلى أين نتجه.

عندما جئنا إلى هنا لأوَّل مرة، كنا أنا وتارين وفيفي نتجمع على فراش فيفي الكبير، ونتحدث عما نتذكره عن منزلنا السابق. كنا نتحدث عن الوجبات التي أحرقتها أمي، والفشار الذي كان يعده أبي. أسماء جيراننا، ورائحة المنزل، وكيف كانت المدرسة، والإجازات، وطعم الحلوى التي تزين كعكات ذكرى الميلاد. كنا نتحدث عن المسلسلات التي شاهدناها، ونعيد صياغة أحداثها، ونتذكر الحوار، حتى بدت كل ذكرياتنا حالمة، ويشوبها بعض الزيف.

لم نَعُد نتجمع على الفراش الآن، ولم نَعُد نتذكَّر أي شيء. وصارت كل ذكرياتنا الجديدة عن وجودنا هنا، وليس لدى فيفي سوى اهتمام عابر بها.

لقد تعهَّدت بكراهية مادوك، وهي على العهد حتى الآن. وعندما تعجز فيفي عن استعادة ذكرياتها عن الوطن، تصبح مخيفة، حيث تحطم الأشياء. وتصرخ وتثور غضبًا، وتلكمنا عندما نبدو غير مباليتين. ولكنها في نهاية المطاف توقَّفت عن ذلك كله، لكنني أعتقد أن هناك جزءًا منها يكرهنا لتكيُّفنا مع الوضع، ولمحاولتنا تحقيق أقصى استفادة من واقعنا الجديد. وبالطبع لاتِّخاذنا من هذا المكان وطنًا لنا.

قلت لها: «ينبغي أن تأتي، إن تارين يعتريها مزاج غريب».

ألقت إليها فيفي نظرة طويلة، ثم هزَّت رأسها قائلةً: «لديَّ خطط أخرى». وهو ما قد يعني أنها ستتسلَّل إلى عالم البشر في المساء، أو قد يعني أنها ستمضي الوقت في القراءة على الشرفة.

في كلتا الحالتين، إذا كان هذا يزعج مادوك، فإنه سيسعد فيفي دون شك. إنه ينتظرنا في ردهة المنزل مع زوجته الثانية أوريانا. إن لون بشرتها مائل للزُّرقة كلون الحليب منزوع الدسم، وشعرها أبيض مثل الثلج الذي تساقط من فوره. إنها جميلة، ولكن النظر إليها يبعث الخوف في النفس، إنه مثل النظر إلى شبح. وفي تلك الليلة، كانت ترتدي ثوبًا شبيهًا بلون الطحالب، موشًّى باللونين الأخضر والذهبي، ذا ياقة براقة ممتدة تجعل اللون الوردي لفمها وأذنيها وعينيها بارزًا. وكان مادوك يرتدي ثيابًا خضراء أيضًا كلون الغابات العميقة، مُتسلِّحًا بسيفه الذي لا يفارقه.

وفي الخارج، على مقربة من الأبواب المزدوجة المفتوحة، كان هناك عفريت ينتظر، مُمسكًا بالأعِنَّة الفضية لخمسة خيول مُرقَّطة من عالم الجن، أعرافها مجدولة على شكل عُقد. فكّرتُ في العُقد المجدولة في شعري، وتعجّبت من مدى تشابهها معها.

قال مادوك لي ولتارين: «كلتاكما تبدو حسنة المظهر». وجعلت المودة البادية في نبرته من هذه الكلمات مجاملة نادرة الحدوث. ثم تحوَّلَ بصره إلى الدرج، وسأل: «هل أختكما آتية؟».

كذبت قائلةً: «لا أعرف أين فيفي، من المؤكَّد أنها نسيت». والكذب سهل للغاية هنا. ويمكنني ممارسته طوال اليوم دون أن يُكشف أمري.

علت تعابير خيبة الأمل، وليس المفاجأة، وجه مادوك. ثم توجَّهَ إلى الخارج ليقول شيئًا ما للعفريت المُمسك بأعِنَّة الخيول. وفي الجوار، رأيت إحدى جاسوساته، وهي مخلوقة جسدها كثير الغضون والتجاعيد، ذات أنف يشبه الجزر الأبيض، وظهرها ذو حدبة أعلى من رأسها. لقد وضعتْ رسالة في يده، وانصرفت برشاقة مدهشة.

كانت أوريانا تتفحَّصنا بعناية، كما لو أنها تتوقَّع أن تجد بنا شيئًا خاطئًا. ثم قالت: «كونا حذرتين الليلة. وعِداني بأنكما لن تأكلا، أو تشربا، أو ترقصا».

ذكَّرتُها قائلةً: «لقد ذهبنا إلى قصر الملك من قبل». وهي ليست الإجابة التي تُرضي مخلوقات عالم الجان.

قالت: «قد تعتقدان أن الملح وسيلة حماية كافية، لكنكما كثيرتا النسيان أيتها الطفلتان. من الأفضل أن تمتنعا عن تناول الطعام والشراب. أما بالنسبة للرقص، فبمجرد أن تبدآ، ستظلان أيتها الفانيتان ترقصان حتى الموت هذا إذا لم نمنعكما».

أطرقتُ بنظري إلى الأرض، ولم أقل شيئًا.

نحن لسنا كثيرتيْ النسيان.



لقد تزوَّجَها مادوك منذ سبع سنوات، وبعد فترة وجيزة أنجبت له طفلًا هزيلًا اسمه أوك، له قرنان صغيران جذابان على رأسه. وكان من الواضح دائمًا أن أوريانا تتحمَّلنا أنا وتارين فقط من أجل مادوك. أعتقد أنها ترانا ككلاب صيد مُحبَّبة لزوجها، كلاب سيئة التدريب، ومن المحتمل أن تنقلب على سيدها في أيَّةِ لحظة.

أما عن أوك، فهو يعتبرنا شقيقتيه، وهو ما يزعج أوريانا، مع أنني ما كنت لأفعل أي شيء يؤذيه.

قالت أوريانا: «أنتما تحت حماية مادوك، وهو يحظى بدعم الملك السامي، ولن أسمح بأن يبدو مادوك أحمق بسبب أخطائكما».

مع انتهاء هذه الخطبة الصغيرة، سارت أوريانا نحو الخيول، فصهل أحدها وضرب الأرض بحافره.

تبادلنا أنا وتارين نظرة ساخرة ثم لحقنا بها. وكان مادوك راكبًا بالفعل على صهوة أكبر حصان بينها. وقد كان حصانه مخلوقًا مثيرًا للإعجاب، ذا ندبة تحت إحدى عينيه. وكان منخراه ينفثان الهواء بصبر نافد، وأخذ يهزُّ عُرفه بهياج.

ركبت أنا حصانًا باهت الخضرة، وذا أسنان حادَّة، ورائحة عطِنة. بينما اختارت تارين حصانًا عاديًّا لا يُميِّزه شيء، وركلت خاصرتيه بعقبيها. فانطلقت هي كالرصاصة، ثم تبعتها أنا، وغصنا في ظلام الليل.





الفصل
3



الجان مخلوقات ليلية، وقد أصبحنا مثلهم أيضًا. إننا نستيقظ عندما يحل الظلام، ونعود إلى فراشنا قبل شروق الشمس. وكنا قد تجاوزنا منتصف الليل بقليل عندما وصلنا إلى التل العظيم حيث يوجد قصر إلفهايم. ولكي نصل إلى الداخل، يجب أن نمر بين شجرتين، شجرة بلوط وشجرة شوكية، ثم نتجه مباشرة نحو ما يبدو كأنه جدار حجري لقلعة مهجورة. لقد فعلتُ هذا مئات المرات، لكنني أشعر بالخوف على أية حال. يتوتر جسدي كله، وأطبق قبضتي على العنان بقوة، وأغلق عينيَّ.

وعندما أفتحهما، أصبح داخل التل.

سرنا عبر كهف بين أعمدة من الجذور، وفوق أرضية ممهدة.





كان هناك العشرات من الأفراد المحتشدين حول باب قاعة العرش الشاسعة، حيث ينعقد مجلس الملك - حوريات طويلة الأنف بأجنحة مثقوبة، وسيدات أنيقات ذوات بشرة خضراء يرتدين ثيابًا طويلة، وخلفهن الخادمات من جنيات الجوبلن يحملن أذيال ثياب السيدات؛ ومخلوقات البوجان حسنة الهندام، وثعلب يضحك، وصبي يرتدي قناع بومة وقبعة ذهبية، وامرأة عجوز برفقتها غربان تصطف على كتفيها، ومجموعة من الفتيات يضعن أزهارًا برية في شعورهن، وفتى بني البشرة لديه ريش حول رقبته، ومجموعة من الفرسان يرتدون دروعًا خضراء بلون الجعران. لقد رأيتُ الكثيرين منهم من قبل، لكنني لم أتحدث إلا مع القليل. كانوا أكثر مما تستطيع عيناي حصره وملاحظه لكنني لم أستطع رفع بصري عنهم.

لم أسأم من هذا قطُّ؛ من هذا المشهد المذهل، ومن هذه الأبهة، وربما لم تكن أوريانا مخطئة تمامًا في قلقها من أن تأسرنا هذه الأجواء يومًا ما فننجرف إليها، وننسى ما يجب علينا أن نحذر منه، وأستطيع أن أفهم الآن لماذا يستسلم بعض البشر لكابوس الانغماس في حياة البلاط الملكي الجميلة ولماذا يغرقون فيها طواعية.

أعلم أنني يجب ألا أحب هذا العالم كما أحبه الآن؛ فقد سُرقت من عالم البشر، وقُتل والداي. لكنني أحبه مع هذا.

نزل مادوك عن حصانه. وقد نزلت أوريانا وتارين بالفعل عن حصانيهما وسلمتاهما إلى ساسة الخيول. وكانوا جميعًا ينتظرون نزولي أنا. مدَّ مادوك أصابعه كأنه سيساعدني، لكنني قفزت عن صهوة الحصان بمفردي وارتطم نعلاي بالأرض بقوة كأنهما يصفعانها.

أردت أن أبدو في نظره كالفرسان.

تقدمت أوريانا نحونا، ربما لتذكيرنا أنا وتارين بكل الأمور التي لا تريدنا أن نفعلها. فلم أعطها الفرصة. وعلقت ذراعي بذراع تارين وسارعنا إلى الدخول. كانت القاعة معطرة ببخور إكليل الغار ومسحوق الأعشاب العطرية، ومن خلفنا كنت أسمع خطوات مادوك الثقيلة، لكنني كنت أعرف إلى أين أذهب. فأول ما يجب علينا فعله عندما ندخل قاعة البلاط الملكي هو تحية الملك.



كان الملك السامي إلدريد جالسًا على عرشه مرتديًا ثياب المُلك الرمادية، ويضع تاجًا ثقيلًا من أوراق البلوط الذهبية يُثَبِّتُ به شعره المستعار الرقيق المغزول من خيوط الذهب. وعندما كنا ننحني، كان يلمس رؤوسنا بلطف بيديه المجعدتين المزينتين بالخواتم، ثم كنا ننهض.

من المأثور عن هذا الملك أن جدته لأمه هي الملكة ماب، من أسرة جرينبريال. التي عاشت كواحدة من جنيات العزلة قبل أن تبدأ غزو أرض الجان مع زوجها المقرَّن وفرسانه راكبي الأيائل. ويقال إن كل أبناء إلدريد الستة لديهم بعض الصفات الوحشية التي ورثوها منه، وهو أمر ليس غريبًا في عالم الجان، ولكنه غير مألوف بين طبقة النبلاء في ممالكهم.

كان الأمير الأكبر سنًّا بالكين، وشقيقه الأصغر داين يقفان في مكان قريب منا، ويتناولان الشراب في أكواب خشبية مغطاة بالفضة، وكان داين يرتدي سروالًا ضَيِّقًا يصل إلى ركبتيه، ويُظهر حافريه وساقيه اللتين تشبهان سيقان الغزلان. أما بالكين فكان يرتدي المعطف الذي يُفضله، مع طوق من فرو الدببة. وكانت بأصابعه شوكة في كل مفصل، وتنتشر الأشواك على ذراعيه، وتمتد إلى كمي قميصه، وأمكنني رؤيتها عندما مازحا مادوك هو وداين.

لقد انحنت أوريانا لهما في تبجيل عند استقبالهما لنا، ورغم أن داين وبالكين يقفان معًا، فإنهما غالبًا ما يكونان على خلاف فيما بينهما ومع أختهما إلوين - بدرجة تجعل البلاط يبدو كأنه مقسم إلى ثلاث دوائر نفوذ متصارعة.

يُعرف الأمير بالكين، الابن البكر، ومجموعته باسم دائرة السوَّاديات، وهم يستمتعون بالمرح، ويبغضون أي شيء يمنعهم منه. كما يتناولون الشراب بنهم، ويغيِّبون عقولهم بمساحيق سامة ومبهجة. إنها الدائرة الأكثر جموحًا، رغم أنه يبدو مُتَّزِنًا ومنتبهًا تمامًا طوال الوقت عندما يتحدث معي. وأظن أنني إن جاريتهم في جموحهم، فسأثير إعجابهم، لكني أفضل ألا أفعل.

أما الأميرة إلوين، الابنة الثانية في الترتيب، ورفاقها فيشكلون دائرة القُبَّرات. إنهم يُعلون قيمة الفن على كل شيء آخر، وقد لاقى العديد من البشر الفانين ترحيبًا وحظوة في دائرتها، لكن

بما أنني لا أمتلك مهارة حقيقية في العزف على العود أو استخدام البلاغة، فليست لدي فرصة لأكون واحدة منهم.

أما الأمير داين ثالث مولود للملك، فهو يقود ما يعرف بدائرة الصقور، وهي تشمل الفرسان والمحاربين والمخططين الإستراتيجيين. وبلا شك ينتمي مادوك إلى هذه الدائرة. ويتحدثون فيها دومًا عن الشرف والكرامة، لكن ما يهتمون به حقًّا هو القوة والنفوذ. وأنا أجيد استخدام الأسلحة، وبارعة في التخطيط الإستراتيجي. وكل ما أحتاج إليه هو فرصة لإثبات نفسي.

قال لنا ما دوك: «اذهبا واستمتعا بوقتكما». وبعد إلقاء نظرة استئذان على الأميرين، توجهنا أنا وتارين إلى الحشد.

يحتوي قصر ملك مدينة إلفهايم على العديد من الخلوات السرية والممرات الخفية، ما يجعله مثاليًّا لعقد الاجتماعات السرية، أو القتل، أو الانعزال والتصرف بطريقة مضجرة في الحفلات، وعندما كنا أنا وتارين صغيرتين، كنا نختبئ تحت موائد الولائم الطويلة. ولكن منذ أن رأت تارين أننا أصبحنا سيدتين راقيتين وأصبحنا أكبر من أن يتسخ ثوبانا من الجلوس على الأرض، كان علينا أن نجد مكانًا أفضل للتواري عن الأنظار، وبعد المجموعة الثانية من درجات السلالم الحجرية، كانت توجد منطقة تبرز فيها كتلة كبيرة من الصخور المتلألئة، مُشكِّلةً لسانًا صخريًّا ممتدًّا. وفي العادة، هذا هو المكان الذي نجلس فيه للاستماع إلى الموسيقى ومشاهدة كل المرح الذي لا يُفترَض أن نحظى به.

لكن الليلة، كانت لدى تارين فكرة مختلفة. حيث تخطت الدرجات والتقطت الطعام من صينية فضية؛ تفاحة خضراء وقطعة من الجبن الأزرق، ودون أن تكترث للملح الموجود فيها، أخذت قضمة من كل منهما، وناولتني التفاحة لآخذ قضمة. تعتقد أوريانا أننا لا يمكننا التمييز بين الفاكهة العادية وفاكهة الجن ذات اللون الذهبي البراق، ولبها الأحمر الداكن، ورائحتها المتخمرة التي تسود الغابات في وقت الحصاد.

كانت التفاحة هشة وباردة في فمي. وقد تبادلنا قضمها فيما بيننا وتشاركناها حتى لبها، الذي تناولتُه في قضمتين فحسب.



بالقرب من المكان الذي أقف فيه، كانت تتسلَّل جنية صغيرة يحيط شعرها الأبيض بوجهها، وتشبه في ذلك نبتة الهندباء البرية، ومعها سكين صغير قطعت به رباط حزام أحد الغيلان. لقد فعلت ذلك ببراعة. وبعد لحظة، اختفى سيفه وكيس نقوده، وبسرعة انسلَّت الفتاة بين الحشود. كدت أصدق أن ذلك لم يحدث. غير أن الفتاة التفتت ونظرت إليَّ.

وغمزت بعينها.

بعد لحظة، أدرك الغول أنه تعرَّضَ للسرقة.

وصاح غاضبًا: «أشم رائحة لص!». وظلَّ يبحث حوله، فاصطدم بخزان من الشراب البني الداكن وأسقطه، بينما أنفه المليء بالثَّآليل ظلَّ يتشمَّم الهواء.

وفي الجوار، كانت هناك جلبة - حيث توهَّجت إحدى الشموع مُطلِقةً ألسِنة لهب زرقاء متلألئة، فنتج عن ذلك سطوع ضوء لامع للغاية، وتشتت انتباه الغول نفسه. وحينما عادت الأمور إلى طبيعتها، كانت اللصة ذات الشعر الأبيض قد فرَّت.

بابتسامة خفيفة، التفتُّ إلى تارين التي كانت تراقب الراقصين بشغف، غافلةً عن أي شيء آخر.

ثم قدَّمَت اقتراحًا بقولها: «يمكننا أن نتناوب الرقص. وإذا لم تستطيعي التوقف، فسوف أساعدك على فعل ذلك. ثم تفعلين أنت الشيء نفسه معي».

تسارعت دقّات قلبي لمجرد سماع الفكرة. وألقيت نظرة على حشود المحتفلين، في محاولة لاستلهام جرأة كجرأة مَن يسرق الغول وهو مفتوح العينين تمامًا.

كانت الأميرة إلوين تدور وسط حلقة من مجموعة القبَّرات. وكانت بشرتها ذهبية لامعة، وشعرها أخضر داكن كلون اللبلاب. وكان بجانبها صبي من البشر يعزف على الكمان يرافقه بشريان آخران يعزفان على القيثارة بمهارة أقل. ولكن بطريقة أكثر بهجة. وكانت كايليا،

شقيقة إلوين الصغرى، تتمايل قريبًا منها بشعرها الحريري الأصفر كصفرة الذرة، مثل شعر والدها، وهي مرتدية تاجًا من الزُّهور.

صدحت أغنية جديدة، وتسلَّلَت كلماتها إلى أذني. وكانوا يغنون: «من بين جميع أبناء الملك وليام، كان الأمير جيمي الأسوأ. وما جعل الحزن أكبر أن الأمير جيمي كان الابن البكر».

لم أحب هذه الأغنية كثيرًا؛ لأنها ذكرتني بشخص آخر. إنه شخص، بالإضافة إلى الأميرة ريا، لا يبدو أنه سيحضر الليلة. لكن - أوه لا. أنا أراه بالفعل.

ظهر الأمير كاردان، الابن السادس للملك إلدريد، والأسوأ على الإطلاق. وتقدَّمَ نحونا.

وكان يتبعه فاليريان ونيكاسيا، ولوك - أصدقاؤه الثلاثة الأكثر وضاعة وأناقة وولاءً. تفرق الحشد من حولنا، وصمتوا بينما ينحنون للأمير وصحبه خلال مرورهم. كان كاردان يُظهر عبوسه المعتاد، ويضع الكحل أسفل عينيه. ويرتدي تاجًا من الذهب على شعره حالك السواد كما كان يرتدي معطفًا أسود طويلًا بياقة عالية مُسننة، ومُطرَّزًا بالكامل بما يشبه تشكيلات النجوم. وكانت أسورتا كمي رداء فاليريان الأحمر الداكن مزينتين بأحجار الياقوت المُتلألئة التي تشبه كلٌّ منها قطرة دم متجمدة. وكان شعر نيكاسيا أخضر مائِلًا إلى الزُّرقة كلون المحيط، ويزينه إكليل من اللؤلؤ، وتغطي شبكة رقيقة متلألئة من الخيوط جدائلها. بينما كان لوك يسير في المؤخرة، ويبدو عليه الضجر، وكان لون شعره يشبه لون فراء الثعلب.

قلت لتارين، التي كانت تُحدِّق إليهم مثلي: «إنهم سخيفون». ولا يسعني إنكار أنهم كانوا يتمتعون بالجمال أيضًا. إنهم سادة وسيدات الجن المستقبليون كما تصفهم الأغاني تمامًا. ولو أننا لم نُجبر على أخذ دروس معهم، ولولا أنني أعرف من كثب ما نوع العذاب الذي يصبُّونه على من يُشعرهم بالاستياء، فلربما أُغرمت بهم مثل أي شخص آخر.

همست تارين: «تقول فيفي إن كاردان لديه ذيل. لقد رأته عندما كانت تسبح في البحيرة معه هو والأميرة ريا في ليلة اكتمال القمر الماضية».



لا أستطيع أن أتخيَّل كاردان يسبح في بحيرة، ويقفز في الماء، ويرش الناس، ويضحك على شيء آخر غير معاناتهم. وقد قلت متعجبة: «ذيل؟». لاحت ابتسامة عدم تصديق على وجهي، ثم تلاشت عندما تذكرت أن فيفي لم تكلف نفسها عناء إخباري بالقصة، مع أنها حدثت منذ أيام. عندما يكون عدد الشقيقات ثلاثًا، فدائما ما تكون واحدة منهن لا علم لديها بما يطرأ لشقيقتيها من جديد.

أضافت تارين: «وتوجد خصلة شعر في طرف هذا الذيل! وتلتفّ تحت ملابسه، وتمتد مثل السوط». كانت تضحك، ولم أتمكَّن من سماع وفهم ما قالته بعد ذلك. ثم استطردت: «قالت فيفي إنها تتمنى لو أن لديها ذيلًا».

قلت بجدية: «أنا سعيدة لأنها لا تملك واحدًا». وكان هذا من قبيل الحماقة فليس لديَّ أي تحفُّظ ضد الذيول.

اقترب كاردان ورفاقه منَّا جدًّا بحيث لم يَعُد بإمكاننا التحدث عنهم دون أن يسمعونا. فحوَّلت بصري إلى الأرض. ومع أني أكره هذا الفعل، فقد جثوت على الأرض بركبة واحدة، وحنيت رأسي، وكززت على أسناني. وبجانبي، فعلت تارين شيئًا مُشابِهًا. إذ إن كل من حولنا أبدوا إجلالهم له.

تمنيت في نفسي: لا تنظر إلينا، لا تنظر.

وعندما مرَّ فاليريان بنا، أمسك بإحدى ضفيرتي المجدولتين على شكل قرنين. وبينما واصل الآخران سيرهما ظلَّ فاليريان ينظر إليَّ باستهزاء.

ثم قال وهو يميل نحوي: «هل ظننتِ أني لم أركِ؟ أنتِ وأختك تبرزان في أي حشد». كانت أنفاسه مُثقلة برائحة شراب العسل. فشددت قبضتي إلى جانبي، وأنا مدركة مدى قرب سكيني من يدي، لكنني لم أنظر إلى عينيه. ثم أضاف: «لا يوجد شعر باهت كشعرك، ولا يوجد وجه أقبح من وجهك».

نادى الأمير كاردان: فاليريان. كان الأمير عابسًا بالفعل، وعندما رآني ضاقت عيناه أكثر مما كانتا.

جذب فاليريان ضفيرتي بقوة. فارتعدتُ، وكان الغضب يغلي في صدري، ولم يكن بوسعي إظهاره، وأخيرًا ضحك وواصل سيره.

تحوَّلَ غضبي إلى شعور بالخزي وتمنيت لو ضربت يده فأزحتها بعيدًا، مع أن ذلك كان سيزيد الطين بلة.

لاحظت تارين شيئًا في وجهي، وسألتني: «ماذا قال لك؟».

فاكتفيتُ بهز رأسي.

توقَّفَ كاردان بجانب صبي له شعر نحاسي طويل، وزوج صغير من أجنحة الفراش - صبي لم ينحنِ له. كان الصبي يضحك، فاستفز ذلك كاردان، وفي طرفة عين، انقضت قبضة الأمير بلكمة قوية على فك الصبي فطرحته أرضًا. وفي أثناء سقوط الصبي، أمسك كاردان بأحد جناحيه، فتمزق كالورقة، صدرت عن الصبي صرخة خافتة وضعيفة، وظلَّ يتلوَّى على الأرض، والألم واضح على وجهه، تساءلت عما إذا كانت أجنحة الجن تنمو مرة أخرى. فأنا أعلم أن الفراشة التي تفقد جناحها لا تطير مرة أخرى.

فغر أفراد الحشد من حولنا أفواههم، ثم صدرت عنهم ضحكات مكتومة. ولكن للحظة فقط. بعدها عادوا إلى رقصهم وأغانيهم واستمر الاحتفال.

هكذا الحال دومًا. حينما يعترض شخص طريق كاردان يعاقب على الفور وبقسوة. ويُحرم من أخذ الدروس في القصر، وأحيانًا يُطرد خارج البلاط تمامًا. مجروحًا، مكسورًا.

حينما ترك كاردان الصبي - الذي يبدو أنه لم يَعُد يثير انتباهه - وواصل سيره، شعرت بالامتنان لأن كاردان لديه خمسة إخوة وأخوات كلهم جديرون بالحكم؛ فهذا يضمن أنه لن يجلس أبدًا على العرش. فقد كنت لا أريد تخيُّل امتلاكه نفوذًا أكبر مما لديه الآن.

حتى نيكاسيا وفاليريان حدَّقا إليه طويلًا في ذهول. ثم هزَّ فاليريان كتفيه كمن تعوَّدَ على ذلك، وتبع كاردان. لكن لوك توقَّفَ عند الصبي، وانحنى لمساعدته على الوقوف على قدميه.

جاء أصدقاء الصبي لأخذه بعيدًا، وفي تلك اللحظة، وعلى غير المتوقع رفع لوك بصره. والتقت عيناه البنيتان الشبيهتان بعيني الثعلب، بعينيّ واتَّسعتا كمن تفاجأ.. تجمَّدَ جسدي، وتسارعت دقّات قلبي وهيأت نفسي لنيل مزيد من الازدراء، لكنه بعد ذلك رفع إحدى زوايا فمه، وغمز لي كما لو أنه يعترف بأني ضبطته مُتلبِّسًا، كما لو أننا نتشارك سرًّا خاصًّا بنا. كأنه يعتقد أنني لست بغيضة، ولا يرى أن طبيعتي البشرية الفانية مُعدية.

نبَّهتني تارين بقولها: «كُفي عن الحملقة إليه».

شرعتُ في تفسير سلوكي لها قائلةً: «ألم تري...» لكنها قاطعتني وأمسكتني بقوة، وجذبتني نحو الدرج باتجاه مجلسنا على الحجر المتلألئ، حيث يمكننا الاختباء. ومن فرط قوة جذبها لي انغرست أظافرها في جلدي. وقالت: «لا تعطيهم أي سبب آخر لإزعاجك أكثر مما لديهم بالفعل!». فاجأتني حِدَّة ردّ فعلها، ما جعلني أنتزع يدي من يدها. وقد تركت أظافرها علامات حمراء في الموضع الذي أمسكتني منه.

عُدتُ للنظر إلى الخلف نحو المكان الذي كان يقف فيه لوك، لكنه كان قد غاص وسط الحشد.







الفصل 4



مع بزوغ الفجر، فتحتُ النوافذ في غرفة نومي، وتركت آخر نسمات الليل البارد تنساب إلى الداخل وأنا أخلع ثوب الحفل. شعرت بالحرارة تغمرني وشعرت بضيق شديد وتسارعت نبضات قلبي دون أن تهدأ ولو للحظات.

لقد ذهبتُ إلى البلاط الملكي عِدَّة مرات من قبل. وشهدت ما هو أكثر بشاعة من تمزيق الأجنحة، أو تعرُّضي لإهانة شخصية. فأهل أرض الجان يُعوِّضون عدم قدرتهم على الكذب باستخدام الكثير من الحيل الخادعة وإبداء القسوة فهم يلقون بكلمات ملتوية، ويدبرون المقالب، ويخفون الحقائق، ويتحدثون بالألغاز، ويتسببون في الفضائح، ناهيك عن انتقام بعضهم من بعض بسبب إهانات قديمة لا يتذكَّرونها جيِّدًا. إن العواصف أقل هياجًا منهم، والبحار أقل تقلُّبًا.



وعلى سبيل المثال: يحتاج مادوك، باعتباره من جان القبعات الحمراء إلى إراقة الدماء، كما تحتاج حورية البحر إلى رذاذ الملح في البحر. وبعد كل معركة، يغمس قبعته في دماء أعدائه كطقس خاص به. لقد رأيت قبعته محفوظة في صندوق زجاجي في مستودع أسلحته في المنزل. إن نسيجها متين ومُتشبِّع باللون البني الداكن للغاية، لدرجة أنه يبدو أسود تقريبًا، باستثناء وجود القليل من البقع الخضراء.

أحيانًا أذهب إلى الأسفل وأحدِّق إليها مُحاوِلةً رؤية والديّ في الخطوط المموجة من الدماء الجافة. أريد أن أشعر بشيء ما، شيء آخر غير ذلك الإحساس المبهم بالغثيان. أريد أن تنتابني أحاسيس أخرى، لكن في كل مرة أنظر إليها لا يثير ذلك في نفسي سوى الغثيان فحسب.

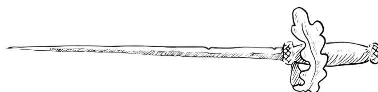
فكَّرتُ في الذهاب إلى مستودع الأسلحة، لكنني لم أفعل، ووقفت أمام النافذة، وتخيَّلتُ نفسي فارسة لا تعرف الخوف. تخيَّلتُ نفسي ساحرة أخفت قلبها في إصبعها، ثم قطعت هذا الإصبع.

قلت بصوتٍ عالٍ: «أنا متعبة جدًّا. متعبة للغاية».

جلست مكاني لوقت طويل، أشاهد الشمس وهي تشرق وتزين السماء بأشعتها الذهبية، وأستمع إلى الأمواج وهي تتكسر مع اندفاع المد، وحينئذٍ طار مخلوق وحطَّ على حافة نافذتي. في البداية بدا كأنه بومة، غير أنه كانت لديه عين عفريت، سألني: «مِمَّ أنتِ متعبة يا حلوة؟».

تنهَّدت وأجبت بصدق في هذه المرة: «من عجزي».

تأمَّلَ العفريت وجهي، ثم طار مُبتعِدًا.



استسلمت طويلًا للنوم، واستيقظت فاقدة الإحساس بالزمن، وشققت طريقي بصعوبة وسط الستائر الطويلة المطرزة التي تطوق سريري، بينما كان اللعاب الجاف يلتصق بخدي.

وجدت مياه الاستحمام مُعدة لي، لكنها صارت فاترة. ومن المؤكد أن الخدم جاءوا وانصرفوا. وعلى أية حال نزلت في حوض الاستحمام وغسلت وجهي، وعندما تعيش في عالم الجن يكون من المستحيل ألا تلاحظ أن رائحة أي شخص آخر تشبه رائحة عشبة الفيربينا، أو أوراق الصنوبر المسحوقة أو الدم الجاف، أو الأزهار البرية. أما أنا فتفوح مني رائحة العرق والأنفاس الكريهة ما لم أنظف نفسي.

عندما أتت تاترفيل لإضاءة المصابيح، وجدتني أرتدي ملابسي استعدادًا لمحاضرة تبدأ في وقت متأخر بعد الظهر، وتمتد إلى جانب من المساء. ارتديت حذاءً جلديًّا رمادِيًّا وسترة عليها شعار مادوك - خنجر، وهلال مقلوب على جانبه بحيث يبدو مثل كأس، وقطرة دم واحدة تسقط من إحدى الزوايا مُطرَّزة بخيط حريري.

في الطابق السفلي، وجدت تارين جالسةً إلى مائدة الولائم بمفردها. كانت تشرب كوبًا من شاي نبات القراص، وتتناول خبز البانوك. واليوم، لا يبدو عليها أنها تنوي القيام بأي شيء ممتع.

أصرَّ مادوك - ربما بدافع الشعور بالذنب أو الخزي - على أن نُعامَل مثل أبناء الجن. وأن نأخذ الدروس نفسها، ونحصل على كل الأشياء التي يحصلون عليها. لقد جُلب مُبدَّلون (أطفال تم اختطافهم من عالم البشر) إلى بلاط الملك من قبل، لكن لم يلقَ أيٌّ منهم معاملة مثل معاملة طبقة النبلاء.

إنه لا يفهم إلى أي مدى يجعل ذلك الآخرين يكرهوننا.

ولا أقصد أنني غير ممتنة لذلك. فأنا أحب الدروس والمحاضرات والرد على المحاضرين بذكاء هو شيء لا يمكن لأحد أن ينافسني فيه، حتى إذا كان المحاضرون أنفسهم يتظاهرون أحيانًا بخلاف ذلك. فما أحصل عليه منهم عادة لا يتعدى مجرد إيماءة محبطة لي، وذلك



بدلًا من أن أحظى بالثَّناء المفرط. ومع ذلك فإني أقبلها وأسعد بها، لأنها تعني أنه يمكنني الانتماء إليهم شاءوا أم أبوا.

اعتادت فيفي الذهاب معنا، لكنها بعد ذلك شعرت بالملل ولم تَعُد تهتم. وغضب مادوك، لكن بما أن موافقته على شيء لا تزيدها إلا نفورًا من هذا الشيء، فإن لومه الدائم لها جعلها أكثر إصرارًا على عدم الذهاب أبدًا. وقد حاولت إقناعنا بالبقاء في المنزل معها، ولكن إذا لم أتمكَّن أنا وتارين من تدبُّر أمر مكائد أبناء الجن دون ترك دروسنا أو اللجوء إلى مادوك، فكيف سيصدق قدرتنا على تدبُّر أمر حاشية الملك والوجود في البلاط الملكي، حيث تلك المكائد نفسها تُدار على نطاق أكبر وأكثر فتكًا؟

انطلقنا أنا وتارين، ونحن نؤرجح سلَّتينا، لا يتعيَّن علينا مغادرة إنسماير للوصول إلى قصر الملك السامي، لكننا نطوف حول حافتي جزيرتين صغيرتين أخريين، وهما إنسمور، جزيرة الصخور، وإنسويل جزيرة الويلات. والجزر الثلاث مُتَّصلة معًا بممرات صخرية شبه مغمورة وأحجار كبيرة بما يكفي لتقفز عليها في طريقك من جزيرة إلى أخرى. وفي طريقنا رأينا قطيعًا من الأيائل التي تسبح باتجاه إنسمور بحثًا عن أفضل المراعي، سرنا أنا وتارين عبر بحيرة الأقنعة، وعبر الزاوية البعيدة من ميلكوود، نشق طريقنا بين جذوع الأشجار الفضية الشاحبة والأوراق البيضاء باهتة اللون. من هناك، شاهدنا حوريات البحر، وغرانق الماء، وهي تتشمس بالقرب من الكهوف الصخرية، وتعكس حراشفها وهج الشمس كهرماني اللون لوقت ما بعد الظهيرة.

يتعلَّم جميع أبناء طبقة النبلاء، بغض النظر عن أعمارهم، على أيدي معلمين من جميع أنحاء المملكة، وذلك على أرض القصر الملكي، في بعض الأيام، نقضي فترة الظهيرة في بساتين مغطاة أرضها بطحالب زمردية اللون. وفي أمسيات أخرى نتلقى محاضراتنا في أبراج عالية أو فوق الأشجار. ونتعلم المزيد عن حركات الأبراج في السماء، والخصائص الطبية والسحرية للأعشاب ولغات الطيور والزهور والبشر، وكذلك لغة الجان (رغم أنها تثقل أحيانًا على لساني) وتكوين الألغاز، وكيف نمشي بهدوء فوق أوراق الشجر والعليق بحيث لا نترك أثرًا، ولا نصدر صوتًا. نتعلم أساسيات عزف القيثارة والعود واستخدام القوس والسلاح





ونشاهدهم أنا وتارين وهم يتدربون على إلقاء التعاويذ السحرية. وفي الاستراحة، نلعب جميعًا لعبة الحرب في حقل أخضر به مساحة شاسعة من الأشجار.

درَّبني مادوك على أن أثير الرعب في النفوس حتى إذا كنت أحمل سيفًا خشبِيًّا. وتارين ليست سيئة أيضًا في فعل هذا، على الرغم من أنها لم تَعُد تهتم بالتدريب. وفي البطولة الصيفية، التي تبقى عليها أيام قليلة فقط، سنجري حربنا الوهمية أمام العائلة المالكة. وبتزكية من مادوك، قد يختار أحد الأمراء أو الأميرات أن يمنحني لقب فارسة، ويضمني إلى حرسه الشخصي، سيضمن لي هذا نوعًا من النفوذ، ونوعًا من الحماية.

وبذلك، يمكنني حماية تارين أيضًا.

وصلنا إلى المدرسة، وكان كلٌّ من الأمير كاردان ولوك وفاليريان ونيكاسيا جالسين بالفعل فوق العشب مع عدد قليل من الجان الآخرين. وكانت هناك فتاة بقرنيْ غزال -بويزي- تضحك على شيء قاله كاردان. ولم يلتفتوا إلينا حينما بسطنا ملاءتنا، ووضعنا عليها دفاتر ملاحظاتنا، وأقلامنا، ومحابرنا.

كان شعوري بالارتياح غامرًا.

تضمَّن درسنا تاريخ السلام الذي تمَّ التفاوض عليه بدقَّة بين أورلاج ملكة البحار، ومختلف ملوك وملكات الجان على الأرض. ونيكاسيا هي ابنة أورلاج. وقد أرسلتها كي تتربى في قصر الملك السامي. وقد أُلِّفت العديد من القصائد الغنائية تغزُّلًا في جمال الملكة أورلاج - إذ كانت تشبه ابنتها في الجمال - وليس شخصيتها.

القصائد كانت نيكاسيا تبدي الابتهاج خلال الدرس؛ لفخرها بتراثها. وعندما انتقل المعلم إلى الحديث عن اللورد روبيين من بلاط النمل الأبيض، فقدتُ الاهتمام، وشرد عقلي، وبدلًا من الدرس، وجدت نفسي أفكر في مجموعة من الأمور - الهجوم، والطعن وتفادي الضربات والصد. أمسكت قلمي كما لو كان مقبض سلاح ونسيت تدوين الملاحظات.



وعندما غاصت الشمس في السماء، أفرغنا أنا وتارين سلَّتينا اللّتَيْن أحضرناهما من المنزل، وكانتا تحتويان على الخبز والزبد والجبن والخوخ. فوضعت بعض الزبد على شريحة خبز بسرعة من شدَّة جوعي.

عندما مرَّ كاردان بنا، حثا التراب على طعامي قبل أن أضعه في فمي. فضحك الآخرون من الجان.

نظرت إلى أعلى، فوجدته يرمقني بسرور قاسٍ، مثل ديناصور طائر يفكِّر فيما إذا كان سيزعج نفسه إذا قرَّرَ التهام هذا الفأر الصغير. كان يرتدي سترة طويلة بياقة عالية مزينة بأشواك الورد، وأصابعه مثقلة بالخواتم لقد كان متمرسًا في السخرية من الآخرين.

كززت على أسناني. وقلت لنفسي إنني إذا تجاهلت سخريته، فسوف يفقد الاهتمام، وسوف يرحل عني، إنني يمكنني تَحمُّل هذا لمدة أطول قليلًا لبضعة أيام أخرى.

سألتْ نيكاسيا بلطف: «أهناك خطب ما؟». ثم اقتربت، ووضعت ذراعها على كتف كاردان، الذي قال: «تراب. هذا هو أصلك أيتها البشرية الفانية. وهو ما ستعودين إليه قريبًا جدًّا. خذي منه قضمة كبيرة».

قلت له قبل أن أتمكَّن من إيقاف نفسي: «فلتجبرني على ذلك». لم يَكُن ذلك أجرأ رد، ولكن بدأت راحتاي في التعرق، فيما بدت تارين مذهولة.

قال كاردان مُبتسِمًا: «يمكنني ذلك، وأنت تعلمين». وبدا كما لو أنه لا شيء سيسعده أكثر من هذا، وتسارعت دقات قلبي، ولو أنني لم أكن أرتدي عقدًا من توت الروان، لاستطاع أن يُلقي علي تعويذة تجعلني أعتقد أن التراب نوع من الأطعمة الشهية. كان منصب مادوك هو الشيء الوحيد الذي يمنحه سببًا للتردد والنكوص عن فعل ما يرغب. لم أتحرك ولم ألمس العقد المخفي تحت سترتي، والذي أتمنى أن يمنع أية تعويذة من العمل.

إنه العقد الذي أتمنى ألا يكتشفه ويمزقه من حول عنقي.





ألقيت نظرة في اتجاه معلم اليوم، لكن مخلوق البوكا المسن هذا قد دفن أنفه في كتاب متغافلًا عما يجري.

ونظرًا لأن كاردان أمير، فمن المرجح ألا يخيفه أحد أبدًا، أو يُكبِّل يديه. ولا أعرف أبدًا إلى أي حدٍّ سيتمادى، ولا أعرف أبدًا إلى أي مدى سيتركه معلمونا.

«أنتِ لا تريدين هذا، أليس كذلك؟». سألني فاليريان بتعاطف زائف، وهو يركل المزيد من التراب على غدائنا. ذات مرة، سرق فاليريان قلمي الفضي ولم أره وهو يفعلها في ذلك الحين، فأعطاني مادوك بدلًا منه قلمًا مرصعًا بالياقوت من مكتبه. فثارت ثائرة فاليريان من أجل ذلك لدرجة أنه ضربني على مؤخرة رأسي بسيفه الخشبي. ثم تابع: «ماذا إذا وعدنا بأن نكون لطيفين معكما طوال فترة الظهيرة إذا أكلتما كل شيء في سلتيكما؟». كانت ابتسامته عريضة وزائفة. وأتم عرضه الوقح: «ألا تريدان أن نكون أصدقاء؟».

أطرقت تارين ببصرها. فيما أردت أن أقول لا، لا نريدكم أصدقاء لنا.

لم أردّ، ولم أطرق ببصري أيضًا، وبادلت كاردان الحملقة، لا يوجد شيء يمكنني قوله لإيقافهم، وأنا أعلم ذلك، إذ ليس لدي نفوذ هنا. لكنني اليوم لا أستطيع أن أخمد غضبي بسبب عجزي.

سحبت نيكاسيا دبوسًا من شعري، ما تسبب في سقوط إحدى ضفيرتيّ على رقبتي، فضربتُ يدها بقوة، وحدث هذا. بسرعة كبيرة.

«ما هذا؟ هل سرقته ؟ هل ظننت أنه سيجعلك جميلة؟ هل ظننت أنه سيجعلك مثلنا؟». تساءلت متعجبة وهي تمسك الدبوس الذهبي المزين بزخارف على شكل نبات الزعرور البري في أعلاه.

عضضت على باطن خدي غيظًا. بالطبع أردت أن أكون مثلهم؛ لأنهم جميلون كالأسلحة التي صُنعت وجُليت بنار سماوية، وسوف يعيشون إلى الأبد. كان شعر فاليريان يبرق كالذهب المصقول، وأطراف نيكاسيا طويلة وشكلها مثالي، وفمها وردي كالمرجان، وشعرها بلونِ



أعمق وأبرد جزء من البحر. ولوك -صاحب العينين الشبيهتين بعيني الثعلب، الذي يقف صامتًا خلف فاليريان وتعبيرات وجهه تنمُّ عن اللامبالاة الحذرة- ذقنه مُدبَّب مثل طرفي أذنيه. و كاردان كان أجمل ممن سواه، بشعر أسود لامع، مثل جناح الغراب، وعظام وجنتين حادَّة بما يكفي كي تدمي قلب أية فتاة قد تُعجب به. أنا أكرهه أكثر من الآخرين كلهم. أكرهه كثيرًا لدرجة أنني أحيانًا عندما أنظر إليه، أجد صعوبة في التنفس.

قالت نيكاسيا: «لن تكوني أبدًا مساوية لنا». وبالطبع لن أكون.

قال لوك بضحكة لامبالية، ويده تطوق خصر نيكاسيا: «أوه، هيا بنا لنتركهما لبؤسهما».

قالت تارين بسرعة: «جود أسفة. كلانا آسفتان للغاية».

قال كاردان: «يمكنها أن تظهر لنا مدى أسفها. أخبريها بأنها ليست جديرة بالمشاركة في البطولة الصيفية».

فسألته: «أتخشى أن أفوز؟». ولم يكن ذلك تصرُّفًا ذكيًّا.

فقال بنبرة باردة: «إنها ليست بالمسابقة الملائمة للبشر الفانين انسحبي، وإلا ستتمنين لو أنك انسحبتِ».

فتحت فمي لأرد، لكن تارين تحدَّثَت قبل أن أتحدَّث أنا: «سأتحدث معها عن هذا الموضوع. وفي النهاية، إنها مجرد لعبة».

منحتْ نيكاسيا أختي ابتسامة تشي بالتسامح. وحدَّق فاليريان إلى تارين وعيناه مُثبَّتتان على وجهها في تشكُّك، ثم قال: «إنها مجرد لعبة حقًّا».

تبادلنا أنا وكاردان التحديق، وعلمت أن الأمر بالنسبة له لم ينتهِ بعد، وما زال أمامنا سجال ممتد.



«لماذا تجرَّأتِ عليهم هكذا؟». سألتني تارين عندما عادوا إلى مأدبة غدائهم الخاصة الفاخرة، التي كانت كلها مُهيَّأة من أجلهم. ثم أردفت: «الرد عليهم كان حماقة تامة منك».

لقد أجبرني على ذلك.

أيخشى حقًّا أن أفوز؟

قلت لها: «أعرف. سوف أصمت، كل ما في الأمر أني... غضبت».

قالت لي ناصحة: «حري بكِ أن تخافي». وبعد ذلك، جمعت طعامنا الذي فسد، وهي تهزُّ رأسها، ووضعته في السَّلَّتين. قرقرت معدتي من الجوع، فحاولت تجاهل صوتها.

إنهم يريدونني أن أخشاهم، أعرف هذا. وفي أثناء هذه المعركة المفتعلة بعد ظهر ذلك اليوم، جعلني فاليريان أقع في شركه، و همس كاردان بأشياء كريهة في أذني. وعدت إلى المنزل وأنا أعاني الشعور بالإحباط والخداع..

ما لا يدركونه هو هذا: نعم، إنهم يخيفونني، لكنني دائمًا ما كنت خائفة منذ اليوم الذي جئتُ فيه إلى هنا. لقد نشأتُ على يدِ الرجل الذي قتل والديّ. نشأت في أرض الوحوش. وأنا أتعايش مع هذا الخوف، وأدعه يستقر في عظامي ثم أتجاهله، ولولم أتظاهر بأنني لست خائفة لظللت مُختبِئةً تحت أغطية مزخرفة برسومات البوم في منزل مادوك إلى الأبد. كنت سأرقد هناك وأصرخ حتى تخور قواي دون أن أُحرِّك ساكنًا. لكنني رفضت أن أفعل هذا ولن أفعله.

ونيكاسيا مخطئة بشأني. فأنا لا أرغب في مجرد تقديم أداء جيِّد في البطولة كواحدة من الجنيات، بل أريد أن أفوز. ولا أتوق إلى أن أكون مُساوية لهم.

بل إني في أعماق قلبي، أتوق إلى أن أتفوَّقَ عليهم...





الفصل 5



في طريقنا إلى المنزل، توقفت تارين وقطفت بعضًا من التوت الأسود من الشجر القائم بجانب بحيرة الأقنعة. وجلستُ على صخرة تحت ضوء القمر وتعمَّدت عدم النظر إلى الماء. لا تعكس البحيرة وجهك - بل تُظهر لك وجه شخص آخر قد نظر إليها أو سينظر إليها. وعندما كنت صغيرة، كنت أجلس على ضفتها طوال اليوم، أحدِّق إلى وجوه الجن بدلًا من وجهي، على أمل أن أتمكَّن في يوم من الأيام من إلقاء نظرة على وجه والدتي وهي تنظر إليَّ.

وفي النهاية، كانت محاولة فعل ذلك مؤلمة للغاية.





«هل ستتخلين عن حلم المشاركة في البطولة؟»، سألتني تارين، وهي تضع حفنة من التوت في فمها. كنا جائعتين. ونحن بالفعل أطول قامة من فيفي، وأجسامنا أكبر حجمًا، ومحيط صدرينا أوسع.

فتحتُ سلَّتي، وأخرجت حبة برقوق مُعفرة بالتراب مسحتها بقميصي. فقد كانت لا تزال صالحة للأكل إلى حدٍّ ما. تناولتها ببطء، وأنا أتأمَّل ما قالته، وسألتها: «أتقصدين بسبب كاردان ومجموعة الأوغاد التي تصحبه؟».

قطَّبت وجهها، فبدا عليه تعبير كالذي أُظهره إذا تصرَّفَت هي بحماقة. وسألتني: «هل تعرفين ماذا يسموننا؟ دائرة الديدان».

رميت البذرة في الماء، وشاهدت التموُّجات التي أحدثتها تدمر إمكانية حدوث أية انعكاسات على صفحته، وحركت شفتي ازدراءً.

قالت لي: «إنك تلوثين مياه بحيرة سحرية».

قلت: «سوف تفسد، ونحن كذلك. إنهم محقون إننا دائرة الديدان. نحن بشر، وليس علينا أن ننتظرهم إلى الأبد حتى يسمحوا لنا بفعل الأشياء التي نريدها. لا يهمني إذا كانوا لا يحبون وجودي في البطولة. فبمجرد أن أصبح فارسة، سأغدو في مكانة تمنعهم من إيذائي».

«هل تعتقدين أن مادوك سيسمح بأن تصبحي تحت إمرة شخص آخر غيره؟» سألتني تارين، وهي تبتعد عن شجيرة التوت بعد أن تسببت أشواكها في جرح أصابعها.

«لماذا كان يدربنا إذن؟» سألتها. وللحظات توقَّفنا عن الكلام، وسرنا معًا في طريقنا إلى المنزل.

ثم عادت تهز رأسها وتقول: «ليس هذا ما أراه مُناسِبًا لي. سوف أقع في الحب».

دهشتُ لدرجة الضحك، وعقَّبتُ: «إذن فقد اتخذتِ قرارك؟ لا أعتقد أن الأمر يسير على هذا النحو. أعتقد أن الحب يحدث في الوقت الذي لا تتوقعين حدوثه فيه، مثل ضربة على الرأس».

قالت: «حسنًا، لقد قرَّرتُ فعلًا». فكرتُ بتذكيرها بقرارها الأخير المشئوم -القرار المُتعلِّق بالاستمتاع في الحفل- لكن كان هذا سيزعجها فحسب، وبدلًا من ذلك، حاولت أن أتخيَّل شخصًا قد تقع هي في حبه. ربما يكون من غرانق الماء، ويمنحها هبة التنفس تحت سطح البحر، وتاجًا من اللؤلؤ، ويصحبها إلى منزله هناك..

في الواقع، يبدو هذا أمرًا مذهلًا. وعلى الجانب الآخر، ربما أكون أنا من يتَّخِذ كل الخيارات الخاطئة.

سألتها: «ما مقدار حبك للسباحة؟».

فتساءلت في دهشة: «لماذا؟».

فقلت لها: «لا شيء».

وكزتني بمرفقها في جانبي؛ ظنًّا منها أني أغيظها بتحدثي معها عن شيء لا أفهمه.

سرنا عبر الغابة الملتوية بجذوعها المنحنية؛ لأن ميلكوود خطيرة في الليل. وتوجب علينا أن نتوقف للسماح لبعض رجال الجذور بالمرور، خوفًا من أن يدوسوا علينا إذا لم نبتعد عن طريقهم. كانت الطحالب تغطي أكتافهم وتزحف إلى أعلى خدودهم. وكانت الرياح تصدر صفيرًا عند مرورها من بين أضلاعهم.

كانوا يُشكِّلون موكبًا جميلًا ومهيبًا.

همست لي تارين: «إذا كُنتِ متأكدة من أن مادوك سيمنحك الإذن، فلماذا لم تسأليه بعد؟ إن البطولة بعد ثلاثة أيام فقط».

يمكن لأي شخص القتال في البطولة الصيفية، لكن إذا أردت أن أصبح فارسة، فيجب أن أعلن ترشحي من خلال ارتداء وشاح أخضر على صدري. وإذا لم يسمح لي «مادوك» بذلك، فلن ينفعني أي قدر من المهارة ولن أكون مرشحة، ولن يختارني أحد.





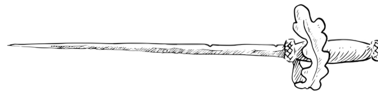
أنا سعيدة لأن رجال الجذور أعطوني بمرورهم في هذه اللحظة عذرًا لعدم الإجابة؛ لأنها بالطبع على حق. ولم أسأل مادوك لأنني كنت خائفة مما سيقوله.

عندما وصلنا إلى المنزل، وفتحنا الباب الخشبي الضخم والمزين بحلقاته الحديدية، كان هناك شخص يصرخ في الطابق العلوي، كما لو كان في مأزق. ركضت نحو الصوت وأنا قلقة فوجدت فيفي في غرفتها تطارد عددًا من الجنيات. لقد اندفعن وهن يمررن بجانبي متجهات إلى البهو صانعات دفقة من الضوء، فيما ألقت هي الكتاب الذي كانت تلوِّح به في وجوههن نحو إطار الباب. صاحت فيفي في وجهي، مشيرةً إلى خزانة ملابسها: «انظري! انظري ماذا فعلن!».

كان باب الخزانة مفتوحًا، ورأيت عددًا من الأشياء المسروقة من عالم البشر مثل علب الثقاب والصحف الورقية، والزجاجات الفارغة، والروايات وأشرطة الصور الفوتوغرافية. كانت الجنيات قد حولن علب الثقاب إلى أسرَّة وطاولات لها، ومزقن كل الأوراق، وجعلن من الكتب مُستَقَرًّا ليبنين اعشاشهن داخلها. لقد كان غزوًا كاملًا لهؤلاء الجنيات.

لكنني كنت أكثر ذهولًا من كمية الأشياء التي تمتلكها فيفي، وعدد الأشياء التي لا يبدو أن لها أية قيمة من بينها. إنها مجرد قمامة، لكنها قمامة بشرية. سألتْ تارين في أثناء دخولها إلى الغرفة: «ما كل هذه الجلبة؟». وانحنت إلى أسفل، والتقطت شريطًا من الصور، كانت الأشباح قد مضغته قليلًا. وكانت الصور المُلتقطة إحداها بالأخرى، من النوع الذي يجب أن تجلس من أجله خصِّيصًا في كشك التصوير. كانت فيفي في الصور، وذراعها ملفوفة على كتفي فتاة بشرية شعرها وردي اللون، وتبتسم في سعادة.

ربما لم تكن تارين هي الوحيدة التي قرَّرَت أن تمنح حبها واهتمامها لشخص آخر، سواء أكان حبيبًا أم صديقًا مُقرَّبًا.



في وقت العشاء، جلسنا إلى طاولة ضخمة منحوتة على جوانبها الأربعة صور بعض «البشر الماعز» وهي كائنات نصف جسدها بشري والنصف الآخر يأخذ شكل ماعز، وكانت تعزف بمزامير وحولها جنيات صغيرات يرقصن وفوقها. تحترق شموع دهنية موضوعة على شمعدان في المنتصف، بجانب مزهرية حجرية منحوتة مليئة بأزهار برية جميلة. قدم لنا الخدم أطباقًا فضية مكدسة بالطعام، فأكلنا الفاصوليا الطازجة، ولحم الغزال المخلوط ببذور الرمان المتناثرة، والسلمون البني المشوي مع الزبدة، وسلطة الأعشاب المرة، وبعد ذلك كعك الزبيب الممتزج بشراب التفاح. تناول مادوك وأوريانا شراب الكناري المركَّز، أما نحن الصغار فخلطنا شرابنا بالماء.

بجانب طبقي وطبق تارين، كان يوجد وعاء من الملح.

غرست فيفي سكينها في شريحة لحم الغزال الخاصة بها، ثم لعقت الدم من السكين.

فابتسم أوك ابتسامة عريضة، وبدأ بتقليد فيفي، لكن أوريانا انتزعت السكين من قبضته قبل أن يشق لسانه به. فضحك أوك والتقط اللحم بأصابعه، ثم مزقه بأسنانه الحادَّة.

قال مادوك وهو ينظر إلينا جميعًا: «يجب أن تعلموا أن الملك سيتنازل عن عرشه قريبًا لأحد أبنائه، وعلى الأرجح أنه سيختار الأمير داين».

لا يهم إن كان داين هو المولود الثالث في الترتيب. إذ يختار الملك السامي خليفته - هكذا يضمن استقرار مدينة إلفهايم. لقد أمرت الملكة السامية الأولى، ماب، حدّادها بصنع تاج لها. وقيل إن الحدّاد كان مخلوقًا يُدعى جريمسن، وكان بمقدوره صنع أي شيء من المعدن مثل الطيور التي تغرِّد والقلائد التي تُطوِّق الأعناق، وسيفين توأمين يسميان هارتسيكر وهارتسورن لا يخطئان أية ضربة. وقد صُنع تاج الملكة ماب بطريقة سحرية وعجيبة بحيث ينتقل فقط إلى من تربطه بها صلة الدم بسلسال غير منقطع. ومع التاج ينتقل قَسَم الولاء من كل من أقسموا عليه. ومع أن رعاياها يجتمعون عند كل تتويج جديد لتجديد ولائهم، فإن السلطة لا تزال مُعلَّقة بالتاج.

سألتْ تارين: «لماذا يتنازل الملك عن العرش؟».

أصبحت ابتسامة «فيفي» خبيثة، وقالت: «نفد صبر أبنائه عليه لبقائه على قيد الحياة كل هذا العمر».

اكتسى وجه مادوك بحُمرة الغضب. أما أنا و تارين فلا نجرؤ على مضايقته خوفًا من أن ينفد صبره علينا، لكن فيفي خبيرة في ذلك. وعندما ردَّ عليها، استطعتُ أن أرى مدى الجهد الذي بذله لكبح غضبه، وقال: «قلة من ملوك الجن حكموا جيِّدًا لفترة طويلة مثل إلدريد. والآن سيذهب للبحث عن أرض الموعد».

وبحسب ظني، فإن أرض الموعد هي تعبيرهم الملطف عن الموت. مع أنهم لا يعترفون بذلك. ويقال إنه المكان الذي أتى منه الجان، والذي سيعود إليه في النهاية.

سألته، وكان يُداخلني شك في أن أكون غير مهذبة لطرحي مثل هذا السؤال: «هل تقول إنه سيترك العرش لأنه عجوز؟». هناك من الجان من يولد بوجوه مجعدة مثل القطط الصغيرة الخالية من الشعر، وهناك جنيات بحر تظل أطرافهن ملساء فلا يظهر عمرهن الحقيقي إلا في أعينهن العجوز. لم أكن أعتقد أن الوقت يُحدث فارِقًا بالنسبة لهم أو يعنيهم في شيء.

لم تبدُ أوريانا سعيدة، لكنها لم تبادر إلى إخراسي أيضًا، لذا ربما لا يكون سؤالي وقحًا كما ظننت. أو ربما لم تتوقع مني أي شيء أفضل من سلوكي السيئ المعتاد.

قال «مادوك» بحسرة: «قد لا نموت من التقدُّم في السن، لكننا نغدو أكثر إرهاقًا وضجرًا بسببه». لقد خضت الحروب باسم إلدريد. ودمرت الملوك الذين خانوا ولاءهم له. وقُدت مناوشات ضد ملكة البحار. لكن إلدريد فقد شهيته لإراقة الدماء، وسمح لمن هم تحت راياته بالتمرد عليه بكل الطرق، حتى إن بعض الممالك الأخرى رفضت الخضوع لإرادتنا. لقد حان الوقت لخوض المعارك. وحان الوقت لملك جديد، ملك متعطش للدماء».

عقدت أوريانا حاجبيها في حيرة خفيفة: «لو اخترنا ما هو أفضل لنا فأهل بيتك يفضلون وجودك سالمًا إلى جوارهم».



صاح مادوك متذمرًا: «ما فائدة الجنرال وقائد الجيوش بلا حرب؟» ثم تناول رشفة كبيرة من شرابه. حينئذٍ تساءلت كم مرة سيظل بحاجة فيها إلى تبليل قبعته الحمراء بدم جديد. ثم استطرد: «تتويج الملك الجديد سيكون في فصل الخريف. لا تقلقن، فلديَّ خطة لضمان مستقبلنا، ولا تهتموا إلا بالاستعداد للكثير من الاحتفالات».

كنت أتساءل ما خطته عندما ركلتني تارين من تحت الطاولة، وحينما التفتُّ إليها، رفعت كلا حاجبيها وهمست بشفتيها: «اسأليه».

نظر مادوك في اتجاهها، وتساءل: «ماذا هناك؟».

قالت تارين: «تريد جود أن تسألك شيئًا». وأسوأ شيء فيما فعلتْه -في ظني- أنها كانت تعتقد أنها تساعدني.

أخذت نفسًا عميقًا، وقلت في نفسي على الأقل يبدو مادوك في مزاج جيد. ثم أعلنتها: «كنت أفكر في المشاركة في البطولة، فأنا لست سيئة في استعمال السيف». تخيَّلت فيما سبق قول هذه الكلمات عِدَّة مرات، لكن الآن بعد أن قلتها بالفعل، لا يبدو أنها خرجت بالطريقة التي خططتُ لها.

قال مادوك: «أنتِ تتواضعين كثيرًا بقولك هذا، فمهارتك في استخدام الأسلحة مذهلة».

بدا كلامه مُشجِّعًا. ثم ألقيت نظرة على «تارين»، التي بدا كأنها تحبس أنفاسها. ثم غادر جميع من على الطاولة باستثناء أوك، الذي كان يقرع جانب طبقه بكوبه الزجاجي. فأردفت: «سأشارك في نزالات البطولة الصيفية، وأود أن أعلن أنني مستعدة لاختياري فارسة».

ارتفع حاجبا مادوك دهشةً وتساءل: «أهذا ما تريدينه حقًّا؟ إنه عمل خطير»، فأوْمَأتُ برأسي إيجابًا، وقلت: «أنا لست خائفة».

قال مُفكِّرًا: «أمر مثير للاهتمام». وخفق قلبي في صدري، فقد فكرت في كل جانب من هذه الخطة باستثناء احتمال أنه لن يسمح بذلك.





قلت بتصميم: «أريد أن أشق طريقي بنفسي في البلاط».

قال لي: «لكنكِ لستِ قاتلة». جفلت، وتلاقت أعيننا في نظرة دالة وعميقة، ثم عاد يتفحصني مرة أخرى بثبات بعينيه الذهبيتين.

قلت له بإصرار: «يمكنني أن أكون قاتلة. لقد ظللت أتدرب لعقد من الزمان».

منذ أن أخذتني، لم أقل له هذا، مع أن هذا بدا في عيني بالتأكيد.

هزَّ رأسه بحزن، وقال: «ما تفتقرين إليه لا علاقة له بالتمرس والخبرة».

«لا، ولكن...».

قال وقد رفع صوته ليوقف اعتراضي: «كفى. لقد اتخذت قراري». وبعد لحظة صمتنا فيها، أعطاني ابتسامة استرضائية، وقال: «قاتلي في البطولة إن شئت كرياضة، لكنك لن تلبسي الوشاح الأخضر. فأنتِ لستِ مستعدة بعد لتكوني فارسة. يمكنك أن تطلبي مني هذا مرة أخرى بعد التتويج الملكي، هذا إذا ظل قلبك مُعلَّقًا بالأمر. وإذا كانت هذه مجرد نزوة، فسيكون هذا وقتًا كافيًا لتتجاوزيها».

قلت بيأس: «هذه ليست نزوة!». أكره نبرة اليأس في صوتي، لكني كنت أعد الأيام التي تفصلني عن البطولة. وفكرة الانتظار لأشهر، فقط ليُرفض طلبي مرة أخرى ملأتني باليأس الشديد.

رمقني مادوك بنظرة لم أستطع تفسيرها. وكرَّرَ كلامه بحسم: «بعد التتويج».

أردت أن أصرخ في وجهه قائلةً: «هل تعرف مدى صعوبة أن تُطأطئ رأسك دائمًا؟ وابتلاع الإهانات وتحمُّل التهديدات الصريحة؟ ومع ذلك، فإنني فعلت هذا. واعتقدت أنه يثبت قوتي لك. اعتقدت أنك إذا رأيت أنني أستطيع تَحمُّل كل ما يُفعل بي، وظللت أبتسم، فسترى أنني جديرة بما طلبتُ».

«أنتِ لستِ قاتلة».

إنه لا يعرف شيئًا عمن أكون بالفعل.

ربما لا أعرف أنا أيضًا. وربما لم أسمح لنفسي باكتشاف ذلك.

عادت أوريانا، وقالت وهي تعيد مسار الحوار بلباقة إلى موضوع أكثر بهجة: «سيكون الأمير داين ملكًا رائعًا. إن التتويج يعني شهرًا من الحفلات الراقصة. سنحتاج إلى فساتين جديدة». يبدو أنها أضافتنا أنا وتارين إلى مضمون هذه العبارة الشاملة. وقالت مُؤكِّدةً: «فساتين رائعة».

أوْمَأ مادوك برأسه موافقًا، ومبتسمًا ابتسامة كشفت عن أسنانه: «نعم، نعم، بقدر ما تردن. أود أن تبدون في أبهى مظهر وترقصن بقدر ما تستطعن».

حاولت التنفس ببطء للتركيز على شيء واحد فقط، فيما كانت بذور الرمان على طبقي تتلألأ وهي مُبللة بدم الغزال مثل الياقوت.

قال مادوك: «بعد التتويج». حاولت التركيز على ذلك، وبدا الأمر لي كأنه لن يحدث أبدًا.

وركَّزتُ على فكرة أخرى. أحب أن أحصل على فستان ملكي مثل الفستان الذي رأيته في خزانة ملابس أوريانا. حيث تسطع من زينته الفاخرة المصنوعة بإتقان فوق طيات من الذهب والفضة، أنوار كلٌّ منها جميل كجمال انبلاج الفجر..

ثم جمح خيالي وتخيَّلت نفسي مرتديةً ذلك الفستان، وهناك سيف مُعلَّق بخاصرتي، وقد تحوَّلتُ إلى عضوة حقيقية في بلاط الملك، وفارسة في دائرة الصقور. وكاردان يراقبني من الجانب المقابل في الغرفة، وهو يقف بجانب الملك، ساخرًا من طموحي.

ثم يضحك كأنه يعلم أن هذا خيال لن يكون حقيقيًّا أبدًا.





فقرصت رجلي حتى يُزيل الألم الواقعي كل هذه الخيالات.

قالت فيفي لي ولتارين: «عليكما أن تزيلا نعلي حذاءيكما في ذلك الحين، تمامًا مثل بقيتنا. أراهن أن أوريانا قلقة للغاية من أنها لن تستطيع منعكما من الرقص؛ لأن مادوك شجعكما عليه. وأشد ما يرعبها أنكما قد تحظيان بوقتٍ ممتع». زمَّت أوريانا شفتيها، وقالت: «هذا ليس عدلًا، كما أنه ليس صحيحًا». فقلبت فيفيان عينيها، وقالت في تحدٍّ: «لو لم يَكُن هذا صحيحًا، ما قلتُه».

«كفى كلكم!». ضرب مادوك الطاولة بيده، ما جعلنا جميعًا نجفل. ثم قال: «التتويج هو الوقت الذي تكون فيه أشياء كثيرة ممكنة. إن التغيير قادم لا محالة، ولا حكمة في تجاهلي».

لا أدري ما إذا كان يتحدث عن الأمير داين، أو عن البنات الجاحدات أو عن كليهما.

سألته تارين: «هل تخشى أن يحاول شخص ما الاستيلاء على العرش؟». لقد نشأت مثلي على دراسة الإستراتيجيات، ورصد التحركات والتحركات المضادة، وتحديد الفخاخ، وتمييز أصحاب الحظوة. ولكنها على عكسي، لديها موهبة أوريانا في طرح السؤال الذي يُوجِّه المحادثة نحو جوانب أكثر جاذبية وأقل إثارة للخلافات.

قال مادوك: «يجب أن تقلق سلالة جرينبريال بشأن هذا الاحتمال وليس أنا»، لكنه بدا سعيدًا بتلقي هذا السؤال. ثم تابع: «لا شك أن بعض رعاياهم يتمنون ألا يكون هناك تاج متوارث ولا ملك سامٍ على الإطلاق. لذا يجب أن يكون ورثته حريصين بشكل خاص على إرضاء جيوش الجن. فعلى المخطط البارع أن يتحيَّن الفرصة المناسبة».

قالت أوريانا بصرامة: «فقط من ليس لديه شيء ليخسره سيهاجم العرش الذي تحميه أنت».

قالت فيفي: «هناك دائمًا شيء يمكن خسارته»، ثم رسمت على وجهها تعبيرًا مُخيفًا ونظرت لأوك، فقهقه ضاحكًا.

مدَّت أوريانا يدها تجاهه بحركة غريزية لحمايته، ثم تمالكت نفسها. فلم يكن ثمة شيء سيئ يحدث بالفعل. ومع ذلك، فإنني رأيت بريقًا مُفزِعًا في عيني فيفي اللتين تشبهان عيون

القطط، ولست متأكدة من أن أوريانا مخطئة في قلقها.

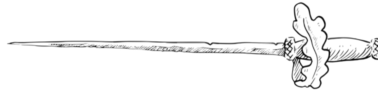
دائمًا ما ودَّت فيفي معاقبة مادوك ، لكن قوتها الوحيدة تتمثل في أن تكون شوكة في جانبه، ما يعني تعذيب أوريانا من حين إلى آخر عبر التلاعب بالصغير أوك. أعرف أن فيفي تحب أوك -إنه شقيقنا، على الرغم من كل شيء- لكن هذا لا يعني استبعاد أن تعلمه أشياء سيئة.

ابتسم مادوك لنا جميعًا ابتسامة رضا. وكنت أعتقد أنه لا يلاحظ كل الصراعات الخفية بين أفراد العائلة، لكن يومًا بعد يوم، أدركت أن الصراع غير المعلن لا يزعجه كثيرًا. إنه يحبه كما يحب الحرب المفتوحة، ثم قال: «ربما لا أحد من أعدائنا بارع في التخطيط بشكل خاص».

قالت أوريانا وهي شاردة الذهن، وكانت عيناها مُثبَّتتين على لوك، وترفع في الوقت نفسه كأسها من شراب الكناري: «دعونا نأمل ألا يكونوا كذلك».

قال مادوك: «بالتأكيد. دعونا نشرب نخبًا. فليدم عجز أعدائنا».

التقطت كأسي وطرقته بكأس تارين، ثم تناولت شرابي حتى آخر قطرة.



يظل هناك دائمًا شيء لتخسره.

ظللت أفكر في ذلك المعنى طوال الليل حتى الفجر، وأقلبه في رأسي. وفي النهاية، عندما مللت من التقلب في فراشي، وضعت فوق ثوب نومي معطفًا منزليًّا وخرجتُ تعلوني أشعة



الشمس في وقتٍ متأخر من الصباح. ولأنها ساطعة مثل الذهب المصقول، فقد آلمت عيني عندما جلست على رقعة من البرسيم بالقرب من الإسطبلات، وأخذت أتطلع إلى المنزل.

كل ما يحيط بي كان لأمي قبل أن يكون لأوريانا. ومن المؤكد أن أمي كانت صغيرة وتحب مادوك في ذلك الوقت. وإني لأتساءل كيف كانت الحال بالنسبة لها. وما إذا كانت اعتقدت ذات يوم أنها ستكون سعيدة هنا.

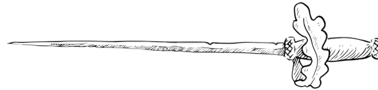
ثم أتساءل متى أدركتْ أنها ليست كذلك.

لقد سمعتُ الشائعات. إن خداع قائد جيوش الملك السامي، ثم التسلل من أرض الجن وهي تحمل طفلة في بطنها، والتواري عن الأنظار لمدة عشر سنوات تقريبًا ليس أمرًا هَيِّنًا على الإطلاق. لقد خلَّفت وراءها بقايا جثة محترقة لامرأة أخرى في منزله المتفحم، لا أحد يستطيع أن يقول إنها لم تثبت صلابتها وبأسها. ولو كانت محظوظة قليلًا، ما أدرك مادوك أنها لا تزال على قيد الحياة.

لقد كان لديها الكثير لتخسره، على ما أعتقد.

ولديَّ الكثير لأخسره أنا أيضًا.

لكن ما الكارثة في أن أخسره؟



قلت لتارين بعد ظهر ذلك اليوم: «فلنتغيَّب عن دروسنا اليوم، ولنبقَ في المنزل». كنت مرتديةً ملابسي وجاهزة منذ وقت مبكر. ومع أنني لم أنم، فلم أشعر بالتعب على الإطلاق.

نظرت إليَّ بقلق عميق، بينما كانت هناك جنية، اشتراها مادوك حديثًا، تضفر شعرها الكستنائي في شكل تاج. وكانت تجلس على نحو متأنق إلى منضدة الزينة الخاصة بها، وهي

مكسوة بملابس كلها باللونين البني والذهبي، ثم قالت: «إخباري بألا أذهب يعني أنه ينبغي عليَّ ذلك. أيًّا كان ما تفكرين فيه توقفي. أعلم أنك تشعرين بخيبة أمل بشأن البطولة ولكن...».

قلت: «لا يهم»، مع أن الأمر كان يهمني بالطبع. إنه مهم للغاية، الآن دون وجود أي أمل في الحصول على لقب فارسة، أشعر كأن حفرة قد حُفرت بالأسفل وأنني أسقط فيها.

«قد يُغيِّر مادوك رأيه». قالت تارين وهي تتبعني إلى أسفل الدرج: «على الأقل، لن تضطري الآن إلى تحدي كاردان».

التفتُّ إليها، مع أن لا شيء مما حدث كان بسببها، وقلت: «هل تعرفين لماذا لا يسمح لي مادوك بمحاولة الفوز بلقب فارسة؟ لأنه يعتقد أنني ضعيفة»

فقالت بنبرة تحذيرية: «جودا!».

فتابعتُ كلامي: «كنت أعتقد أنه من المفترض أن أكون مطيعة، وأتبع القواعد. لكنني اكتفيت من التصرف بضعف. اكتفيت من الطاعة، وأعتقد أنني سأكون شخصًا آخر».

قالت تارين: «الحمقى فقط هم من لا يخافون من الأشياء المخيفة بالفعل»، وهذا صحيح بلا شك، لكنه فشل في أن يثنيني عن عزمي.

فقلت لها مرة أخرى: «فلنتغيب عن الدروس اليوم»، لكنها لم توافق على ذلك، لذا ذهبنا إلى المدرسة معًا.

راقبتني تارين بحذر وأنا أتحدث مع «فاند»، قائدة تدريبات القتال، أو ما ندعوه بالحرب الوهمية، وهي جنية فتاة ذات جلد أزرق مثل بتلات الزهور. وقد ذكَّرتني بأن هناك تدريبًا ختاميًّا غدًا استعدادًا للبطولة.



أَوْمَأتُ برأسي، وعضضتُ باطن خدي كمدًا. لا أحد يريد أن يعرف أن أمالي قد تبدَّدَت. ولا أحد يريد أن يعرف أنني كان لديَّ أمل أصلًا.

في وقت لاحق، عندما جلس كاردان ولوك ونيكاسيا وفاليريان لتناول طعام الغداء، تعين عليهم أن يبتلعوا طعامهم وهم في حالة من الرعب الخانق. كان كل من حولهم من أبناء النبلاء الأقل فظاعة وشرًّا، يأكلون خبزهم وعسلهم، وكعكاتهم، والحمام المشوي، ومربى الزهور مع البسكويت والجبن، وكرات العنب الدهنية. لكن كل لقمة في سلال أعدائي كانت مختلفة عن غيرها، كانت مملحة جيِّدًا!!!.

التقت عينا كاردان بعينيّ، ولم أستطع كبح ظهور الابتسامة الشريرة التي ارتسمت بجلاء على فمي. كانت عيناه مُتَّقدتين كالجمر، وكراهيته البادية شديدة، وتنتشر ذراتها في الهواء بيننا، مثل زوبعة هواء تحوِّم فوق الصخور السوداء في يوم صيفي حار.

سألتني تارين، وهي تهزُّ كتفيّ بقوة حتى ألتفت إليها: «هل فقدتِ صوابك؟ أنت تجعلين كل شيء أسوأ بما فعلتِه لهم. هناك أسباب وجيهة ومعروفة تدفع الجميع لعدم الوقوف أمامهم».

قلت بهدوء، وأنا عاجزة عن دفع الابتسامة بعيدًا عن شفتي: «أنا أعلم. إن هناك الكثير من الأسباب».

إنها محقة في قلقها، فقد أعلنتُ عليهم، بإفسادي طعامهم، الحرب من فوري.





الفصل
6



لقد رويتُ هذه القصة بشكل خاطئ. إن هناك أشياء يجب أن أقولها عن نشأتي في أرض الجن. لقد أسقطتها من القصة؛ غالبًا لأنني جبانة، ولا أحب حتى أن أفكر في أشياء منها. ولكن ربما تُسهم معرفة بعض التفاصيل الخاصة بماضيَّ في توضيح أسباب ما أنا عليه الآن. وكيف تسرَّب الخوف إلى أعماقي. وكيف تعلمت التظاهر بعدم وجوده.

إن هناك ثلاثة أشياء كان يجب أن أخبركم بها عن نفسي من قبل، لكنني لم أفعل:





١. عندما كنت في التاسعة من عمري، عضَّ أحد حراس «مادوك» طرف إصبعي البنصر في يدي اليسرى. كنا في الخارج، وعندما صرخت دفعني بقوة لدرجة أن رأسي اصطدم بعمود خشبي في أحد الإسطبلات، ثم تركني واقفة هناك بينما ظلَّ هو يمضغ القطعة التي قضمها. لقد أخبرني إلى أي حد يكره البشر الفانين. وقد نزفت كثيرًا -لن يتخيَّل أحدكم أن هذا الكم الكبير من الدماء يمكن أن يخرج من إصبع. وعندما انتهى الأمر، أوضح لي أن الأفضل لكلٍّ منَّا أن أبقي ما حدث سرًّا؛ لأنني إذا لم أفعل فسوف يأكل ما تبقى من جسدي، لذا، من الواضح أنني لم أخبر أحدًا بهذا الأمر من قبل، وها أنا أخبركم الآن.

٢. عندما كنت في الحادية عشرة من عمري، كنت مُختبِئةً تحت مائدة الولائم في إحدى الحفلات، فشاهدني أحد النبلاء، وكان يشعر بالملل من الأجواء المحيطة به. فجرَّني إلى الخارج من إحدى قدميّ، وأنا أركله وأتلوّى على الأرض. لا أعتقد أنه كان يعرف من أكون -على الأقل، أقول لنفسي إنه لم يكن يعرف هويتي. لكنه أجبرني على تناول الشراب، فتناولته، وانزلق شراب الجن الأخضر كلون العشب عبر حلقي مثل الرحيق، ثم راقصني حول التل. كان الأمر ممتعًا في البداية، ذلك النوع من المرح المرعب الذي يجعلك تصرخين طلبًا لإنهاء ما يحدث خلال نصف الوقت، ثم تشعرين بالدوار والرغبة في التقيؤ خلال النصف الآخر. لكن عندما تلاشت المتعة ولم أستطع التوقف، كان الأمر مرعبًا فحسب، ومع ذلك، فقد اتَّضح لي أن خوفي كان مُسلِّيًا له بالقدر نفسه. ثم وجدتني الأميرة إلوين في نهاية الحفلة، وكنت أتقيا وأبكي ولم تسألني عن أي شيء بشأن كيفية وصولي إلى هذه الحال، بل سلَّمتني إلى أوريانا وحسب كما لو كنتُ قطعة أثاث موضوعة في غير موضعها. ولم نخبر مادوك قطُّ بذلك. فما الفائدة التي كنت سأجنيها من فعل ذلك على أية حال؟ ولربما اعتقد كل من رآني وقتها بأنني كنت أحظى بقدر كبير من المرح.

٣. عندما كان عمري أربعة عشر عامًا، وكان أوك في الرابعة من عمره، ألقى تعويذة عليَّ. إنه لم يقصد ذلك - حسنًا، على الأقل لم يفهم حقًّا لماذا ينبغي عليه ألا يفعل ذلك. ولم أكن أرتدي أية قلادات أو تعاويذ واقية؛ لأنني كنت قد خرجت من فوري من الحمام. ولم يكن أوك يريد حينذاك أن يذهب إلى فراشه. وطلب مني أن ألعب



بالدمى معه. لذلك لعبنا. ثم طلب مني مطاردته، لذلك لعبنا لعبة المطاردة عبر القاعات ثم اكتشف بمحض المصادفة أنه يمكنه أن يجعلني أصفع نفسي، وكان هذا أمرًا مضحكًا للغاية بالنسبة له. ثم جاءت تاترفيل إلينا بعد ساعات وألقت نظرة فاحصة على وجنتيّ الحمراوين بشدَّة والدموع في عينيّ وحينها ركضتْ بحثًا عن أوريانا. ولأسابيع، ظلَّ «أوك» الضاحك يُلقي علي التعويذات ليجعلني أحضر له الحلوى، أو أرفعه فوق رأسي، أو أبصق على مائدة العشاء. ومع أن هذه التعاويذ لم تنجح بعد ذلك قط، ومع أنني صرت أرتدي عقدًا من توت الروان طوال الوقت بعد ذلك، فقد كان هذا كل ما يمكنني فعله لِعدَّة أشهر حتى لا أضربه بشدَّة. ولم تسامحني أوريانا قط على ضبط النفس هذا؛ فهي تعتقد أن عدم أخذ ثأري منه يعني أنني أخطط للانتقام في المستقبل.

والآن إليكم سبب عدم رغبتي في سرد هذه القصص: إنها تُسلِّط الضوء على ضعفي. وبغض النظر عن مدى حرصي على ألا أخطئ، سأرتكب في النهاية خطأً آخر، أنا ضعيفة. أنا هشة. أنا إنسيّة.

وأكره هذا أكثر من أي شيء آخر.

حتى لو تمكَّنتُ بمعجزة ما، من أن أكون أفضل منهم، فلن أكون أبدًا واحدة منهم.







الفصل
7



إنهم لا ينتظرون طويلًا للانتقام ورد الصاع صاعين.

بالنسبة لبقية فترة ما بعد الظهر وبداية المساء، ظللنا نتلقى دروسًا في التاريخ، وكانت هناك مخلوقة من جان الجوبلن برأس قطة تُدعى يارو تقرأ القصص، وتطرح علينا الأسئلة. وكلما زادت إجاباتي الصحيحة، زاد غضب كاردان. لم يكن يخفي استياءه، ويتحدث إلى لوك عن مدى ملل هذه الدروس ويسخر من المعلمة.

وفي هذه المرة، انتهينا قبل أن يحل الظلام بالكامل. وبدأنا أنا وتارين السير للعودة إلى المنزل، وكانت تلقي إليَّ نظرات قلقة، ثم انتشر ضوء الغروب عبر الأشجار، وأخذتُ نفسًا عميقًا، واستنشقت رائحة أوراق الصنوبر. لقد شعرت بنوع من الهدوء الغريب على الرغم من حماقة

ما فعلته. وفي النهاية، قالت تارين: «ليس هذا من شيمك. أنت لا تفتعلين الشجارات مع أي شخص».

رددتُ عليها: «استرضاؤهم لا يجدي. وكلما أفلتوا من العقاب، اعتقدوا أن ما يفعلونه حق لهم». ثم ركلت حجرًا بقدمي المختفية في النعل.

تنهَّدت تارين وقالت: «إذن، ماذا ستفعلين - ستؤدبينهم؟ حتى لو تَعيَّنَ على شخص ما فعل ذلك، يجب ألا يكون هذا الشخص أنت».

إنها محقة. أنا أعلم أنها محقة. فسوف يتلاشى الغضب الشديد الذي تملكني بعد ظهر هذا اليوم، وسوف أندم على ما فعلته، وربما بعدما أحظى بنوم جيّد طويل، سأشعر بالرعب مثل تارين. فكل ما جلبته لنفسي هو مشكلات أسوأ بغض النظر عن مدى شعوري بالرضا عن كبريائي.

أنتِ لستِ قاتلة.

ما تفتقرين إليه لا علاقة له بالتمرس والخبرة.

ومع ذلك، أنا لست نادمة على فعل ذلك الآن. بعد أن تخطيت الحافة بالفعل، وما أريد أن أفعله هو السقوط.

كنت سأشرع في الكلام عندما كتمت يد شخص ما فمي. وغاصت أصابعه في الجلد المحيط بشفتي. ضربته، وملت بجسدي لألتف حوله، فرأيت لوك يُمسك بخصر تارين، وشخص ما يُمسك بمعصميّ. حرَّرت فمي من قبضته وصرخت، لكن الصراخ في مدينة الجن مثل شقشقة العصافير، وهو أمر شائع جدًّا لجذب الكثير من الانتباه.

دفعونا عبر الغابة ضاحكين، وسمعت صياحًا صاخبًا من أحد الأولاد، أعتقد أنني سمعت لوك يقول شيئًا عن هزيمة القبَّرات بسرعة، لكن صوته غاب وسط ضجيجهم الاحتفالي.





ثم انتهى الأمر بدفعة قوية تلقيتها في كتفي بعدها غمرتني صدمة الانغمار في الماء البارد المروعة، ظللت أبصق الماء، مُحاوِلةً أن أتنفس. وذقت في هذا الأثناء مُكرهةً طعم الطين والطحالب، ثم دفعت نفسي لأعلى. كان الماء في النهر يصل إلى مستوى الخصر من حولي أنا وتارين. وكان التيار يدفعنا باتجاه مجرى النهر نحو جزء أعمق وأكثر وعورة. غرست قدمي في الوحل الموجود في القاع لتجنُّب الانجراف، بينما تشبَّثت تارين بصخرة، وقد تبلَّلَ شعرها، من المؤكد أنها انزلقت.

قال فاليريان: «هناك جنيات من جنس النكسيز في هذا النهر. وإذا لم تخرجا قبل أن يجدنكما، فسوف يسحبنكما إلى أسفل ويحتجزنكما هناك. وأسنانهن الحادة ستنغرس في جلدكما». وحاكى بيديه وفمه صورة من يتناول طعامًا بنهم.

كانوا يقفون على طول ضفة النهر، كاردان الأقرب، وفاليريان بجانبه. فيما كان «لوك» يمسح يده على قمم نباتات البوط وعشب البرك، ويبدو شارد الذهن. لم يكن يبدو لطيفًا الآن. وبدا أنه يشعر بالملل من أصدقائه ومنا أيضًا.

قالت نيكاسيا، وهي تركل المياه بقدمها حتى تتناثر على وجهي: «لا تستطيع هذه الجنيات الشرسة تغيير طبيعتها، مثلما لا تستطيعين أنت حماية نفسك من الغرق».

غرستُ قدميّ بقدر أعمق في الوحل. إن الماء الذي ملأ حذائي جعل من الصعب تحريك ساقيّ، لكن الطين ثبتهما في مكانهما ما ساعدني على الوقوف بثبات. لكنني لا أعرف كيف سأصل إلى تارين دون أن أنزلق.

أفرغ فاليريان حقيبتينا المدرسيتين على ضفة النهر. وتناوب هو ونيكاسيا ولوك إلقاء محتوياتهما في الماء. دفاتر ملاحظاتي المكسوة بالجلد، ولفات من الورق تفكَّكت وهي تغرق. أحدث سقوط كتب القصص والتاريخ دوامات كبيرة في الماء، ثم انحشرت بين حجرين، ولم تتزحزح. تلألأ قلمي المميز في القاع. وتحطمت محبرتي على الصخور، وسال حبرها، ما أدى إلى تحوُّل صفحة النهر إلى اللون القرمزي.



ظلَّ كاردان يراقبني. ومع أنه لم يرفع إصبعًا واحدًا، فأنا أعلم أن هذا كله من صنيعه. وفي عينيه، أرى كل الكراهية الهائلة التي لدى الجن تجاه البشر.

صحت باتجاههم: «هل هذا ممتع؟» كنت غاضبة جدًّا لدرجة أنه لم يَعُد يوجد في قلبي موضع للخوف: «هل تستمتعون بوقتكم؟».

قال كاردان بتشفٍّ: «بقدر هائل». ثم تحوَّلَ بصره إلى حيث ظهرت ظلال تحت الماء. هل هذه هي جنيات النكسيز القاسية؟ لا أدري. لقد واصلت التحرُّك فحسب نحو تارين.

قالت نيكاسيا: «هذه مجرد لعبة. لكن في بعض الأحيان نلهو بدُمانا بقسوة ثم نكسرها».

وصاح فاليريان: «لا يبدو الأمر كما لو أننا أغرقناكما بأنفسنا».

انزلقت قدماي، وهما تتحركان فوق صخور ملساء، فغطست تحت الماء وجُرفت في مجرى النهر، وابتلعت -في عجز- قدرًا من المياه الموحلة. أصبت بالذعر، وأصدرت صوتًا كالحشرجة من أعماق رئتيّ. ثم مددت يديّ، فأمسكت بجذر شجرة. وأخيرًا استعدت توازني مرة أخرى، وأنا ألهث وأسعل.

ظلَّت نيكاسيا وفاليريان يضحكان، فيما كانت تعبيرات وجه لوك غير مفهومة، ووضع كاردان قدمًا واحدة فوق الأعشاب الطافية على الماء، كما لو أنه يريد الحصول على رؤية أفضل. وخلال تعبيري عن غضبي وبصقي للمياه شققت طريقي عائدةً إلى تارين، التي تقدَّمَتْ نحوي لتُمسك بيدي وتضغط عليها بقوة.

ثم قالت بصوتٍ شبه هستيري: «اعتقدت أنك ستغرقين».

قلت لها: «نحن بخير». وعندما غرست قدمي في بقعة مظلمة، اصطدمتْ بصخرة كبيرة. فحملتها، وكانت خضراء اللون ومكسوة بالطحالب، وقلت: «إذا جاءتنا الجنيات فسوف أوقفهن».



قال كاردان: «استسلمي. ما كان ينبغي لكِ أن تتلقي الدروس معنا مطلقًا. تخلي عن فكرة المشاركة في المسابقة. أخبري مادوك بأنك لا تنتمين إلينا. إن هذا خير لك. افعلي هذا، وسأنقذك». كان ينظر إليَّ مباشرة، حتى إنه لم يلقِ ولو نظرة على تارين.

حدقتُ إليه.

قال: «كل ما عليكِ فعله هو الاستسلام. إنه أمر سهل».

نظرت إلى أختي فأنا المخطئة فيما حدث لها من بلل وذعر. كان النهر باردًا على الرغم من حرارة الصيف، والتيار قويًّا قلتُ: «وهل ستنقذ تارين أيضًا؟».

«أوه، إذن ستفعلين ما أطلبه من أجلها؟». كانت نظرة كاردان مليئة بالتعطش للدماء، والنهم. ثم تابع: «أيُشعرك هذا بالنُّبل؟». توقَّفَ برهة، وفي هذا الصمت، كان كل ما سمعته هو أنفاس تارين المتقطعة، ثم أكمل: «نعم يُشعرك بأنك تتصرفين بشهامة، أليس كذلك؟».

نظرتُ إلى الجنيات من حولي، وراقبتهن بحثًا عن أية علامة على الهجوم. ثم جاريته: «لماذا لا تخبرني بكيف تريدني أن أشعر؟».

عقَّبَ بقوله: «هذا مثير للإعجاب. عدد الأطفال في أرض الجن قليل جدًّا لدرجة أنني لم أرَ أحدًا منَّا لديه توأم، هل هذا الأمر يشبه الاستنساخ أم انقسام الواحد إلى نصفين؟». ثم أخذ خطوة أخرى للاقتراب باتجاهنا، وجلس القرفصاء، وحدَّقَ إلينا من كثب.

لم أُجِب.

ومن خلفه، رأيت نيكاسيا تميل على لوك، وتهمس له بشيء. وعندئذٍ رمقها بنظرة لاذعة، فغضبت. ربما يكونون منزعجين لأننا لم نؤكل بعد.

عبس وجه كاردان ثم قال مُتحوِّلًا إلى تارين: «أخت توأم». بعدها عادت الابتسامة تكسو وجهه كأن فكرة جديدة رهيبة قد واتته لإسعاده، وسألها: «هل ستُقدمين تضحية مماثلة؟ لنكتشف حقيقة ذلك... لديَّ عرض سخي جدًّا من أجلك. اصعدي إلى ضفة النهر وقبِّلي



خدي. وبمجرد أن يتم ذلك، وما دمتِ لن تدافعي عن أختك بالقول أو الفعل، فلن أحاسبك على تحديها لي. والآن، ألا ترين أن هذه صفقة جيدة؟ لكنك ستحصلين عليها فقط إذا أتيت إلينا الآن وتركتِها هناك لتغرق. أظهري لها أنها ستكون دائمًا وحيدة».

للحظة، وقفت تارين ساكنة، كما لو كانت مُتجمِّدة.

فقلتُ لها: «اذهبي. سأكون بخير».

لقد آلمتني عندما توجَّهت نحو الضفة، لكن كان عليها بالطبع أن تذهب. فستكون بأمان، وثمن حدوث ذلك غير مهم على الإطلاق.

انفصلت واحدة من المخلوقات الشاحبة الموجودة تحت سطح الماء عن الأخرى، وسبحت نحوها، لكن حركة ظلي في الماء جعلتها تتردد. لقد تظاهرت برمي الصخرة التي كنت أحملها، فأحدثت اهتزازًا قليلًا في الماء. فالجنيات على أية حال يفضلن الفريسة السهلة.

أخذ فاليريان بيد تارين وساعدها على الخروج من الماء كما لو كانت سيدة ذات شأن. كان ثوبها مُبلَّلًا ويقطر ماءً خلال تحركها مثل فساتين أشباح المياه أو جنيات البحر. ثم ضغطت بشفتيها المُزرقتين على خدي كاردان. كما لو كانت تقبِّله، واحدًا تلو آخر. وأبقت عينيها مغمضتين، لكن عينيه كانتا مفتوحتين تراقبانني.

ثم قالت لها نيكاسيا: «قولي: أنا أتخلى عن أختي جود. ولن أساعدها، بل أنا لا أحبها».

نظرت تارين نحوي بسرعة، وقالت بلهجة من يعتذر عن خطأ: «أنا لست مضطرة لقول هذا. لم يكن هذا جزءًا من الصفقة»، فضحك الآخرون.

حرَّكَ كاردان حذاءه بين بعض الأشواك والعشب المائي، وبدأ لوك في الكلام، لكن كاردان قاطعه قائلًا: «أختكِ تخلَّت عنك. فهل ترين ما يمكننا فعله ببضع كلمات؟ ويمكن أن يصبح كل شيء أسوأ كثيرًا. يمكننا أن نُلقي عليك تعويذة تجعلك تركضين بيديك وقدميك، وتنبحين

مثل الكلب، بل يمكننا أن نُلقي عليك تعويذة تجعلك تتوقين إلى سماع أغنية لن تسمعيها مرة أخرى، أو كلمة لطيفة من شفتيّ. نحن لسنا بشرًا، وسوف نحطمك. أنت مجرد شيء صغير هش، وقد لا نحتاج حتى إلى المحاولة لإيذائك. استسلمي».

قلتُ: «أبدًا».

ابتسم بعجرفة، وقال: «أبدًا؟ كلمة أبدًا تشبه تعبير إلى الأبد - وهو معنى أكبر من أن يستوعبه البشر».

ظلَّ المخلوق الرابض في الماء أسفل مني في موضعه. ربما لأن وجود كاردان والآخرين جعل الأمر يبدو كأنَّ لديَّ أصدقاء قد يدافعون عني إذا تعرضت للهجوم. انتظرت الخطوة التالية لكاردان، وأنا أراقبه بعناية. كنت أتمنى أن أبدو متحدية له، فيما أمعن هو النظر لي للحظات طويلة مروعة.

ثم قال لي: «فكري فينا طوال مسيرتك الطويلة، المبتلة، المخزية إلى المنزل. فكري في ردك علينا. وتذكري أن هذا أقل ما يمكننا فعله»، بعدما قال كلمته تحرَّكَ مبتعدًا عنا، وبعد لحظة استدار الآخرون أيضًا ليلحقوا به، شاهدته يذهب، وكذلك شاهدتهم جميعًا يذهبون.

وعندما ابتعدوا عن الأنظار، دفعت نفسي باتجاه الضفة، وارتميت على ظهري في الوحل بجوار الموضع الذي كانت تقف فيه تارين قبل قليل. أخذت أنفاسًا كبيرة من الهواء. ثم بدأت جنيات النكسيز المتوحشة الظهور على السطح، وظللن ينظرن إلينا بعيون جائعة وبراقة، ويحدِّقن إلينا عبر رقعة من عشبة ذيل الثعلب. ثم بدأت إحداهن الزحف على اليابسة باتجاهنا.

فألقيت بصخرتي نحوها. ومع أنها لم تصبها، لكن الرذاذ الناتج عنها أخافها من الاقتراب.

أصدرتُ صوت زفير من أنفي، وأنا أجبر نفسي على بدء المشي. وطوال مسيرتنا إلى المنزل، بينما كانت تارين تئن أنينًا خافتًا، ظللت أفكر في مدى كرهي لهم ومدى كرهي لنفسي، وبعد ذلك لم أفكر في أي شيء سوى المشي بسرعة بحذائي المُبلَّل، خطوة تلو أخرى ليحملني

بعيدًا عن شجيرات الورد البري والسرو والدردار عبورًا بشجيرات الكرز الأحمر، والتوت والخوخ، ثم مرورًا بأشباح الغابة التي تعشش في شجيرات الورد، ووصولًا إلى منزل به حمام وفراش دافئان في عالم ليس لي، وقد لا يكون أبدًا لي.







الفصل 8



كان رأسي يخفق بشدَّة عندما هزتني فيفيان لتوقظني. ثم قفزت على الفراش وركلت الأغطية من فوقي، وجعلت خشب السرير يصدر ضجيجًا. ضغطتُ وسادة على وجهي، وتكورتُ على نفسي في جانب الفراش؛ مُحاوِلةً تجاهلها والعودة إلى سباتي الغالي من الأحلام.

فقالت وهي تشدُّ بطانيتي للخلف: «انهضي، أيتها الكسول. نحن ذاهبون إلى المركز التجاري».

صحت بها بصوتٍ مكتوم، ولوحت لها كي ترحل بعيدًا. قالت وهي تقفز مرَّةً أخرى: «انهضي».

زمجرت، وأنا أندس أسفل ما تبقى من البطانيات، قائلةً: «لا، يجب أن أتدرب للبطولة».

توقفت فيفي عن القفز، وأدركتُ أنا أن التدريب لا لزوم له، إذ لست مضطرة للقتال في البطولة. إلا أنني أخبرت كاردان بحماقة، بأنني لن أستسلم أبدًا.

وهو ما جعلني أتذكر النهر، وجنيات النكسيز الشرسة، وتارين وكيف كانت هي على حق، وكنت مخطئة تمامًا.

«سأشتري لك القهوة عندما نصل إلى هناك، القهوة مع الشيكولاتة والكريمة المخفوقة». إن فيفي عنيدة ولا تستسلم بسهولة، قالت: «هيا تارين تنتظرنا».

نهضت عن الفراش، وأنا أترنح. وخلال وقوفي، فركت ركبتيّ بيديّ، وحملقت إليها بغضب. فرمتني بابتسامتها الأكثر سحرًا، فوجدت انزعاجي يتلاشى على الرغم مني. غالبًا ما تكون فيفي أنانية، لكنها سعيدة جدًّا بذلك، وتشجع الآخرين على إبداء هذه الأنانية المبهجة لدرجة تُسهل عليك أن تحظى بالمرح معها.

ارتديت بسرعة تلك الملابس العصرية التي أحتفظ بها في الجزء الخلفي من خزانة ملابسي - سروال الجينز، وسترة رمادية قديمة عليها نجمة سوداء. وحذاء فضي لامع من ماركة كونفرس. وكوَّمت شعري داخل قبعة محبوكة مُتدلية الأطراف، وعندما ألقيت نظرة على نفسي في المرآة الطويلة (المنحوتة بحيث تبدو كأنَّ زوجًا من الحيوانات على جانبي الزجاج، ينظر إلى الآخر)، رأيت شخصًا مختلفًا ينظر إليَّ.

ربما هذا هو الشخص الذي كان يمكن أن أكون عليه لو أنني نشأت مع البشر.

أيًّا كان هذا الشخص.

عندما كنا صغارًا، كنا نتحدث عن العودة إلى عالم البشر طوال الوقت. وظلَّت فيفي تقول إنها إذا تعلَّمت المزيد من الحيل السحرية، فسنكون قادرات على مغادرة هذا العالم. كنا سنعمل على إيجاد منزل مهجور لنحيا فيه، وكانت ستسحر الطيور لتعتني بنا. حيث ستشتري الطيور لنا البيتزا والحلوى، ولن نذهب إلى المدرسة إلا إذا شعرنا بالرغبة في هذا.

ولكن بحلول الوقت الذي تعلَّمت فيه فيفي كيفية عمل بعض هذه الأمور وأهمها السفر إلى عالم البشر، كان الواقع قد تدخَّلَ في خططنا. واتَّضح لنا أن الطيور لا تستطيع حقًّا شراء البيتزا، حتى لو كانت مسحورة.

التقيت بأختيّ أمام إسطبلات مادوك، حيث توضع خيول الجن الفضية بجانب الضفادع الضخمة المستعدة لوضع السروج والألجمة فوق ظهورها وحيوانات الرنة ذات القرون العريضة المعلقة بها أجراس. وكانت فيفي ترتدي سروال جينز أسود، وقميصًا أبيض، ونظارة شمسية عاكسة تخفي عينيها اللتين تشبهان عينَيْ القطة. وكانت تارين ترتدي سروال جينز ورديًّا وسترة صوفية. وزوجًا من الأحذية التي تصل إلى الكاحلين.

كنا نحاول تقليد الفتيات اللواتي نراهن في عالم البشر؛ فتيات في المجلات، وفتيات نشاهدهن على شاشات السينما في قاعات مُكيفة، ونحن نأكل الحلوى عالية السكر لدرجة أن أسناني تؤلمني أحيانًا. ولا أعرف ما يظنه الناس عندما ينظرون إلينا، إذ تُعَدُّ هذه الملابس زيًّا تنكُّرِيًّا بالنسبة لي. وأنا ألعب لعبة ارتداء الملابس التنكرية بلا حنكة أو دراية، إذ لم يَعُد بإمكاني تخمين الملابس التي يفترض أن تتماشى مثلًا مع ارتداء أحذية رياضية براقة أكثر مما يعرفه طفل يرتدي زي تنين تنكُّرِيًّا عن اللون الحقيقي لحراشف التنانين!

التقطت فيفي بعض سيقان النبات النامي بالقرب من أحواض المياه. وبعد العثور على ثلاث سيقان منها توافق مواصفاتها، رفعت الساق الأولى ونفخت فيها قائلةً: «أيها الحصان الجني، قم واحملنا إلى حيث آمرك».

وبعد هذه الكلمات، رمت إحدى السيقان على الأرض، فأصبحت مهرًا أصفر نحيلًا ذا عينين زُمرُّديتين، وعُرف يشبه أوراق الشجر المُزركشة، وأصدر صهيلًا غريبًا مُتحمِّسًا. ثم رمت



الساقين الأخريين، وبعد لحظات أصبح لدينا ثلاثة من الخيول الصغيرة التي تستنشق الهواء وتزفره بقوة باتجاه الأرض.

إنها تشبه إلى حد ما أفراس البحر، لكنها تسير فوق الأرض وفى الفضاء، وفقًا لأمر فيفي، ويمكن أن تحتفظ بمظهرها لساعات قبل أن تنهار، وتعود مرَّة أخرى سيقان نباتات.

اتَّضح أن المرور من عالم الجن إلى عالم البشر ليس بهذه الصعوبة. ومدن الجن موجودة بجانب وتحت مدن البشر، وفي ظلال بلدان البشر، وفي أطرافها الخاوية المُهمَلة.. يعيش الجن في التلال والوديان والجبال. في أزقة ومباني البشر المهجورة. وليست فيفي الجنية الوحيدة من جُزرنا التي تتسلَّل عبر البحر إلى عالم البشر بانتظام، بل الكثير من الجان فعلوا هذا وهم يرتدون عبر ملابس بشر للعبث مع الناس. ومنذ أقل من شهر، كان فاليريان يتفاخر بشأن احتياله هو وأصدقاؤه على مجموعة من البشر المخيمين بدعوتهم إلى الطعام. وجعلهم يلتهمون أوراق الشجر الفاسدة التي سحروها لتبدو كأنها طعام شهي.

ركبت حصاني ولففت يدي حول رقبته. ودائما عندما يبدأ التحرك لا يسعني إلا الابتسام. فهناك شيء ما يتعلق بالاستحالة المطلقة لحدوث مثل هذا الأمر في عالمي الأصلي، وفي روعة الأشجار التي نمر بها بسرعة، والطريقة التي يدفع بها هذا الحصان الحصى في أثناء قفزه في الهواء، كل هذا يمنحني دفعة هائلة من الأدرينالين النقي.

كتمت الصيحة المعلقة في حلقي.

ثم سرنا فوق المنحدرات، ثم فوق البحر، وشاهدنا جنيات البحر وهن يقفزن في الأمواج المتلألئة، والفقمات تتقلَّب على طول الأمواج. تجاوزنا الضباب المحيط بالجزر على الدوام ويخفيها عن البشر. ثم عبرنا خط الساحل، وتجاوزنا متنزه تو لايتس ستيت، وملعبًا للجولف، ومطارًا للطائرات النفاثة. وأخيرًا هبطنا في بقعة صغيرة مُغطاة بالأشجار في مقابل مركز مين مول التجاري، رفرف قميص فيفي في الهواء وهي تهبط، فيما ترجَّلنا أنا و تارين. وبكلمات قليلة من فيفي، عادت المُهر الثلاثة مجرد حشائش شبه ذابلة.

قالت تارين مُبتسمة: «تذكروا المكان الذي توقفنا فيه»، ثم بدأنا السير نحو المركز التجاري.

تحب فيفي هذا المكان. وتحب شرب عصائر المانجو، وتجربة القبعات، وشراء ما نريده بثمار البلوط التي سحرتها لتبدو كنقود. بينما لا تحب تارين فعل الأمر بالطريقة التي تفعلها فيفي، لكنها تستمتع بوقتها. وأنا عندما أكون هنا أشعر بأنني شبح.

تبخترنا في مشيتنا بمركز جي سي بيني، كما لو أننا أخطر مخلوقات موجودة في المكان. لكن عندما رأيت جميع العائلات البشرية تسير معًا، خاصَّةً العائلات التي لديها أخوات صغيرات يضحكن بصخب وبراءة، لم يرُق لي ما شعرتُ به.

إنه الغضب.

لم أتخيَّل نفسي مرَّة أخرى أعود إلى حياة مثل حياتهم، وما تخيلته هو الذهاب إلى هناك وإخافتهم حتى يبكوا.

لن أفعل ذلك بالطبع.

أعني لا أعتقد أنني سأفعل.

ويبدو أن تارين لاحظت الطريقة التي تلاحق بها نظراتي طفلة تئن لأمها. وخلافًا لي، فإن تارين قادرة على التَّكيُّف إنها تعرف الأشياء الصحيحة التي ينبغي قولها. وستكون بخير إذا ما دُفعت مرة أخرى إلى هذا العالم، كما أنها بخير الآن. بل ستقع في الحب كما قالت، وسوف تتحوَّل إلى زوجة وتربي أطفالًا من الجن يتعلقون بها، ويعيشون حياة مديدة بعدها. الشيء الوحيد الذي يعوقها عن فعل ذلك هو أنا.

وأنا سعيدة للغاية؛ لأنها لا تستطيع تخمين أفكاري.

قالت فيفي: «إذن، نحن هنا حتى تنالا قدرًا من المرح والابتهاج، لذا ابتهجا».



نظرتُ إلى تارين وأخذتُ نفسًا عميقًا واستعددت للاعتذار لها. ولا أعرف ما إذا كان هذا ما كان يدور في ذهن فيفي، لكن هذا ما عرفت أنه ينبغي عليَّ فعله منذ نهضتُ من الفراش، وقلتُ: «أنا آسفة».

وقالت تارين في الوقت ذاته: «لعلك غاضبة مني».

«منكِ أنتِ؟». تساءلت والدهشة تغمرني.

طأْطَأَتْ تارين رأسها، وقالت: «لأني أقسمت لكاردان أنني لن أساعدك، مع أنني أتيت معك أصلًا في ذلك اليوم للمساعدة».

هززت رأسي نفيًا، وقلت: « يا تارين، أنت الشخص الذي يحقُّ له أن يغضب لأنني تسببت في دفعك إلى ماء النهر في المقام الأول. وكان إخراج نفسك من هناك هو الشيء الذكي الذي يجب فعله، ولن أغضب من ذلك أبدًا».

قالت: «أوه، هذا حسن جدًّا».

قالت فيفي: «أخبرتني تارين عن المقلب الذي دبرتِه للأمير. إن هذا جيِّد جدًّا، لكن عليك الآن أن تفعلي شيئًا أسوأ وأخطر كثيرًا، لديَّ بعض الأفكار بخصوص هذا الشأن». رأيتُ انعكاس صورتي في نظارتها الشمسية بشكل مزدوج، ثم تضاعفت بمقدار أربع مرات مع وجود تارين بجانبي.

قالت تارين بقوة: «لا! لا تحتاج جود إلى فعل أي شيء. لقد كانت مستاءةً فحسب من مادوك ومنعِها من المشاركة في البطولة. وإذا عادت إلى تجاهلهم فسيعودون إلى تجاهلها أيضًا. ربما ليس في البداية، ولكنهم في النهاية سيفعلون».

عضضت شفتيّ؛ لأنني لا أعتقد أن هذا صحيح.



قالت فيفي، متجاهلةً الشيء الذي كنت أستعد له لسنوات: «انسي أمر مادوك، قد تكون الفروسية عملًا مُمِلًّا على أية حال». تنهَّدتُ في حسرة. إنه شعور مزعج، لكنه يؤكِّد أيضًا أنها لا تعتقد أن ما حدث معي أمر مهم، بينما شعرت أنا بأن الخسارة التي مُنيت بها ساحقة.

«إذن ماذا تريدين أن تفعلي الآن، هل نشاهد فيلمًا؟ هل تريدين تجربة أحمر الشفاه؟ لا تنسي أنك وعدتني بتناول القهوة»، سألتُ فيفي لتجنُّب المزيد من هذه المناقشة..

قالت فيفي: «أريدك أن تقابلي صديقتي المقربة. لقد طلبت مني الانتقال للعيش معها في عالم البشر». فتذكرتُ الفتاة ذات الشعر الوردي في شريط الصور.

«هنا؟» سألتها كما لو أنه يمكن أن يكون هناك أي مكان آخر.

«في المركز التجاري؟». قالت فيفي وهي تضحك من تعبيرات وجهينا. ثم استطردت: «سنلتقي بها هنا اليوم، ولكن ربما نجد مكانًا مختلفًا للعيش فيه. «هيذر» لا تعرف أن الجن موجودون، لذا لا تذكرا لها هذا الأمر، اتفقنا؟».

عندما كنا أنا وتارين في العاشرة من العمر كانت فيفي قد تعلَّمت كيفية صنع خيول من سيقان النباتات. ومن ثم هربنا من منزل مادوك بعد بضة أيام. وفي محطة وقود، ألقت فيفي تعويذة على امرأة مارة بسيارتها في الطريق كي توصلنا إلى المنزل.

ما زلت أتذكَّر وجه المرأة الجامد والخالي من التعبيرات في أثناء قيادتها للسيارة. وأردت أن أجعلها تبتسم لكن بغض النظر عن كل التعبيرات المثيرة للضحك التي صنعتُها بوجهي، لم تتغيَّر تعبيرات وجهها أبدًا. قضينا الليلة في منزلها، وأصابنا الإعياء بعد تناول المثلجات على العشاء. يومذاك أجبرت نفسي على النوم وأنا أحتضن تارين التي ما توقفت عن النحيب.

بعد ذلك، عثرت فيفي على غرفة في فندق بها موقد، وتعلمنا كيفية طهي المكرونة والجبن من التعليمات المدونة على العبوة. كما أعددنا القهوة في إبريق القهوة، لأننا تذكرنا كيف كانت رائحتها تشبه رائحة منزلنا القديم. ثم شاهدنا التليفزيون، وسبحنا في حمام السباحة مع أطفال آخرين يقيمون في الفندق.



لقد كرهت هذه التجربة برمتها.

وعشنا على هذا النحو لمدة أسبوعين قبل أن نتوسل أنا وتارين لفيفي كي تأخذنا إلى المنزل، أن تعيدنا إلى مدينة الجن. لقد اشتقنا إلى فُرشنا والطعام. الذي اعتدنا عليه، وكذلك السحر ذاته.

أعتقد أن العودة كسرت قلب فيفي، لكنها أعادتنا على الرغم من ذلك. وبقيت معنا، أيًّا كان ما يمكنني قوله عن فيفي فعندما يكون الأمر مهمًّا حقًّا، فإنها تتمسك بنا.

لكني أعتقد أنه ينبغي ألا أتفاجأ لأنها لم تخطط للبقاء في عالم الجان إلى الأبد. وسألتها تارين: «لماذا لم تخبرينا من قبل؟».

قالت فيفي: «ها أنا أخبركما. لقد أخبرتكما من فوري»، وقادتنا عبر متاجر تعرض صورًا مُتكرِّرة لألعاب الفيديو، ومررنا بواجهات زجاجية لامعة تعرض ملابس شخصية، وفساتين طويلة فضفاضة، وكعكًا مملحًا ممزوجًا بالجبن، ثم متاجر ذات طاولات عليها ماسات لامعة على شكل قلوب، تبشر بملاقاة الحب الحقيقي يومًا ما وعربات أطفال تمرُّ بجوارنا بكثرة، ومجموعات من الأولاد المراهقين يرتدون القمصان، ومسنون كل زوج منهم يمسك أحدهما بيد الآخر.

قالت تارين، ويداها على خاصرتها، في تذمر: «كان عليك أن تخبرينا بهذا في وقت سابق».

قالت فيفي: «هذه هي خطتي لإبهاجكما، سننتقل جميعًا إلى عالم البشر. فلننتقل للعيش مع هيذر، لن يكون على جود القلق بشأن الحصول على لقب فارسة، ولن يتعيَّن على تارين أن توقع فتى من الجن في شباك حبها».

سألتْ تارين بشك: «هل تعرف هيذر هذه الخطة؟».

هزَّت فيفي رأسها مُبتسِمةً.





قلت مُحاوِلةً السخرية من المقترح: «بالتأكيد. فيما عدا أنني لا أمتلك مهارات يمكن الاستفادة منها سوى التلويح بالسيف وتأليف الألغاز. من المرجح ألَّا تجديني نفعًا».

قالت فيفي بإصرار، وقد صعدت على دكة خشبية طويلة، ومشت عليها كما لو أنها تمثل على خشبة مسرح: «عالم البشر هو المكان الذي نشأنا فيه». ثم وضعت نظارتها الشمسية فوق شعرها، وتابعت: «ستعتادين ذلك مرة أخرى».

قلت في نفسي: «عالم البشر هو حيث نشأتِ أنتِ». لقد كانت في التاسعة من عمرها عندما أُخذنا من عالمنا، وهي تتذكَّر الكثير عن الحياة البشرية أكثر مما نتذكره. إن هذا غير عادل؛ لأنها أيضًا تمتلك مهارات سحرية.

قالت فيفي: «سيستمر الجان في معاملتك كالقمامة». وعادت لتقفز أمامنا، وومضت عيناها اللتان تشبهان عيون القطط، فانحرفت سيدة تُمسك بعربة أطفال عن مسارها لتتفاداها.

تساءلتُ: «ماذا تقصدين؟». ووجَّهتُ نظري بعيدًا عن فيفي، مُركِّزةً على شكل البلاط تحت قدمي.

قالت: «تتصرف أوريانا كأن كونكما بشريتين نوع من المفاجأة المُروِّعة التي تحدث لها مرارًا وتكرارًا في كل صباح. لقد قتل مادوك والدينا، وهذا أمر بغيض. ثم هناك هؤلاء الحمقى في المدرسة الذين لا تحبين التحدُّث عنهم».

قلت لها: «دائمًا ما تحدثت عن هؤلاء الحمقى». ولم أمنحها الفرصة لتشعر بأن ما قالته عن والدينا قد صدمني كما تتمنى. إنها تتصرف كأننا لا نتذكر ما حدث، كأنني قد أنساه يومًا. إنها تتصرف كأن هذه هي مأساتها الشخصية. مأساتها وحدها.

«ولم يعجبك بالطبع ما يفعلونه معك. هل كنت تعتقدين حقًّا أن كونك فارسة سيجعل كل شيء أفضل؟». بدت فيفي سعيدة للغاية بنفسها لمنحها فرصة قول هذه الكلمات بشكل خاص.

قلتُ: «لا أعرف».



ثم مالت فيفي على تارين وقالت: «ماذا عنكِ؟».

فردت تارين: «أرض الجن هي كل ما نعرفه. فهنا، لن يكون لدينا أي شيء ولن تكون ثمة حفلات راقصة، ولا سحر، ولا....». ثم رفعت يديها كأنما لتمنع المزيد من الجدال.

ردَّت فيفي بجِدَّة: «حسنًا، أعتقد أنني سأحب الحياة هنا». ومشت أمامنا إلى متجر منتجات آبل.

لقد تحدثنا عن ذلك من قبل. وبالطبع تعتقد فيفي أننا غبيتان لعدم قدرتنا على مقاومة بطش الجن ولرغبتنا في البقاء في مكان به مثل هذا الخطر. ربما في ظل الطريقة التي نشأنا بها، تبدو الأشياء السيئة جيِّدة بالنسبة لنا، أو ربما نكون بالفعل غبيتين مثل أي إنسان أبله يتوق للحصول على قطعة أخرى من فاكهة الجن، وربما لا يهم أي من هذه الافتراضات.

كانت هناك فتاة تقف أمام المدخل وتعبث بهاتفها. أظن أن هذه هي الفتاة المنشودة. كانت هيذر ضئيلة الجسم، ذات شعر وردي باهت اللون، وبشرة بنية. إنها ترتدي قميصًا ذا تصميم مرسوم باليد على الجهة الأمامية منه، وتوجد بقع حبر على أصابعها. أدركتُ فجأةً أنها قد تكون الفنانة التي رسمت الرسوم الهزلية التي كانت فيفي تتأملها.

شرعت في تقديم تحية الانحناء قبل أن أذكر اسمي، ثم مددت يدي لمصافحتها وأنا أشعر ببعض الحرج، قلت: «أنا جود أخت فيفي، وهذه تارين». صافحتني الفتاة.. كانت كفها دافئة، وقبضتها صغيرة جدًّا.

من المضحك رؤية كيف أن فيفي، التي حاولت جاهدة أن تهرب من التشبه بمادوك، انتهى بها المطاف إلى مصادقة فتاة بشرية، كما فعل هو.

قالت الفتاة: «أنا هيذر. من الرائع مقابلتكما. تكاد في لا تتحدث عن أسرتها».

تبادلنا أنا وتارين نظرةً ذات مغزى. إنها تدللها بأن تدعوها في!!

قالت هيذر: «هل تريدان الجلوس أو شيئًا من هذا القبيل؟». وأشارت برأسها إلى قاعة الطعام.

قلت مشيرةً إلى فيفي: «شخص ما هنا مدين لي بقدح من القهوة».

طلبنا القهوة، وجلسنا لنحتسيها. وأخبرتنا هيذر بأنها تتعلم في كلية أهلية؛ وتدرس الفن وأخبرتنا بالقصص الهزلية المصورة التي تعجبها، والفرق الموسيقية التي تستمع إليها. لقد تفادينا طرح الأسئلة المحرجة، وكذلك كذبنا. وعندما نهضت فيفي لتتخلص من بعض القمامة، سألتنا هيذر عما إذا كانت هي أول صديقة سمحت لنا فيفي بلقائها.

أَوْمأَتْ تارين برأسها إيجابًا، وقالت: «هذا يعني أنها تحبك كثيرًا».

«إذن هل يمكنني زيارة منزلكن الآن؟ والداي على وشك شراء فرشاة أسنان لـ«في» من فرط تعودهما على وجودها. فكيف لم ألتقِ أنا بوالديها حتي الآن؟».

كدت أبصق بعضًا من القهوة قبل بلعها لخشيتي من أن تعرف عنَّا ما لا نريد، وتساءلت: «هل أخبرتك بأي شيء عن أسرتنا؟».

تنهدت هيذر وقالت: «لا».

فقلت بسرعة: «والدنا محافظ جدًّا».

مرَّ بنا في هذه اللحظة فتى ذو شعر أسود مُدبب، ومحفظة معلقة بسلسلة، وابتسم لي. لم تكن لدي أية فكرة عما يريد، وظننت أنه ربما يعرف هيذر، لكنها لم تعره اهتمامًا. ولم أردّ له الابتسامة.

«هل يعرف والدكن أن في لا ترغب في الوقوع في الحب؟». طرحت هيذر هذا السؤال وهي مندهشة، لكن حينها عادت فيفي إلى الطاولة، لذا لم يتعيَّن علينا الاستمرار في اختلاق الكذبات. إن مصادقة الفتيات والإعجاب بالفتيان هو الشيء الوحيد في هذا السيناريو الذي لن ينزعج مادوك من فيفي بسببه.



بعد ذلك، تجولنا نحن الأربع في المركز التجاري، وجربنا وضع أحمر الشفاه الأرجواني، وأكلنا شرائح حلوى التفاح المغطاة بالسكر التي حولت لون لساني إلى اللون الأخضر. أنا أسعد بأية مواد كيميائية من شأنها بلا شك أن تصيب جميع اللوردات والسيدات في البلاط بالغثيان.

بدت هيذر فتاة لطيفة، ولكن ليست لديها أية فكرة عما تورط نفسها فيه. ودعناها بلطف بالقرب من متجر نيوبري كوميكس. وشاهدت فيفي ثلاثة أطفال ينتقون تماثيل ذات رءوس مهتزة، وكانت نظرتها تواقة إليهم. فتساءلتُ فيما تفكر، وهي تتنقل بين البشر في هذا العالم. وفي لحظات كهذه، تبدو مثل ذئب يتعرف على سلوكيات الأغنام عن قرب. لكنها عندما ودَّعت هيذر بدت صادقة تمامًا في مشاعرها.

قالت فيفي ونحن نسير عبر المركز التجاري: «أنا سعيدة لأنكما كذبتما عليها من أجلي».

قلت لها: «سيتعين عليك أن تخبريها في النهاية. إذا كنت جادة في عزمك، وإذا كنت ستنتقلين حقًّا إلى عالم البشر لتكوني معها».

وقالت تارين: «حتى عندما تفعلين ذلك، ستظل راغبةً في مقابلة مادوك والدك». ومع أنني، من جانبي، أعي سبب رغبة فيفي في تجنُّب ذلك لأطول فترة ممكنة.

هزَّت فيفي رأسها، وقالت: «الصداقة الحقيقية مثل الحب قضية نبيلة. فكيف يمكن أن يكون فعل أي شيء لخدمة قضية نبيلة خاطئًا بأي معنى؟».

فعضَّت تارين شفتها في دلالة مبهمة بالنسبة لي.

قبل أن نغادر، توقفنا عند صيدلية، واشتريت فوط قطنية نسائية. في كل مرة أشتريها، تكون تذكيرًا لي بأنه في حين أن الجان يمكن أن يشبهونا، إلا أنهم بالتأكيد نوع مختلف من المخلوقات. حتى فيفي في النهاية تنتمي إلى نوع مختلف. قسَّمت العبوة إلى نصفين وأعطيت الجزء الآخر لتارين.





أنا أعرف ما الذي تتساءلون عنه يا مَن تقرأون كلماتي، وبالتحديد الفتيات، لا، إن الجنيات لا يعانين مثلنا مرة في الشهر. ولكن نعم، إنهن ينزفن مرَّة في العام. وفي بعض الأحيان، ينزفن بمعدل أقل تواترًا من ذلك. نعم، لديهن حلول لمعالجة هذا الأمر - وضع حشوات مُعيَّنة في الغالب - ونعم، هذه الحلول سيئة، نعم، كل شيء عن هذا الأمر محرج حتى في عالم الجن.

بدأنا عبور ساحة انتظار السيارات باتجاه سيقان النباتات الخاصة بنا عندما لمس فتى في مثل سننا ذراعي، والتفت أصابعه الدافئة حول معصمي مباشرةً، وقال:

«مرحبًا يا حلوتي. لقد رأيتك من قبل، وكنت أتساءل فقط....». خُيِّلَ إليَّ أنه يرتدي قميصًا أسود كبيرًا جدًّا، وسروال جينز، ولديه محفظة معلقة بسلسلة، وله شعر خصلاته مُدببة وكأنَّ هناك بريق لسكين رخيص مُثبَّت في حذائه.

استدرت قبل أن أفكر، وهويت بقبضتي على فكه، ثم ركلته بقدمي في بطنه وهو يسقط، ما جعله يتدحرج على الرصيف. ونظرت بسرعة حولي فوجدت نفسي أقف هناك، أحدِّق إلى فتى يلهث مختنقًا طلبًا للهواء ثم شرع في البكاء. وكان حذائي مرفوعًا كي أركله في حلقه، وأسحق قصبته الهوائية. كان البشر الواقفون حوله يُحدِّقون إليَّ في رعب، وكانت أعصابي متوترة، لكنه توتر المترقب. كنت مستعدة للمزيد.

أظن أنه كان يغازلني.

ولا أتذكر أنني قررت أن أضربه عن عمد.

قالت تارين: «هيا بنا!». وجذبت ذراعي، وركضنا نحن الثلاث مبتعدات. فيما صاح شخص ما.

ونظرت بجانب وجهي، فرأيت أحد أصدقاء الصبي يطاردنا، وصاح غاضبًا: «أيتها الوغدة! أيتها الوغدة المجنونة! مايلو ينزف!».

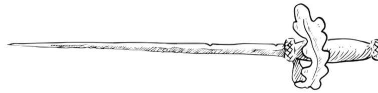
همست فيفي ببضع كلمات، وجعلت شيئًا ما يتحرك خلفنا. وبينما تفعل بدأ العشب في النمو، مُحدِثًا فجوات في الأسفلت على نطاق أوسع، وتوقف الصبي حينما مرَّ شيء ما غائم الملامح مُندفِعًا بجواره، فاحتلت نظرة حيرة وجهه، ثم أخذ يركض بين صف من السيارات كأنه لا يعرف إلى أين يذهب. ولأنه كأي بشري لا يعرف أية حيلة أو تعويذة سحرية، وأنا واثقة تمامًا بذلك. فإنه لن يجدنا أبدًا.

توقفنا بالقرب من حافة موقف السيارات، وشرعت فيفي على الفور في الضحك. وقالت: «سيكون مادوك فخورًا للغاية؛ فقد تذكرت ابنته الصغيرة كل فنون تدريبها وتجنبت الاحتمال المرعب بأن تحظى ببعض الرومانسية والمغازلة من صبي عابث».

كنت مذهولة جدًّا لدرجة أنني لم أستطع قول أي شيء. كان ضربي لهذا الصبي أكثر الأشياء صدقًا التي فعلتها منذ وقت طويل، وشعرت بأنني أكثر من رائعة. لكنني في الوقت نفسه لم أشعر بأي فخر، بل مجرد شعور جميل يقوم على أساس غير مفهوم.

قلت لفيفي: «اعلمي. لا يمكنني العودة إلى هذا العالم. انظري ماذا يمكن أن أفعل بأهله».

ولم يكن لديها رد على ما قلت.



فكرتُ فيما فعلته مع ذلك الفتى طوال طريقي إلى المنزل، ثم مرة أخرى في المدرسة. كان هناك معلم، جاء من مملكة تقع بالقرب من الساحل، يشرح كيف تذبل الأشياء وتموت. ألقى كاردان إلي نظرة ذات دلالة، والمعلم يشرح معنى التحلل، أي التعفن. لكن ما كنت أفكر فيه هو السكون الذي شعرت به عندما ضربت ذلك الصبي. فكرت في هذا إلى جانب البطولة الصيفية التي ستقام غدًا.



لقد حلمت بانتصاري هناك. ولن يمنعني أي من تهديدات كاردان من ارتداء الجديلة الذهبية والقتال بأقصى ما أستطيع. والآن، فإن تهديداته هي السبب الوحيد الذي يدفعني إلى القتال وأن أحظى بالمجد المتمثل في عدم التراجع.

عندما أخذنا استراحة لتناول الطعام، تسلقنا أنا وتارين شجرة لأكل الجبن وكعك الشوفان الممزوج بجيلي الكرز. ثم نادتني فاند، راغبةً في معرفة سبب عدم حضوري التدريب على الحرب الوهمية.

قلت لها بصوتٍ عالٍ: «لقد نسيتُ». وهو أمر لا يُصدق في حالتي أنا بشكل خاص، لكني لم أعد أهتم.

وسألتني: «لكن أَلستِ ستقاتلين غدًا؟». إذا انسحبتُ، فستضطر فاند إلى إعادة ترتيب الفرق المشاركة.

ألقت تارين إليَّ نظرة مفعمة بالأمل، لعلي أجيب بما يجب عليَّ قوله.

لكنني قلت: «سوف أحضر». لقد أجبرتني كبريائي على هذا.

أوشكت الدروس على الانتهاء عندما لاحظت أن تارين تقف بجانب كاردان، بالقرب من دائرة الأشجار الشائكة، وهي تبكي. فمن المؤكد أنني لم أكن منتبهة لحدوث ذلك، إذ إنني انشغلت كثيرًا في جمع كتبنا وأشيائنا ووضعها في السلتين. إنني لم أرَ حتى كاردان وهو ينتحي بأختي جانبًا. أعلم أنها كانت ستفعل ذلك، بغض النظر عن العذر الذي ستتعلل به. إنها لا تزال تعتقد أننا إذا فعلنا ما يريدون فسوف يشعرون بالملل ويتركوننا وشأننا، ربما كانت على حق. لكني لا أكترث.

كانت الدموع تجري على خديها.

هناك بئر عميقة من الغضب داخلي.

أنتِ لستِ قاتلة، ترددت عبارة مادوك في ذهني مجدَّدًا.



تركتُ كتبي، وعبرت العشب باتجاههما وخلال استدارة كاردان نحوي دفعته بقوة لدرجة أن ظهره اصطدم بإحدى الأشجار، واتَّسعت عيناه في ذهول.

قلت له: «لا أعرف ما قلته لها، لكن إياك أن تقترب من أختي مرَّة أخرى». ثم أتممت بينما لا تزال يدي موضوعة على سترته الناعمة. «لقد قطعت لها وعدًا».

كان بوسعي أن أشعر بعيون جميع الطلاب الآخرين وهي مُثبَّتة عليَّ، لقد شدهوا جميعًا.

وللحظة، ظلَّ كاردان يحدِّق إليَّ بعينيه السوداوين كسواد الغراب. ثم تجعَّدت إحدى زوايا فمه في غضب، وقال: «أوه. سوف تندمين على فعلتك هذه».

لا أعتقد أنه كان يدرك مدى غضبي أو مدى شعوري بالرضا، ولو لمرة واحدة، للتخلي عن الندم على فعل شيء أردته.





الفصل 9



لم تخبرني تارين بما قاله لها الأمير كاردان. وأصرت على أن الأمر لا علاقة له بي، وأنه لم يحنث بوعده بعدم تحميلها المسئولية عن سلوكي السيئ، وأنني يجب ألا أقلق بشأنها وأكتفي بالقلق على نفسي.

قالت لي: «دعكِ من هذا الأمر يا جود». وجلست أمام المدفأة في غرفة نومها تشرب بعضًا من شاي نبات القراص في كوب فخاري يأخذ هيئة ثعبان ذيله ملفوف على شكل مقبض. كانت ترتدي ثوبها القرمزي، الذي يشبه لونه ألسنة اللهب في الموقد. أحيانًا عندما أنظر إلى تارين، يبدو مستحيلًا أن تكون ملامح وجهها كوجهي. إنها تبدو رقيقة وجميلة مثل فتاة في لوحة فنية. مثل فتاة باطنها كظاهرها.

ضغطت عليها قائلةً: «أخبريني فقط بما قاله».

قالت تارين: «ليس هناك ما يقال. أنا أعرف ماذا أفعل».

«وما ذاك الذي تفعلينه؟». سألتها، وحاجباي يرتفعان في تعجب، لكنها تنهدت فحسب.

لقد خضنا ثلاث جولات مثل هذه من الحوار بالفعل، وظللت طوال الوقت أسترجع منظر كاردان وهو يسدل رموشه بتراخ على عينيه البراقتين كالفحم. لقد بدا مبتهجًا، فرحًا، كما لو أن قبضتي التي جذبت قميصه كانت بالضبط ما يوده، كما لو أنني إن ضربته، فسيكون ذلك فقط لأنه هو من جعلني أفعل ذلك.

قلت لها وأنا ألكزها في ذراعها: «يمكنني أن أزعجك بتساؤلاتي فوق التلال وفي الوديان أيضًا. سأطاردك من صخرة إلى أخرى في كل مكان عبر الجزر الثلاث حتى تخبريني بشيء».

قالت: «أعتقد أنه يمكن لكلينا التعامل مع هذا الأمر بشكل أفضل، وتقبله. إذا لم يضطر أي شخص آخر غيرنا إلى رؤيته». ثم تناولت رشفة طويلة من الشاي.

«ماذا؟». كنت مندهشةً لعدم معرفة ما ينبغي عليَّ قوله في المقابل. ثم قلت: «ماذا تقصدين؟».

«أقصد أنني يمكنني تحمل المضايقات وإجباري على البكاء بصورة أفضل إذا لم تعرفي ذلك. ولا يمكنني التظاهر بأن يومي كان على ما يرام وأنت شاهدة على ما حدث بالفعل. ففي بعض الأحيان يجعلني هذا لا أحبك»، لقد حدَّقَت إليَّ بثبات، كما لو كانت تُقيِّم مقدار الحقيقة التي يمكنني تَحمُّل تلقِّيها.

قلت لها متعجبة: «هذا ليس عدلاً!».





هزَّت كتفيها، وقالت: «أعلم. ولهذا السبب أخبرك. لكن ما قاله كاردان لي لا يهم، وأريد فعلًا أن أتظاهر بأن ذلك لم يحدث، لذا أريدك أن تتظاهري معي بهذا. فلا تذكيرات، ولا أسئلة، ولا تحذيرات».

مع شعوري بالألم مما قالته، وقفت وسرت إلى رف الموقد وأسندت رأسي إلى الحجر المنحوت. لا يمكنني إحصاء عدد المرات التي أخبرتني فيها بأن العبث مع كاردان وأصدقائه أمر غبي. ومع ذلك، وبالنظر إلى ما قالته الآن، فإن كل ما جعلها تبكي هذا المساء لا علاقة له بي. ما يعني أنها واجهت نوعًا ما من المشكلات بمفردها.

قد يكون لدى تارين الكثير من النصائح التي تقدمها، لكنني لست متأكدة من أنها شخصيًّا ستعمل بها كلها.

سألتها: «إذن ماذا تريدين مني أن أفعل؟».

قالت: «أريدك أن تصلحي الأمور معه. إن الأمير كاردان لديه نفوذ مطلق. ولا يوجد أدنى احتمال للتغلب عليه مهما كنتِ شجاعة أو ذكية أو قاسية كذلك يا جود. فلتُنهي هذا، قبل أن تتأذي بشدَّة».

نظرت إليها وأنا عاجزة عن فهمها. لقد صار تجنُّبُ غضب كاردان الآن أمرًا مستحيلًا. لقد أبحرت السفينة بالفعل - بل احترقت في الميناء كما يقولون. قلت لها: «لا أستطيع».

«لقد سمعتِ ما قاله الأمير كاردان عند النهر - إنه يريدك فقط أن تستسلمي. وتصرفك كأنك لست خائفة منه يُعَدُّ ضربة لكبريائه، ويجرح مكانته». ثم أمسكت برسغي وجذبتني نحوها، وكان بوسعي أن أشتمَّ رائحة الأعشاب الحادَّة التي كانت تحتسي نقيعها في أنفاسها. «أخبريه بأنه فاز وأنك خسرت إنها مجرد كلمات. وليس عليك أن تعنيها بالفعل».

هززت رأسي مُحتجَّةً.

فواصلت كلامها قائلةً: «لا تقاتليه غدًا».

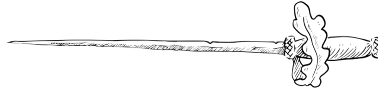
قلت لها: «لن أنسحب من البطولة».

قالت: «حتى لو لم تجلب لك سوى المزيد من الويلات؟».

قلت: «حتى لو حدث ذلك».

قالت مصرة: «افعلي شيئًا آخر. ابحثي عن طريقة أخرى. وأصلحي الأمر قبل أن يفوت الأوان».

فكَّرتُ في كل الأشياء التي لن تقولها، وكل الأشياء التي كنت أتمنى أن أعرفها. لكن بما أنها تريدني أن أتظاهر بأن كل شيء على ما يرام، فكل ما يمكنني فعله هو ابتلاع أسئلتي، وتركها لمعاناتها المجهولة.



في غرفتي، وجدت ملابس البطولة موضوعة على فراشي، معطرة برائحة أزهار الفيربينا واللافندر.

إنها عبارة عن سترة ذات بطانة رقيقة ومُخيطة بخيط معدني والشعار المرسوم عليها عبارة عن هلال منقلب على جانبه مثل الكوب، مع وجود قطرة حمراء اللون كالدم تسقط من إحدى الزوايا وخنجر أسفل كل هذا. إنه شعار مادوك.

لا يمكنني أن أرتدي هذه السترة غدًا وأفشل، وإن فشلت فسأُلحِق العار بأسرتي. ومع أن إحراج مادوك قد يمنحني متعة مضادة، وذلك كانتقام بسيط لحرماني من لقب فارسة، إلا أنني سأُحرِج نفسي أيضًا.

ما يوَدُّون مني أن أفعله هو العودة إلى إبقاء رأسي منخفضًا. أن أكون لطيفة ومهذبة، لكن بلا تميُّز يُذكر. أن أدع كاردان وأصدقاءه يُبرِزون مهاراتهم، وأن أدَّخِر مهارتي لمفاجأة الأمراء والنبلاء عندما يمنحني مادوك الإذن بالسعي للحصول على لقب فارسة. هذا إن حدث ذلك.

هذا ما ينبغي عليَّ فعله.

ألقيت السترة على الأرض واندسست تحت الأغطية، ثم سحبتها حتى غطَّت رأسي حتى أختفي قليلًا، وأعيد استنشاق أنفاسي الدافئة. أنا أنام بهذه الطريقة.

في فترة ما بعد الظهر، عندما استيقظت كانت الملابس مُجعَّدة، ولا ألوم أحدًا غير نفسي.

قالت تاترفيل وهي تُمشط شعري لصنع ضفائر مُحكَمة كتلك الخاصَّة بالمُحاربات: «أنتِ فتاة حمقاء. ولديك ذاكرة كذاكرة عصفور».

في طريقي إلى المطبخ، مررت بمادوك في الصالة، كان يرتدي ملابس خضراء بالكامل، ويبدو التجهم على وجهه.

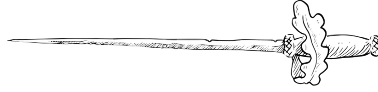
ثم قال: «انتظري لحظة». ففعلت.

بدا عابسًا وهو يستطرد: «أنا أعرف ما يعنيه أن يكون المرء شابًّا ومُتعطِّشًا للمجد».

عضضت شفتي ألمًا، ولم أقل شيئًا. فعلى الرغم من كل شيء، لم يطرح عليَّ السؤال الذي كنت أنتظره. وقفنا هناك، ينظر كلٌّ منا إلى الآخر، وقد ضاقت عيناه اللتان تشبهان عيون القطط. إن هناك الكثير من الأشياء التي لم تُقل بيننا - والكثير من الأسباب التي تجعلنا لا نملك إلا أن نكون مثل الأب وابنته، لكننا لم نلعب الدورين بشكل كامل قطُّ. ثم قال في النهاية: «سوف تعرفين أن هذا هو الأفضل لكِ. استمتعي بمعركتك».

أعطيته انحناءة كبيرة، واتَّجهت إلى الباب، وتخلَّيت عن رغبتي في الذهاب إلى المطبخ. كل ما أريد فعله هو الابتعاد عن المنزل، وعن التذكير بأنه لا مكان لي في البلاط الملكي، ولا مكان لي في أرض الجان.

ما تفتقرين إليه ليست له علاقة بالتمرس والخبرة.



تُقام البـ ... إلى درجة تتطلب مني ركوب حيوان ما، وهو في هذه الحالة فرس رمادية شاحبة اللون مربوطة بجانب ضفدع. ظلَّ الضفدع يراقبني بعينين ذهبيتين وأنا أضع السرج على الفرس، وألقي بنفسي على ظهرها. وقد وصلت إلى وجهتي وأنا في مزاج متعكر، ومتأخرة قليلًا، وقلقة، وجائعة.

كان الحشد قد تجمَّعَ بالفعل حول الخيمة التي سيجلس فيها الملك السامي إلدريد وبقية أفراد العائلة المالكة. وهناك رايات طويلة بلون القشدة ترفرف في الهواء وترفع شعار إلدريد - شجرة نصفها أزهار بيضاء ونصفها أشواك، وتتدلى الجذور تحتها والتاج فوقها. اتِّحاد ممالك سيلي، وممالك إنسيلي، والجنيات البريات، تحت تاج واحد. إنه حلم سلالة جرينبريال.

الابن البكر المنحل، الأمير بالكين، مسترخ على كرسي منحوت وحوله ثلاثة مرافقين وشقيقته الأميرة ريا - الصيادة - تجلس بجانبه بينما تتبع عيناها المقاتلين المحتملين، وهم يجهزون أنفسهم على الأرض.

انتابتني موجة من الإحباط المخيف عندما تجاهلتني نظراتها. لقد أردت بشدَّة أن تختارني لأكون واحدة من فرسانها. ومع أنها لا تستطيع الآن اختياري فإن خوفًا فظيعًا مُفاجِئًا بأني لن أتمكَّن من إثارة إعجابها أبدًا قد انتابني، ربما كان مادوك مُحِقًّا. ربما أفتقر إلى غريزة التعامل مع الموت.

إذا لم أحاول جاهدة اليوم، فعلى الأقل لن أحتاج بعد ذلك إلى معرفة ما إذا كنت مقاتلة جيدة بما فيه الكفاية أم لا.

ستنطلق مجموعتي أوَّلًا لأننا الأصغر سنًّا. ونحن ما زلنا في مرحة التدريب، فنستخدم السيوف الخشبية بدلًا من الصلب الحقيقي، على عكس من يأتون بعدنا. تستمر النزالات طوال اليوم، وتتخللها عروض شعرية، وبعض أعمال السحر البارعة، وعروض الرماية، ومهارات أخرى وأستطيع أن أشم رائحة شراب ذي نكهة مميزة في الهواء، لكن لم أشم بعد العطر الحقيقي للبطولات - أي الدم المراق حديثًا.

نظمتنا فاند في صفوف، ووزعت شارات من الفضة والذهب لنلفها حول أذرعنا. كانت بشرتها الزرقاء تزداد بريقًا تحت السماء الساطعة. وكانت درعها مطلية بدرجات مُتفاوِتة من اللون الأزرق أيضًا، من لون المحيط إلى لون التوت مع وجود وشاحها الأخضر الذي يمتد بعرض درعها المعدنية على صدرها. إنها سوف تبرز من بين الجميع بغض النظر عن مدى بلائها في المسابقة. وهي مخاطرة محسوبة. فإذا أدت بشكل جيِّد، فلا يمكن للجمهور أن يغفل عن ملاحظتها، لكن يتعيَّن عليها في كل الأحوال أن تحسن الأداء.

عندما اقتربت من الطلاب الآخرين بسيوفهم التدريبية سمعتهم يهمسون باسمي. نظرت حولي وأنا متوترة لأدرك أنني صرت محط الأنظار بطريقة جديدة. أنا وتارين دائمًا محط أنظار الآخرين لأننا بشر، لكن ما يجعلنا متميزتين هو أيضًا ما يجعلنا غير جديرتين بنيل الكثير من الاحترام. أما اليوم فلم يكن الأمر كذلك. يبدو أن أبناء الجان يحبسون أنفاسهم في انتظار أن يروا ماذا سيكون عقابي لتهجمي على كاردان في اليوم السابق، وفي انتظار معرفة ماذا سأفعل بعد ذلك.

نظرت عبر الميدان إلى كاردان وأصدقائه بشاراتهم الفضية على أذرعهم. كان كاردان يرتدي شيئًا فضيًّا على صدره أيضًا، عبارة عن درع من الفولاذ اللامع ينسدل من فوق كتفيه، وقد بدا وسيلة للزينة أكثر من كونه وسيلة للحماية. بينما ابتسم لي فاليريان ابتسامة متكلفة.

لم أرضِ رغبته بالرد عليه بابتسامة متكلفة مماثلة.

أعطتني فاند شارة ذهبية، وأخبرتني أين أقف. كانت هناك ثلاث جولات في الحرب الوهمية، وفريقان سيتقاتلان وكان كل فريق يرتدي عباءة تخفٍّ لحمايته- عباءة من جلد الغزال الأصفر، وأخرى من فرو الثعلب الفضي.

شربت بعض الماء من إبريق معدني مُعد للمشاركين، وبدأت الإحماء. اضطربت معدتي بسبب نقص الطعام، لكنني لم أعد أشعر بالجوع، بل كنت أشعر بالغثيان؛ فقد توترت أعصابي، وحاولت أن أتجاهل كل شيء ما عدا التمارين التي أتحرك فيها لتليين عضلاتي.

ثم حان الوقت. انتقلنا إلى الميدان، وحيينا مجلس الملك السامي مع أن إلدريد لم يكن قد

وصل بعد. وكان الحشد أقل مما سيكون عليه قرب غروب الشمس. كان الأمير داين موجودًا هناك، وإلى جانبه مادوك، فيما الأميرة إلوين كانت تعزف على العود برقة. وحضرت فيفي وتارين للمشاهدة، مع أنني لم أرَ أوريانا ولا أوك. أشارت إليَّ فيفي من بعيد بسيخ عليه قطع من الفاكهة البراقة، ما جعل الأميرة ريا تضحك.

وكانت تارين تراقبني باهتمام، كما لو كانت تحاول تحذيري بنظراتها. وكأنما تقول لي أصلحي ما أفسدتِه.

طوال المعركة الأولى، قاتلت بشكل دفاعي. تجنبت كاردان، ولم أقترب من نيكاسيا، أو فاليريان، أو لوك، حتى عندما أسقط فاليريان فاند في الوحل. وحتى عندما مزَّقَ فاليريان عباءة التخفي المصنوعة من جلد الغزال الخاصَّة بنا.

لم أفعل شيئًا أيضًا.

ثم دعينا إلى الميدان لخوض المعركة الثانية.

كان كاردان يسير خلفي، وركل بإحدى قدميه الأرض المغطاة بالحشائش ما أدى إلى ارتفاع سحابة من الغبار، ثم قال: «أنتِ مطيعة اليوم. هل حذَّرتكِ أختك؟ إنها ترغب في إرضائنا كثيرًا. أظن أنني إذا طلبت منها، فسوف تتقلب هنا على هذه الأرض حتى يتحوَّل ثوبها الأبيض إلى اللون الأخضر ثم تشكرني على شرف تفضلي عليها بمثل هذا الطلب». ابتسم، ومال نحوي كما لو كان يخبرني بسر، وقال ليتم سخريته واستفزازه: «ولا يعني هذا أنني سأكون أوَّل من يفعل ذلك معها».





تبخرت نياتي الحسنة، وذهبت مع الريح، واشتعلت النار في صدري، وغلى الدم في عروقي، ليس لدي الكثير من القوة، ولكن هذا ما لدي - يمكنني دفعه إلى محاولة إيذائي. وقد يرغب كاردان في إيذائي، لكن يمكنني أن أجعله يرغب في فعل ذلك بجنون. كان من المفترض أن نلعب دور من ينخرطون في معركة. وعندما نادونا إلى أماكننا، لعبتُ. لعبت بشراسة قدر الإمكان. وقد كُسر سيف التدريب الخاص بي فوق سترة كاردان الفولاذية السخيفة. وارتطمت كتفي بكتف فاليريان بشدة لدرجة أنه تهاوى للخلف. هاجمت مرارًا وتكرارًا، وأسقطت أي شخص يرتدي شارة فضية، وعندما انتهت الحرب الوهمية، صار محجرا عينيَّ أسودين، وتسلَّخت كلتا ركبتيْ، وفاز الجانب الذهبي في المعركتين الثانية والثالثة.

قال مادوك لي من قبل: أنتِ لستِ قاتلة.

أشعر الآن بأنني أستطيع أن أكون كذلك.

صفق الحشد، وبدا الأمر كما لو أنني استيقظت فجأة من حلم، إذ إنني نسيت بالفعل وجودهم. ثم ألقت إحدى الجنيات بتلات الزهور علينا، ومن المدرجات، حيتني فيفي برفع كأس من الشراب، بينما صفقت الأميرة ريا برقة. لم يكن مادوك جالسًا في الخيمة الملكية، وقد غادر بالكين أيضًا، ومع ذلك كان الملك السامي إلدريد موجودًا هناك، جالسًا على منصة مرتفعة قليلًا وهو يتحدَّث مع داين، وتعبيرات وجهه غير واضحة.

بدأت أرتجف في كل موضع من جسدي؛ فقد نفد مني الأدرينالين. وكان رجال الحاشية، الذين ينتظرون مشاهدة معارك أفضل، يفحصون كدماتي ويقيمون براعتي الفائقة. لكن لا أحد منهم بدا معجبًا بي بشكل خاص، لقد بذلت قصارى جهدي، وحاربت بقوَّة قدر المُستطاع، ولم يكن ذلك كافيًا، حتى مادوك لم يمكث للمشاهدة.

تهدلت كتفاي في إحباط.

والأسوأ من ذلك أن كاردان كان في انتظاري عندما خرجت من الميدان. لقد أذهلني تعاليه، وأذهلتني النظرة المتغطرسة التي يضعها على وجهه كالتاج على الرأس. سيبدو أميرًا حتى إن ارتدى خرقًا بالية. أمسك كاردان وجهي بإحدى يديه، وانغرست أصابعه في رقبتي



واصطدمت أنفاسه بخدّي، وشدت يده الأخرى شعري ولفته كحبل. وقال لي في حنق: «هل تعرفين ما معنى فانٍ؟ يعني ولد ليموت. يعني استحقاق الموت. هذا ما أنتِ عليه، ما يميزك - حتميّة الموت. ومع ذلك، ها أنت واقفة عازمة على أن تتحديني حتى وأنت تتحللين على مهل من الداخل إلى الخارج، أيتها المخلوقة الفاسدة، البالية، الفانية. أخبريني عن كيفية فعلك لهذا، هل تظنين حقًّا أنه يمكنك الفوز ضدي؟ ضد أمير مملكة الجان؟».

ابتلعت ريقي بصعوبة، وقلت: «لا».

كانت عيناه السوداوان تغليان من الغضب. وقال: «إذن، فأنتِ لا تفتقرين تمامًا إلى قدر ضئيل من مكر الحيوانات. حسنًا. والآن توسّلي الصفح مني».

تراجعتُ خطوةً للوراء مُحاوِلةً التخلص من قبضته. فأمسك بضفيرتي وهو يُحدِّق إلى وجهي بعينين شرستين وابتسامة صغيرة مُروِّعة. ثم فتح قبضته وتركني أتهاوى للخلف، فتطايرت بضع خصلات متناثرة من شعري في الهواء.

في مجال رؤيتي، رأيت تارين تقف مع لوك بالقرب من مكان يرتدي فيه فرسان آخرون دروعهم. وقد نظرت إليَّ مُتوسِّلةً كأنَّها هي من يحتاج إلى الخلاص.

قال كاردان: «اجثي على ركبتيك»، وبدا سعيدًا بنفسه على نحو لا يطاق ثم تحوَّلَ غضبه إلى شماتة. وقال: «توسلي. اجعليه توسُّلًا جميلًا، بديعًا، يليق بي».

كان أبناء النبلاء الآخرون يقفون حولنا وهم يرتدون ستراتهم المُبطَّنة، وسيوفهم التدريبية، ويراقبون على أمل أن يكون سقوطي ممتعًا. هذا هو العرض الذي كانوا يتوقعونه منذ أن تصديت له، ووقفت في وجهه. إن هذه ليست حربًا وهمية. إنها حقيقية.

ردَّدتُ كلمته في استنكار: «أتوسَّل؟».



بدا متفاجئًا للحظة، لكن سرعان ما استبدل بهذا الشعور خبثًا أكبر. وقال: «أنتِ تحدَّيتِني عِدَّة مرات. وأملك الوحيد هو أن تُلقي بنفسك طلبًا لرحمتي أمام الجميع. افعليها وإلا سأستمر في إيذائك حتى لا يتبقى منك شيء يحتمل الإيذاء».

فكَّرت في الأشكال المظلمة لتلك الجنيات الشرسة في الماء، وذلك الجني الصبي في الحفلة، وهو ينتحب على جناحه الممزق. فكَّرت في وجه تارين الغارق في الدموع. وفكَّرت كيف أن ريا لم تكن لتختارني قط، وكيف أن مادوك لم ينتظر كذلك ليرى نهاية المعركة.

لا عيب في الاستسلام. وكما قالت تارين، إنها مجرد كلمات. لا يتوجب عليَّ أن أعنيها. وبوسعي الكذب.

بدأت أجثو على الأرض. سينتهي هذا بسرعة. وستبدو كل كلمة كالعلقم. ولكن بعد ذلك سينتهي الأمر.

ولكني عندما فتحت فمي، لم يخرج منه شيء، ولم أستطع فعل هذا.

بدلًا من ذلك، هززت رأسي من الإثارة التي اعترتني بشأن الجنون المطلق الذي أنا على وشك ارتكابه. إنها أشبه بإثارة القفز دون أن تكون قادرًا على رؤية الأرض أسفل منك، قبل أن تدرك أن هذا ما يسمى فعليًّا السقوط. قلت له، وأنا أنظر إلى تلك العينين السوداوين: «هل تظن لمجرد أنك تستطيع إذلالي، أنك تستطيع التَّحكُّم بي؟ حسنًا، أعتقد أنك غبي. ومنذ أن بدأنا نتعلَّم معًا، وأنت تبذل قصارى جهدك لتجعلني أشعر بأنني أقل منك. ولإرضاء غرورك، جعلت نفسي أقل منك. لقد جعلت نفسي صغيرة، وأبقيت رأسي مُنحنِيًا. لكن ذلك لم يَكُن كافيًا لجعلك تتركنا أنا وتارين وشأننا، لذا لن أفعل ذلك بعد الآن.

سأستمر في تحديك، وسوف اجعلك تشعر بالخزي بتحديَّ لك. أنت تذكرني بأنني مجرد فانية وأنك أمير الجان، حسنًا، دعني أذكرك بأن هذا يعني أن لديك الكثير لتخسره أما أنا فلا. قد تربح في النهاية، وقد تزعجني وتؤذيني وتُهينني، لكنني سأحرص على أن تخسر كل ما



يمكنني أخذه منك في الطريق. أعدك بهذا - ثم أعدت كلماته على مسامعه - «هذا أقل ما يمكنني فعله».

نظر إليَّ كاردان كما لو أنه لم يرني من قبل. نظر إليَّ كما لو أنه لم يتحدَّث معه أحد بهذه الطريقة من قبل. وربما لم يفعل أحد هذا حقًّا.

استدرت مُبتعدةً عنه، وبدأت المشي، مُنتظرةً أن يُمسك كاردان بكتفي ويُلقي بي على الأرض، مُنتظرةً أن يعثر على قلادة توت الروان حول رقبتي وينتزعها وينطق بالكلمات السحرية التي ستجعلني أعود زاحفة إليه، وأتوسل على الرغم من كلماتي الجريئة تلك، لكنه لم يقل شيئًا، وشعرت بنظراته إليَّ من خلفي وهي تلفحني كالنار. وكل ما كان يمكنني فعله في هذه اللحظة هو ألا أجري.

لم أجرؤ على النظر ناحية تارين ولوك، لكني ألقيت نظرة خاطفة على نيكاسيا وهي تُحدِّق إلى وجهي فاغرةً فمها في ذهول، بينما كان فاليريان يبدو حانقًا، وقبضتاه مُكوَّرتان على جانبي جسده في حالة من الغضب الصامت.

تجاوزت خيام البطولة إلى نافورة حجرية، حيث رششت وجهي بالماء وانحنيت، وبدأت تنظيف ركبتي من الحصى. شعرت بتصلب ساقي، على الرغم من ارتجاف باقي أنحاء جسدي.

«هل أنتِ بخير؟» سألني لوك وهو يُحدِّق بعينيه البنيتين اللتين تشبهان عينَيْ الثعلب. كما لم أسمع خطوات قدميه هو يقترب مني.

أنا لستُ كذلك.

لستُ بخير، لكنه لا يعرف ذلك، وينبغي ألا يسأل. «ما الذي يهمك من أمري؟» قلتها والكلمات تتناثر من فمي. والطريقة التي نظر بها إليَّ جعلتني أشعر بأني مثيرة للشفقة أكثر من أي وقتٍ مضى.





ثم اتَّكأ على النافورة، وترك ابتسامة متعاطفة تنبت على فمه ببطء، ثم قال: «إنه أمر مضحك، هذا كل شيء».

ردَّدتُ كلامه بغضب: «مضحك؟ أتظن هذا مضحكًا؟».

هزَّ رأسه وهو لا يزال مُبتسِمًا. «لا. من المضحك مشاهدة كيف أزعجته وأثرتِ غضبه وذهوله».

في البداية، لم أكن متأكدة من أنني سمعت ما قاله بشكل صحيح، وكنت أسأله عمن يتحدث؛ لأنني لا أصدق أنه يعترف بأن كاردان المُتعالي والقوي، يتأثَّر بأي شيء، قلت: «أتعني مثل شظية تؤرق جسد من تصيبه على الدوام؟».

«شظية من الحديد. لم يُضايقه أحدٌ من قبل مثلما تفعلين أنتِ». ثم التقط منشفة وبللها، ثم جثا على ركبتيه بجانبي، ومسح وجهي بعناية. شهقت عندما لمست قطعة القماش الباردة الجزء الحساس من عيني، لكنه كان ألطف كثيرًا مما لو كنت سأفعل ذلك بنفسي. لقد بدا وجهه رصينًا ومُركِّزًا على ما يفعله ولم يبد أنه لاحظ تفحُّصي إياه، ووجهه الطويل، وذقنه المُستدق، وشعره الأحمر المُتجعد المائل قليلًا إلى اللون البني، والطريقة التي تعكس بها رموشه الضوء. وبعد ذلك لاحظ تفحُّصي إياه. فنظر إليّ، ونظرت إليه، وهو أغرب شيء؛ لأنني اعتقدت أن لوك لن يُعنى أبدًا بشأن شخص مثلي، لكنه فعل، وابتسم كما فعل في تلك الليلة في القصر، كما لو كنا نتشارك سرًّا.

وقال: «استمري في ذلك».

فتساءلت عن مغزى هذه الكلمات. أيمكن أنه يعنيها حقًّا؟

وخلال عودتي إلى ساحة البطولة مع شقيقتي، لم أستطع التوقف عن التفكير في وجه كاردان المصدوم، ولا التوقف عن التفكير في ابتسامة لوك. أنا لست متأكدة تمامًا أيهما أكثر إثارة بالنسبة لي وأيهما أكثر خطورة عليَّ.











الفصل
10



مرَّت بقية البطولة الصيفية بشكل ضبابي، فلم أتابع الكثير من أحداثها ودخل المحاربون المحترفون في معارك فردية بعضهم ضد بعض، وقاتل كلٌّ منهم من أجل نيل شرف إثارة إعجاب الملك السامي وحاشيته. الغيلان والمردة، العفاريت والجنيات، جميعهم انخرطوا في رقصة المعركة المميتة.

وبعد بضع جولات، أرادت منا فيفي أن نخرج من بين الحشد لنشتري المزيد من أعواد الفاكهة البراقة. وظللت أحاول جذب انتباه تارين والحديث معها، لكنها لم تسمح لي بذلك. أردت أن أعرف ما إذا كانت غاضبة. وأردت أن أسأل عما قاله لها لوك عندما كانا يقفان معًا، مع أن هذا قد يكون هو بالضبط السؤال الذي قد ترفض إجابتي عنه.



لكن المحادثة مع شخص مثل لوك لا يمكن أن تكون من النوع المهين لها، من النوع الذي تحاول التظاهر بأنه لم يحدث أصلًا، أليس كذلك؟ وبالتأكيد ليس بعد أن أخبرني بالفعل بأنه مسرور لإذلال كاردان، وهو ما جعلني أفكر في السؤال الآخر الذي لا يمكنني طرحه على تارين.

ما قاله كاردان من أنه ليس أوَّل من يعبث معها. إن الجان لا يكذبون. وكاردان لم يكن بإمكانه قول ذلك لو لم يعتقد أنه صحيح - ولكن لماذا يعتقد ذلك؟

قرعت فيفي عود الفاكهة الخاص بها بعودي، لتخرجني من شرودي وقالت: «نخب جود البارعة التي جعلت الجان يتذكَّرون سبب بقائهم في عرباتهم وتلالهم معزولين عن البشر، خوفًا من ضراوة هذه الكائنات الفانية».

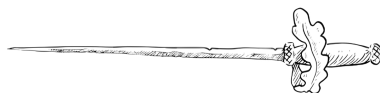
استدار رجل طويل القامة بأذنين متدليتين كالأرنب وعُرف ذي شعر بني كلون الجوز ليُلقي نظرة إعجاب على فيفي، فابتسمتْ له. وهززت رأسي، وأنا أشعر بالسرور لنخبها الذي حيَّتني به، حتى لو كانت هذه مبالغة منها إلى حد كبير، وحتى لو لم أثر إعجاب أحد سواها.

قالت تارين بصوتٍ خافت: «ليت جود كانت أقلَّ ذكاءً». التفتُّ إليها لكنها ابتعدت عني.

عندما عدنا إلى الساحة، كانت الأميرة ريا تعد نفسها لمباراتها. وكانت تحمل سيفًا رقيقًا يشبه إلى حد كبير دبوسًا طويلًا، وتمارس تمارين الإحماء بتوجيه طعنات إلى خصم مُتخيَّل استعدادًا لخصمها الحقيقي، وبجوارها صاح صديقاها تشجيعًا لها.

ظهر كاردان من جديد في الخيمة الملكية، مرتديًا ثوبًا كتانِيًّا أبيض فضفاضًا وتاجًا من الورد. وتجاهل الملك السامي والأمير داين وارتمى على كرسي بجانب الأمير بالكين الذي تبادل معه بضع كلمات بلهجة حادَّة تمنيت أن أكون قريبة بما يكفي لسماعها. وصلت الأميرة كايليا لحضور مباراة أختها، وصفقت بشدَّة عندما خرجت ريا إلى الساحة.

لكن مادوك لم يَعُد قطُّ.



عُدتُ إلى المنزل بمفردي. وسارت فيفي مع ريا بعد فوزها في مباراتها؛ إذ كانتا ذاهبتين للصيد في الغابة القريبة. ووافقت تارين على مرافقتهما، لكنني كنت مرهقةً جدًّا، ومتألمة جدًّا، ومتوترة جدًّا.

في مطبخ منزل مادوك، شويت بعض الجبن على النار، ودهنته على رغيف من الخبز. وجلست في الشرفة أتناول هذا الطعام وأحتسي كوبًا من الشاي وأشاهد الشمس تغرب وأنا أتناول غدائي.

تجاهلني الطاهي، وهو جني يُدعى واتل، واستمر في إلقاء التعاويذ على الجزر الأبيض ليُقطِّع نفسه.

وعندما انتهيت، مسحت الفُتات عن خدي وتوجَّهت إلى غرفتي.

توقف ناربون، وهو خادم ذو أذنين طويلتين وذيل يجره على الأرض، في القاعة عندما رآني. كان يحمل بين يديه الكبيرتين ذواتي المخالب، صينية بها أكواب صغيرة الحجم من خشب البلوط ودَوْرق فضي تنبعث منه رائحة شراب التوت الأسود. وكان زيه مشدودًا بإحكام على صدره، وتبرُز قطع من الفراء من فجواته.

قال بصوتٍ هادر يجعله يبدو مُتوعِّدًا بغض النظر عن مدى رِقَّة الكلمات التي يتحدَّث بها: «أوه، أنتِ موجودة في المنزل». وعلى الرغم مني، لم يسعني إلا التفكير في ذلك الحارس الذي عضَّ طرف إصبعي في الماضي. وبمقارنته بناربون، فإن أسنان هذا الأخير يمكنها أن تبتر يدي كلها بقضمة واحدة.

أَوْمَأتُ برأسي إيجابًا.

«الأمير يسأل عنك في الطابق السفلي».

كاردان، هنا؟ تسارعت دقّات قلبي، وشعرت بعجزي عن التفكير: «أين هو؟».

بدا ناربون متفاجئًا من رد فعلي، لكنه أجاب ببساطة: «في مكتب مادوك. كنت أحضر له



هذا الشراب....».

أخذتُ منه الصينية، ونزلت الدرج، عازمة على التخلص من كاردان بأسرع ما يمكن وبأية طريقة ممكنة. آخر شيء أحتاج إليه هو أن يسمع مادوك كلامه عن عدم احترامي ويقرر أنني لن أنتمي إلى حاشية الملك وخواصه أبدًا. إنه خادم لسلالة جرينبريال، وأقسم يمين الولاء لهم تمامًا مثل أي شخص آخر، ولن يحب وجود خلاف بيني وبين أحد الأمراء، ولو كان أقلهم شأنًا.

نزلت الدرج مسرعة، وضربت الباب بقدمي دخولًا إلى مكتب مادوك. فاصطدم مقبض الباب بأحد أرفف الكتب عندما دخلت، واهتزت الصينية بقوة كافية لجعل الأكواب التي عليها تتمايل.

ثم رأيت الأمير داين، وأمامه عِدَّة كتب مفتوحة على طاولة المكتبة. كانت خصلات شعره الذهبي المجعد مائلة على عينيه، وياقة سترته الزرقاء شاحبة اللون مفتوحة، فأظهرت طوقًا معدنيًّا فضيًّا ثقيلًا يلتفُّ حول عنقه، توقَّفتُ مدركةً الخطأ الجسيم الذي ارتكبته.

رفع حاجبيه، وقال: «جود. لم أتوقع أن تأتي بهذه السرعة». انحنيت انحناءة احترام كبيرة، وأملت أن يظنني خرقاء فحسب. ثم اعتراني الخوف بشدَّة وعلى نحو مفاجئ. أيمكن أن يكون كاردان هو من أرسله؟ هل هو هنا لمعاقبتي على وقاحتي؟ لا أستطيع أن أفكر في أي سبب آخر يبرر طلب الأمير داين، الفاضل الذي سيصبح قريبًا حاكم الجان، رؤيتي.

قلت والذعر يُلجم لساني: «أوه». ثم تذكرت في ارتياح كبير الصينية فأشرت إلى دورق الشراب، وتابعت: «تفضل. هذا من أجلك يا سيدي اللورد».

فالتقط كوبًا وسكب فيه القليل من الشراب الأسود الداكن. وقال لي: «هل ستشربين معي؟».

هززت رأسي، وشعرت بأنني عاجزة تمامًا، ثم قلت بخضوع: «الشراب سيُدير رأسي مباشرة».

أضحكه ما قلت، وعقَّب: «حسنًا، على الأقل ابقي معي بعض الوقت».





قلت: «بالتأكيد». هذا عرض لا يمكنني رفضه، وعندما جلست على ذراع أحد الكراسي الجلدية الخضراء، شعرت بقلبي ينبض ببطء. فسألته، وأنا لا أعرف كيف أواصل الحديث: «هل أحضر لك أي شيء آخر؟».

رفع كأسه كمن يُحيِّيني، وقال: «لدي ما يكفي، ما أرغب فيه هو المحادثة. ربما يمكنك أن تخبريني بما جعلك تدخلين المكتب بعنف. من كنت تظنينني؟».

قُلتُ بسرعة: «لا أحد». فركت إصبعي البنصر بإبهامي، وتحديدًا الجلد الناعم في موضع طرف الإصبع المقطوع.

اعتدل في جلسته، وشدَّ ظهره كما لو أنني أصبحت فجأةً أكثر إثارة للاهتمام. وقال: «ظننت أن أحد إخوتي يزعجك».

هززت رأسي نفيًا، وقلتُ: «لا شيء من هذا القبيل».

وقال، كما لو أنه يُقدِّم لي مجاملة رقيقة: «مذهل! أعلم أن بإمكان البشر الكذب، لكن مشاهدتك وأنت تفعلين ذلك أمر لا يصدق. افعليها مرة أخرى».

شعرت بسخونة تشملني، وكررت في تردُّد: «لم أكن... أنا...».

كرَّرَ بلطف: «افعليها مرة أخرى. لا تخافي».

وعلى الرغم من كلماته المطمئنة، فالأحمق فقط هو مَن لا يخاف. جاء الأمير داين إلى هنا ومادوك ليس في المنزل، ثم طلبني على وجه التحديد. لقد ألمح إلى أنه يعلم بأمر كاردان - ربما لمحنا بعد معركة الحرب الوهمية حينما كان كاردان يهز رأسي، وهو ممسك بجديلتي. لكن ماذا يريد داين؟

كنت أتنفس بشكل سريع للغاية.

داين، على وشك أن يُتوَّج ملكًا ساميًا، ولديه القدرة على منحي مكانًا في البلاط، والقدرة على

تخطي مادوك وجعلي فارسة. لو استطعت إثارة إعجابه، يمكنه أن يعطيني كل ما أريد، وكل شيء اعتقدت أنني فقدت فرصة تحقيقه.

رفعت وجهي لأعلى، ونظرت إلى عينيه الرماديتين الفضيتين. وقلت له: «اسمي جود دوارتي. وُلدت في الثالث عشر من نوفمبر 2001. ولوني المفضل هو الأخضر، وأحب رؤية الضباب وسماع الأغاني الحزينة، وتناول الزبيب المغطى بالشيكولاتة، ولا أستطيع السباحة. والآن أخبرني يا سيدي، في أي جزء كذبت؟ أم لم أكذب على الإطلاق؟ لأن الشيء العظيم في الكذب هو عدم تمييزه عن الصدق».

أدركت فجأةً أنه قد لا يأخذ أي تعهد مني بجدية خاصَّةً بعد هذا العرض الهزلي قليلًا. لكنه بدا سعيدًا، مع ذلك، وابتسم لي كما لو أنه وجد ياقوتة غير مصقولة مُلقاة في التراب. وقال: «والآن، أخبريني كيف يستفيد والدك من موهبتك الصغيرة».

فطرفت عيناي في حيرة.

فعقَّبَ في اندهاش: «حقا؟ لا يستفيد منها. يا للعار». أمال الأمير رأسه لتفحُّصي بعناية، ثم قال: «أخبريني بما تحلمين به، يا جود دوارتي، إذا كان هذا هو اسمك الحقيقي، أخبريني عما تريدين».

دقَّ قلبي بقوة في صدري، وشعرت بقليل من الدوار. بالتأكيد لا يمكن أن يحدث الأمر بهذه السهولة. الأمير داين، الذي سيصبح قريبًا الملك السامي لكل ممالك الجان، يسألني عما أريد. أنا بالكاد أجرؤ على الإجابة، ومع ذلك يتحتم عليَّ هذا.

قُلتُ بتوتر: «أنا - أريد أن أكون واحدة من فرسانك».

ارتفع حاجباه في دهشة، وقال: «هذا غير متوقع لكنه يسرني. وماذا أيضًا؟».

قلت: «لا أفهم». وشبكت يديَّ معًا حتى لا يرى كيف ترتجفان.

فاستطرد: «الرغبة شيء غريب. بمجرد أن تُشبعها، فإنها تتغيَّر. وإذا حصلنا على خيط ذهبي، فإننا سنرغب في إبرة ذهبية، إذن، يا جود دوارتي، أسألك عما تريدينه بعدما أجعلك من حاشيتي».

قلت، وأنا ما زلت في حيرة: «خدمتك. وأن أتعهَّد برفع سيفي لنصرة التاج».

لوَّحَ بيده ليوقفني، وقال: «لا.. لا، أخبريني عما تريدين حقًّا، اطلبي مني شيئًا ما. شيئًا لم تطلبيه قطُّ من أي شخص».

قُلتُ في نفسي: اجعلني خالدة، ثم شعرت بالرعب من نفسي، لا أريد ذلك خاصَّةً أنه لا توجد طريقة للحصول عليه، ولن أكون أبدًا واحدة من الجان.

أخذت نفسًا عميقًا. فإذا كان بإمكاني أن أسأله أية عطية، فماذا ستكون؟ أنا أفهم الخطر الكامن في عرضه بالطبع. فبمجرد أن أخبره بما أريد سيحاول عقد صفقة، ونادرًا ما تكون المساومات مع الجان في صالح البشر. لكن احتمالية اكتساب القوة تتأرجح بشدَّة أمامي.

وانصرفت أفكاري إلى القلادة الملتفة حول عنقي، وملمس كفي على خدي، وصوت ضحك أوك.

فكرت في كاردان وما قاله لي سابقًا: هل ترين ما يمكننا فعله ببضع كلمات؟ يمكننا أن نُلقي عليك تعويذة تجعلك تركضين على أطرافك الأربعة وتنبحين مثل الكلب. يمكننا أن نلعنك حتى تتوقي إلى أغنية لن تسمعيها مرة أخرى، أو كلمة لطيفة من شفتي.

قلت، مُحاوِلةً أن أبذل قصارى جهدي كي أبدو مُتَّزِنةً أمامه: «أريد مقاومة السحر». حاولت ألا أتململ، وأردت أن أبدو كشخص جاد يعقد صفقات جادَّة.

نظر إليَّ بثبات، ثم قال: «لديك بالفعل هبة الرؤية الصادقة، التي مُنحت لك عندما كنت طفلة لحمايتك من تعاويذ الإغواء. وبالتأكيد أنت تفهمين طرقنا وتعرفين التعاويذ. ضعي الملح في طعامنا وستفسدين أية تعاويذ موجودة فيه، اقلبي جواربك من داخلها إلى خارجها

ولن يضللك أحد أبدًا. أبقي جيوبك مليئة بتوت الروان المُجفَّف ولن يتحكَّم أحد في تفكيرك أو يُؤثِّر في عقلك على غير ما ترغبين».

لقد أظهرتْ لي الأيام القليلة الماضية كيف أن وسائل الحماية هذه غير كافية بشكل محزن: «ماذا سيحدث عندما يُخرِجون ما في جيبي؟ وماذا سيحدث عندما يُمزِّقون جواربي؟ وماذا سيحدث عندما ينثرون ملحي على التراب؟».

نظر إليَّ بعمق، ثم قال: «اقتربي يا طفلتي».

تردَّدت. من بين كل ما لاحظته عن الأمير داين، كان يبدو دائمًا مخلوقًا ذا شرف. لكن ما لاحظته عنه محدود بشكل مؤلم.

«اقتربي الآن، إذا كنت تنوين خدمتي، يجب أن تثقي بي». ثم مال إلى الأمام وهو جالس على الكرسي. لاحظت القرنين الصغيرين فوق جبهته وهما يفرقان شعره على جانبي وجهه الملكي. ولاحظت القوة في ذراعيه، والخاتم اللامع الذي يزين يدًا واحدة طويلة الأصابع، منحوتًا عليه رمز سلالة جرينبريال.

انزلقت من فوق ذراع الكرسي وسرت إلى موضع جلوسه. وأجبرت نفسي على الكلام، فقلت: «لم أقصد أن أتجاوز حدود الاحترام».

ثم لمس كدمة على خدي، كدمة لم أدرك من قبل أنها كانت موجودة. ارتجفت، لكنني لم أبتعد عنه. وقال: «كاردان ولد مدلل. ومعلوم في القصر أنه يهدر امتيازاته الملكية على الشراب والشجار. لا تزعجي نفسك بمعارضته».

لم أعترض. وتعجبت كيف أن ناربون جاء ليخبرني فقط بأن أميرًا ما كان ينتظرني في الطابق السفلي، ولكن لم يخبرني أي أمير هو بالتحديد. وتساءلت عما إذا كان داين قد قال له أن ينقل إليَّ هذه الرسالة المحددة. لعلَّ الإستراتيجي المتمرس كان يتحيَّن الفرصة المناسبة.





«مع أنه أخي، فإننا مختلفان تمامًا أحدنا عن الآخر. فلن أقسو عليك أبدًا لمجرد الاستمتاع بذلك مثلما يفعل هو. وإذا أقسمت على خدمتي، فستكافئين. لكن ما أريدك من أجله ليس

الفروسية».

انتابني الإحباط. كان من الصعب جدًّا تصديق أن أميرًا من الجان جاء إليَّ ليحقق كل أحلامي، لكن ذلك التفكير كان لطيفًا حتى اتَّضح أنه غير صحيح. ثم سألته: «إذن، ماذا تريد؟».

«لا شيء مما قدمتِه بالفعل، أنت أردت أن تعطيني ولاءك وسيفك، وأنا أقبل. كما أنني أحتاج إلى شخص يمكن أن يكذب، شخص طموح. تجسسي من أجلي وانضمي إلى مجلس الظلال الخاص بي. ويمكنني أن أجعلك قوية بما يتجاوز ما قد تأملينه. ليس من السهل على البشر العيش هنا معنا. لكن يمكنني أن أجعل الأمر أسهل بالنسبة لك».

تركت نفسي أغوص في الكرسي. إنه شعور يشبه إلى حدٍّ ما توقع عرض زواج، لكنك تحصلين في النهاية على دور العشيقة.

جاسوسة، واشية، كاذبة ولصة. بالطبع هذا ما يعتقده عني، وعن البشر. بالطبع هذا ما يعتقد أنني صالحة له.

فكرت في الجواسيس الذين رأيتهم، مثل الشخص ذي الأنف القصير والظهر الأحدب الذي يتحاور معه مادوك في بعض الأحيان، أو شخص غامض مُظلل باللون الرمادي لم أتمكَّن من تحديد معالم وجهه مطلقًا. ومن المحتمل أن يكون لدى جميع أفراد العائلة المالكة جواسيس، ولكن لا شك في أن جزءًا من مهارات هؤلاء يكمن في مدى جودة تخفِّيهم.

وسأكون مُتخفية جيِّدًا، في الواقع، مُتخفية على مرأى ومسمع من الجميع.

قال الأمير داين: «ربما لم يكن هذا المستقبل الذي تخيلتِه لنفسك. فلا درع لامعة، أو خوض معركة، لكنني أعدك بأنه بمجرد أن أصبح الملك السامي، وإذا خدمتني جيِّدًا، فستكونين قادرة على فعل ما يحلو لك، فمن يستطيع مخالفة كلمة الملك السامي؟ وسألقي عليك تعويذة، للحماية من السحر».

صرت هادئة للغاية. فعادةً ما يُمنح البشر مقابل خدمتهم تعاويذ تمنحهم القوة وتحميهم من الأخطار باستثناء تعرُّضك لركلة في الأسنان تأتيك على حين غرة. إن الأمر يشبه أن تكون معصومًا من الأذى، باستثناء رميك بسهم مصنوع من خشب شجرة الزعرور الصلب، الذي يصادف أنه بالضبط نوع السهم الذي يفضله أسوأ أعدائك، أو أن تفوز في كل معركة تخوضها، لكن لا يسمح لك برفض دعوات العشاء، ومن ثم فإذا دعاك شخص ما لتناول العشاء قبل المعركة مباشرةً، فلن تتمكَّن من حضور تلك المعركة في الأساس، ومثل كل شيء عن الجان، إن التعاويذ رائعة التأثير، لكنها سيئة أيضًا من زوايا أخرى. ومع ذلك، يبدو أنَّ هذا هو جوهر يُعرض عليَّ.

رددت قائلةً: «تعويذة».

اتَّسعت ابتسامته، وبعد لحظة عرفتُ السبب. أنا لم أقل لا، ما يعني أنني أفكر في قول نعم.

وقال: «لا توجد تعويذة يمكن أن تحميك من آثار فواكهنا وسمومنا، فكري جيِّدًا. بدلًا من ذلك يمكنني منحك القوة لسحر كل من ينظر إليك. يمكنني أن أعطيك مكانًا في رؤوس الآخرين». ثم لمس جبهتي، وتابع: «وكل من يرى وجهك سيهوي صريع عشقك. يمكنني أن أعطيك سيفًا سحريًّا يخترق ضوء النجوم».

قلت بصوتٍ خافت: «لا أريد أن أكون تحت سيطرة أحد. أعني من ناحية استخدام السحر. فامنحني ذلك الامتياز، وسأتدبر أنا الباقي». لا أصدق أنني أقول له هذا بصوتٍ عالٍ. ولا أصدق أنني أفعل هذا.

أوْمَأَ برأسه مرة واحدة دَلِيلًا على موافقته، وشدَّد: «إذن، أنت تقبلين».

إنه لأمر مخيف أن يكون لديَّ خيار مثل هذا، خيار سيُغيِّر كل خياراتي المستقبلية.





أريد امتلاك القوة بشدة، وهذه فرصة لنيلها، مع أنها فرصة مخيفة ومهينة بعض الشيء. ولكنها أيضًا فرصة مثيرة للاهتمام. هل سأكون فارسة جيدة؟ ليست لدي أية وسيلة لمعرفة الإجابة.

ربما كنت سأكره ذلك. وربما كان ذلك سيعني الوقوف وأنا مرتدية الدروع، والقيام بمهام مملة. وربما سيعني ذلك محاربة الأشخاص الذين أحببتهم.

أَوْمَأتُ برأسي موافِقةً، وأملت أن أكون جاسوسة جيدة.

مست نهض الأمير داين ولمس كتفي، فشعرت بصدمة اللمس، وكأن شرارة مسَّت جسدي. ثم قال بلهجة مهيبة: «يا جود دوارتي، يا ابنة الطين، من اليوم فصاعدًا لن يزعجك سحر الجان، ولن يُحرِّك أي سحر جسمك رغمًا عنك. لا شيء سيضر حامل هذه التعويذة. الآن لن يتمكن أحد من التحكم بك». ثم تريث للحظة، وقال: «إلا أنا».

تنفست الصعداء. بالطبع هناك شيء يكمن في نهاية هذه الصفقة، ولا أستطيع حتى أن أغضب منه؛ كان عليَّ أن أخمن شيئًا كهذا.

ومع ذلك، لا يزال الحصول على أية حماية على الإطلاق أمرًا مثيرًا. إن الأمير داين مجرد جني واحد، وقد رأى شيئًا لافتًا داخلي. شيئًا لم يره مادوك. شيئًا كنت أتوق إلى إقراره به.

في ذلك الوقت وذلك المكان ركعت على ركبة واحدة على السجادة القديمة في مكتب مادوك، وأقسمت على خدمة الأمير داين.





الفصل 11



طوال الليل، وخلال جلوسي لتناول العشاء، كنت واعية بالسر الذي أحمله. السر الذي جعلني أشعر، لأول مرة، كما لو أنني أمتلك قوَّة خاصة بي، قوَّة لا يمكن لمادوك أن يسلبها مني. حتى التفكير في الأمر - أنا جاسوسة! أنا جاسوسة الأمير داين! - يمنحني إثارة.

كنا نأكل طيورًا صغيرة محشوة بالشعير والأعشاب البرية، ومكسوة جلودها بالدهن والعسل. كانت أوريانا تقطع أجزاءها برقة، بينما كان أوك يمضغ الجلد، أما مادوك فلم يُكلِّف نفسه عناء فصل اللحم عن العظام، فالتهم كل شيء بلا تمييز. وأنا كنت أتناول الجزر الأبيض المطبوخ. وعلى الرغم من وجود تارين على الطاولة، فإن فيفي لم تَعُد أظن أن الخروج إلى الصيد مع ريا كان خدعة، وأنها ذهبت إلى عالم البشر بعد رحلة قصيرة عبر الغابة. أتساءل عما إذا كانت تتناول عشاءها الآن مع أسرة هيذر.



قال مادوك بين قضمة وأخرى: «لقد أبليتِ بلاءً حسنًا في البطولة».

لم أُشِر إلى أنه غادر مقصورة المشاهدة، ولا أنه بالتأكيد لم يُعجب بأدائي إلى حدٍّ كبير. لست متأكدة حتى من مقدار ما شاهده بالفعل، لكني سألته: «هل هذا يعني أنك غيرت رأيك؟».

شيء ما في صوتي جعله يتوقف عن المضغ، ويحد النظر إليّ، ثم قال: «أتعنين بشأن الفروسية؟ لا. بمجرد أن يكون هناك ملك سامٍ جديد، سنناقش مستقبلك».

اكتسى فمي بابتسامة متواطئة وبإذعان ظاهري، فقلت: «كما تشاء».

كانت تارين تراقب أوريانا، وتحاول تقليد حركات تقطيعها للطائر الصغير. ولم تكن تنظر نحوي، حتى عندما طلبت مني أن أُمرِّرَ لها إبريق الماء.

لكن لم يكن بمقدورها منعي من ملاحقتها إلى غرفتها عندما انتهينا من الطعام.

قلت ونحن على الدرج: «اسمعي. حاولت أن أفعل ما تريدين، لكنني لم أستطع، ولا أريدك أن تكرهيني على ذلك. إنها حياتي».

استدارت، وقالت: «حياتك التي تُبددينها؟».

عندما وصلنا إلى نهاية الدرج رددت بحزم: «نعم. حياتنا هي الشيء الحقيقي الوحيد الذي نملكه، إنها عملتنا الوحيدة التي نشتري بها ما نريده». ..

لا أستطيع أن أخبرها بما حدث مع الأمير داين، لكن لو استطعتُ كذلك، فلست متأكدة من أن هذا سيفيد. لست متأكدة من أنها ستوافق على ذلك أيضًا.

حركت تارين عينيها في امتعاض، وقالت بنبرة صوت حادَّة: «أليست هذه كلمات جميلة؟ هل هي من بنات أفكارك؟».

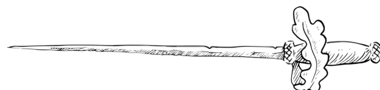
قلت لها: «ماذا بكِ؟».



هزَّت رأسها وقالت: «لا شيء. لا شيء. ربما سيكون من الأفضل لو فكرتُ بالطريقة التي تفكرين بها. لا تهتمي يا جود. لقد كُنتِ جيِّدة حقًّا في البطولة».

قلت وأنا عابسة الوجه وحائرة: «شكرًا لك». تساءلت مرة أخرى عن فحوى كلام كاردان عنها، لكنني لا أريد أن أكرِّر سؤالي بشأنه، وأجعلها تشعر بالغضب. ثم سألتها في تحوُّل مُفاجئ: «هل وقعتِ في الحب بعد؟».

كل ما تحصَّلت عليه من سؤالي هو نظرة غريبة رمقتني بها، ثم قالت تارين: «سأبقى في المنزل، وأتغيب عن الدرس غدًا. أعتقد بالفعل أنك تبددين حياتك أنتِ، لكني لست مضطرة لمشاهدتك وأنت تفعلين ذلك».



شعرت بأن قدميّ تقوداني بلا إرادة مني وأنا أشق طريقي باتجاه القصر فوق أرض مليئة بالتفاح المتساقط بفعل الريح، وعطره الذهبي يفوح في الهواء. كنت أرتدي ثوبًا أسود طويلًا بأكمام ذهبية وأشرطة من ضفائر خضراء، وهو المفضل لدي.

كانت عصافير الظهيرة تغرد فوقي، ما جعلني أبتسم. وسمحت لنفسي لفترة وجيزة بتخيُّل تتويج الأمير داين، وأنا أرقص مع لوك، وهو يبتسم، بينما يتم جر كاردان بعيدًا ويُلقَى به في زنزانة مظلمة.

كان هناك وميض أبيض أخرجني من متاهة أفكاري. إنه أيل - أيل أبيض يقف على بعد أقل من ثلاثة أمتار من موضعي. كان قرناه موصولين من خلال القليل من خيوط العنكبوت الرقيقة، وغطاء ظهره أبيض لامع لدرجة أنه يبدو فضيًّا في ضوء فترة الظهيرة. نظر كلٌّ منا للآخر لفترة طويلة، قبل أن يركض في اتجاه القصر، حاملًا معه أمالي.

قررت أن أصدق أن هذا فأل حسن.

ويبدو أن الأمر كان كذلك، على الأقل في البداية. ولم تكن الدروس التعليمية سيئة للغاية. وكان نوجل، معلمنا في ذاك اليوم، جِنِّيًّا عجوزًا لطيفًا. ولكنه غريب من الشمال، ذو حاجبين ضخمين ولحية طويلة، يغرز فيها أحيانًا أقلامًا أو قصاصات من الورق، ويميل إلى الهذيان بشأن العواصف النيزكية ودلالاتها.

مع تحوُّل فترة الظهيرة إلى المساء، جعلنا المعلم نعد الشهب الساقطة وهي مهمة مملة لكنها باعثة على الاسترخاء، فاستلقيت على بطانيتي وحدَّقت إلى سماء الليل.

الجانب السلبي الوحيد في الأمر هو أنه من الصعب عليَّ تدوين الارقام في الظلام. عادةً ما تتدلى المصابيح المتوهجة من الأشجار، أو تضيء مجموعات كبيرة من اليراعات موضع تلقينا دروسنا. وكنت أحمل شموعًا إضافية تحسُّبًا لأن يكون الضوء خافتًا جدًا؛ لأن بصر الإنسان ليس قويًّا كبصر الجان، لكن لا يُسمح لي بإشعالها عندما ندرس النجوم. فحاولت أن أكتب بخط مقروء دون أن ألوث أصابعي بالحبر.

قال نوجل: «تذكروا. غالبًا ما تنذر الأحداث السماوية غير العادية بتغيرات سياسية مهمة، لذلك ومع صعود نجم ملك جديد في الأفق، من المهم بالنسبة لنا مراقبة العلامات بعناية».

علا صوت بعض الضحكات في الظلام.

قال معلمنا: «نيكاسيا. هل هناك خطب ما؟». قالت بنبرة صوتها المتغطرس غير النادم: «لا، على الإطلاق».

«والآن، ماذا يمكنكِ أن تخبريني عن الشهب الساقطة؟ ما معنى تساقطها بكثرة في آخر ساعة من الليل؟».

قالت نيكاسيا: «ميلاد عشرة أطفال من الجان»، وهي إجابة خاطئة بما يكفي لجعلي أشعر بالذهول، فقلت بصوتٍ خافت: «الوفيات».

لسوء الحظ سمعني نوجل، وقال: «جيِّد جدًّا يا جود. أنا سعيد لأن شخصًا ما كان مُنتبِهًا. والآن، من يودُّ أن يخبرني متى يُرجَّح أن تحدث تلك الوفيات».

لا فائدة من التراجع، ليس بعد أن أعلنت في وقت سابق أنني سأُخجل كاردان بعظمتي. ومن الأفضل أن أبدأ من الآن إظهار مدى روعتي، فسارعت بالقول: «يعتمد ذلك على الأبراج التي مرَّت بها النجوم، وفي أي اتجاه سقطت». في منتصف الإجابة، شعرت بأن حلقي سينغلق، وصرت سعيدة فجأةً بالظلام المحيط؛ حتى لا يتعيَّن علي رؤية تعبيرات وجه كاردان أو نيكاسيا.

قال نوجل: «ممتاز. ولهذا السبب يجب أن تكون ملاحظاتنا دقيقة. أكملي!».

قال فاليريان مُقاطِعًا: «هذا ممل. إن التنبؤ يليق بالعرافين وصغار الجان. ينبغي أن نتعلم أشياء خاصة بالنبلاء بقدر أكبر. وإذا كنت سأقضي ليلة ما نائمًا على ظهري، فأنا أُفضِّل أن أتلقى دروسًا عن الحب».

ضحك بعض التلاميذ.

قال نوجل: «جيِّد جدًّا. أخبرني ما الحدث الذي قد يشي بالنجاح في الحب؟».

فقال فاليريان: «فتاة تنظر إليَّ»، فزاد الضحك وعلا.

ثم قال المعلم: «أين إلجا؟». نادى نوجل على فتاة ذات شعر فضي ونظارة مهشمة مثيرة للضحك، وقال لها: «هل يمكنك الرد عليه؟ ربما حقق فاليريان نجاحًا ضئيلًا في الحب لدرجة أنه لا يعرفه حقًّا».

بدأت تتلعثم. وأظن أنها كانت تعرف الإجابة لكنها لا تريد إثارة غضب فاليريان.

قال نوجل بنبرة لاذعة: «هل أسأل جود مرة أخرى؟ أو ربما كاردان. لماذا لا تخبرنا بالإجابة؟»، قال كاردان بصرامة: «لا».

استوضحه نوجل: «ماذا قلت؟».

عندما يتحدث كاردان، يرن صوته بنبرة سلطوية شريرة: «كما قال فاليريان. هذا الدرس ممل.

فلتضئ المصابيح، وابدأ درسًا آخر أكثر إفادة».

غاب صوت نوجل للحظات طالت، وفي النهاية قال: «حسنًا، أيها الأمير»، ثم أضاءت كل المصابيح التي من حولنا، وقد رمشتُ عِدَّة مرَّات حينما كانت عيناي تحاولان التَّكيُّفَ مع الضوء الذي سطع فجأةً. وتساءلت ماذا سيحدث لو أُجبر كاردان على فعل أي شيء لا يريده، لا أظن أن نعاسه في أثناء الدروس يُعَدُّ سلوكًا مفاجئًا لأحد. وليس من المستغرب أنه ذات يوم أسرف في الشراب كالعادة، وركب حصانًا وركض بين العشب، بينما كنا نتلقى دروسنا، وداس على البطانيات والكتب، وجعل الجميع يتدافعون في هرج للابتعاد عن طريقه، كما يمكنه تغيير مناهجنا ذاتها لمجرد نزوة أصابته. كيف يمكن لأي شيء أن يثير اهتمام شخص مثل هذا؟

قالت نيكاسيا هازئةً: «بصرها ضعيف للغاية»، فأدركت أنها تقف فوقي وكانت تُمسك بدفتر ملاحظاتي، وتلوِّح به حتى يتمكَّن الجميع من رؤية تعليقاتي.

«يا جود المسكينة. من الصعب عليك التغلب على الكثير من عيوبك».

كان هناك حبر على كل أصابعي، وعلى كُمَّيْ فستاني الذهبيين.

وفي البستان، كان كاردان يتحدَّث مع فاليريان، بينما كان لوك يراقبنا فحسب، وتعابير وجهه مُبهمة. قلَّبَ نوجل كومة من الكتب السميكة والمُتربة، ربما كان يحاول العثور على درس يروق لكاردان.

قلت وأنا أجذب كراستي من يدها: «آسفة إذا كنت لا تستطيعين قراءة خط يدي». تمزقت الصفحة التي كتبتها، ما أهدر جهدي لهذه الليلة. فقالت نيكاسيا: «لكن هذا ليس عيبي أنا».

ثم صفعتني على وجهي. تعثرت، من الصدمة، وجثوت على ركبة واحدة، وبالكاد أدركت نفسي قبل أن أسقط. كان خدي ساخنًا ويؤلمني. وكان رأسي يطن.



فقلت لها بلا معنى: «لا يمكنك فعل ذلك».

كنتُ أظن أنني فهمت كيف تمارس لعبة الاستفزاز، وكنتُ مخطئة في ظني. فقالت لي بالنبرة المتغطرسة نفسها: «يمكنني أن أفعل ما أريد».

كان زملاؤنا في الدروس يُحدِّقون إلينا، وكانت إلجا تضع إحدى يديها الرقيقتين على فمها. نظر كاردان إليَّ، ويمكنني القول من تعبيرات وجهه أنها فشلت في إرضائه. وبدأ الشعور بالإحراج بالتسلل إلى وجه نيكاسيا.

ما دمتُ بين الجميع، فهناك حدود لا يتخطونها لإثارة غضبي، وحتى امتهاني. فعندما دفعونا أنا وتارين في النهر، لم يرهم أحد. وفي كل الأحوال، أنا جزء من بيت الجنرال مادوك وتحت حمايته، وقد يجرؤ كاردان على تجاوز الحدود، لكنني اعتقدت أن الآخرين على الأقل سيهاجمونني في الخفاء.

يبدو أنني أغضبت نيكاسيا إلى درجة أكبر من أن تجعلها مهتمة بأي من هذه الاعتبارات.

نفضت التراب عن ملابسي، وقلت لها: «هل تطلبين مبارزتي؟ لأنني بعد ذلك من حقي اختيار توقيت النزال والسلاح». لكم أحب أن أسقطها أرضًا.

وقد أدركَتْ هي أن سؤالي يتطلب ردًّا منها. قد أكون أدنى منزلةً من التراب ذاته، لكن هذا لا يعفيها من التزامها بالحفاظ على شرفها.

ومن زاوية عيني، رأيت كاردان قادمًا نحونا. فاختلط الترقب المتوتر بشعور الرهبة. ومن جهة أخرى، صدم فاليريان كتفي. فابتعدت عنه خطوة، لكن ليس بالسرعة الكافية لتجنبه.

فوقنا، في قبة الليل السوداء اندفعت سبعة شهب، وهي تتلألأ بشكل مهيب في السماء قبل أن تتلاشى. نظرت تلقائيًّا إلى أعلى، لكن فاتتني اللحظة المناسبة لمعرفة مسارها الدقيق.

بدأ نوجل في الصياح، وهو يتحسَّس لحيته كي يخرج منها قلمًا، وقال: «هل لاحظ أحد هذا؟ هذا هو الحدث السماوي الذي كنا ننتظره! من المؤكد أن أحدكم قد رأى نقطة بدايته الدقيقة. بسرعة! دوِّنوا كل ما يمكنكم تذكُّره».

عندها فقط، وأنا أنظر إلى النجوم، دفع فاليريان شيئًا ناعمًا في فمي. تفاحة حلوة وفاسدة في الوقت نفسه، سائل عسلي يجري على لساني، له مذاق يشبه أثر ضوء الشمس، وكذلك يشبه عاقبة ارتكاب حماقة شديدة. إنها فاكهة الجن التي تُشوِّش الذهن، ما يجعل البشر يتوقون إليها بما يكفي ليمتنعوا عن الطعام من أجل تذوقها ثانية، وهذا ما يجعلنا مطيعين وقابلين للخضوع للإيحاء والتعرض للسخرية.

لقد حمتني تعويذة داين من السحر، ومن سيطرة أي شخص، لكن فاكهة الجن تخرجك كذلك عن سيطرتك.

أوه لا. أوه لا لا لا لا لا.

بصقتها. فتدحرجت التفاحة في التراب، لكني شعرت بالفعل بأنها تؤثِّر فيَّ.

الملح، فكَّرتُ فيه، فتحسَّست سلتي. الملح هو ما أحتاج إليه، الملح هو الترياق. وسوف يزيل الضباب عن رأسي.

رأت نيكاسيا ما سأفعله، فانتزعت سلتي، وهي ترقص مبتعدة عني، بينما دفعني فاليريان على الأرض. وحاولت الزحف بعيدًا، لكنه ثبتني في مكاني ودفع التفاحة القذرة في وجهي.

وقال وهو يضغط عليها: «اسمحي لي بأن أُحلِّي لسانك الحامض». فدخل لبها في فمي وصعد إلى أنفي.

لم أكن أستطيع التنفس.

كانت عيناي مفتوحتين، وأحدق إلى وجه فاليريان. كنتُ أختنق بينما يراقبني ببعض الفضول، كما لو أنه يتطلع إلى رؤية ما سيحدث بعد ذلك.



زحف الظلام، وغشا بصري. كنتُ أختنق حتى الموت.

أسوأ جزء في الأمر هو شعور السعادة الوهمية الذي كان يتصاعد داخلي بسبب الفاكهة

السحرية الفاسدة، ماحِيًا كل مشاعر الخوف. كل شيء بدا جميلًا. وكانت رؤيتي لما حولي مضطربة. مددت يدي إلى وجه فاليريان لأخمشه، لكني كنتُ أشعر بدوار شديد لم يمكّنني من الوصول إليه. وبعد لحظة، لم يعد هذا يهم. لا أريد أن أؤذيه، ليس وأنا سعيدة جدًّا.

سمعت أحدهم يقول: «افعلي شيئًا ما»، لكن في حالة هذياني، لم أستطع تحديد من يتحدث.

وفجأة، ركلني فاليريان. تدحرجت على جانبي، وأنا أسعل، رأيت كاردان يقترب، بينما كانت الدموع والمخاط ينهمران على وجهي، لكن كل ما يمكنني فعله كان الاستلقاء في التراب، وبصق قطع من لب التفاح السحري الشهي وليست لدي فكرة لماذا أبكي.

قال كاردان: «كفى ». وكان هناك تعبير غريب ومخيف على وجهه، وكانت ثمَّة عضلة تنبض في فكه.

ثمَّ بدأت أضحك.

بدا فاليريان مُمتعضًا، وقال: «أنت تريد أن تفسد متعتي، أليس كذلك؟».

للحظة، اعتقدت أنهما سيتقاتلان، مع أنني لم أكن أستطيع التفكير في السبب. ثمَّ رأيت ما أخرجته يد كاردان. لقد أخرج الملح من سلتي. إنه الترياق. (وتساءلت في قدر من الحيرة: لماذا أريد ذلك الملح؟). ثمَّ ألقى به في الهواء وهو يضحك، وأنا أشاهده يتناثر مع الريح. ثمَّ نظر إلى فاليريان، وقد التوت شفتاه غضبًا، وقال: «ما خطبك يا فاليريان؟ إذا ماتت، فستنتهي مزحتك الصغيرة قبل أن تبدأ».



قلتُ: «لن أموت»؛ ربما لأنني لم أرد أن يقلقوا. كنتُ أشعر بأنني بحال جيدة. بل أشعر ببهجة أكثر مما شعرت بها في حياتي كلها. أنا سعيدة لأن حبات الترياق تبدَّدَت في الهواء.

قال المعلم نوجل: «أيها الأمير كاردان؟ ينبغي أن تُؤخَذ إلى منزلها».

قال كاردان: «الجميع مملون جدًّا اليوم»، لكنه لم يبدُ كأنه يشعر بالملل. بل بدا كما لو أنه

بالكاد يحافظ على ضبط أعصابه.

أتت نيكاسيا إليَّ، وضربتني على خدي، وقالت: «أوه، يا نوجل، إنها لا ترغب في الذهاب. أليس كذلك أيتها الجميلة؟».

كان الطعم العسلي اللذيذ لا يزال في فمي. شعرت بخفة، وكنتُ في حالة استرخاء، وأبدو رائعة. وقلت: «أود أن أبقى»؛ ذلك لأن المكان بدا رائعًا، ولأن طعم التفاح كان شهِيًّا على نحو غير معهود.

لم أكن مُتأكِّدة مما إذا كنتُ فعلًا بخير، لكنني كنتُ أعلم أنني أحظى بشعور رائع.

كل شيء كان رائعًا حتى كاردان نفسه. لم أحبه من قبل، لكن هذا الموقف من جانبي بدا سخيفًا. منحته ابتسامة عريضة وسعيدة، مع أنه لم يبادلني الابتسام.

لكنني لم آخذ الأمور على محمل شخصي.

ابتعد نوجل عنا، وهو يتمتم بكلمات مبهمة عن قائد الجيوش والحماقة وفصل رءوس الأمراء عن أكتافهم. وشاهده كاردان وهو يذهب وقبضتاه مضمومتان في تحفز على جانبيه.

اقتربت مني مجموعة من الفتيات، وكن يضحكن، ما جعلني أضحك مرة أخرى أيضًا. قالت إحداهن، وتُدعى فلوسفلور لأخرى: «لم أرَ قطُّ بشرِيًّا يأكل فاكهة إلفهايم من قبل. هل ستتذكر هذه التجربة؟».



قال لوك من مكان ما خلفي: «ليت شخصًا ما يُلقي عليها تعويذة لتفعل شيئًا غير هذا»، لكنه لم يبدُ غاضبًا مثل كاردان بل بدا لطيفًا. استدرت نحوه فلمس كتفي. أعجبني دفء بشرته.

ضحكت نيكاسيا: «إنها لا تريد ذلك. ما تريده هو قضمة أخرى من التفاح السحري».

سال لعابي على ذكر التفاح. وتذكَّرت تناثر ثماره على جانبي طريقي خلال ذهابي إلى المدرسة وعودتي منها بلونه الذهبي ولمعانه، ولعنت حماقتي لأنني لم أتوقف قبل ذلك لتناوله حتى

الشبع.

تساءلت فتاة أخرى تُدعى موراجنا: «إذن، يمكننا أن نطلب منها فعل أشياء؟ أشياء محرجة. وستستجيب؟».

قالت نيكاسيا بنظرات خبيثة: «لماذا تجد أي شيء محرجًا وهي بين الأصدقاء؟». وكانت تبدو في حالة من الرضا، مثل قطة أكلت القشدة كلها وهي جاهزة لأخذ غفوة في الشمس.

سألتْ فلوسفلور، وهي تقترب: «أي منا تفضلين تقبيلها؟». إنها لم تتحدث معي من قبل إلا قليلًا. وسررت لأنها أرادت أن نكون صديقتين.

قلت في حماس: «أود تقبيلكن جميعًا»، ما جعلهن يقهقهن. وابتسمتُ متطلعة بعيني إلى النجوم.

قالت نيكاسيا، وهي تنظر عابسةً إلى ثيابي: «إنك ترتدين الكثير من الملابس. وقد اتَّسخت. يجب أن تخلعيها».

بدا ثوبي ثقيلًا بشكل مفاجئ. وتخيَّلت نفسي بلا ثياب في ضوء القمر، وبشرتي تتحوَّل إلى اللون الفضي، مثل أوراق الشجر من فوقنا.

فوقفت. وبدا كل شيء كأنه مائِلًا قليلًا، وبدأت خلع ملابسي.



وقلت بسرور: «أنت محقة»، انزلقت تنورتي وتحوَّلت إلى كومة من القماش أسفل مني وأمكنني الخروج منها بسهولة. كنتُ أرتدي ملابس داخلية خاصة بالبشر - حمالة صدر وسروالًا داخليًّا منقّطًا باللونين الأخضر والأسود.

كنَّ جميعًا يُحدقن إليَّ بغرابة، وكأنهن يتساءلن من أين حصلت على ملابسي الداخلية العجيبة هذه. كلهن كن يلمعن بشدَّة لدرجة أنه كان من الصعب عليَّ أن أنظر إليهن طويلًا دون أن أشعر بألم في رأسي.

كنتُ أعي نعومة بشرة جسدي، وملمس النسيج السميك لراحتيّ، وأعي دغدغة العشب الناعمة تحت قدمي والأرض الدافئة.

سألتْ نيكاسيا بفضول شديد: «هل أنا جميلة مثلك؟».

وأجابت بنفسها: «لا»، وهي تُلقي نظرةً نحو فاليريان. ثمَّ التقطت شيئًا من الأرض. وقالت: «أنتِ لا تشبهيننا في أي شيء». وقد أحزنني سماع ذلك، ولكنني لم أُفاجأ به. فبجانبهم قد يغدو أي شخص مجرد ظل، وانعكاس ضبابي لصورهم.

أشار فاليريان إلى عقد الروان الذي يتدلى حول عنقي، والتوت الأحمر المجفف المحبوك في سلسلة فضية طويلة، وقال: «يجب ان تخلعي هذا أيضًا».

أومأت برأسي. وقلت: «أنت محق. لست بحاجة إليها بعد الآن». ابتسمت نيكاسيا وهي تحمل الفاكهة الذهبية في يدها. أي بقايا التفاحة المهروسة القذرة، ثمَّ دعتني: «تعالي والعقي يدي حتى تنظفيها. إنك لا تمانعين أليس كذلك؟ لكن عليك أن تفعلي ذلك وأنت جاثية على ركبتيك».

سرت الغمغمات والضحكات المكبوتة بين زملائنا في الصف كالرياح. إنهم يريدون مني أن أفعل ذلك. ومن ناحيتي أريد أن أجعلهم سعداء. أريد أن يكون الجميع سعداء مثلي، وأريد تذوُّق الفاكهة مرة أخرى. فبدأت بالزحف نحو نيكاسيا.



فاعترضني كاردان بقوله: «لا»، وهو يخطو أمامي، وصوته يرن، وكان مضطربًا بعض الشيء. تراجع الآخرون أمامه، ما أتاح له مساحة. فخلع حذاءه المصنوع من الجلد الناعم، ووضع قدمًا شاحبة أمامي مباشرة، وقال: «ستأتي جود إلى هنا وتقبِّل قدمي. لقد قالت إنها تريد تقبيلنا. وأنا أميرها في نهاية المطاف».

ضحكتُ مرة أخرى، وبصدق، لم أعرف لماذا لم أضحك كثيرًا من قبل. إن كل شيء رائع وسخيف في الوقت نفسه.

ومع ذلك، عند النظر إلى كاردان، هناك شيء ما صدمني على نحو غير متوقع. فقد كانت

عيناه تلمعان بمشاعر الغضب والرغبة، وربما بالخجل كذلك وبعد لحظة، رمش بعينيه، وعاد ليُبدي غطرسته الباردة المعتادة.

وقال بنفاد صبر: «حسنا؟ أسرعي في فعل هذا، قبِّلي قدمي وأخبريني كم أنا رائع. أخبريني كم أنتِ معجبة بي».

قال لوك بحِدَّة لكاردان: «كفى. سآخذها إلى منزلها». ووضع يديه على كتفي، وجذبني بقوة ليُنهضني.

سأله كاردان، وقد رفع حاجبيه استغرابًا: «هل ستفعل شيئًا كهذا في هذه اللحظة بالذات؟ إنه توقيت مثير للاهتمام. هل تحب تذوُّق القليل من الإذلال؟».

قال لوك بصوتٍ منخفض: «أكره أن تفعل هذا، وأن تكون على هذه الحال».

سحب كاردان دبوسًا من معطفه، وهو شيء لامع مُزركش على شكل ثمرة بلوط تغلفها ورقة بلوط. وللحظة من الهذيان، ظننت أنه سيعطيها للوك مقابل أن يتركني في مكاني. وقد بدا هذا مستحيلًا، حتى في تصورات عقلي الجامح.

ثمَّ أمسك كاردان بيدي، وهو تصرُّف لم يَكُن مُرجَّحًا إلى حد كبير، وأصابعه تدفئ بشرتي. ثمَّ غرس طرف دبوسه في إبهامي.

قلت في تألم: «آه». وابتعدت عنه، وأدخلت الإصبع المصاب في فمي. كان طعم دمي مالحًا على لساني.

ثمَّ ودعني كاردان: «أتمنى لك نزهة لطيفة إلى المنزل».

قادني لوك بعيدًا، وتوقف لالتقاط بطانية شخص ما، ولفها حول كتفي. كان التلاميذ من الجان يُحدِّقون إلينا ونحن نخرج من البستان، وأنا أتعثر، وهو يمسكني. والمعلمون القلائل الذين كنتُ أراهم أشاحوا بأنظارهم بعيدًا عني كي لا تتلاقى أعيننا.

مصصت إبهامي المصاب، وشعرت بشيء غريب. كان رأسي لا يزال مُشوَّشًا، لكن ليس كما كان منذ قليل. إن هناك خطأ. بعد لحظة، أدركت السبب. هناك ملح في دمي البشري.

وشعرت بالغثيان.

نظرت مجدَّدًا إلى كاردان، الذي كان يضحك مع فاليريان ونيكاسيا. وكانت هناك معلمة أخرى لدينا، جنية قوية من جزيرة في الشرق، تحاول أن تبدأ درسها.

أنا أكرههم. أنا أكرههم جميعًا كثيرًا. وللحظة، لم يتبقَّ إلا ذلك الشعور. كانت حرارة غضبي تُحوِّل كل تفكيري إلى رماد. وبيدين مرتعشتين، لففت البطانية بإحكام أكثر حول كتفي، وتركت لوك يقودني عبر الغابة.

قلت له بصوتٍ خفيض بعد أن سرنا لوقت قصير: «أنا مدينة لك على إخراجي من هناك».

رمقني بنظرة تقدير، فدُهشتُ مرة أخرى من مدى وسامته، ومن تجعُّد الشعر الناعم المُتدلي حول وجهه. ومن المُروِّع أن أكون معه؛ لأنه رآني بملابسي الداخلية وأنا أزحف على الأرض، لكنني كنتُ غاضبة جدًّا إلى الحد الذي يهون إلى جواره أي شعور بالحرج.

هزَّ رأسه وقال: «أنتِ لا تدينين لأي شخص بأي شيء يا جود. لا سيما اليوم».

سألته: «كيف تتحملهم؟ إنهم فظيعون. إنهم وحوش». جعلني الغضب أنفعل على لوك، مع أنه الشخص الوحيد الذي لم أكن غاضبة منه.

لم يجبني. وسرنا على طول الطريق، وعندما وصلنا إلى البقعة التي تتساقط فيها ثمار التفاح على الأرض، ركلت واحدة بقوة حتى اصطدمت بجذع شجرة الدردار وارتدَّت عنه.

قال: «هناك متعة في وجودي معهم. إننا نأخذ ما نتمناه، وننغمس في كل فكرة مُروِّعة. هناك أمان ما في أن تكوني شخصًا كريهًا».

سألته: «ألأنهم على الأقل ليسوا بغيضين معك؟».

مجدَّدًا، لم يُجِب.

عندما اقتربنا من منزل مادوك، توقفت، وقلت: «ينبغي أن أسير وحدي من هنا». أبديت له ابتسامة ربما مضطربة قليلًا إذ كان من الصعب عليَّ الاحتفاظ بها على وجهي.

فقال، وهو يتقدَّم نحوي: «انتظري، أريد أن أراك مجدَّدًا».

دُهشت؛ فقد كنتُ أشدَّ غضبًا من أن أتلقى هذه المفاجأة. وقد كنتُ أقف هناك أضع حولي بطانية، ومعي حذاء، وملابس شخصية مشتراة من مركز التسوق. كنتُ ملطخة بالتراب، وقد جعلت من فوري نفسي أضحوكة. «لماذا؟».

نظر إليَّ كما لو أنه كان يرى شيئًا آخر تمامًا. وكانت هناك حِدَّة في نظرته جعلتني أقف أكثر استقامة رغم ما علق بي من الأوساخ، ثمَّ قال: «لأنك مثل قصة لم تحدث بعد. لأنني أريد أن أرى ما ستفعلينه. أريد أن أكون جزءًا من الحكاية التي ستتكشف رويدًا رويدًا».

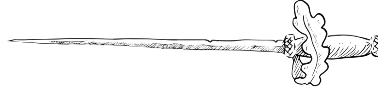
لست مُتأكِّدةً مما إذا كانت هذه مجاملة أم لا، لكنني أعتقد أنني سأقبلها.





رفع يدي - اليد نفسها التي شكّها كاردان بالدبوس - وقبَّل أطراف أصابعي. ثمَّ قال وهو ينحني: «إلى اللقاء في الغد».

وهكذا، وأنا ملفوفة بتلك البطانية، ومعي الحذاء والملابس الداخلية المشتراة من مركز التسوق، مشيت وحدي مُتَّجهةً إلى المنزل.



«أخبريني من فعل هذا». أصرَّ مادوك على معرفة الفاعل، وأعاد كلامه مرارًا وتكرارًا، لكنني لم أخبره. فأخذ يذرع الأرض بخطوات عنيفة، مُوضِّحًا بالتفصيل كيف سيجد الجني الذي فعل هذا ويدمره. بل سوف يُمزِّق قلبه ويقطع رأسه ويضعه على سطح منزلنا كتحذير للآخرين.

أعلم أنني لست المقصودة بالتهديد، لكنه ظلَّ يصرخ في وجهي.

عندما أشعر بالخوف، لا أستطيع أن أنسى أنه، وبغض النظر عن مدى إتقانه أداء دور الأب، سيكون دائمًا وإلى الأبد أيضًا قاتل والديّ. لم أقل أي شيء. فكرت كيف كانت أوريانا خائفةً من أن نسيء التصرُّف أنا أو تارين في القصر، ونتسبب في إحراج مادوك. والآن أتساءل عما إذا كانت أكثر قلقًا بشأن رد فعله إذا حدث شيء ما مروِّع. إن قطع رأس فاليريان ونيكاسيا سيكون تصرُّفًا له عواقبه الوخيمة. بينما ستعد محاولة إيذاء كاردان من قبيل الخيانة.

قلت في النهاية لأوقف هذا: «لقد فعلت ذلك بنفسي، رأيت الفاكهة وبدت لي شهية، لذلك أكلتها».

قالت أوريانا، وهي تدور حولي: «كيف أمكنكِ أن تكوني بهذا الغباء؟». ولم تبدُ متفاجئة. إذ بدا كأنني أؤكد أسوأ شكوكها بخصوصي: «يا جود، بوسعك التَّصرُّف بصورة أفضل من هذه».

«أردت أن أمرح قليلًا. من المفترض أن يكون هذا الأمر مَرَحًا. وكانت التجربة أشبه بحلم جميل...». قلت لها هذا، وأنا ألعب دور الابنة المُتمرِّدة.

«اصمتا! كلتاكما، اصمتا!» صاح مادوك، فأفزع كلتينا وحملنا على الصمت فيما انكمشت خوفًا بشكل لا إرادي.

قال، وهو يرمقني بنظرة غاضبة لست متأكدة من أنَّه رماني بها من قبل لكنه كان يرمق بها فيفي كثيرًا: «جود ، كُفّي عن محاولة مضايقة أوريانا».

إنه يعلم أنني أكذب.

«وأنتِ يا أوريانا، لا تكوني ساذجة». عندما أدركتْ ما يعنيه، رفعت يدها الصغيرة الرقيقة لتغطي فمها في دهشة.

قال لي: «عندما أكتشف من تحميه بكذبها، فسأجعله يأسف على أنفاسه التي استنشقها».

قلت وأنا أستلقي للخلف على الكرسي: «هذا لن يفيد».

ركع أمامي، وأخذ يدي بين يديه بأصابعه الخضراء الخشنة. من المؤكد أنه كان قادرًا على الشعور بأني أرتجف. ثمَّ أطلق تنهيدة طويلة؛ ربما ليصيح بالمزيد من التهديدات: «إذن أخبريني ما الذي سيفيد يا جود. أخبريني وسأفعله».

تساءلت في نفسي عما سيحدث إذا قلت هذه الكلمات: نيكاسيا أذلتني وفاليريان حاول قتلي. لقد فعلا ذلك لإرضاء الأمير كاردان الذي يكرهني وأنا خائفة منهم. أنا خائفة منهم أكثر مما أخاف منك، وأنت ترعبني. اجعلهم يتوقفوا. اجعلهم يتركوني وشأني.

لكنني لن أخبره. إن غضب مادوك شديد جدًّا. لقد رأيت آثار غضبه في دماء أمي على أرضية المطبخ. وبمجرد إثارة غضبه، لا يمكن تسكينه مرة أخرى.




ماذا لوقتل كاردان؟ ماذا لو قتلهم جميعًا؟ إن حلّه للكثير من المشكلات يتمثل في إراقة الدماء. وإذا قُتلوا، فإن آباءهم سيطالبون بالقصاص، وسوف يحل غضب الملك السامي عليه. سأكون أسوأ حالًا مما أنا عليه الآن، ومن المحتمل أن يُقتل مادوك.

وبدلًا من ذلك، قُلتُ له: «علِّمني المزيد، المزيد من الإستراتيجيات، والمزيد من المبارزة بالأسلحة. علِّمني كل ما تعرفه». قد يريد الأمير داين مني التجسس لحسابه، لكن هذا لا يعني التخلي عن سيفي.

بدا مادوك مُتأثِّرًا من رد فعلي، وكانت أوريانا منزعجة. أستطيع القول إنها تعتقد أنني أتلاعب به، وأنني أفعل ذلك ببراعة.

فقال بتنهيدة حارة: «حسنًا. ستجلب لك تاترفيل العشاء، إلا إذا كنتِ ترغبين في الانضمام إلينا على طاولة الطعام، وسنبدأ تدريبًا أكثر كثافة غدًا».

قلتُ: «سوف آكل في الطابق العلوي»، وتوجَّهت إلى غرفتي، وأنا ما زلت ملفوفة في بطانية

شخص آخر. وفي الطريق، مررت بباب تارين المغلق. وكان جزء مني يريد الدخول وإلقاء نفسي على فراشها والبكاء. كنتُ أريدها أن تحتضنني وتخبرني بأنه لم يكن هناك ما يمكنني فعله بشكل مختلف. وكنتُ أريدها أن تخبرني بأنني شجاعة وبأنها تحبني.

لكن بما أنني متأكدة من أن هذا ليس ما ستفعله، تجاوزت بابها.

تم ترتيب غرفتي في أثناء غيابي، وترتيب فراشي، وفتح نوافذي للسماح بدخول هواء الليل المنعش إليها. وهناك، على حافة فراشي، وُضِعَ ثوب مطوي منزلي الصنع مُطرَّزٌ عليه الشعار الملكي الذي يرتديه خدام الأمراء والأميرات. وكان يجلس على الشرفة الجني ذو وجه البومة.

أخذ الجني يُسوّي ريشه بعض الوقت ثمَّ طواه. فقلت: «أنت. أنت واحد من جواسيس...».

فقال لي مُقاطِعًا وهو ينعق: «اذهبي إلى القصر الأجوف غدًا، يا عزيزتي. وابحثي لنا عن سر لن يحبه الملك. ابحثي عن الخيانة».

القصر الأجوف. هذا هو مقر إقامة بالكين، الأمير الأكبر سنًّا. لقد جاءني من فوري أوَّل تكليف لي من قِبَل مجلس الظلال.



الفصل
12



ذهبت إلى النوم مُبكِّرًا. وعندما استيقظت كان الظلام قد حلّ. كان رأسي يؤلمني - ربما من النوم فترة طويلة - وجسدي يؤلمني. ومن المؤكد أنني نمت وعضلاتي كلها متوترة.

كانت دروس ذلك اليوم قد بدأت بالفعل. ولكن لا يهم. فلن أذهب.

وقد تركت لي تاترفيل صينية عليها قهوة مُتبَّلة بالقرفة والقرنفل وقليل من الفلفل. سكبت منها كوبًا. إنها فاترة، ما يعني أنها كانت متروكة هناك منذ فترة، وكان هناك خبز مُحمص أيضًا، يصبح لينًا عندما أغمسه في القهوة عِدَّة مرات.

غسلت وجهي الذي كان لزِجًا بفعل لُباب التفاح، ثمَّ غسلت بقية جسدي. مشطت شعري بلا اهتمام كبير، ثمَّ ضممته، وصنعت منه كعكة بعقده بين غصين.



ورفضت التفكير فيما حدث في اليوم السابق. رفضت التفكير في أي شيء سوى اليوم، ومهمتي من أجل الأمير داين.

اذهبي إلى القصر الأجوف. وابحثي لنا عن سر لن يحبه الملك. ابحثي عن الخيانة.

إذن، يريد مني داين المساعدة على ضمان عدم اختيار بالكين ليكون الملك السامي التالي. يمكن أن يختار إلدريد أيًّا من أبنائه للعرش، لكنه يُفضل الثلاثة الأكبر سنًّا: "بالكين، وداين، وإيلوين". - وداين مفضل على الآخرين. وتساءلت عما إذا كان الجواسيس يساعدون على إبقاء الأمر على هذا النحو.

إذا استطعت أن أؤدي المطلوب مني على النحو المرغوب، فسيمنحني داين السلطة عندما يتولى العرش. وبعدما حدث أمس، صرت أتوق إلى امتلاك السلطة والنفوذ. أتوق إليهما كما كنتُ أتوق إلى طعم فاكهة الجن.

ارتديت ثوب الخادمة دون أي من الملابس الداخلية التي اشتريتها من المركز التجاري للتأكد من أن أكون طبيعية قدر الإمكان. وبالنسبة للأحذية. أخرجت زوجًا من النعال الجلدية القديمة من الجزء الخلفي في خزانة ملابسي. كان بهما ثقب في موضع إصبع القدم حاولت إصلاحه منذ ما يقرب من عام لكن مهاراتي في الخياطة ضعيفة، وانتهى بي الأمر إلى جعلهما قبيحين. لكنهما مناسبان على الرغم من هذا، وجميع أحذيتي الأخرى مصنوعة بشكل جميل للغاية ما يجعلها جميعًا أقل ملاءمة لمهمتي.

ليس لدينا خدم بشريون في منزل مادوك، لكنني رأيتهم في أجزاء أخرى من أرض الجان. فالقابلات من البشر يولِّدن أطفال البشر. وقد يُبتلى الحرفيون من البشر أو ينعمون بمهارة مغرية. والمرضعات البشريات يُرضعن أطفال الجان المرضى. وأطفال البشر المبدولون الصغار يُربَّون في أرض الجان. لكنهم لا يتعلمون مع طبقة النبلاء كما نتعلم نحن. وكذلك يوجد الباحثون عن رؤية عجائب السحر وتعلمها الذين لا يمانعون في القليل من الكدح مقابل نيل بعض أمنيات قلوبهم. وهؤلاء عندما ألتقي بهم في الطريق، أحاول التحدث إليهم. وفي بعض الأحيان يرغبون في ذلك، وأحيانًا لا يرغبون. لقد سُحر معظم غير الحرفيين من





بينهم على الأقل لتحريرهم من سطوة ذكرياتهم القديمة حيث يعتقدون أنهم في مستشفى أو في منزل شخص ثري. وعندما يعودون إلى منازلهم - وقد أكَّدَ لي مادوك أنهم يعودون - فإنهم يحصلون على أجور جيِّدة، بل يتم منحهم بعض الهدايا، مثل قدر من الحظ السعيد، أو بعض من الشعر اللامع بصورة غير معهودة، أو تعويذة لتخمين أرقام اليانصيب الصحيحة.

لكنني أعلم أن هناك أيضًا بشرًا يُجرون صفقات سيئة، أو يسيئون إلى الجان الأشرار، ومن ثم لا يُعاملون جيِّدًا. وقد سمعنا أنا وتارين قصصًا، حتى لو لم يتعمد أحد أن نسمعها، عن بشر ينامون على أرضيات حجرية، ويأكلون النفايات، معتقدين أنهم يستريحون على فرش من الريش ويتغذون بالمأكولات الشهية. كما تم التلاعب بعقول بشر من خلال تناولهم فاكهة الجن. ويشاع أن خدام بالكين هم من النوع الأخير، وهم سيئو الحظ، ويتلقون أسوأ معاملة.

ارتجفت من مجرد التفكير في ذلك. ومع هذا أستطيع أن أفهم لماذا يمكن للبشر أن يكونوا جواسيس مفيدين. فإلى جانب القدرة على الكذب. يمكن للبشر أن ينتقلوا إلى مراتب متدنية وعالية دون لفت الكثير من الأنظار. فإذا أمسكنا بقيثارة، نكون فنانين. وحينما نلبس الملابس الرثة نكون خُدّامًا، وحينما نرتدي الفساتين الأنيقة، نغدو زوجات لديهن أطفال من الجان.

أعتقد أن كونك شخصًا لا يلفت الأنظار له مزايا.

بعد ذلك، حزمت حقيبة جلدية بها ثوب وسكين، وارتديت معطفًا سميكًا من القطيفة لإخفاء ثوبي، ونزلت الدرج. شعرت بالقهوة ترتج في أمعائي، وكنتُ على وشك الوصول إلى الباب عندما رأيت فيفي جالسةً على مقعد مغطى بالزخارف بجوار النافذة.

قالت وهي واقفة: «أنتِ مستيقظة. هذا حسن. هل ترغبين في ممارسة التصويب على الأشياء؟ لديَّ بعض السهام».

قلت: «ربما في وقت لاحق». وأبقيت معطفي مُثبَّتًا بإحكام حولي، ثمَّ حاولت تجاوزها، محتفظة بتعبيرات سعيدة لطيفة على وجهي.

لكن الأمر لم ينجح، فقد مدَّت ذراعها لتوقفني، وقالت: «أخبرتني تارين بما قلتِه للأمير في البطولة، وأخبرتني أوريانا كيف عدتِ إلى المنزل الليلة الماضية، ويمكنني تخمين البقية».

قلت لها: «أنا لست بحاجة إلى محاضرة أخرى». إن هذه المهمة التي تخصُّ الأمير داين هي الشيء الوحيد الذي يمنعني من أن تطاردني ذكرى ما حدث في اليوم السابق. ولا أريد أن أفقد التركيز وأخشى أنني إذا فعلت ذلك. فسوف أفقد رباطة جأشي أيضًا.

قالت فيفي: «تارين تشعر بالفزع».

قلتُ: «نعم. من المزعج أحيانًا أن يكون المرء على حق فيما يتخوَّف منه».

«كُفّي عن ذلك، يمكنك التحدث إليَّ. يمكنك الثقة بي. فما الذي يجري؟» قالتها، وأمسكت بذراعي، ونظرت إليَّ بعينيها ذواتي البؤبؤين المشقوقين.

قلتُ: «لا شيء. لقد ارتكبتُ خطأ، وغضبت. أردت أن أثبت شيئًا. الخلاصة، كنتُ حمقاء».

«هل للأمر علاقة بما قلتُه؟». كانت أصابعها لا تزال تُمسك ذراعي بقوة.

سيستمر الجان في معاملتك كالقمامة.

قلت لها: «يا فيفي، محال أن يكون قراري بإفساد حياتي هو خطأك. لكنني سأجعلهم يندمون على إذلالي».

سألت فيفي: «انتظري، ماذا تقصدين؟».

قلتُ: «لا أعرف». وجذبت ذراعي لتحريرها. اتَّجهت نحو الباب، وفي هذه المرة لم تمنعني. وبمجرد خروجي، أسرعت عبر العشب إلى الإسطبلات. أعلم أنني لم أكن عادلة مع فيفي التي لم تفعل شيئًا سيِّئًا. لقد أرادت المساعدة فحسب.

ربما لم أعد أعرف كيف أكون أختًا جيِّدة بعد الآن.

وفي الإسطبلات، اضطررت إلى التوقف والاتكاء على الحائط، وأنا أتنفس بعمق. لأكثر من

نصف حياتي، كنتُ أحارب الشعور بالذعر. وربما ليس أفضل شيء أن يبدو التوتر المستمر للأعصاب أمرًا طبيعيًّا، بل كان ضروريًّا. لكن في هذه المرحلة، لن أعرف كيف أعيش دونه.

أهم شيء هو إثارة إعجاب الأمير داين. ولا يمكنني السماح لكاردان وأصدقائه بسلبي هذا الامتياز.

للوصول إلى القصر الأجوف، قررت أن أمتطي أحد الضفادع؛ لأن النبلاء فقط هم الذين يركبون الخيول الفضية. ومع أن الخادم قد لا تكون لديه دابة من أي نوع، فإن الضفدع على الأقل لن يلفت الانتباه بشكل كبير.

في أرض الجان فقط يكون الضفدع العملاق هو الخيار الأقل لفتًا للنظر. وضعت سرجًا ولِجامًا على ضفدع مُرقط، وبينما أقوده للخارج على العشب أخرج لسانه الطويل على نحو مفاجئ لينظف إحدى عينيه الذهبيتين، ما جعلني أتراجع خطوة للخلف على نحو لا إرادي.

وضعت قدمي في الركاب، واستويت على السرج. ثمَّ سحبت اللجام بإحدى يديّ، وباليد الأخرى ربَّتُّ على جلد ظهره الناعم والبارد. انطلق الضفدع المُرقط بي في الهواء، وأنا أتشبث به.

إن القصر الأجوف عبارة عن قصر حجري به برج طويل ملتوٍ، نصفه مغطى بعروش النباتات واللبلاب. وتوجد شرفة في الطابق الثاني يبرز بها قضيب من الجذور السميكة بدلًا من الحديد. وتتدلى منها ستارة من اللبلاب الرقيق، مثل لحية شعثاء مُتَّسخة. هناك شيء غريب الشكل في القصر من المفترض أن يجعله جذَّابًا بيْدَ أنه يجعله قبيحًا. ربطت الضفدع، ووضعت معطفي في خُرجه، وبدأت السير باتجاه جانب القصر، حيث أعتقد أنني سأجد باب الخدم. في الطريق، توقفت لقطف بعض فطر عيش الغراب؛ حتى يبدو أن وجودي في الغابة كان مُبرَّرًا.



مع اقترابي، تسارعت دقّات قلبي من جديد، وقلت لنفسي إن بالكين لن يؤذيني. حتى لو تمَّ القبض عليَّ، فسوف يسلمني ببساطة إلى مادوك. ولن يحدث شيء سيئ.

لست متأكدة تمامًا من صحة نبوءتي، لكنني تمكَّنتُ من إقناع نفسي بما يكفي للاقتراب من مدخل الخدم، والتسلل إلى الداخل.

يؤدي المدخل الذي عبرته إلى المطابخ، حيث وضعت الفطر على طاولة بجانب حامل مُعلَّق به الكثير من الأرانب الملطخة بالدماء، وفطيرة حمام وحزمة من الثوم وعشبة إكليل الجبل، وعدد قليل من ثمار البرقوق داكن اللون وعشرات من زجاجات الشراب. وكان هناك قزم يُحرِّك قدرًا كبيرًا بجانب جنِّية مُجنحة. بينما كان يُقطع الخضار بشريَّان غائرا الخدين، صبي وفتاة، كلاهما يرسم ابتسامات صغيرة بلهاء على وجهيهما وهناك نظرات فاترة في أعينهما. إنهما لا ينظران كذلك إلى أسفل أثناء التقطيع، وأنا مندهشة من أنهما لم يقطعا أصابعهما دون قصد. والأسوأ من ذلك، أنهما إذا قطعاها، فأنا لست متأكدة من أنهما سيلاحظان ذلك.

فكَّرت في شعوري أمس، واستعاد فمي مذاق فاكهة الجن. فشعرت بغضبي يتصاعد، وأسرعت في المُضي عبر الرواق الممتد أمامي.

أوقفني حارس شاحب العينين بأن أمسك بذراعي. نظرت إليه، على أمل أن أتمكَّن من جعل تعبير وجهي مُحايِدًا، ومُبتهجًا، وحالمًا، مثل تعبير البشر العاملين في المطابخ.

قال لي بنبرة اتِّهامية: «أنا لم أركِ من قبل». فرددت: «منظرك جذَّاب، وعيناك تبدوان كمرآتين صافيتين»، مُحاوِلةً أن أبدو مرعوبة وحائرة بعض الشيء.

فأصدر صوت اشمئزاز، وهو ما جعلني أخمن أنني أؤدي عملًا جيِّدًا بما يكفي في التظاهر بأنني خادمة بشرية، مع أنني شعرت بأنني أصبحت أتصرَّف بغرابة، وكنتُ شديدة التوتر. لم أكن جيِّدة في الارتجال كما كنتُ أتمنى.



سألني وهو يلفظ الكلمات ببطء: «هل أنتِ جديدة هنا؟».

قلت: «جديدة؟». رددت سؤاله، في محاولة لمعرفة ما قد يفكِّر فيه شخص وُضِع في هذا الموقف. ولم أستطع التوقف عن تذكُّر المذاق الحلو المُثير لفاكهة الجن على لساني، ولكن بدلًا من التَّعمُّق في التذكُّر، أردت فقط التَّقيؤ، ثمَّ قلت بلا تفكير: «قبل الآن كنتُ في مكان آخر، أما الآن يجب أن أنظف القاعة الكبيرة بسائل التلميع حتى يلمع كل شبر منها».

قال: «حسنًا، أعتقد أنه من الأفضل لكِ فعل هذا». وتركني أذهب.

حاولت السيطرة على شعور الارتجاف الذي يسري تحت جلدي. أنا لا أمتدح نفسي لأن تمثيلي أقنعه؛ فقد اقتنع في الأساس لأنني بشرية، وهو يتوقع أن يكون البشر خدمًا. ومُجدَّدًا، استطعت أن أفهم لماذا اعتقد الأمير داين أنني سأكون مفيدة له كجاسوسة. وبعد تجاوز الحارس، كان من السهل إلى حدٍّ ما التَّحرُّك في القصر. كان هناك العشرات من البشر يؤدون أعمالهم المنزلية بلا وعي حقيقي، وقد تاهوا في أحلامهم الوهمية. لقد كانوا ينشدون أغاني صغيرة لأنفسهم، ويتغنون بالكلمات بصوتٍ عالٍ، ولكن من الواضح أنها مجرد مقتطفات من محادثات تجري في أحلامهم. إذ كانت عيونهم مُظلمة، وأفواههم جافة ومتشققة.

لا عجب في أن الحارس اعتقد من مظهري أنني خادمة جديدة.

وإلى جانب الخدم، هناك جان وجنيات. ضيوف احتفالٍ يبدو أنه يوشك على الانتهاء ولكنه لم ينتهِ فعلًا. كانوا ينامون في وضعيات مختلفة، مستلقين على الأرائك، ومتجمعين على أرضيات صالات الاستقبال التي مررت بها، وأفواههم ملطخة بلون ذهبي، بمسحوق ذهبي مُتلألئ، ومُركز، لدرجة أنه يغيب عقول الجن ويمنح البشر القدرة على سحر بعضهم بعضًا. كانت الكئوس ساقطة على جوانبها، والشراب يسيل فوق الأرضية غير المستوية، مثل الروافد مُشكِّلًا بحيرة كبيرة من العسل المخلوط بالأشربة المُسكرة. فيما لا يزال بعض الجان في حالة سكون بلا حركة لدرجة أني قلقت من أن يكونوا قد أفرطوا في الشراب حتى الموت.

قلت لفتاة في مثل عمري تحمل دلوًا من الصفيح: «المعذرة». لكنها تجاوزتني دون أن تلاحظ حتى أنني تكلَّمت.



ومع عدم وجود فكرة لديَّ عما ينبغي عليَّ فعله، قرَّرتُ أن أتبعها. صعدنا سُلَّمًا حجرِيًّا عريضًا دون قضبان. وهناك كان يرقد ثلاثة آخرون من الجان في شبه غيبوبة بجانب زجاجة شراب صغيرة الحجم. وفي الأعلى، في الطرف الآخر من القاعة، سمعت صرخة غريبة، مثل صرخة شخص يتألَّم، ثمَّ صوت شيء ثقيل يضرب الأرض. لقد صرت غاية في التوتر، وحاولت أن أُرجع تعبيرات وجهي إلى حالة اللامبالاة الحالمة، لكن الأمر لم يَكُن سهلًا. ودقَّ قلبي مثل طائر مُحاصر.

فتحت الفتاة بابًا يؤدي إلى جناح غرفة نوم، فدخلت خلفها.

كانت الجدران حجرية وغير مزينة برسومات أو زخارف. ويشغل فراش تنسدل من قائمتين من قوائمه ستائر، معظم المساحة في الغرفة الأولى، وكان رأس السرير مُحتشدًا بمنحوتات لحيوانات مختلفة برءوس نسائية - بوم، ثعابين، ثعالب - وهي تؤدي نوعًا من الرقص الغريب.

أعتقد أنه ينبغي ألا أُفاجأ لأن بالكين يرأس دائرة السواديات المسرفة والمُنحلَّة!

لقد ميَّزت الكتب المكدسة على المكتب الخشبي – إنها الكتب نفسها التي ندرسها أنا وتارين في صفوفنا. كانت مفتوحة ومتناثرة، مع وجود بضع أوراق مبعثرة بينها، بجانب محبرة مفتوحة. كان أحد الكتب يحوي ملاحظات دقيقة على أحد جانبيه، بينما الجانب الآخر مغطى بالبقع. كما كان هناك قلم مكسور نصفين بشكل متعمد - أو على الأقل لا أستطيع التفكير في طريقة أخرى يمكن أن يحدث بها هذا سوى التعمد - وموضوع في كعب الكتاب الملطخ بالحبر.

لا شيء يدل على وجود خيانة ما هنا.

أهداني الأمير داين هذا الزي الرسمي، وهو يعلم أن بإمكاني الدخول كما فعلت. وهو يعتمد على قدرتي على الكذب فيما يجاوز مرحلة الدخول. ولكن الآن بعد أن أصبحت في الداخل، آمل أن يكون هناك شيء ما في هذا القصر لأجده.

ما يعني أنه بغضِّ النظر عن مدى خوفي، فإني يجب أن أنتبه.

على طول الجدار كان هناك المزيد من الكتب، وبعضها مألوف من مكتبة مادوك. وتوقفت أمام رف، فعبس وجهي، وجثوتُ على ركبتي.

في أحد الأركان، توجد نسخة من كتابين أعرفهما، ولكن لم أتوقع رؤيتهما هنا في هذا المكان - مغامرات أليس في بلاد العجائب وعبر المرآة، وهما معًا في مجلد واحد. كانت أمي تقرأ لنا من مجلد يشبه هذا كثيرًا في عالم البشر.

وعند فتح الكتاب، رأيت الرسوم التوضيحية المألوفة ثمَّ الكلمات:

قالت أليس: «لكنني لا أريد الوجود بين المجانين».

قالت القطة: «أوه، لا حيلة لك في ذلك. كلنا مجانين هنا. فأنا مجنونة. وأنت مجنونة».

قالت أليس: «كيف تعرفين أنني مجنونة؟».

قالت القطة: «من المؤكد أنك كذلك، وإلا لما جئتِ إلى هنا».

كادت ضحكة مدوية تنفلت من حلقي، واضطررت إلى أن أعض شفتي لمنعها من الخروج.

كانت هناك فتاة بشرية جاثية أمام مدفأة ضخمة تكنس الرماد عن الموقد، وتحيط بها دعاماته الخشبية، وهي على شكل ثعابين ضخمة تبدو أعينها الزجاجية جاهزة للتوهج بالنيران المشتعلة.

ومع أنها قد تكون فكرة سخيفة، فإنني لم أقبل إعادة الكتاب إلى موضعه. إنه ليس واحدًا من الكتب التي أحضرتها فيفي معها إلى هنا من عالم البشر، كما أنني لم أره منذ أن كانت والدتي تقرؤه لنا في وقت النوم، ومن ثمَّ فقد خبأته أسفل ثوبي.




ثمَّ ذهبت إلى خزانة الملابس وفتحتها، باحثةً عن بعض الأدلة، وبعض المعلومات القيمة. ولكن بمجرد أن نظرت إلى الداخل، انتابتني نوبة ذعر شديدة. إذ تأكدت على الفور من طبيعة الغرفة التي أنا فيها. إن هذه هي السترات والسراويل الفاخرة الخاصة بالأمير كاردان. وهذه هي عباءاته المبهرجة ذات الحواف الفرائية، والقمصان الحريرية التي يرتديها.

بعد الانتهاء من كنس الرماد في المدفأة، كدست الخادمة حطبًا جديدًا من خشب الصنوبر

العطري على شكل هرم لإشعال النار فيه.

أردت أن أدفعها وأهرب. فقد كنتُ أفترض أن كاردان يعيش في القصر الملكي مع والده الملك السامي، ولم يخطر ببالي أنه قد يعيش مع أحد إخوته. كما تذكرت أن الأميرين داين وبالكين كانا يتناولان الشراب معًا في آخر حفل في القصر. وتمنيت بشدَّة ألَّا يكون كل هذا مُرتَّبًا لإذلالي بقدر أكبر، ولإعطاء كاردان عذرًا آخر - أو الأسوأ من ذلك - فرصة لمعاقبتي بقدر أكبر.

لن أصدق ذلك. الأمير داين، على وشك أن يُتوج كملك سامٍ، وليس لديه الوقت للانغماس في هذه الألاعيب الصغيرة المتمثلة في التظاهر بضمي إلى خدمته لمجرد أن شقيقه الأصغر يرغب في ذلك. لم يَكُن ليُلقي عليَّ تعويذة أو يتفاوض معي من أجل ذلك الهدف التافه فحسب. يجب أن أستمر في تصديق ذلك الاعتقاد؛ لأن البديل سيكون مؤلمًا للغاية.

كل هذا يعني أنه إلى جانب الأمير بالكين، يجب عليَّ أن أتجنب مواجهة الأمير كاردان أيضًا خلال تحركي في المنزل، إذ قد يتعرف عليَّ أيٌّ منهما إذا لمح وجهي. يجب أن أحرص على ألا يلمحاني.

على الأرجح إنهما لن ينظرا إليَّ من كثب. ولا أحد ينظر من كثب إلى الخدم من البشر.

ولإدراكي أنني لست مختلفة تمامًا عن هؤلاء الخدم، فأنا بشرية في النهاية، أجبرت نفسي على ملاحظة نمط الشامات على جلد الفتاة البشرية والنهايات المتقصفة من شعرها الأشقر،





وخشونة ركبتيها. وشاهدت كيف تتمايل قليلًا وهي تمشي على قدميها. ومن الواضح أن جسدها منهك، حتى لو كان دماغها لا يعي ذلك.

إذا رأيتها مرة أخرى، أريد التأكد من أنني سأتعرف عليها.

لكن هذا لا يفيد، ولا يبطل تأثير أية تعويذة. واصلتْ أداء مهامها، وهي تبتسم الابتسامة المقيتة الراضية نفسها. وعندما غادرتْ الغرفة، سرتُ في الاتجاه المعاكس. يجب أن أجد غرف بالكين الخاصة، وأجد أسراره، ثمَّ أخرج. فتحت الأبواب بعناية، وتأملت ما في داخلها. اكتشفت وجود غرفتي نوم كلتاهما كانت ترزح تحت طبقة كثيفة من التراب، وفي إحداهما كان هناك كائن مُلقى تحت غطاء عنكبوتي على الفراش، توقفت للحظة، وأنا أحاول أن أحدد ما إذا كان تمثالًا، أو جثة، أو حتى نوعًا من الكائنات الحية، ثمَّ أدركت أن هذا لا علاقة له بمهمتي وتراجعت بسرعة ثمَّ فتحت بابًا آخر لأجد عددًا من الجنيات مستلقيات معًا على الفراش وهن نائمات. غمزت لي إحداهن وهي نصف مستيقظة فحبستُ أنفاسي، لكنها عادت إلى أسفل الغطاء.

كانت الغرفة السابعة تفتح على الرواق حيث كانت السلالم تصعد وتنعطف إلى ما يبدو أنه البرج بالتأكيد. صعدتها بسرعة، ودقات قلبي تتسارع، وحذائي الجلدي يدوس بخفة على السلالم الحجرية.

كانت الغرفة الدائرية التي وصلت إليها مُغطاة بأرفف كتب، ومليئة بالمخطوطات، ولفائف وخناجر ذهبية، وقوارير زجاجية رفيعة بها سوائل بلون الجواهر داخلها، وجمجمة مخلوق شبيه بالغزلان ذي قرنين ضخمين يحملان فوقهما بعض الشموع المستدقة الرقيقة. وكان هناك كرسيان كبيران بالقرب من النافذة الوحيدة لها. وكانت هناك طاولة ضخمة تشغل منتصف الغرفة وعليها خرائط مُثبَّتةُ الزوايا بقطع من الزجاج والأشياء المعدنية. وفي أسفلها، كانت هناك بعض الرسائل. وفتشت الأوراق حتى وصلت إلى هذه الرسالة:

عرفت مصدر الفطر الأحمر الذي تبحث عنه، لكن ما تفعله به يجب ألا يكون مرتبطًا بي. وبهذا، أكون قد سددت ديوني. وأرجو ألا يأتي اسمي على لسانك مجدَّدًا.

ومع أن الرسالة غير موقعة، إلا أن الكتابة كانت بخط أنثوي أنيق، وبدت مهمة في تقديري. هل يمكن أن يكون هذا هو الدليل الذي يبحث عنه داين؟ هل يمكن أن يكون مفيدًا بما يكفي لإرضائه؟ ومع ذلك لا يمكنني أخذه. فإذا فُقدت الرسالة، فسيعلم بالكين على وجه اليقين أن شخصًا ما كان هنا، ومن ثمَّ فقد جئت بورقة فارغة، ووضعتها فوق الرسالة، وضغطت عليها، وبأسرع ما يمكنني نسخت الرسالة، مُحاوِلةً استنساخ خط اليد الذي كُتبت به بدقة.

كنتُ على وشك الانتهاء عندما سمعت صوتًا. لقد كان هناك أشخاص يصعدون السلالم.

أُصبت بالهلع. فلا يوجد مكان يمكنني الاختباء فيه، ولا يوجد مكان حقًّا في الغرفة؛ فهي تتكون في معظمها من مساحة مفتوحة، باستثناء الأرفف. طويت الرسالة المنسوخة، وأنا أعلم أنها غير مُكتملة، وأن الحبر الجديد سوف يلطخ ملابسي.

وبأسرع ما يمكنني اندفعت تحت أحد الكراسي الجلدية الكبيرة، وطويت نفسي ككرة مشدودة بإحكام. وتمنيت لو أنني تركت الكتاب الغبي حيث وجدته لأن إحدى الزوايا الحادَّة لغلافه انغرست في إبطي. وتساءلت كيف كنتُ أفكر حينما اعتقدت أنني ذكية بما يكفي لأكون جاسوسة في بلاد الجان.

أغمضتُ عينيَّ، كما لو أن عدم رؤية من يدخل الغرفة سيمنعه بطريقة ما من رؤيتي.

قال بالكين: «آمل أنك كنتُ تتدرب».

فتحت عيني قليلًا. كان كاردان يقف بجانب أرفف الكتب، وبجانبه خادم رقيق الوجه، يحمل سيفًا ملكيًّا مقبضه منقوش بالذهب، وعارضة السيف المعدنية على شكل حارس. اضطررت إلى عض لساني لأمنع نفسي من إصدار أي صوت.

سأله كاردان: «أيتوجب علينا ذلك؟». وبدا من صوته الضجر.

قال بالكين: «أرني ما تعلمت. كل ما عليك فعله هو أن تصيبني بضربة واحدة. واحدة فقط، يا أخي الصغير».

ثمَّ رفع طاقمًا واحدًا يتكوَّن من مجموعة متنوعة من الهراوات والعصي من وعاء بجانب مكتبه.

وقف كاردان مكانه دون أن يُحرِّك ساكنًا.

«التقط السيف». قالها بالكين، وقد بدا أن صبره أوشك على النفاد بالفعل.

بعد تنهيدة طويلة، رفع كاردان سيفه كانت وقفته القتالية بالغة السوء. وأمكنني أن أدرك

سبب انزعاج بالكين. بالتأكيد، حظيَ كاردان بالتدريب على يد معلمي قتال منذ أن كان كبيرًا بما يكفي ليحمل عصا في يديه. وقد تعلمتُ أنا مبادئ القتال منذ الوقت الذي وصلت فيه إلى بلاد الجان، أي أنه سبقني بسنوات عديدة من التعلم، وكان أوَّل شيء تعلمته أنا بالطبع هو المكان الذي أضع فيه قدمي.

رفع بالكين عصاه، وطلب منه: «الآن، هاجم».

لفترة طويلة، وقفا ثابتين، ينظر كلٌّ منهما للآخر. ثمَّ لوح كاردان بسيفه بطريقة عشوائية، فهوى بالكين بعصاه بقوة، وضربه على جانب رأسه. جفلتُ من صوت اصطدام الخشب بجمجمته. ترنح كاردان إلى الأمام، وكشف عن أسنانه. لقد احمرَّ خده وإحدى أذنيه من جراء الضربة.

قال كاردان وهو يبصق على الأرض: «هذا سخيف. لماذا يجب أن نلعب هذه اللعبة السخيفة؟ أم أنك تحب هذا الجزء منها؟ هل هذا ما يجعل الأمر ممتعًا بالنسبة لك؟».

ردَّ بالكين: «اللعب بالسيف ليس لعبة». ثمَّ طوَّح بعصاه مرة أخرى. حاول كاردان القفز إلى الخلف، لكن العصا أصابت حافة فخذه.

جفل كاردان، واستلَّ سيفه على نحو دفاعي، ثمَّ قال: «إذن، لماذا نسميه لعبًا بالسيف؟».

أظلم وجه بالكين من الضيق، وشدَّ قبضته على العصا، وفي هذه المرة، طعن بها كاردان في بطنه، لقد ضربه فجأةً وبقوة كافية لإسقاطه على الأرضية الحجرية، ثمَّ عقب بالكين: «لقد حاولت تحسين مستواك وصقل شخصيتك لكنك تصر على إهدار مواهبك على المرح، وعلى الإفراط في الشراب تحت ضوء القمر، وعلى خصوماتك الطائشة ومغامراتك العاطفية المثيرة للشفقة...».

قفز كاردان واقفًا على قدميه، واندفع نحو شقيقه، وهو يلوح بسيفه بعنف. كان يقبض على سيفه ويستخدمه كالعصا. إن حالة الهياج المصاحبة للهجوم جعلت بالكين يتراجع خطوة.

وأخيرًا ظهر أسلوب كاردان في القتال. وأصبح يهاجم بصورة أكثر تنظيمًا. ومن زوايا جديدة. إنه لم يُظهر قط اهتمامًا كبيرًا بالسيوف في المدرسة، ورغم معرفته بالأساسيات لست متأكدة من أنه يمارسها. جذب بالكين سلاح كاردان بقسوة وبراعة، فطار سيف كاردان من يده، مُصدرًا قعقعة حينما سقط على الأرض باتجاهي.

تراجعت بقدر أكبر خلف الكرسي. وللحظة، اعتقدت أنني سأُكشف، لكن الخادم هو من التقط السلاح دون أن يطرف بعينيه.

هوت عصا بالكين على الجزء الخلفي من ساقي كاردان، ما أسقطه على الأرض.

كنتُ مسرورة. فكان هناك جزء مني يتمنى لو كنتُ أنا الشخص الذي يستخدم تلك العصا.

«لا تحاول النهوض. لقد فشلت في الاختبار. مرة أخرى». فك بالكين حزامه، وسلَّمه للخادم البشري الذي لفَّه مرتين حول كفه.

لم يتحدَّث كاردان ولمعت عيناه بغضب مألوف، لكن في هذه المرة لم يكن يوجِّهه إليَّ. كان جاثيًا على ركبتيه، لكن لم يبدُ خائفًا على أية حال من الأحوال.

أصبح صوت بالكين رقيقًا، وقال هو يدور حول أخيه الأصغر: «أخبرني. متى ستتوقَّف عن أن تكون خيبة أمل للمحيطين بك؟».

أجاب كاردان: «ربما عندما تتوقَّف عن التظاهر بأنك لا تفعل هذا من أجل متعتك. وإذا كنت تريد أن تؤذيني، فستوفر لكلينا الكثير من الوقت إذا شرعت في...».

«كان أبونا شيخًا كبيرًا وبذرته ضعيفة عندما أنجبك. لهذا السبب أنت ضعيف». قال بالكين ذلك ووضع إحدى يديه على رقبة أخيه، بدا تصرفه وديًّا في ظاهره، حتى رأيت خوف كاردان و اختلال توازنه. وحينها أدركت أن بالكين كان يضغط عليها بقوة، ويثبت كاردان في مكانه على الأرض ثمَّ أمره: «الآن، اخلع قميصك وتلقَّ عقابك».

بدأ كاردان يخلع قميصه، فظهرت مساحة من جلده الشاحب كلون القمر وظهره البارز عليه

آثار دقيقة من الندوب الباهتة.

شعرت بالغثيان. إذ أدركت أنهم سيضربونه.

ينبغي أن أكون سعيدة لرؤية كاردان في مثل هذا الوضع. وينبغي أن أكون سعيدة لأن حياته سيئة، وربما أسوأ من حياتي، على الرغم من أنه أمير الجان ووغد فظيع وعلى الأرجح سيعيش إلى الأبد. لو أخبرني أحد بأنني سأحصل على فرصة لرؤية مشهد كهذا، لكنتُ سأفكر في أن آخر شيء يمكن أن أمنع نفسي من فعله هو التصفيق بسعادة.

لكن خلال المشاهدة، لم يسعني إلا أن ألاحظ أن خلف سلوكه المتحدي دومًا يكمن خوف عميق. وعرفت ما يعنيه التظاهر بقول وفعل ما يبدو ذكيًّا وبارعًا، لأنك لا تريد أن يعرف أحد مدى خوفك. ولم يجعلني هذا أحب الأمر أكثر، لكنه بدا واقعيًّا لأول مرة. ليس جيِّدًا، ولكنه واقعي.

أوْمَأَ بالكين برأسه. فضرب الخادم كاردان ضربتين، وكان صدى الضربة يتردَّد بصوتٍ عالٍ في هواء الغرفة الساكن.



قال بالكين لكاردان: «أنا لا آمر بهذا لأنني غاضب منك يا أخي بل أنا أفعل هذا لأنني أحبك. أفعل هذا لأنني أحب عائلتنا». وقد جعلني سماع ذلك أرتجف.

وعندما رفع الخادم ذراعه ليضربه للمرة الثالثة اندفع كاردان نحو سيفه الموجود على مكتب بالكين حيث وضعه الخادم. وللحظة اعتقدت أن كاردان سيغرس سيفه في الخادم البشري.

لم يصرخ الخادم، ولم يرفع يديه لحماية نفسه. ربما يكون مستغرقًا جدًّا في أحلامه. وربما يستطيع كاردان طعنه في قلبه ولن يفعل أي شيء للدفاع عن نفسه. لقد ضعف جسدي جراء كل هذا الرعب المحيط بي.

قال بالكين وهو يشعر بالملل: «هيا»، ثمَّ أعطى إيماءة غامضة للخادم. وحث كاردان قائلًا: «اقتله. أرني أنك لا تمانع في إحداث فوضى. أرني أنك تعرف على الأقل كيفية توجيه ضربة قاتلة لهدف مثير للشفقة مثل هذا».

قال كاردان: «أنا لست قاتلًا». وهو ما فاجأني. لم أكن لأظن أن هذا شيء ينبغي الفخر به.

وعلى بعد خطوتين، وقف بالكين أمام أخيه. لقد بدوا متشابهين للغاية، وهما يقفان أحدهما على مقربة من الآخر. إنه الشعر حالك السواد ذاته والتعبيرات الساخرة، والعيون المتقدة ذاتها. لكن بالكين أظهر خبرته الممتدة لعقود، حيث انتزع السيف من يدي كاردان، ثمَّ طرحه أرضًا باستخدام عارضة سيفه.

«إذن تلقَّ عقابك كمخلوق مثير للشفقة». ثمَّ أَوْمَأَ بالكين برأسه للخادم الذي خرج عن سكونه وعاد للحركة.

شاهدت كل ضربة بالحزام، وكل تقلص للجسم من الألم. فلم يكن لديَّ خيار آخر. كان بوسعي أن أغمض عيني، لكن الأصوات كانت مُروِّعة بالقدر نفسه. والأسوأ من ذلك كله هو وجه كاردان الخالي من التعابير وعيناه المتحجرتان.

حقًّا، لقد اكتسب قسوته المُروِّعة تحت رعاية بالكين. لقد نشأ في ظلِّ القسوة، وخبر دقائقها، وصقل شخصيته من خلال تطبيقها. بغض النظر عن مدى فظاعة كاردان حاليًّا، صرت الآن أرى بوضوح ما قد يصبح عليه في المستقبل، وأصبحت خائفة للغاية.





الفصل 13

من المثير للقلق أن الدخول إلى قصر إلفهايم برداء الخادمة هذا أكثر سهولة من دخول منزل بالكين.

كان الجميع، بداية من الجان من الجوبلن إلى طبقة النبلاء، إلى شاعر البلاط، وكبير الخدم البشريين، نهايةً بالملك السامي، يلقون إليَّ بالكاد نظرةً عابرة وأنا أشق طريقي باندفاع عبر القاعات التي تشبه المتاهات. فأنا لا شيء، مجرد نكرة، أو مرسال لا يستحق نيل اهتمام أكثر من الاهتمام بدمية امرأة متحركة أو بومة. تعبيري اللطيف الساكن البادي على وجهي، إلى





جانب سيري إلى الأمام أوصلني إلى جناح الأمير داين دون أن ألفت الانتباه، مع أنني ضللت طريقي مرتين، واضطررت إلى العودة إلى المسار نفسه مرة أخرى.

طرقت الباب، وشعرت بالارتياح عندما فتحه الأمير بنفسه.

رفع كلا حاجبيه في دهشة، ونظر إليّ في ثوب الخادمات. أعطيته انحناء رسمية، مثل أية خادمة، ولم أُغيِّر تعابير وجهي خوفًا من أنه قد لا يكون بمفرده. فقال لي مُتسائلًا: «ما الأمر؟».

قلتُ: «حضرت إلى هنا ومعي رسالة لك يا صاحب السمو، أتمنى أن تمنحني لحظات من وقتك». وتمنيت أن أكون قد تكلَّمت بالأسلوب اللائق.

فقال لي مُبتسِمًا: «إنك تتصرفين بصورة طبيعية. ادخلي».

شعرت بارتياح لجعل وجهي يسترخي. وأزلت الابتسامة المصطنعة من عليه، وأنا أتبعه إلى قاعة الجلوس.

كان الأثاث مكسوًّا بالقطيفة والحرير والقماش المطرز والمزخرف، ويمثل خليطًا من اللون القرمزي، والأزرق الداكن، والأخضر. كان كل شيء مُترَفًا وداكنًا، مثل الفاكهة الناضجة للغاية. وكانت الأشكال الموجودة على الأثاث من نوع الأشياء التي اعتدت عليها؛ ضفائر متشابكة من الورد البري والأوراق التي قد تكون أيضًا صور عناكب عندما تنظر إليها من زاوية أخرى، وتصوير لمطاردة ما غير أنه ليس واضحًا أيٌّ من المخلوقات يطارد الآخر.

تنهدت وجلست على الكرسي الذي وجَّهني نحوه، مُتحسِّسةً جيبي.

قلتُ: «تفضل» ، وسحبت الرسالة المطوية وفتحتها على سطح طاولة صغيرة جميلة بأقدام منحوتة على شكل أرجل طيور. ثم أردفت: «لقد جاء الأمير بالكين حينما كنت أنسخها، لذا فهي تبدو فوضوية إلى حد ما». لقد تركت الكتاب الذي سرقته من هناك مع الضفدع؛ فآخر شيء أريد أن يعرفه الأمير داين هو أنني أخذت شيئًا لنفسي.

دقَّقَ داين بصره لرؤية أشكال الحروف من بين خربشاتي. «ألم يركِ؟».

قُلتُ بصدق: «كان مُشتَّتًا. وقد اختبأت».

فأوْمَأَ برأسه وقرع جرسًا صغيرًا، ربما لاستدعاء خادم. سيسرني لو كان القادم أي شخص غير مسحور. ثم سألني: «جيِّد. وهل استمتعتِ بالأمر؟».

لم أكن مُتأكِّدةً من فهم ما يقصده بهذا السؤال. كنت خائفةً إلى حدٍّ كبير طوال الوقت - كيف يكون فعل أمرٍ كهذا ممتعًا؟ لكن كلما طالت فترة تفكيري في الأمر، أدركت أنني استمتعت به بالفعل بقدرٍ ما. كانت معظم حياتي عبارة عن ترقُّب مخيف، في انتظار حدوث خطأ ما - في المنزل، أو في الصفوف الدراسية، أو في القصر. وكان الخوف من أن يتمَّ القبض عليَّ، وأنا أتجسَّس، إحساسًا جديدًا تمامًا شعرت فيه، على الأقل، كما لو كنت أعرف بالضبط ما الذي يجب أن أخاف منه، وكنت أعرف كذلك ما يتطلبه الأمر للفوز.

كان التَّسلُّل إلى منزل بالكين أقل إثارةً للخوف من حضوري لبعض الحفلات.

على الأقل شاهدت كاردان يتعرَّض للضرب. ثم شعرت بشيء لا ارغب في استقصائه من كثب.

قلت، وقد وجدت أخيرًا إجابة صادقة: «أحببت قيامي بهذا العمل على النحو المطلوب».

جعل هذا داين يومئ برأسه استحسانًا. وكان على وشك أن يخبرني بشيء آخر عندما دخل جني الغرفة. كان عفريتًا من الجوبلن ذا ندبة، وبشرته خضراء كلون أسطح المستنقعات، وكان أنفه طويلًا ومُنثنِيًا بشكل كامل قبل أن ينحني باتجاه وجهه مثل المنجل. كان شعره عبارة عن خصلة سوداء تتركز في منتصف رأسه، بينما كانت عيناه خاليتين من أية تعبيرات. وقد رمشت عيناه عِدَّة مرات، كما لو كان يحاول التركيز عليَّ.

قال بصوتٍ رخيم يتناقض تمامًا مع تعابير وجهه: «إنهم يدعونني روتش؛ أي الصرصور». ثم انحنى ورفع جانب رأسه نحو الأمير داين. «أظن أن كلينا في خدمة سموِّه. أنتِ الفتاة الجديدة، أليس كذلك؟».

أَوْمَأتُ برأسي. «هل يفترض بي أن أخبرك باسمي، أم يفترض بي أن أبتكر اسمًا مُختلَقًا؟».

ابتسم الصرصور، ما جعل وجهه ينقبض بالكامل بشكلٍ أكثر بشاعة، ثم قال: «من المفترض

أن آخذك لمقابلة الفرقة، ولا تقلقي بشأن ما سنناديك به، إذ سنقرر ذلك بأنفسنا. هل تعتقدين أن أي شخص عاقل سيَودُّ أن يُنادى بالصرصور؟».

قُلتُ مُتنهِّدةً: «عظيم».

ثم رمقني بنظرة فاحصة، وقال: «نعم، أستطيع أن أرى أن هذه موهبة حقيقية. ولا داعي لإخباري بما تقصدينه بكلامك».

لقد كان يرتدي سترة ضيقة شبيهة بالسترة الملكية، غير أن سترته مصنوعة من قصاصات من الجلد. وتساءلت في نفسي ماذا سيقول مادوك إذا عرف أين أنا، ومع مَن. لا أعتقد أنه سيكون مسرورًا.

لا أعتقد أنه سيكون سعيدًا بأي شيء فعلته اليوم. فالمحاربون يتمسكون بتقاليد غريبة عن الشرف، حتى من يغمسون قبعاتهم في دماء أعدائهم. ومن ثَمَّ فإن التَّسلُّلَ إلى المنازل وسرقة الأوراق لا يتماشى مع هذه التقاليد على الإطلاق. ومع أن مادوك لديه جواسيس، فلا أعتقد أبدًا أنه سيحب أن أكون جاسوسة.

قال داين: «إذن، لقد كان بالكين يبتزُّ الملكة أورلاج». فنظرنا أنا والصرصور إليه متطلعين.

كان الأمير داين مستاءً من الرسالة، وفهمت فجأةً أنه استطاع قراءة النسخة المكتوبة بخط يدي. ومن المؤكد أن والدة نيكاسيا، الملكة أورلاج، هي المرأة التي جلبت الفطر السام لبالكين. لقد كتبت أنها كانت تُسدِّد دينًا، ورغم معرفتي بنيكاسيا، يمكنني أن أخمن أن فعل



القليل من الشر لن يشبع والدتها ويجعلها تتوقف. لكن مملكة البحار التي تحكمها هذه الملكة شاسعة وقوية. ومن الصعب تخيُّل ما يمكن أن يدينها به شخص مثل بالكين.

سَلَّمَ داين رسالتي إلى الصرصور، وسأله: «أما زلت تعتقد أنه سيستخدمه قبل التتويج؟».

أهتز أنف الصرصور، وقال: «هذه هي الخطوة الذكية، لأنك بمجرد أن يصبح التاج على رأسك، فلن ينزعه شيء».

حتى تلك اللحظة، لم أكن مُتأكِّدةً مَن سيُستخدم ضده السم. ثم فغرتُ فمي، وعضضت جانب خدي لمنع نفسي من قول شيء أحمق. فمن المؤكد بالطبع أنه من أجل الأمير داين. مَن غيره سيضطر بالكين إلى دسِّ بعض السم لقتله؟ لأن بالكين إذا وَدَّ قتل أشخاص عاديين، فقد يستخدم نوعًا من السموم الرخيصة.

بدا أنَّ داين لاحظ دهشتي، ففسَّرَ قائلًا: «لم نتفق قطُّ، أنا وأخي. لقد كان دائمًا ما يطمح بشدَّة إلى اعتلاء العرش. ومع ذلك كنت أتمنى...». ثم لوَّحَ بيده، متراجعًا عن كل ما كان على وشك قوله. بعدها استطرد: «قد يكون السم سلاح الجبناء، لكنه سلاح فعَّال».

«ماذا عن الأميرة إلوين؟». طرحت عليه هذا السؤال، ثم تمنيت لوكان بوسعي التراجع عنه، ربما يكون السم لأجلها أيضًا. من المؤكد أن لدى الملكة أورلاج الكثير منه.

في هذه المرة، لم يجبني داين.

قال الصرصور: «ربما يخطِّط بالكين للزواج بالأميرة إلوين»، ما فاجأ كلينا. وحينما رأى تعبيرات وجهينا المندهشة أنا وداين، هزَّ كتفيه علامةً على عدم استغرابه، وقال: «ماذا يبدو غريبًا في كلامي؟ إذا جعل نيته واضحة للغاية، فسيكون الشخص التالي الذي يتلقى طعنة في ظهره. ولن يكون أول فرد من طبقة النبلاء يتزوج أخته».

قال داين وهو يضحك لأول مرة في هذه المحادثة: «إذا تزوجها، فسيتلقى طعنةً في صدره».

دائمًا ما فكرت في إلوين باعتبارها الأخت اللطيفة فحسب. ولمرة أخرى أدرك مدى ضآلة معرفتي بالعالم الذي أحاول الإبحار فيه. قال الصرصور وهو يلوِّح لي بأن أتحرك: «تعالي. حان الوقت لمقابلة الآخرين».

ألقيت نظرة حزينة في اتجاه داين. لم أرد الذهاب مع الصرصور الذي التقيته من فوري، ولست متأكدة من أنني سأثق به على الإطلاق. حتى أنا، التي نشأت في منزل قائد الجيوش، أخاف من جان الجوبلن.

«قبل أن تذهبي». خاطبني داين، ثم مشى حتى وقف أمامي مباشرة، وقال: «لقد وعدتك بألا

يجبرك أحد على فعل شيء، سواي. وأخشى أنني سأضطر إلى استخدام هذه السلطة. يا جود دوارتي، أنا أمنعك من الكشف عن خدمتك لي. أمنعك من الكشف عنها كتابةً أو بالغناء كذلك. لن تخبري أحدًا عن الصرصور ولن تخبري أحدًا عن أيٍّ من جواسيسي. ولن تكشفي أبدًا أسرارهم، وأماكن لقاءاتهم، ومنازلهم الآمنة. هذا ما دمت حيًّا، سوف تطيعيني في هذا».

كنت أرتدي عقدي الحامي المصنوع من توت الروان، لكنه لن يحميني من سحر تعويذته. إذ إن هذا ليس سحرًا عاديًّا، ولا شعوذة بسيطة.

سوف تُخرسني التعويذة، وأنا أعلم أنني حتى إذا حاولت التحدث، فلن يستطيع فمي التَّلفُّظَ بتلك الكلمات المُحرمة. أنا أكره هذا. إنه شعور فظيع، شعور بأنك فاقد للسيطرة. وقد جعل الأفكار تتدافع في رأسي، مُحاوِلةً تخيُّلَ طريقة ما للتحايل على أوامره في أي وقت، لكنني لم أستطع.

ثم فكَّرت في رحلتي الأولى إلى بلاد الجان وصوت تارين وفيفي وهما تنوحان. وفكَّرت في تعبيرات وجه مادوك الكئيبة وفكه المغلق؛ فقد كان بلا شك غير معتاد الأطفال، فما باله بأطفال البشر. من المؤكد أن أذنيه كانتا تؤلمانه. ومن المؤكد أنه أراد منا أن نصمت. من الصعب التفكير في أي شيء جيد بشأن مادوك في تلك اللحظة، حينما كانت دماء والدينا مُراقةً على يديه. لكنني سأقول ما يلي تقديرًا له... إنه لم يسحرنا ليُزيل شعورنا بالحزن، أو يحجب أصواتنا، لم يفعل قطُّ أيًّا من الأشياء التي قد تجعل رحلته معنا أسهل بالنسبة له.



حاولت إقناع نفسي بأن الأمير داين يفعل الشيء الذكي فقط، الشيء الضروري، عبر إلزامي بهذا. لكن هذا يشعرني بالقلق على أية حال.

وللحظة كنت غير مُتأكِّدة من صواب قراري بخدمته.

قال داين عندما كنت على وشك المغادرة: «أوه. إن هناك شيئًا آخر. هل تعرفين ما المثراديتية أو المناعة السُّمية؟».

هززت رأسي نفيًا، ولم أكن مُتأكِّدةً أنني مهتمة بأي شيء سيقوله في تلك اللحظة.

فقال مُبتسِمًا: «ابحثي عن معناها. هذا ليس أمرًا، بل مجرد اقتراح».

اتَّبعتُ الصرصور عبر اروقة القصر، وابتعدت عنه بضع خطوات حتى لا يبدو أننا معًا. وحينما مررنا بأحد معارف مادوك، حرصت على إبقاء رأسي مُنحنِيًا لأسفل. لا أعتقد أنه سينظر عن قرب بما يكفي للتعرُّف عليَّ، لكن لا يمكنني التَّأكُّد من ذلك.

«إلى أين نحن ذاهبان؟». همست بهذه الكلمات بعد عِدَّة دقائق من المشي عبر القاعات.

قال بخشونة: «لم يتبقَّ إلا القليل»، ثم فتح خزانة، وارتقى إلى داخلها ولمعت عيناه باللون البرتقالي مثل عيني الدب، وقال: «حسنًا، ادخلي وأغلقي الباب».

ذكَّرته قائلةً: «لا أستطيع أن أرى في الظلام»؛ لأن هذا أحد الأشياء العديدة التي لا يتذكَّرها الجان عنَّا مُطلقًا.

فأصدر صوت نخير من أنفه.

دخلت، وضممت أطرافي بقوة حتى لا يلمس أي جزء مني، ثم أغلقت باب الخزانة خلفي. سمعت انزلاق الخشب وشعرت باندفاع تيار من الهواء البارد الرطب، وملأت رائحة الحجر الرطب المكان.



كانت يده تُمسك ذراعي بحرص، وكان بوسعي الشعور بملمس مخلبه. سمحت له بسحبي للأمام، والضغط على رأسي حتى أعرف متى أنخفض. وعندما وقفت باستقامة، اكتشفت أنني في ممر ضيق فوق ما يبدو أنه أقبية الشراب في القصر.

ما زالت عيناي تتكيَّفان مع عتمة المكان، ولكن ما أمكنني رؤيته أن هناك شبكة من الممرات تحت القصر. وتساءلت كم من الناس يعرفون هذا، ثم ابتسمت لفكرة معرفتي سرًّا خاصًّا عن هذا المكان. أنا بالتحديد، من بين جميع الناس.

وتساءلت عما إذا كان مادوك يعرف هذا.

وكلي ثقة بأن كاردان لا يعرفه.

وابتسمت ابتسامةً ملأت وجهي.

سألني الصرصور بصبر نافد: «هل اكتفيتِ من الحملقة؟ يمكنني الانتظار فترة أطول إن شئتِ».

سألته: «هل أنت مستعد لتخبرني بأي شيء؟ مثل إلى أين نحن ذاهبان، أو ما الذي سيحدث عندما نصل إلى هناك؟».

قال بصوتٍ رخيم: «خمِّني الأمر وحدكِ. هيا».

قُلتُ له: «لقد قلت إننا سنلتقي الآخرين. وجعلني الأمير داين أعده بعدم الكشف عن أية مواقع سرية، لذلك من الواضح أننا ذاهبان إلى مخبئكم. لكن هذا لا يخبرني بما سنفعله عندما نصل إلى هناك». وحاولت مواكبته في السير وتجنُّب التَّعثُّر على الأرض غير المستوية.

قال الصرصور: «ربما سنريك كيفية الانضمام إلى فرقتنا السرية». وفعل شيئًا لم يمكنني رؤيته بوضوح، لكن بعد لحظة سمعت صوت نقرة - كما لو أن قفلًا قد فُتِح أو أُزيل فخ. ثم تلقيت دفعة لطيفة على ظهري الصغير، وجهتني نحو نفق جديد كانت إضاءته أكثر خُفوتًا.

وقد عرفت متى وصلنا إلى أحد الأبواب؛ لأنني كنت أسير باتجاهه مباشرة، ولم أتوقف قبله، وهو ما أدهش الصرصور كثيرًا فقال: «أنتِ لا تستطيعين الرؤية حقًّا».

فركت جبهتي، وقلتُ: «لقد أخبرتك بأنني لا أستطيع!».

فذكَّرني قائلًا: «نعم، لكنك تستطيعين الكذب. وليس من المفترض أن أصدق أي شيء تقولينه».

«لماذا أكذب بشأن شيء من هذا القبيل؟». سألته، وأنا ما زلت منزعجة.

ترك سؤالي مُعلَّقًا في الهواء. فالجواب واضح - حتى أتمكَّن من حفظ الطريق. حتى يكشف لي دون قصد عن شيء لا يكشفه لشخص آخر. وكذلك ليتخلى عن حذره.

أنا بحاجة حقيقية إلى التوقُّف عن طرح الأسئلة الغبية.

وربما يحتاج هو حقًّا إلى أن يكون أقلَّ شكًّا؛ لأن داين ألقى عليَّ تعويذة حتى لا أستطيع إخبار أي شخص بكل ما يتعلَّق به وبالتجسس لصالحه مهما حدث.

فتح الصرصور الباب، فغمر الضوء المدخل، ما دفعني إلى رفع ذراعي أمام وجهي اتِّقاءً لشدته، ثم ألقيت نظرةً على المخبأ السري لجواسيس الأمير داين. كانت جوانبه الأربعة مبنية من خليط من مواد التربة كالرمل والطَّمي والطين، وجدرانه مُنحنية للداخل والسقف مستدير. وتشغل طاولة كبيرة معظم الغرفة، ويجلس إليها جِنِّيان لم أقابلهما من قبل - كان كلاهما يُحدِّق إلى وجهي بنظرة يمكنني القول إنها غير سعيدة.

ثم قال الصرصور: «مرحبًا بك في مجلس الظلال».







الفصل 14



العضوان الآخران في فرقة تجسس داين كان لهما أيضًا اسمان رمزيان. فهناك الجني النحيف الوسيم الذي يبدو على الأقل نصف بشري، وقد غمز بعينيه، وطلب مني أن أناديه باسم الشبح. كان لديه شعر رملي اللون، وهو أمر طبيعي بالنسبة للبشر، ولكنه غير مألوف بالنسبة لجني، وكانت أذناه تمتدان إلى أن تنتهيا بطرفين مُدببين للغاية.

أما العضو الآخر، فكان فتاة صغيرة الحجم ورقيقة، وبشرتها بنية مُرقَّطة كجلد الظباء، وشعرها عبارة عن سحابة بيضاء تلتف حول رأسها، ولديها زوج من أجنحة الفراشات الصغيرة لونهما أزرق رمادي. وكان لديها على الأقل بعض صفات الجنيات، وتشبه بقَدْرٍ ما أيضًا العفاريت الصغار.



أدركت أني أعرفها من قبل، حيث رأيتها قبل ذلك في حفل اكتمال القمر الخاص بالملك السامي. إنها من سرقتْ حزامًا من الغول، ذلك الحزام الذي كان يحتوي على أسلحة وأكياس من المال.

قالت عن نفسها: «إنني القنبلة، فأنا أحب تفجير الأشياء».

أَوْمَأتُ برأسي في تفهُّم. إنه من الأشياء الصريحة التي لا أتوقع أن يقولها الجان، أنا معتادة التعامل مع جان البلاط وسلوكياتهم المنمقة. لكني لست معتادة التعامل مع آحاد الجان على انفراد، ولا أعرف كيف أتحدث إليهم. فتساءلت: «إذن أنتم الثلاثة فقط؟».

قال الصرصور: «صرنا أربعة الآن. نحن من يحرص على حياة الأمير داين، وعلى إطلاعه على أحوال البلاط بصورة مُفصَّلة. فنحن نسرق ونتسلَّل ونخدع لتأمين تتويجه. وعندما يصبح ملكًا، سنسرق، ونتسلَّل، ونخدع للحرص على بقائه على العرش».

أَوْمَأتُ برأسي مُؤكِّدةً كلامه. فبعد رؤيتي حقيقة بالكين، أريد أن يجلس داين على العرش أكثر من أي وقت مضى. فسيكون مادوك إلى جانبه، وإذا استطعت أن أكون مفيدة بدرجة كافية، فربما يُبعدون بقية طبقة النبلاء عن مضايقتي.

قال الصرصور: «يمكنك فعل أمرين لا يستطيع بقيتنا فعلهما. أوَّلًا، يمكنك أن تندمجي مع الخدم البشريين. ثانيًا، يمكنك التنقل بين طبقة النبلاء. كما أننا سنعلمك بعض الحيل الأخرى. لذا، ما لم تحصلي على مهمة أخرى مباشرة من الأمير، فإن وظيفتك هي فعل ما أمليه عليك».

أَوْمَأتُ برأسي مجدَّدًا. فقد كنت أتوقع شيئًا من هذا القبيل. ثم قلت مُنبِّهةً: «لا يمكنني دائمًا الابتعاد. لقد تغيَّبتُ عن الصفوف الدراسية اليوم، لكن لا يمكنني فعل ذلك طوال الوقت، وإلا سيلاحظ أحدهم، ويسألني أين كنت. كما يتوقع مادوك مني أن أتناول العشاء معه ومع أوريانا وبقية أفراد الأسرة في منتصف الليل تقريبًا».

نظر الصرصور إلى الشبح، وهزَّ كتفيه: «هذه هي دائمًا مشكلة التَّسلُّل من داخل القصور

وإليها. هناك الكثير من القواعد السلوكية التي تستهلك وقتًا كبيرًا. فمتى يمكنك التَّسلُّل؟».

قلت لهم: «يمكنني التَّسلُّلُ إلى الخارج بعد الوقت الذي يُفترض لي أن أكون في فراشي خلاله».

قال الصرصور: «هذا جيِّد بما فيه الكفاية، سيقابلك أحدنا بالقرب من المنزل وسيُدرِّبك، أو يعطيك تكليفات. ولن تحتاجي دائمًا إلى المجيء إلى هنا، إلى العش». أوْمَأَ الشبح، كما لو كانت مشكلاتي منطقية وجزءًا من متاعب الوظيفة، لكنني شعرت بأنني طفولية بعض الشيء. إن مشكلاتي تبدو مشكلات طفل.

قالت القنبلة وهي تتَّجه نحوي: «فلنبدأ».

حبست أنفاسي في ترقُّب. فمهما يحدث بعد ذلك، يمكنني تحمُّله. وقد تحمَّلت أكثر مما يستطيعون تخمينه.

لكن القنبلة أخذت تضحك فحسب، ثم أعطاها الصرصور دفعة مرحة.

ألقى الشبح إليَّ نظرةً متعاطفة وهزَّ رأسه. ولاحظت أن عينيه تتحوَّلان إلى اللون العسلي، ثم قال مُعَقِّبًا: «إذا قال الأمير داين إنك جزء من مجلس الظلال، فأنت كذلك. فحاولي ألا تكوني مصدر خيبة أمل وسنحمي ظهرك».

أطلقت أنفاسي المحبوسة منذ قليل. فلم أكن واثقة بأنني أودُّ خوض اختبار، أو طريقة ما لإثبات نفسي.

صنعت القنبلة تعبيرًا جادًّا على وجهها، وقالت: «ستعرفين أنك أصبحت حقًّا واحدة منا عندما تحصلين على اسمك ولا تتوقعي ذلك في أي وقت قريب».



ذهب الشبح إلى خزانة، وأخرج زجاجة نصفها فارغ، وبها سائل أخضر فاتح اللون مع كومة من كئوس البلوط المصقولة، وصبَّ أربعة كئوس. وقال لي: «تناولي هذا الشراب. ولا تقلقي، فلن يؤثر فيك أكثر من أي مشروب آخر».

هززت رأسي رفضًا، وفكَّرت في الحالة التي شعرت بها بعد أن هُرِست التفاحة الذهبية في وجهي. لا أريد أن أشعر بفقداني السيطرة مرة أخرى. ورددت: «لا أريد».

قرع الصرصور شرابه، وانكمشت ملامح وجهه، كما لو أن الشراب آلم حلقه، وقال: «كما تشائين» ثم تجشَّأ قبل أن يبدأ السعال.

بالكاد اقترب الشبح من محتويات كأسه، فيما أخذت القنبلة رشفات صغيرة من كأسها، ومن خلال رؤيتي لتعبيرات وجهها، كنت سعيدة جدًّا لأنني رفضت تناوله.

قال الصرصور مُوضِّحًا طبيعة الرسالة التي اكتشفتها : «سيكون بالكين مشكلة».

وضعت القنبلة كأسها، وقالت: «أنا لا أحب كل شيء يتعلق بهذا الأمر. لو كان ينوي قتل إلدريد لقتله بالفعل».

لم أفكِّر قبل ذلك في أن بالكين قد يُسمِّم والده.

مدَّدَ الشبح جسده النحيل، وهو ينهض، وقال: «الوقت يتأخَّر. يجب أن أصحب الفتاة إلى منزلها».

ذكَّرته باسمي قائلةً: «جود».

فابتسم وقال: «أعرف طريقًا مُختصرًا».

عدنا إلى الأنفاق، وكانت صحبتي له تمثل تحدِّيًا؛ لأنه، كما يوحي اسمه يتحرَّك بصمت تام تقريبًا. ولعِدَّة مرات، اعتقدت أنه تركني وحدي في الأنفاق لكنني عندما كنت أوشك على





التوقف عن المشي، كنت أسمع زفيرًا خافتًا للغاية أو وقع خطاه على التراب وأقنع نفسي بالاستمرار.

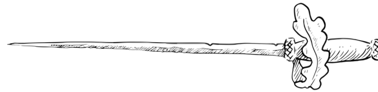
وبعد ما بدا كأنه وقت طويل مؤلم، فُتِح باب مدخل. ووقف الشبح فيه وخلفه قبو الشراب الخاص بالملك السامي، وانحنى انحناءة صغيرة.

سألته مُستنكِرةً: «أهذا طريقك المختصر؟».

فغمز لي وقال: «إذا وقعت بضع زجاجات من هذه في حقيبتي أثناء مرورنا، فهذا ليس خطئي، أليس كذلك؟».

انفلتت مني ضحكة رغمًا عني، فبدا صوتي كالصرير، ومتكلفًا في أذني. أنا لست مُعتادةً أن يُشركني أحد الجان في مزاحه، على الأقل ليس خارج نطاق عائلتي. أحب أن أصدِّق أنني بخير هنا في بلاد الجان. وأحب أن أصدِّق أنني على الرغم من تعرُّضي لتجربة غُيِّبَ فيها عقلي، وكدت أُقتل في المدرسة أمس، إلا أنني قادرة على ترك ذلك خلف ظهري اليوم. أنا بخير.

لكن إذا لم أستطع الضحك، فربما لا أكون فعلًا بخير.



بدَّلت ملابسي، وارتديت الفستان الأزرق الذي خبَّأته في الغابة خارج أراضي مادوك، على الرغم من التعب الشديد الذي أصاب مفاصلي. وتساءلت عما إذا كان الجان قد شعروا بتعب مماثل، وما إذا كانوا قد عانوا أي وجع بعد قضاء أمسية طويلة كهذه. بدا الضفدع الذي أتنقل على ظهره مُنهكًا أيضًا، مع أنه ربما يكون مُتخمًا فحسب.

فعلى حدِّ علمي، فإن أكثر ما فعله اليوم هو استخدام لسانه لصيد الفراشات المارة، وكذلك التهم فأرًا أو فأرين.



كان الليل حالك السواد عندما عدت إلى المنزل. وكانت الأشجار مُضاءةً بأشباح صغيرة، ورأيت أوك يضحك ويجري بينها، بينما تلاحقه فيفي وتارين، ومعهما -يا إلهي- «لوك». لقد كان من المُربِك رؤيته هنا، وهذا حدث غريب تمامًا. هل جاء بسببي؟

مع صيحة عالية اندفع أوك نحوي، ثم قفز فوق السرج، وصار في مواجهتي.

ثم صاح وهو منهك، ومفعم بنشوة الطفولة المتلألئة: «لاحقيني!».

حتى الجان يمرُّون بفترة طفولة مثل البشر.

باندفاع، ضممته إلى صدري. كان جسده دافئًا ورائحته كرائحة العشب وأعماق الغابة. سمح لي بضمِّه للحظة، ثم جعل ذراعيه الصغيرتين تلتفان حول رقبتي، ونطح رأسه الصغير المقرَّن صدري بصورة مشاكسة، ثم انزلق إلى أسفل وهو يضحك، وجرى بعيدًا، بعدها ألقى نظرة خاطفة إلى الوراء ليرى ما إذا كنت سأتبعه.

تساءلت في نفسي بما أنه نشأ هنا، في أرض الجان، فهل سيتعلم يومًا ازدراء البشر؟ عندما أتقدَّم أنا في السن ويظل هو صغيرًا، هل سيحتقرني أيضًا؟ هل سيصبح قاسيًا مثل كاردان؟ هل سيصبح وحشِيًّا مثل مادوك؟

ليست لديَّ أية وسيلة لمعرفة ذلك.

نزلت عن الضفدع، ووضعت قدمًا في الرِّكاب وأنا أميل بجسدي إلى أسفل. ربتُّ أنف الضفدع مباشرة، فانغلقت عيناه الذهبيتان ببطء. وفي الواقع، بدا نائمًا قليلًا حتى أمسكت زمامه وقُدته نحو الإسطبلات.

قال لوك وهو يركض نحوي: «مرحبًا. أين كُنتِ؟».

قُلتُ له: «هذا ليس من شأنك»، لكني خفَّفت حِدَّة الكلمات بابتسامة لم أستطع منعها.

رد: «آه! أنتِ إذن من النوع الغامض. إن هذا نوعي المفضل تمامًا». كان يرتدي ثوبًا أخضر ذا شقوق تظهر قميصه الحريري تحته. وكانت عيناه اللتان تشبهان عيني الثعلب براقتين. وبدا كأنه جني عاشق خرج من قصة شعرية. جني من النوع الذي لا تحظى الفتاة التي تهرب معه بأي حظ طيب. ثم قال: «آمل أن تفكري في العودة إلى الصفوف الدراسية غدًا».

واصلت فيفي ملاحقة أوك، لكن تارين توقَّفت بالقرب من شجرة دردار كبيرة. وراقبتني بالتعبيرات نفسها التي ارتسمت على وجهها في ميدان البطولة. كما لو أنها إذا ركَّزت بقوة

كافية، فسيمكنها أن تمنعني من الإساءة إلى لوك.

قلت له: «هل تهدف إلى أن يعرف أصدقاؤك أنهم لم يتمكنوا من طردي؟ هل هذا يهم؟».

نظر إليَّ باستغراب، وقال: «أنتِ تلعبين لعبة الملوك والأمراء، والملكات والتيجان، أليس كذلك؟ بالطبع هذا مهم. إن كل شيء مهم».

لست متأكدة كيف أفسر كلماته بالتحديد. لم أكن أعتقد أنني كنت ألعب هذا النوع من الألعاب على الإطلاق. لقد اعتقدت أنني ببساطة كنت ألعب لعبة إغاظة الأشخاص الذين يكرهونني بالفعل، ونتحمَّل كلنا العواقب.

«عودا إلى حضور الدروس. ينبغي أن تعودا أنت وتارين، وقد أخبرتها بهذا». أدرت رأسي، وبحثت عن توأمتي في الفناء، لكنها لم تعد واقفة بجوار الحجرة الدردار، وبعد قليل توارت فيفي وأوك وراء أحد التلال، ربما تكون قد ذهبت معهما.

بعد بعض الوقت وصلنا إلى الإسطبلات، وأعدت الضفدع إلى حظيرته وملأت مشربه من برميل في وسط الحظيرة، وتناثر رذاذ خفيف على جلده الناعم. صهلت الخيول، وضربت الأرض بحوافرها ونحن نغادر، وشاهد لوك كل هذا في صمت.

«هل لي أن أسألك عن شيء آخر ؟». طرح لوك سؤاله وهو يُلقي بنظرة خاطفة نحو المنزل.

أَوْمَأتُ برأسي موافِقةً.



«لماذا لم تخبري والدك بما حدث؟». كانت إسطبلات مادوك رائعة للغاية، ربما عند وقوف لوك فيها، تذكَّرَ مدى القوة والنفوذ الذي يتمتع به قائد الجيوش. لكن هذا لا يعني أنني وريثة شرعية لتلك القوة. ربما يجب أن يتذكَّر لوك أيضًا أنني مجرد إحدى ابنتي زوجة مادوك البشرية. ومن دون مادوك ومكانته، لا أحد سيهتم بي.

«تقصد حتى يقتحم صفوفنا الدراسية بسيف عريض، ويقتل كل من تقع عيناه عليه؟». طرحت عليه هذا السؤال بدلًا من تصحيح منظور لوك بشأن وضعي الحقيقي هنا.

فاتَّسعت عيناه في ارتياع، فأدركت أنه لم يقصد هذا. ثم أوضح: «ظننت أن والدك سيطلب منك ألا تحضري الدروس - وأنك إذا لم تخبريه بما حدث بالضبط، فذلك لأنك تريدين البقاء».

ضحكت قليلًا ثم قلتُ: «ليس هذا ما سيفعله على الإطلاق. مادوك ليس من محبي الاستسلام».

في الظلام البارد للإسطبلات، ومع صهيل خيول الجن من حولنا، أمسك لوك بيدي، وقال: «لا شيء سيكون كما هو من دونك».

ولأنني لم أكن أنوي الاستسلام مطلقًا، فمن الجيد أن يكون هناك شخص ما يبذل كل هذا الجهد لحملي على فعل شيء كنت سأفعله على أية حال. الطريقة التي كان ينظر بها إليّ، وتركيزها كانت لطيفة للغاية لدرجة أنني شعرت بالخجل. إذ لم ينظر إليَّ أحد بهذه الطريقة من قبل.

كنت أشعر بحرارة خديَّ واحمرارهما، وأتساءل عما إذا كان الظلام يساعد على إخفاء كل ذلك. في ذلك الوقت، شعرت كما لو أنَّه يرى كل شيء، كل أمل في قلبي، وكل فكرة شاردة خطرت ببالي عند الفجر كل يوم قبل أسقط في نوم مرهق.

لقد رفع إحدى يديَّ إلى فمه وقبَّل راحتها. فتوتر جسدي كله وشعرت فجأةً بالدفء الشديد، بكل شيء. وكانت أنفاسه مثل نسمة رقيقة على بشرتي ثم نظر إليَّ بمحبة فتلاشت كل أفكاري.

لا يُعقل أن يحدث هذا.

"جود؟". سمعت صوت تارين تنادي من مكان قريب، فتحركت مُبتعدةً عن لوك. «جود؟ أما زلت في الإسطبل؟».

قلتُ: «أنا هنا». وقد احمرَّ وجهي. خرجنا في الليل لنجد أوريانا على درجات مدخل المنزل تجذب أوك لتُدخله. فيما كانت فيفي تلوِّح له وهو يُحاوِل التحرُّر من قبضة والدته. وكانت

تارين تضع يديها على خصرها.

قالت لنا تارين بلطف: «لقد دعت أوريانا الجميع لتناول العشاء. إنها تريد أن يبقى لوك ويأكل معنا».

فانحنى لها شاكرًا، وقال: «يمكنك إخبار والدتك الكريمة بأنه رغم شرف دعوتها لي للجلوس إلى طاولتها، فإنني لا أودُّ أن أكون مُتطفِّلًا. لقد أردت فقط التحدث إليكما. لكنني سأزوركم جميعًا مرة أخرى. ثقي بهذا».

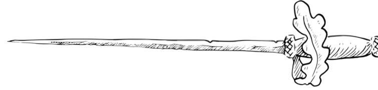
«هل تحدَّثت إلى جود بشأن المدرسة؟». كانت هناك نبرة خوف في صوت تارين. وأخذتُ أتساءل فيما كانا يتحدثان قبل أن أعود وأتساءل ما إذا كان قد أقنعها بحضور الدروس مرة أخرى، وإذا كان هذا هو ما حدث، فكيف أقنعها.

قال وهو يغمز بعينه: «إلى اللقاء حتى الغد».

شاهدته وهو يمشي، وأنا لا أزال مُتأثِّرةً بما جرى بيننا. ولم أكن أجرؤ على إلقاء نظرة على تارين؛ خوفًا من أن ترى كل ذلك باديًا على وجهي، سواءً أكان أحداث اليوم بأكمله، أم تودده إليَّ. ولأنني لم أكن مستعدة للتحدث، لذا فأنا من تجنبها هذه المرة. ومن ثم وثبت على



درجات السلم بأكبر قدر ممكن من اللامبالاة الظاهرية، وتوجَّهت إلى غرفتي لتبديل ملابسي لتناول العشاء.



لقد نسيتُ أنني طلبت من مادوك أن يُعلِّمني اللعب بالسيف، ووضع الخطط، لذا فإنه بعد العشاء أعطاني مجموعة من كتب التاريخ العسكري من مكتبته الشخصية.

وقال لي: «عندما تنتهين من قراءة هذه الكتب، سنتحدث معًا. وسأُحدِّد لك سلسلة من التحديات، وسوف تخبرينني كيف يمكنك التغلب عليها بالموارد التي أعطيك إياها».

أعتقد أنه يتوقَّع مني الاعتراض والإصرار على المزيد من اللعب بالسيف لكنني كنت مُتعَبةً جدًّا حتى من مجرد التفكير في الأمر.

بعد مرور ساعة من التَّقلُّب على فراشي، قرَّرتُ أنني لن أخلع حتى الفستان الأزرق الحريري الذي أرتديه. كان شعري لا يزال مشعثًا، رغم أنني حاولت تحسين مظهره ببضعة دبابيس جميلة. وكان ينبغي عليَّ أن أزيلها، على الأقل قلت هذا لنفسي، لكنني لم أقوَ على فعل أي شيء حيالها.

انفتح بابي، ودخلت تارين التي قفزت على فراشي.

ثم قالت وهي تكزني في جانبي: «حسنًا. ماذا كان يريد لوك؟ لقد قال إنه يتعيَّن عليه التحدث إليك». قلت وأنا أتدحرج وأطوي ذراعي خلف رأسي، مُحدِّقةً إلى ثنيات القماش المُتجمعة فوقي: «إنه لطيف، وليس دمية لدى كاردان مثل الباقين».

ارتسمت تعابير غريبة على وجه تارين، كما لو أنها تريد أن تعارضني لكنها منعت نفسها وألحت: «لا يهم. أخبريني».





سألتها أنا هذه المرة: «عن لوك؟».

فحرَّكت عينيها مُستنكِرةً تهرُّبي، وقالت: «عما حدث معه ومع أصدقائه». فقلت لها: «لن يحترموني أبدًا إذا لم أقاومهم». فتنهَّدتْ هي، وقالت: «لن يحترموك أبدًا، قُضِيَ الأمر».

عُدتُ للتفكير في زحفي على العشب، وركبتيّ المتسختين، وطعم الفاكهة المُسكر في فمي. حتى الآن يمكنني تذوُّق صدى ما حدث، والفراغ الذي يملؤه، والمتعة المشوبة بالهذيان والدوار التي يعد بها.

واصلت تارين حديثها: «لقد عدتِ إلى المنزل أمس رثة الثياب، وملطخة بفاكهة الجان. أليس هذا سيِّئًا بما فيه الكفاية؟ ألا تعبئين بكل ذلك؟». ثم سحبتْ جسدها بالكامل إلى الخلف، واستندتْ إلى أحد أعمدة سريري.

قلت: «لقد تعبت من مراعاة كل الاعتبارات. فلماذا ينبغي عليَّ ذلك؟».

فردّت: «لأنهم يستطيعون قتلك!».

قلت لها: «هذا أفضل لهم؛ لأن أي شيء دون القتل لن يجدي نفعًا معي».

سألتني: «هل لديكِ خطة لوقفهم؟ قلت إنك ستتحدين كاردان بأن تكوني رائعة ومتميزة، وإذا حاول إسقاطك، فسوف تسقطينه معك. فكيف ستتمكنين من هذا؟».

قلت لها: «لا أعرف بالضبط».

رفعت يديها بإحباط.

قلت: «لا، اسمعيني جيِّدًا. في كل يوم لا أطلب فيه الصفح من كاردان بسبب نزاع بدأه هو يُعَدُّ انتصارًا لي. يمكنه أن يذلني، لكن في كل مرة يفعل ذلك ولا أتراجع، يجعل نفسه أقلَّ قوة. ففي نهاية المطاف، فإنه يُلقي بكل ما لديه على شخص ضعيف مثلي ولا ينجح. ومن ثَمَّ فسوف يُسقط نفسه».



تنهَّدتْ واقتربت مني، ووضعت رأسها على صدري، ولفت ذراعيها حولي. ومن فوق كتفي همستْ: «إنه صلب، وأنت رقيقة».

ضممتها إليّ، ولم أعدها بأي شيء.

ظللنا هكذا للحظة طويلة، ثم سألتني بهدوء: «هل هدَّدك لوك؟ من الغريب أنه جاء إلى هنا باحثًا عنك، ثم كان لديك مثل هذا التعبير الغريب على وجهك عندما دخلتُ إلى الإسطبلات».

قلت لها: «لا، لم يتفوَّه بسوء. لا أعرف بالضبط ما الذي جاء من أجله لكنه قبَّل يدي. لقد كان لطيفًا، وكأنه شخصية روائية رومانسية».

قالت تارين: «الأشياء الجميلة لا تحدث في الروايات. وحتى عندما تحدث، فإن شيئًا سيئًا يحدث بعدها؛ لأنه بخلاف ذلك ستكون القصة مملة ولن يقرأها أحد».

حان دوري لإطلاق تنهيدة عميقة، ثم قلتُ: «أعلم أنه من الغباء التفكير في أحد أصدقاء كاردان بشكل إيجابي، لكنه ساعدني حقًّا. لقد وقف في وجه كاردان. لكنني على أية حال أُفضِّل التحدث عنكِ. إن هناك شخصًا ما، أليس كذلك؟ عندما قلت إنك ستقعين في الحب، كنت تتحدثين عن شخص مُحدَّد».

لا يعني هذا أنني سأكون أوَّل من يعبث معها.

قالت ببطء: «هناك فتى. سيعلن عن نفسه في حفل تتويج الأمير داين. وسيطلب يدي من مادوك، وبعد ذلك سيتغيَّر كل شيء بالنسبة لي».

استعدت صورتها وهي تبكي، بينما تقف بجانب كاردان. وأخذت أفكر في مدى غضبها لأنني أعاديه. أفكر في ذلك، ويخيم عليَّ خوف بارد ورهيب. سألتها: «من؟».

وقلتُ في نفسي أرجوك لا تقولي كاردان. وليكن أي أحد سوى كاردان.

قالت: «لقد وعدت ألَّا أخبر أحدًا. حتى أنتِ».

قلت: «وعودنا لا تهم. فلا أحد يتوقع منا أن نُبجِّل أية عهود. ويعلم الجميع أن لدينا القدرة على الكذب». وفكرت في تعويذة الأمير داين التي لا تزال تتحكم بما يقوله لساني، ومدى ضآلة ثقة أي منهم بنا.

فرمقتني بنظرة صارمة رافضة. وقالت: «الكذب ونكث العهود أمر محظور لدى الجان. وإذا نكثته فسيعلم. وأريد أن أظهر له أنني أستطيع العيش كواحدة من الجان».

قلت ببطء: «حسنًا».

قالت: «كوني سعيدة من أجلي»، فشعرت بأنها جرحت عواطفي. لقد وجدت مكانها الملائم

في أرض الجان، وأعتقد أنني بدوري وجدت مكاني الملائم. لكن لا يسعني إلا القلق عليها.

«فقط أخبريني بشيء عنه، أخبريني بأنه لطيف، أو أخبريني بأنك تحبينه، وأنه وعدك بأن يكون طيِّبًا معك. فقط أخبريني بأي شيء».

قالت: «إنه من الجان. وهم لا يحبون كما نحب وأعتقد أنه سيعجبك وهذا ما يمكن أن أخبرك به».

لا يبدو شخصًا كهذا مثل كاردان الذي احتقره. لكنني لست متأكدة من أنني وجدت إجابتها مُطمئنةً أيضًا.

ماذا يعني قولها، إنه سيعجبني؟ هل هذا يعني أننا لم نتقابل قطُّ؟ وماذا يعني أنه لا يحب كما نحب؟

«أنا سعيدة بالفعل من أجلك. صدقًا». قلت هذا مع أنني قلقة عليها أكثر من أي وقت مضى. وأردفت: «هذا مثير. عندما تأتي خياطة أوريانا، احرصي على أن تحصلي على فستان جميل للغاية».



شعرت تارين بالارتياح، وقالت: «أريد فقط أن يكون كل شيء أفضل لكلتينا». مددت يدي إلى الطاولة المجاورة لفراشي لاستعادة الكتاب الذي سرقته من القصر الأجوف. «أتذكرين هذا؟». سألتها وأنا أرفع كتاب مغامرات أليس في بلاد العجائب. وعندما فعلت ذلك، انزلقت منه ورقة مطوية وسقطت على الأرض.

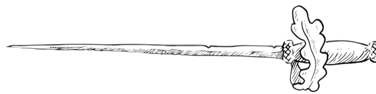
قالت، وهي تنتزع الكتاب من يدي: «اعتدنا أن نقرأ هذا الكتاب عندما كنا صغيرتين. فمن أين حصلت عليه؟».

قلت: «لقد وجدته»، وعجزت عن إخبارها عن رف الكتب الذي أتى منه أو لماذا كنت في القصر الأجوف في المقام الأول. ولاختبار التعويذة، حاولت أن أقول هذه الكلمات: كنت أتجسس لصالح الأمير داين، فلم يتحرَّك فمي. وظلَّ لساني سَاكِنًا. ثم غمرتني موجة من الذعر، لكنني قاومتها. إن هذا ثمن زهيد مقابل ما منحني إياه.

لم تضغط تارين للحصول على مزيد من المعلومات. بل كانت مشغولة للغاية بتقليب الصفحات وقراءة أجزاء منها بصوتٍ عالٍ، وفي حين أنني لا أستطيع تذكُّر إيقاع صوت والدتي تمامًا، أعتقد أنني سمعت صدى صوتها في صوت تارين، وهي تقرأ.

قَرَأَتْ تارين: «الآن، هنا وكما ترين، يتطلب الأمر الجري بأقصى ما تستطيعين، فقط لتظلي في مكانك. وإذا كنت ترغبين في الوصول إلى مكان آخر، فيجب عليك الجري، على الأقل، بسرعة مضاعفة!».

انحنيت إلى أسفل خلسة، ودفعت الورقة الساقطة من الكتاب تحت وسادتي. وخططت لفضِّها بمجرد عودتها إلى غرفتها، لكنني بدلًا من ذلك نمت، قبل وقت طويل من انتهاء القصة.



استيقظت في الصباح الباكر، دون تنبيه من أحد، للذهاب إلى الحمام. وأسرعت إلى مكان الاستحمام الخاص بي، وقضيت حاجتي في الحوض النحاسي الموضوع هناك لهذا الغرض، وشعرت بالخزي يُزيد من حرارة وجهي مع أنني بمفردي. إن هذا من الجوانب الأكثر دونية لدى البشر. أعلم أن الجان ليسوا مخلوقات ملائكية - ربما أعرف ذلك أفضل من أي إنسان على قيد الحياة - لكنني لم أرَ قطُّ أحدًا منهم جالسًا على مرحاض.

عدت إلى فراشي، فدفعت الستارة جانبًا وتركت ضوء الشمس ينساب إلى الغرفة؛ فقد كان أكثر سطوعًا من أي مصباح. أخذت الورقة المطوية من تحت وسادتي.

وعندما فتحتها، رأيت خط كاردان الغاضب والمتغطرس مرسومًا على الصفحة، ويشغل كل المساحة المتاحة. وفي بعض المواضع ضغط على طرف ريشة الكتابة بغضب لدرجة أن الورقة تمزقت.

ومكتوب في كل الورقة كلمة واحدة فقط بشكل مُتكرِّر هي «جود» وكلٌّ منها تُعبِّر عن كراهية من كتبها لي كأنها لكمة موجَّهة إلى معدتي.

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جودجود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود

جود جود جود جود جود جود جود جود جود جود





الفصل 15



أتت الخياطة في وقت مُبكِّر من ظهيرة اليوم التالي، وهي جنية طويلة الأصابع، تسمى برامبلوفت. قدماها مقوستان للخلف، ما يمنحها مشية غريبة. وعيناها بنيتا اللون، مثل عيون الماعز، مع وجود خط أفقي من اللون الأسود في المنتصف بينهما. وكانت ترتدي نموذجًا لعملها، وهو ثوب ذو خطوط طولية من الزهور البرية.

وقد أحضرت معها لفائف من الأقمشة، بعضها ذهبي خشن، ولفافة واحدة من القماش الذي يتغيَّر لونه، مثل أجنحة الخنفساء قزحية اللون. إلى جانب ذلك، وكما أخبرتنا، يوجد لديها حرير عنكبوتي ناعم جدًّا لدرجة أنه يمكن أن يدخل في ثقب الإبرة ثلاثة خيوط منه في

المرة الواحدة، ومع ذلك فهو قوي بما يكفي لدرجة تجعل من الضروري له أن يُقطع بمقص فضي مسحور حتى لا يفقد استقامة حوافه أبدًا. وكذلك كان القماش الأرجواني المضافة إليه خيوط الذهب والفضة لامعًا للغاية بحيث يبدو كأنَّ ضوء القمر نفسه يسطع على الوسائد.

كانت جميع الأقمشة ملفوفةً على الأريكة في غرفة استقبال أوريانا لكي نفحصها. حتى فيفي انجذبت إليها، ومرَّرت اصابعها فوق القماش وكانت على وجهها ابتسامة شاردة. إذ لا يوجد شيء مثل هذا في عالم البشر، وهي تعرف ذلك.

جلبت الخادمة الحالية لأوريانا، وهي مخلوقة نحيفة مكسوَّة بالشعر تُدعى تودفلوس، الشاي والكعك واللحوم والمربى، وكلها مُكدَّسة فوق صينية فضية ضخمة. سكبت لنفسي الشاي وشربته دون كريمة، على أمل أن يُهدِّئ اضطراب معدتي. فقد كان رعب الأيام القليلة الماضية مُلازِمًا لي. ما يجعلني أرتجف دون سابق إنذار. ولا تزال ذكرى مذاق فاكهة الجان المُسكرة تتصور من تلقاء نفسها على لساني، إلى جانب شفاه الخدم المشقوقة في قصر بالكين، وصوت الجَلد عندما ضُرِب ظهر الأمير كاردان العاري.

أضف إلى ذلك الرسالة حيث كُتِب اسمي مرارًا وتكرارًا بكثرة. كنت أظن أنني أعرف مدى كره كاردان لي، لكن بالنظر إلى تلك الورقة، فإنني أدركت أنني لا أملك أية فكرة حقيقية عنه. وستتضاعف كراهيته لي إذا علم أنني رأيته جاثيًا على ركبتيه، ويضربه خادم بشري. وتعني بشري هذه إضافة المزيد من المذلة، وجرعة إضافية من الغضب.

قالت أوريانا : «جود؟». وحينئذٍ أدركت أنني كنت أحدِّق باتجاه النافذة والضوء الضعيف.

«ماذا؟». تساءلت وقد رسمت على وجهي ابتسامة مشرقة مزيفة.

فشرعت تارين وفيفيان في الضحك.

سألتْ أوريانا: «مَن الذي تفكرين فيه بتعبيرات حالمة كهذه التي على وجهك؟». دفع هذا فيفي إلى الضحك مرة أخرى. أما تارين فلم تضحك ربما لأنها تعتقد أنني حمقاء.



هززت رأسي نفيًا، على أمل ألَّا يحمرَّ وجهي، وقلت: «لا، لا شيء من هذا القبيل. كنت فقط... لا أعرف. لا يهم. ما الذي كنا نتكلَّم عنه؟».

قالت أوريانا: «ترغب الخياطة في أخذ قياساتك أوَّلًا، لأنك الصغرى بين أخواتك».

ألقيت نظرةً على برامبلوفت التي تُمسك شريط القياس بين يديها. وقفزت فوق الصندوق الذي وضعته أمامها، مادَّةً ذراعيّ. سأكون ابنة مطيعة اليوم، وسأحصل على فستان جميل، وسأرقص في حفل تتويج الأمير داين حتى تنزف قدماي.

قالت الخياطة: «لا تُبدي تجهمًا». وقبل أن أتمكَّن من تقديم الاعتذارات، تابعت كلامها بصوتٍ منخفض: «لقد طُلِبَ مني صنع هذا الثوب بجيوب يمكنها إخفاء الأسلحة والسموم وغيرها من الضروريات الصغيرة. سوف نحرص على فعل ذلك إلى جانب إظهارك في أبهى منظر». كدت أتعثر وأسقط من فوق الصندوق؛ فقد كنت غاية في الدهشة مما قالته. ثم همست لها: «هذا رائع».

وأنا أعرف أن شكرها لن يعني الكثير. إذ لا يؤمن الجان بالتعبير عن الامتنان ببضع كلمات، بل يؤمنون بالديون والمساومات، والشخص الذي من المفترض أن أكون مدينة له ليس هنا. إن الأمير داين هو الذي يتوقَّع مني سداد الدين.

ابتسمتْ والدبابيس في فمها، فابتسمت لها. سأسدده له، مع أنه سيكون عليَّ فعل الكثير فيما يبدو لسداده، وسأجعله فخورًا بي. أما الآخرون، فسأجعلهم يأسفون بشدَّة.

عندما رفعتُ بصري، وجدتُ فيفي تراقبني بارتياب. كانت تارين هي التالية في القياس، وعندما صعدتْ على الصندوق، ذهبتُ وشربت المزيد من الشاي. ثم أكلت ثلاث كعكات سكرية وقطعة من اللحم.

«أين ذهبتِ في ذلك اليوم؟». سألتني فيفي وأنا ألتهم اللحم مثل أحد الطيور الجارحة، فقد استيقظتُ وأنا جائعة للغاية.





وفكَّرتُ كيف تهربت من محادثتي معها عندما كنت في طريقي إلى القصر الأجوف. لا يمكنني أن أنكر ما حدث، ولن يمكنني فعل ذلك دون أن أوضح المزيد عن وجهتي الحقيقية بقدر أكبر مما سيسمح به لساني المسحور. ومِن ثَمَّ هززتُ كتفًا واحدة دون كلام.

قالت فيفي: «لقد جعلت أحد أبناء النبلاء الآخرين يصف لي ما حدث لك في تلك المحاضرة. كان من الممكن أن تموتي. والسبب الوحيد لكونكِ على قيد الحياة هو أنهم لا يريدون أن تنتهي لعبتهم».

قلت لها: «هذه حالهم. وهذه حال الأمور. أتريدين أن يكون العالم مختلفًا عمَّا هو عليه؟ إن هذه هي طبيعة العالم الذي نعيش فيه يا فيفي».

قالت بهدوء: «إنه ليس العالم الوحيد».

قلتُ، وقلبي يدقُّ بشدَّة في صدري: «إنه عالمي». ووقفتُ قبل أن تخبرني بخلاف ذلك. كانت يداي ترتجفان، وراحتاي تتعرقان عندما ذهبت لألمس الأقمشة.

منذ أن عُدتُ إلى المنزل في تلك الليلة عبر الغابة، حاولت ألا أشعر بأي شيء محدد نحو ما حدث. فقد خشيت أنني إذا بدأت أشعر بشيء، فلن أكون قادرة على تحمُّله. خشيت أن تكون هذه المشاعر مثل الموجة التي تجذبني إلى الأسفل.

وليس هذا أول شيء فظيع تحملته وتناسيته. إن هذه هي الطريقة التي كنت أتعامل بها، وحتى إذا كانت هناك طريقة أخرى أفضل، فأنا لا أعرفها.

ركَّزت انتباهي على القماش حتى أستطيع التنفس بانتظام مرة أخرى إلى أن تتلاشى موجة الذعر. كانت هناك لفافة قماش من القطيفة الخضراء المائلة إلى الزرقة، وقد ذكَّرتني بلون وجه البحيرة عند الغسق كما وجدت لفافة قماش رائعة مذهلة مطرزة بأشكال ديدان وفراشات ونباتات السرخس والزهور رفعتها لأعلى، وكانت تحتها لفافة أخرى من القماش ذي اللون الرمادي الجميل الذي يتموج مثل الدخان. كلها كانت أقمشة جميلة للغاية. إنها من نوع الأقمشة التي ترتديها الأميرات في القصص الخيالية.



بالطبع تارين مُحِقَّة فيما قالته عن القصص. حيث تحدث أشياء سيئة فيها لهؤلاء الأميرات فيتعرضن للوخز بالأشواك، والتسمم بالتفاح، والزواج بمن يكرهون. وتُقطع أيديهن، ويتحول إخوانهن وأخواتهن إلى بجعات، ويُقطَّع أحبابهن إلى أشلاء تُغرس في أصص زراعة

الريحان، ويُسحرن فيتقيأن الماس. وعندما يمشين، يشعرن كما لو أنهن يمشين على سكاكين.

ومع ذلك يظل بوسعهن أن يبدون بمظهر لطيف.

قالت تارين مشيرةً إلى لفافة القماش المطرزة التي أحملها: «أريد هذه». لقد انتهت من القياس. ثم صعدت فيفي مكانها، ومدَّت ذراعيها، وهي تراقبني بتلك الطريقة المُقلقة، كما لو كانت تعرف أفكاري بدقَّة.

قالت أوريانا: «أختك وجدتها أوَّلًا».

فرَجَتني تارين: «أرجوووووووكِ» ، وهي تحني رأسها، وتنظر إليَّ باستعطاف. بدا لنا أنها تمزح، لكنها في الحقيقة كانت لا تمزح فعلًا. إنها بحاجة إلى أن تبدو جميلة من أجل ذلك الفتى الذي من المفترض أن يعلن عن نفسه لنا في حفل التتويج. إنها لا تفهم تساؤلًا من نوع ما فائدة أن يبدو مظهري جميلًا، مع كل أحقادي وخصوماتي؟

لذا بابتسامة بسيطة، وضعت لفافة القماش وقلتُ: «بالتأكيد. كلها لكِ». قبَّلت تارين خدي. وأعتقد أن علاقتنا عادت إلى طبيعتها. فليت كل شيء في حياتي يُحل بسهولة.

اخترت قطعة قماش مختلفة من القطيفة ذات اللون الأزرق الداكن. واختارت فيفي قطعة قماش بنفسجية بدا لونها رمادِيًّا فضيًّا عندما مددتها على يدها. واختارت أوريانا لونًا ورديًّا مائِلًا إلى الحُمرة لنفسها، وأخضر داكنًا لأوك. ثم بدأت برامبلوفت في رسم التصميمات - تنانير منتفخة وعباءات ذات أغطية للرأس، ومشدات للخصر مطرزة بمخلوقات خيالية، فيما تنتشر صور الفراشات على طول الذراعين، وفي أغطية الرأس المزخرفة. كنت مفتونة بمظهري الغريب - سيحتوي مشد الخصر الخاص بي على خنفساوين ذهبيتين مطرزتين

فيما يشبه الصديرية، مع امتداد شعار القمر الخاص بمادوك ودوائر زخرفية من الخيط اللامع حتى أسفل جبهتي، مع وجود كمين صغيرين متدليين من اللون الذهبي.

سيكون من الواضح بالتأكيد إلى أية أسرة أنتمي.

كنا لا نزال نُجري تغييرات صغيرة عندما ركض أوك إلى الداخل، وفي أعقابه ناربون. لمحني أوك أنا أوَّلًا، ثم اندفع إلى حضني، وألقى بذراعيه حول رقبتي، وعضني عضة صغيرة تحت كتفي.

قلت: «آه!» في دهشة، لكنه ضحك فحسب. فجعلني أضحك أيضًا. إنه طفل غريب نوعًا ما ربما لأنه جني، أو ربما لأن جميع الأطفال، بشرًا أو غير بشر، غرباء بالقدر نفسه. «هل تريدني أن أخبرك بقصة عن طفل صغير عض حجرًا وفقد كل أسنانه البيضاء كاللؤلؤ؟». سألته هذا بنبرة أملت أن تبدو مُهدِّدة له وجذابة في الوقت نفسه، ووضعت أصابعي تحت إبطيه لدغدغته. فقال على الفور وهو في حالة بين الضحك والصراخ: «نعم».

سارت أوريانا إلينا، ووجهها مليء بالانزعاج. وقالت: «هذا لطف منك، لكن يجب أن نبدأ ارتداء الملابس لتناول العشاء». وسحبته من حضني إلى ذراعيها. فبدأ بالصراخ والركل بساقيه. وغاصت إحدى الركلات بلا قصد في معدتي بقوَّة كافية لإيلامي، لكنني لم أقل أي شيء.

وصاح مُتشبِّثًا بي: «القصة! أريد القصة!».

قالت له وهي تحمل جسده المتلوي نحو الباب، حيث ينتظر ناربون لإعادته إلى غرفته: «جود مشغولة الآن».

«لماذا لا تطمئني لوجوده معي؟». صحت بهذا الكلام، فالتفتت أوريانا وقد صُدمت لأنني قُلتُ شيئًا ينبغي ألا يُقال. وكنت مصدومة أيضًا، لكن لم يسعني التوقف، وأردفت: «أنا لست وحشًا ولم أفعل أي شيء سيئ لأيٍّ منكما».

انتحب أوك، وقد بدا حائرًا، وردد: «أريد القصة».



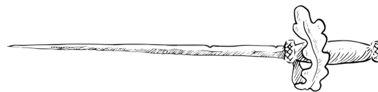
قالت أوريانا بصرامة، كما لو كنا جميعًا نتجادل: «هذا يكفي، سنتحدث عن هذا لاحقًا مع والدكما».

قالت هذا وخرجت من الغرفة.

فصحت بها: «لا أعرف عن أي والد تتحدثين؛ لأنه يعرف بالتأكيد أنه ليس أبي».

اتَّسعت عينا تارين فزعًا، بينما ارتسمت على وجه فيفي ابتسامة صغيرة. ثم أخذت رشفة صغيرة من الشاي، ثم رفعت الكوب في اتجاهي كتحية. نظرت الخياطة إلى أسفل في وجوم، ثم خرجت، تاركةً إيانا في لحظتنا العائلية الخاصة. لا يبدو أنني أستطيع التَّحكُّم في نفسي بما يكفي لألتزم بمظهر وسلوك الابنة المطيعة.

شعرت بأنني أتداعى. وأنني أفقد التحكم في أعصابي.



في اليوم التالي في المدرسة، مشت تارين بجانبي، وهي تؤرجح سلة طعامها. بينما أبقيت رأسي عاليًا، وفكيَّ مطبقين. كان معي سكين صغير من الحديد البارد مخبأ في أحد جيوب تنورتي، ومعي ملح أكثر مما أحتاج إليه في العادة. ولديَّ كذلك عقد جديد من توت الروان، خاطته تاترفيل ولبسته لأنها يجب ألا تعرف أنني لم أعد بحاجة إليه.

كما تجوَّلت في حديقة القصر لجمع المزيد من الأشياء.

سألت تارين: «هل مسموح لك بأخذ هذه الأشياء؟». لكنني لم أجبها. وفي فترة ما بعد الظهر، حضرنا درسًا في برج عالٍ، حيث تعلمنا عن أغاني الطيور. وفي كل مرة أشعر فيها بما لو أن شجاعتي سوف تقل، أُمرِّر أصابعي على المعدن البارد للسكين.

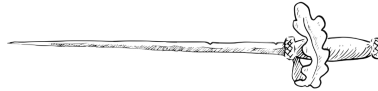
كان لوك ينظر إليّ، وعندما التقت عيوننا، غمز لي.

ومن الجانب الآخر من الغرفة، كان كاردان ينظر بتجهم إلى وجه المعلم لكنه لم يتكلم. وعندما تحرَّكَ لإخراج محبرة من حقيبته، رأيته يتألَّم. وفكَّرت في أن ظهره متورم، وفي أن الحركة تؤلمه بالتأكيد، لكنه إذا كان يتحمَّل آلامه بقوة أكبر بعض الشيء وهو يمارس سخريته، فسيبدو أن هذا هو الاختلاف الوحيد في أسلوبه المعتاد.

يبدو أنه خبير في إخفاء الألم.

فكَّرت في الورقة التي وجدتها في كتاب أليس في بلاد العجائب، وفي ضغطه على قلمه حاد الطرف بقوة كافية لإسالة بقع من الحبر على الورقة أثناء كتابة اسمي. وفعله ذلك بقوَّة كافية لخرق الورقة؛ وربما لخدش المكتب الموجود تحتها أيضًا.

وإذا كان هذا ما فعله بالورقة، فإنني أرتجف عندما أفكر فيما يريد أن يفعله بي.



بعد المدرسة، تدرَّبت مع مادوك. حيث علَّمني بالتحديد كيفية التصدي ببراعة لهجوم الخصم عبر مجموعة من الحركات، فتدربت عليها مرارًا وتكرارًا، بشكل أفضل وأسرع، ما فاجأه وأدهشه. وعندما ذهبت إلى الداخل وأنا مغطاة بالعرق، مررت بأوك الذي كان يركض في مكان ما، ويجر دمية الثعبان المحشوة الخاصة بي وراءه بحبل مُتَّسخ. ومن الواضح أنه سرقها من غرفتي.

"أوك!". ناديت عليه، وتوجَّهت نحوه، لكنه صعد الدرج وابتعد.

غمرت نفسي في مياه حمامي، ثم أفرغت حقيبتي المدرسية وحدي في غرفتي. وفي أسفلها، وفي بقايا ورقة، كانت هناك ثمرة من فاكهة الجان أكل الدود بعضها، وقد التقطتها في طريق عودتي إلى المنزل. ثم وضعتها على صينية وأخرجت القفازات الجلدية. بعد ذلك أخرجت



سكيني وقطعتها إلى أجزاء حيث قسمتها إلى قطع صغيرة من الفاكهة الذهبية إسفنجية الملمس.

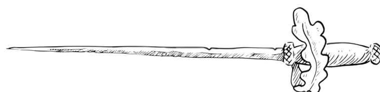
وقد بحثت عن انواع سموم الجان في كتب قديمة يعلوها التراب مكتوبة بخط اليد في مكتبة مادوك. وقرأتُ عن فطر أحمر اللون. وهو فطر شاحب يُخرج قطرات من سائل أحمر يشبه الدم بشكل مزعج، والجرعات الصغيرة منه تسبب الشلل، والجرعات الكبيرة قاتلة حتى للجان. ثم هناك حلوى الموت التي تصيب من يتناولها بحالة ينام خلالها لما يقارب مائة عام. وتوت الأشباح الذي يجعل حركة الدم تتسارع إلى أن يتوقف قلبك عن النبض. وفاكهة الجان، بالطبع، وعلى رأسها ثمرة التفاح التي أسماها أحد الكتب التفاحة الأبدية.

أخرجت قارورة من شراب الصنوبر سرقتها من المطبخ، وهو كثيف وثقيل مثل العصارة، وأسقطت ثمرة الفاكهة فيه لإبقائها طازجة.

كانت يداي ترتعشان.

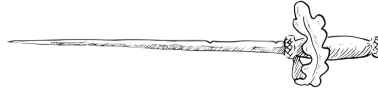
فالقطعة الأخيرة منها وضعتها على لساني. فأثر طعمها فيَّ بشدَّة، وعضضت بأسناني عليها. ثم، وبينما أنا أشعر بالغباء، أخرجت الأشياء الأخرى. ورقة من توت الأشباح من حديقة القصر، وبتلة من زهرة حلوى الموت، وأصغر قطرة من عصارة الفطر الأحمر. ومن كل واحدة منها، قطعت جزءًا أصغر وابتلعته.

هذا ما يسمى بالمناعة السُّمية. أليس هذا اسمًا مُضحِكًا؟ عملية تناول السم لبناء المناعة، فما لم أمت من جرَّاء ذلك، سيغدو قتلي أكثر صعوبة.



لم أتمكَّن من الوصول إلى الطابق السفلي لتناول العشاء. فقد كنت مستغرقة جدًّا بالتقيؤ، وفي مصارعة نوبات الارتعاش والتَّعرُّق.





نمت في حمام غرفتي، مُستلقِيةً على الأرض. هذا هو المكان الذي وجدني فيه الجاسوس المدعو بالشبح. واستيقظت على وخزه بطني بقدمه، والدوار الذي أشعر به هو الذي منعني من الصراخ. قال الشبح: «انهضي يا جود يريد الصرصور أن تتدربي الليلة».

دفعت نفسي للنهوض، وكنت مرهقةً جدًّا بحيث لا يمكنني العصيان. وفي الخارج، على العشب الندي، ومع زحف أشعة الشمس الأولى على الجزيرة علَّمني الشبح كيفية تسلُّق الأشجار بهدوء، وكيفية وضع قدمي دون كسر غصن أو طقطقة ورقة جافة. لقد ظننت أنني تعلَّمتُ كيفية فعل ذلك في دروسي السابقة في القصر، لكنه أظهر لي الأخطاء التي لم يهتم المعلمون بتصحيحها لي. وتدرَّبت عليها، مرارًا وتكرارًا. وقد فشلت في معظم المرات.

لكنه كان يقول: «جيِّد». متى حركت عضلاتي. إنه لم يتحدَّث إلا قليلًا لدرجة أن صوته أجفلني. وهو أكثر شبهًا بالبشر من فيفي، بفضل الحواف المستديرة لأذنيه، وشعره البني الفاتح، وعينيه البنيتين. ومع ذلك، يبدو غريبًا بالنسبة لي، فهو أكثر هدوءًا وبرودةً منها. ارتفعت الشمس تقريبًا في السماء وتحوَّلت أوراق الشجر إلى اللون الذهبي. ثم قال: «استمري في التدرب. تسلَّلي وصولًا إلى أختيْك». وعندما ابتسم مع شعره الأصفر المتدلي على وجهه، بدا أصغر مني لكنني متأكدة من أنه ليس كذلك.

وعندما ذهب فعل ذلك بطريقة بدا معها كأنه يتلاشى. توجَّهت عائدةً إلى المنزل، واستخدمت ما تعلمته من فوري لأتجاوز الخدم الذين صادفتهم على الدرج. ووصلت إلى غرفتي، وقد انهرت من التعب هذه المرة، ثم استيقظت في اليوم التالي، وكررت فعل كل شيء مرة أخرى.






الفصل 16



صار حضور الدروس أصعب من ذي قبل. لسبب واحد، إنني كنت مريضة؛ فجسدي يقاوم آثار الفاكهة والسموم التي أجبرت نفسي على تناولها. ومن ناحية أخرى، أنا مرهقة من التدريب مع مادوك، وكذلك التدريب مع أعضاء مجلس الظلال الخاص بداين. كما أن مادوك أعطاني بعض الألغاز لحلِّها من قبيل -اثنا عشر فارِسًا جنيًّا من الجوبلن عليهم اقتحام قلعة، بينما على تسعة من النبلاء غير المدربين الدفاع عنها، فكيف يمكن لأي من الفريقين هزيمة الآخر - ثم أخذ يسألني عن إجاباتي كل مساء بعد العشاء، وعلى الجانب الآخر، أمرني "الصرصور" بأن أتدرَّبَ على التنقل بين حشود رجال البلاط دون أن يلحظني أحد، وذلك للتنصت دون أن أبدو مهتمة بأمر معين. وعلمتني "القنبلة" كيفية العثور على نقطة الضعف




في المبنى، ونقاط الضغط على الجسم. وعلمني "الشبح" كيف أتدلى من العوارض الخشبية دون أن يراني أحد، وأن أحسن الرمي بالسهام والقوس، وأن أثبت يديَّ المرتعشتين.

كما أُرسِلت في مهمتين أخريين للحصول على معلومات. أوَّلًا، سرقت رسالة موجَّهة إلى إلوين من مكتب فارس في القصر. وفي المرة التالية، ارتديت ملابس عروس جنية، وتمشيت في الحفل حتى وصلت إلى الجناح الخاص بتاراكاند الوسيم، وهو أحد رفاق الأمير بالكين، حيث سرقت خاتمًا من أحد المكاتب وفي كلتا الحالتين، لم يسمح لي بمعرفة أهمية ما سرقته.

في هذه الأثناء تابعت حضور الدروس بجانب كاردان ونيكاسيا وفاليريان وجميع أبناء النبلاء الذين ضحكوا على مشهد إذلالي من قبل. ولم أمنحهم الشعور بالرضا عبر انسحابي من الدروس، لكن منذ حادثة تناولي فاكهة الجن لم تَعُد هناك مناوشات. وأنا أنتظر لحظتي المناسبة، وأفترض أنهم يفعلون الأمر ذاته. كما أنني لست حمقاء بما يكفي لاعتقاد أننا انتهينا من مضايقة بعضنا بعضًا.

واصل لوك مغازلته لي. وجلس معنا أنا وتارين عندما كنا نتناول الغداء. على بطانية، يشاهد غروب الشمس. ومن حين لآخر، كان يسير معي إلى المنزل عبر الغابة، ويتوقف لينظر إليَّ عن قرب، ويُمسك يدي بالقرب من مجموعة من أشجار التنوب قبيل منزل مادوك. وكنت آمل فقط ألا يلحظ آثار السم على وجهي.

لا أفهم سبب إعجابه بي، لكن من المثير بالطبع أن تكون محبوبًا.

ولا يبدو أن تارين كانت تفهم السبب أيضًا، إذ كانت تنظر إلى لوك بشك. ربما لكوني قلقة بشأن محبوبها الغامض، فمن المناسب أن تكون قلقة بالقدر نفسه بشأن محبوبي.

«هل تستمتع بوقتك؟ لن يسامحك كاردان على ما تفعله معها». سمعت نيكاسيا تسأل لوك هذا السؤال ذات مرة، عندما انضم إليهم في أحد الدروس.

توقَّفتُ برهة، ولم أستطع تجاوزهما دون الاستماع إلى رده.



لكن لوك ضحك فحسب وقال: «هل هو غاضب أكثر لأنكِ فضلتِني عليه أم لأنني فضلتُ إنسية عليكِ؟».

شعرتُ بالدهشة وكنت غير متأكدة من أنني سمعته بشكل صحيح.

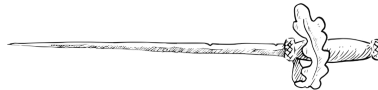
وكانت على وشك الرد عليه عندما رأتني. فلوت فمها في ازدراء، وقالت: «أيتها الفأرة الصغيرة. لا تصدقي كلامه المعسول».

كان الصرصور لييأس مني لو رأى مدى تعثري في استخدام المهارات التي علموني إياها. إذ إنني لم أفعل شيئًا مما علمني إياه - لم أخفِ نفسي، ولم أختلط بالآخرين لتجنُّب أن أكون موضع انتباه أحد. وعلى الأقل لن يشك أحد في أنني أعرف الكثير عن مهنة التجسس.

سألتها وقد سرَّتني علامات الصدمة على وجهها: «إذن، هل سامحك كاردان على تجاهلك له؟. هذا مؤسف جدًّا. لقد سمعت أن تفضيل الأمير لشخص ما يُعَدُّ أمرًا قَيِّمًا حقًّا».

فسألتني بدورها: «وما حاجتي إلى الأمراء؟ أمي ملكة!».

هناك الكثير مما يمكنني قوله عن والدتها، الملكة أورلاج، التي تخطط لعملية تسميم، لكني عضضت على لساني لكتم ما أعرفه. وفي الواقع، لقد عضضت عليه بشدة لدرجة أنني لم أقل أي شيء على الإطلاق. ومشيت إلى حيث تجلس تارين، وابتسامة رضا صغيرة ترتسم على وجهي.



مرَّت أسابيع أخرى، حتى أصبح التتويج على بعد أيام قليلة. وكنت متعبة للغاية لدرجة أنني كنت أغفو كلما خفضت رأسي.

حتى إنني نمت في البرج أثناء عرض تعليمي للقدرة على استدعاء الفراشات. أظن أن رفرفة أجنحتها أصابتني بالنعاس. ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.

فبعد قليل استيقظت على الأرضية الحجرية، وشعرت بطنين في رأسي، و تلمست سكيني، ولم أعرف أين أنا. ولبرهة ظننت أنني سقطت أرضًا بالتأكيد. ولبرهة أخرى، ظننت أنني مصابة بهوس الشك. ثم رأيت فاليريان وهو ينظر إليَّ وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه. لقد دفعني من فوق معقدي وقد عرفت ذلك فقط من النظرة التي على وجهه.

الجيد في الأمر ، على أية حال، أنني لم أصب بعد بهوس الشك.

كانت هناك أصوات قادمة من الخارج، فبقية زملائنا في الصف كانوا يتناولون الغداء على العشب مع حلول المساء. وسمعت صيحات الأطفال الصغار، وربما كان بعضهم يطارد بعضًا فوق البطانيات.

سألت: «أين تارين؟». لأنه ليس من طبعها ألَّا توقظني.

«لقد وعدَتْ بألا تساعدك، أتذكرين؟ لا بالقول ولا بالفعل». وكان شعر فاليريان الذهبي يتدلى فوق عين واحدة. وكالعادة، يرتدي اللون الأحمر بالكامل، وبدرجة داكنة للغاية لدرجة أنه قد يبدو أسود للوهلة الأولى.

بالطبع. من الغباء أن أنسى أنني وحدي.

دفعت نفسي للنهوض، ولاحظت وجود كدمة في ربلة ساقي عندما نهضت. لست متأكدة من المدة التي نمتها، وأخذت أنظف سترتي وسروالي من التراب. ثم سألته: «ماذا تريد؟».

قال بمكر: «أنا محبط. لقد تفاخرتِ بأنك ستصبحين أفضل من كاردان، ومع ذلك لم تفعلي شيئًا، وأبديتِ استياءك بعد مقلب واحد صغير».

انزلقت يدي تلقائيًّا إلى مقبض السكين.



أخرج فاليريان عقدي المكون من حبات توت الروان من جيبه، وابتسم بتكلُّف في وجهي. من المؤكد أنه سلَّه من حول رقبتي في أثناء نومي. وارتجفت من فكرة أنه كان قريبًا مني لدرجة أنه بدلًا من قطع العقد، كان بإمكانه قطع جلدي. ثم قال بتبجُّح: «والآن ستفعلين ما أقوله. اذهبي إلى كاردان وأخبريه بأنه فاز، ثم اقفزي من البرج. فرغم كل شيء، أن يولد المرء بشرِيًّا يشبه أن يولد ميتًا بالفعل». لقد أمكنني عمليًّا شم رائحة سحره في الهواء. إنه ينسج السحر

بكلماته.

إن عنف هذا السحر، والنهاية المروعة الناتجة عن أمر فاليريان صادمة. قبل بضعة أشهر، كنت على استعداد لفعل ذلك. كنت سأقول الكلمات، وكنت سأقفز. ولو لم أعقد تلك الصفقة مع الأمير داين لكنت سأموت.

ربما كان فاليريان يخطِّط لقتلي منذ ذلك اليوم الذي خنقني فيه. أتذكَّر ذلك البريق في عينيه حينها، وذلك الشغف الذي شاهدني به وأنا ألهث، وقد حذرتني تارين من أنني سوف أعرض نفسي للقتل، وتفاخرتُ بأنني مستعدة ذلك، لكنني لست كذلك بالفعل.

قلت لفاليريان: «أعتقد أنني سأستخدم السلالم»، على أمل ألا يبدو عليَّ ما أشعر به من ارتجاف وخوف. وحينها، وأنا أتصرف كما لو أن كل شيء طبيعي، تقدمت لأمر بجانبه.

للحظة، بدا مُرتبِكًا. لكن ارتباكه سرعان ما تحوَّلَ إلى غضب، فمنع هروبي بوقوفه أمام الدرجات وقال منزعجًا: «أنا أمرتك. فلماذا لا تطيعيني؟».

نظرت إلى عينيه بتحدٍّ، ورسمت على وجهي ابتسامة متكلفة، وقلت: «لقد اعتديتَ عليَّ مرتين، وأفلتَّ من العقاب في المرتين. حَظًّا سعيدًا في المرة التالية».

كان فمه يقذف رذاذًا من الغضب، وقال: «أنت نكرة. يتظاهر النوع البشري بأنه شديد المرونة. لكن حياة البشر مجرد لعبة طويلة من التخيلات الواهمة. وإذا لم تستطيعوا الكذب على أنفسكم، فستقطعون حناجركم لإنهاء بؤسكم».



أدهشتني كلمة النوع. دهشت من فكرة أنه يعتقد أنني شيء آخر تمامًا، مثل نملة أو كلب أو غزال. ولست متأكدة من أنه مخطئ، لكني لا أحب هذه الفكرة. ولا يمكن أن أظهر له أنني خائفة. فرددت بهدوء: «أنا لا أشعر بالبؤس خاصة في الوقت الحالي».

لوى فمه امتعاضًا، وقال: «أي سعادة تمتلكين؟ الطعام والشراب. ستصابين بالجنون إذا قبلت حقيقة ما أنت عليه. أنتِ نكرة. أنتِ بالكاد موجودة على الإطلاق. وهدفك الوحيد سيكون إنجاب المزيد من نوعك قبل أن تموتي موتًا مؤلمًا بلا غاية».

نظرت إلى عينيه، وقلت: «ثم؟».

بدت عليه المفاجاة، مع أن ملامح السخرية لم تفارق وجهه.

فأردفت: «نعم، بالتأكيد سوف أموت. كما أنني كاذبة كبيرة، وماذا في ذلك؟».

دفعني إلى الحائط بقوة، وقال: «إذن أنت تخسرين. اعترفي بأنك خسرتِ».

حاولت أن أدفعه عني، لكنه أمسك بحلقي، وضغط أصابعه بقوة كافية لقطع تدفق الهواء عني. وقال: «يمكنني قتلك الآن. وستصبحين منسية. سيكون الأمر كما لو أنك لم تولدي قطُّ».

لم يَكُن في ذهني أي شك في أنه يقصد ذلك، لا شك على الإطلاق، وأنا ألهثُ، أخرجت السكين من جيبي الصغير، وطعنته في جانبه، بين ضلوعه بالضبط. ولو كانت سكيني أطول، لاخترقت رئته.

اتَّسعت عيناه من الصدمة، وأفلتتني قبضته. أعرف ما سيقوله مادوك لي في موقف كهذا - أن أدفع النصل إلى أعلى وأصيب شريانا لديه. أن أصيب قلبه. لكنني إذا تمكنت من ذلك، فسوف أقتل أحد أبناء الجان المفضلين. ولا أستطيع حتى أن أخمن عقابي.

أنتِ لستِ قاتلة، هكذا قيل لي يومًا.



ترددت وسحبت السكين، وهربت من الغرفة. ثم دفعت السكين الملطخة بالدماء في جيبي، فيما أحدث حذائي ضجيجًا على الحجر وأنا أتوجه إلى الدرج.

وعندما نظرت إلى الوراء، رأيته جاثيًا على ركبتيه، وهو يضغط بيده على جنبه لإيقاف الدم. كان يتأوَّه بألم جعلني أتذكَّر أن سكيني مصنوع من الحديد البارد. والحديد البارد يؤذي الجن كثيرًا.

وكنت غاية في السعادة في تلك اللحظة لحملي إياها.

استدرت حول الزاوية، وكدت أصدم تارين وأُسقطها أرضًا.

صاحت متعجبة: «جود! ماذا حدث؟».

قُلتُ لها وأنا أجرُّها نحو الطلاب الآخرين: «تعالي». كانت هناك دماء على مفاصل أصابعي وحوافها، لكن ليست كثيرة فمسحتها بسترتي.

وسألتني تارين باكية وأنا أجرها: «ماذا فعل لك؟».

قلت لنفسي إنني لا أمانع في أنها تخلَّت عني. فلم يكن من شأنها أن تخاطر بتحديهم معي، خاصة وقد أوضحت تمامًا أنها لا تريد المشاركة في أي جزء من هذه المعركة. هل هناك جانب مني شعر بالغضب والحزن لأنها لم تركلني لتنبهني إلى العواقب؟ بالتأكيد. لكن حتى أنا لم أخمن إلى أي حد سيتمادى فاليريان، أو كيف سيصل إلى هذه المرحلة من الاجتراء عليَّ.

كنا نعبر ساحة العشب عندما انحرف كاردان في اتجاهنا. كان يرتدي ملابس فضفاضة، ويحمل سيف التدريب الخشبي.

ضاقت عيناه لرؤية منظر الدم، ووجَّه العصا الخشبية نحوي، ثم قال: «يبدو أنك جرحت نفسك». أتساءل عما إذا كان متفاجئًا لأنني على قيد الحياة. أتساءل عما إذا كان ينظر إلى

البرج طوال الوقت خلال تناول غدائه في انتظار المشهد الممتع الذي أقفز فيه لألقى حتفي.
أ

خرجت السكين من تحت سترتي، وأريته له مُلطَّخًا باللون الأحمر الداكن. وابتسمت: «يمكنني أن أجرحك أيضًا».

قالت تارين: «جودا!». من الواضح أنها كانت مصدومة من سلوكي، وينبغي لها ذلك. كان سلوكي صادمًا بالفعل.

قال لها كاردان وهو يلوِّح لها بيدٍ واحدة لتنصرف: «أوه، اذهبي أنتِ. كُفّي عن دفع كلينا

للشعور بالملل».

تراجعت تارين خطوة إلى الوراء. وقد صُدمت أنا أيضًا. هل هذا جزء من اللعبة؟ وصاح في ازدراء: «هل سكينك القذر، وكذلك عاداتك الأكثر قذارة، من المفترض أن تعني شيئًا؟». غابت عن كلماته نبرة التهديد الجدي، ونطقها بتثاقل. كان ينظر إليَّ كما لو أنني فظّة وغير مهذبة لتوجيه سلاح نحوه. مع أنه الشخص الذي اعتدى تابعه عليَّ مرتين، ونظر إليَّ كما لو أننا سنتبادل بعض من الردود السريعة، لكنني لم أعرف ماذا سأقول.

هل هو حقًّا غير قلق بشأن ما فعلته بفاليريان؟ هل من المحتمل أنه لم يعرف أن فاليريان هاجمني؟

رأت تارين لوك، فانطلقت نحوه مسرعة. وتحدثا للحظة. ثم غادرت تارين. لاحظ كاردان موضع نظري، وتأفَّف كما لو أن رائحتي تضايقه.

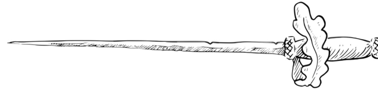
سار لوك نحونا، وكانت أطرافه مُرتخية تمامًا، وعيناه مُشرقتان وقد لوَّحَ لي مُحَيِّيًا. وللحظة، شعرت بالأمان. كنت ممتنة للغاية لتارين لإرساله لي. وممتنة للغاية له لقدومه. قُلتُ لكاردان: «أنت تعتقد أنني لا أستحق محبته لي».



فابتسم ببطء، فبدت ابتسامته مثل انسلال ضوء القمر تحت أمواج البحيرة، وعقَّب هازِئًا: «أوه لا، أعتقد أن كلًّا منكما مثالي للآخر».

وبعد لحظات قليلة، لفَّ لوك ذراعه حول كتفي، وقال: «تعالي. فلنخرج من هنا».

وهكذا، ودون إلقاء نظرة إلى الوراء خرجنا.



سرنا عبر الغابة الملتوية، حيث تنحني جميع الأشجار في الاتجاه نفسه، كما لو كانت الرياح القوية تهب عليها منذ أن كانت شتلات. توقفت لقطف عدد قبل من حبات التوت من بين السيقان الشائكة للشجيرات الصغيرة. وتعيَّنَ عليَّ أن أنفخ نمل السكر الصغير من فوق كل ثمرة قبل أن أضعها في فمي.

عرضت ثمرة توت على لوك، لكنه رفض.

قُلتُ وأنا أُنهي قصتي: «إذن، وباختصار، حاول فاليريان قتلي. فطعنته».

كانت عيناه اللتان تشبهان عيني الثعلب مُثبَّتتين عليَّ، وردد: «أنتِ طعنت فاليريان».

«إذن، أنا في مشكلة». قلت بعدما أخذت نفسًا عميقًا.

هزَّ رأسه وقال: «فاليريان لن يخبر أي شخص بأن فتاة إنسية هزمته».

سألته: «ماذا عن كاردان؟ ألن يصاب بخيبة أمل لأن خطته لم تنجح؟». ثم حدَّقتُ إلى أمواج البحر البادي من بين جذوع الأشجار، وكان يبدو أنه يمتد إلى ما لا نهاية.

قال لوك: «أشك في علمه بالأمر»، وابتسم لرؤية دهشتي. ثم استطرد: «أوه، إنه يحب أن يجعلك تعتقدين أنه قائدنا، لكن الأمر في حقيقته أقرب إلى حب نيكاسيا للقوة، وحبي للدراما، وحب فاليريان للعنف. وببساطة يستطيع كاردان أن يُقدِّم لنا هذه الأشياء الثلاثة، أو على الأقل يمنحنا أسبابًا وجيهة لها».

قلت له: «الدراما؟».

«أنا أحب أن تقع الأحداث، وأن تتكشف القصص. وإذا لم أجد قصة جيِّدة بما فيه الكفاية، فإنني أصنع واحدة». وبدا ماكرًا للغاية في تلك اللحظة حينما أضاف: «أعلم أنك سمعت نيكاسيا تتحدث عما كان بيننا. كانت تحظى بحب كاردان لها، ولكن بتركها كاردان من أجلي فقط، اكتسبت قوة وتسلطًا أكبر منه».

فكَّرت في ذلك للحظة، وبينما أنا أُفكِّر، أدركت أننا لا نسير في طريقنا المعتاد إلى أراضي مادوك. لقد كان لوك يقودني في طريق آخر، فسألته: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

قال بابتسامة عريضة: «إلى أرضي»، وكان سعيدًا لأني اكتشفت الأمر، ثم تابع: «إنها ليست بعيدة. أعتقد أنك ستحبين متاهة الشجيرات».

لم يسبق لي الذهاب إلى أحد قصور وضياع النبلاء، باستثناء القصر الأجوف، وفي عالم البشر، كنا نحن الأطفال دائمًا ما نكون في ساحات منازل الجيران، نتأرجح، ونسبح، ونقفز، لكن القواعد هنا ليست متشابهة. أما معظم الأطفال في بلاط الملك السامي، فهم من أفراد العائلة المالكة، وقد تم إرسالهم من القصور والممالك الأصغر شأنًا لكسب النفوذ من الأمراء والأميرات وليس لديهم وقت للأمور الأخرى.

وبالطبع، في عالم البشر، هناك أشياء مثل الباحات الخلفية. أما هنا، فتوجد الغابات، والبحر، والصخور، والمتاهات والزهور التي تكون حمراء فقط عندما تُروى بدماء جديدة. لا أحب كثيرًا فكرة الضياع عمدًا في متاهة الشجيرات، لكنني ابتسمت كما لو أنه لا شيء يمكن أن يسعدني أكثر مِن هذا إذ لم أرد أن أخيب ظنه.



تابع لوك كلامه قائلًا: «سيكون هناك تجمُّع في وقت لاحق. ينبغي عليه البقاء. وأعدك بأنه سيكون مُسلِّيًا».

حينها ساورني الشك. شككت في أنه سيقيم حفلة دون أصدقائه. فقلت لتجنب رفض الدعوة على الفور: «تبدو هذه حماقة».

رمقني لوك بنظرة حنون ومشفقة، وقال: «لا يحب والدك أن تبقي بالخارج لوقت متأخر؟».

أعلم أنه يحاول فقط أن يُشعرني بأنني طفلة صغيرة، حيث يعرف جيِّدًا لماذا ينبغي عليَّ ألَّا أكون هناك، ولكن على الرغم من علمي كذلك بما يفعله نجح في مسعاه.

كان منزل لوك أكثر تواضعًا من منزل مادوك، وأقل تحصينًا. حيث ترتفع بين الأشجار أبراج طويلة مُغطاة بكساء من اللحاء الطحلبي. وكانت براعم اللبلاب المتصاعدة، ونباتات زهر

العسل التي تتشابك على الجانبين تُحوِّل كل شيء إلى اللون الأخضر، وتملؤه بالأوراق.

قلت: «يا للجمال». لقد مررتُ من هذه النواحي، ورأيت تلك الأبراج من بعيد، لكنني لم أعرف قطُّ من يمتلكها. فكرَّرتُ إعجابي، وقلت: «إنها جميلة».

فمنحني ابتسامة خفيفة، وقال: «فلندخل».

ومع وجود زوج من الأبواب الكبيرة في المقدمة، أخذني إلى باب صغير على الجانب يؤدي مباشرة إلى المطابخ. حيث كان هناك رغيف خبز طازج على المنضدة، إلى جانب التفاح والزبيب والجبن الطري، لكنني لم أرَ أي خدم قد أعدوا هذا.

وفكرت بشكل غير إرادي، في فتاة القصر الأجوف التي كانت تنظف مدفأة كاردان. وتساءلت أين تظن أسرتها أنها موجودة، وما الصفقة التي عقدتها لتكون هنا، وتساءلت عن مدى سهولة أن أكون في موضعها.



سألته، وأنا أدفع هذه الفكرة بعيدًا عني: «هل هذا بيت عائلتك؟».

قال لي: «ليست لديَّ عائلة. كان والدي ذا طباع برية وجامحة للغاية بالنسبة للبلاط. وقد أحب الغابة العميقة الوحشية أكثر من مؤامرات والدتي. فرحل، ثم ماتت هي بعد ذلك. والآن لم يبقَ سواي».

قلتُ: «هذا فظيع. ويشي بالكثير من الوحدة».

فتجاهل كلامي، ونقل الحديث إلى قصتي، وقال: «لقد سمعت قصة والديك. إنها مأساة مناسبة لقصة خيالية».

فرددت بسرعة: «حدث ذلك منذ وقت طويل». فآخر شيء أريد التحدث عنه هو مادوك وحادثة القتل. ثم بادرته بالسؤال: «ماذا حدث لأمك؟».

لوَّحَ بيده في الهواء في نفور. «لقد تزوَّجت سرًّا بالملك السامي. وفي هذا البلاط، هذا يكفي.

وحملت منه طفلًا لم يرغب أحد في ولادته واستخدموا الفطر الأحمر السام لمعالجة الأمر». ومع أنه بدأ حديثه بمرح، فإنه لم ينهه بهذه الطريقة.

الفطر الأحمر. فكرت في الرسالة التي وجدتها في منزل بالكين من الملكة أورلاج. وحاولت إقناع نفسي بأن الرسالة لا يمكن أن تشير إلى تسمُّم والدة لوك، وأن بالكين لم يَكُن لديه دافع لفعل ذلك حيث إن داين بالفعل هو الوريث المختار للملك السامي. لكن بغض النظر عن الطريقة التي أحاول بها إقناع نفسي، لم أستطع التوقف عن التفكير في هذا الاحتمال، والرعب من أن لوالدة نيكاسيا يدًا في وفاة والدة لوك. قلت مُعتذِرةً: «ما كان يجب أن أسأل. كانت تلك وقاحةً مني».

«نحن أبناء المآسي». هزَّ رأسه، ثم ابتسم، وقال: «ليس هذا ما كنت أهدف إلى البدء به. كنت أهدف إلى أن أُقدِّم لكِ الشراب، والفاكهة، والجبن، وكنت أهدف إلى أن أخبرك كيف أن شعرك جميل مثل حلقات الدخان المتمايلة ولون عينيك مثل لون الجوز. اعتقدت للحظة أنه يمكنني تأليف قصيدة عنهما لكنني لا أجيد تأليف الشعر».



ضحكت، فوضع يده بشكل عابث على قلبه كما لو أنني جرحته بقسوتي. ثم عقَّب: «قبل أن أريك المتاهة، دعيني أريك شيئًا آخر».

سألته بفضول: «وما ذاك؟».

أخذ بيدي وقال بمرح: «تعالي»، وقادني عبر المنزل حتى وصلنا إلى سُلَّم حلزوني. وظللنا نصعد لأعلى، لأعلى، لأعلى.

شعرت بالدوار. ولم تكن هناك أبواب ولا درجات عريضة. فقط أحجار وخطوات، وبدأ قلبي ينبض بصوتٍ عالٍ في صدري. فقط ما أحاطتني هي ابتساماته الجذابة، وعيناه العنبريتان. حاولت ألا أتعثر أو أنزلق وأنا أصعد وحاولت ألا أبطئ خطواتي، مهما شعرت بالدوار.

فكرت في فاليريان، وفي قوله لي: "اقفزي من البرج".

واصلت الصعود، وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبة..

وتذكرت كذلك: "أنتِ نكرة. أنت بالكاد موجودة".

عندما وصلنا إلى القمة، كان هناك باب صغير - يرتفع حتى يصل إلى نصف طولنا. استندت إلى الحائط، في انتظار استعادة توازني وشاهدت لوك وهو يُدير المقبض الفضي المزخرف، ثم انحنى عندما دخل. وأنا استجمعت شتات نفسي، ودفعتها عبر الجدار، واتبعته.

ثم شهقت. كنا في شرفة فوق قمة أعلى برج، برج أعلى من صف الأشجار. ومن هناك، تحت ضوء النجوم، استطعت أن أرى المتاهة في الأسفل، والبرج المزخرف في المنتصف. استطعت أن أرى الأجزاء العليا من قصر مدينة إلفهايم، وأرض مادوك، والقصر الأجوف الخاص ببالكين، استطعت أن أرى البحر الذي يحيط بالجزيرة وما وراءها، والأضواء الساطعة للمدن والبلدات البشرية عبر الضباب الدائم. لم يسبق لي النظر مباشرة من عالمنا إلى عالمهم.

وضع لوك يده على ظهري، بين لوحي كتفيّ وقال: «في الليل، يبدو عالم البشر كأنه مليء بالنجوم المتساقطة».

ملت نحوه كي أتناسى فزع الصعود، وحاولت ألا أقترب كثيرًا من الحافة وسألته: «هل سبق لك الذهاب إلى هناك؟».

أوْمَأَ برأسه إيجابًا: «أخذتني أمي عندما كنت طفلًا. وقالت إن عالمنا سيصبح راكدًا دون عالمكِ».

أردت أن أخبره بأن هذا العالم ليس ملكي، وأنني بالكاد أفهمه، لكني أفهم ما يحاول قوله، وتصحيحي لكلامه سيجعلني أبدو كما لو أنني لم أفهمه. إن مشاعر والدته طيبة، وبالتأكيد ألطف من معظم وجهات النظر الأخرى عن عالم البشر، ومن المؤكد أنها كانت هي نفسها سيدة لطيفة.

أدارني نحوه، ثم نظر إلى عيني. كانت نظراته حنونة وأنفاسه دافئة. وشعرت بأنني بعيدة عن جسدي مثل أضواء المدينة البعيدة. امتدَّت يدي إلى السياج. وأمسكته بقوة حينما لفَّ ذراعه حول خصري، لأنبه نفسي لما يحدث، ولأقنع نفسي بأنني هنا، وأن هذه اللحظة فوق كل شيء حقيقية.

تراجع خطوةً للخلف، وقال في إعجاب: «أنتِ جميلة للغاية».

لم أسعد بمعرفة أنهم لا يستطيعون الكذب كما كنت لحظتها.

قلت وأنا أنظر إلى أسفل: «هذا مذهل. كل شيء يبدو صغيرًا جدًّا، كما هي الحال في لوحة رسم الخُطط».

ضحك، وكأنني لا يمكن أن أكون جادَّةً فيما أقول، وعقَّب: «أفهم من هذا أنك تقضين الكثير من الوقت في التعلم من والدك، وفي مكتبه؟».

قلت: «يكفي أن تعرف مقدار خلافاتي مع كاردان و فاليريان ونيكاسيا ومعكم أنتم حتى تقدِّر اهتمامي بالخطط».

أخذ بيدي وقال: «كاردان أحمق وبقيتنا لا يهمون»، ومالت ابتسامته وقال: «ولكن ربما يكون هذا جزءًا من خطتك - أن تقنعيني بأخذك إلى قلب معقلي. ربما أنت على وشك الكشف عن مخططك الشرير وتطويعي لإرادتك. لمجرد العلم، أنا لا أعتقد أنه سيصعب عليكِ تطويعي لإرادتك».

ضحكتُ على الرغم مني وقلتُ: «أنت لا تشبههم في شيء».

فسألني: «حقًّا؟»

ألقيت عليه نظرة فاحصة، وقلتُ: «لا أعرف، هل ستأمرني بالقفز من هذه الشرفة؟».

ارتفع حاجباه في دهشة، وقال: «بالطبع لا».

قلتُ: «حسنًا، أنت إذن لست مثلهم». ووخزته بقوة في منتصف صدره وانبسطت يداي

بلا وعي تقريبًا، للسماح بدفئه بالتسرب إلى راحتي. لم أدرك قبلها كم سأشعر بالبرد، حينما أقف في مهب الريح.

قال وهو ينحني نحوي، ويرمقني بنظرة حنون: «أنتِ لست كما يقولون عنك».

لا أريد أن أفكر في الأشياء التي قالوها، ليس الآن. أريد نظراته الحنون فحسب، ومحو كل شيء آخر في عقلي.

استغرقنا وقتًا طويلًا للعودة إلى أسفل الدرج، وكنت أضع يدي في شعره ويضع هو يده على رقبتي فيما كنت أسند ظهري إلى الجدار الحجري القديم. كل شيء كان يجري بإيقاع بطيء

ومثالي. لم أكن أصدق، لا يمكن أن تكون هذه حياتي. إنها لا تبدو مثل حياتي الحقيقية مطلقًا.

جلسنا إلى طاولة المأدبة الطويلة الفارغة، وتناولنا الجبن والخبز. ثم تناولنا شرابًا أخضر شاحبًا مذاقه كالأعشاب في الكئوس الضخمة التي وجدها لوك في الجزء الخلفي من الخزانة. وكانت مليئة بالغبار لدرجة أنه توجب أن يغسلها مرتين قبل أن نتمكن من استخدامها.

عندما انتهينا، اتجهنا إلى الطاولة، ورفعني حتى أجلس عليها، وجلس بجواري. إنه أمر مبهج ومرعب، مثل حال الكثير من أمور الجان.

لست متأكدة من أنني أجيد التصرف في المواقف العاطفية. لست بارعة فيها. فأنا خجول. ولذا وددت أن أجذبه نحوي وأدفعه بعيدًا عني في الوقت نفسه. وليس لدى الجان الكثير من المحرمات بشأن الحياء، لكنني لديّ، وأخشى أن يبعث جسدي البشري بروائح العرق والخوف ولا أعرف أين ينبغي أن أوجِّه يدي، ومدى القوة التي ينبغي عليَّ أن أمسك يده بها. وفي حين أنني أعرف ما الذي تعنيه نظراته الحنون، وأعرف ما يعنيه أن يضع يده الحانية على عنقي، فليست لديَّ أية فكرة عن كيفية إخفاء قِلَّة خبرتي.

لقد تراجع للحظة لينظر إليَّ، فحاولت ألا يظهر الذعر في عيني. وتمتم لي قائلًا: «ابقي الليلة».

للحظة ظننت أنه يعني معه، أنا وهو معًا، فتسارعت دقات قلبي، وامتزجت لديَّ مشاعر الرغبة والرهبة. ثم، فجأة، تذكرت أنه ستكون هناك حفلة جماعية - وهذا ما يطلب مني البقاء من أجله. ومن المؤكد أن أولئك الخدم الخفيين، أينما كانوا، يعدون المكان للحفل. وقريبًا ربما يحضر فاليريان، قاتلي المحتمل، ليُراقص إحداهن في الحديقة.

حسنًا، ربما لن يرقص. من المحتمل أن يتكئ على الحائط بصعوبة والشراب في يده، والضمادات حول ضلوعه، ويضمر في قلبه خطة جديدة لقتلي، إن لم تكن هناك أوامر جديدة لقتلي قد صدرت من كاردان.

قُلتُ وأنا أنزل عن الطاولة: «لن يعجب هذا أصدقاءك».

قال: «سرعان ما سيغيبون عن الوعي من كثرة الشراب لدرجة أنهم لن يلاحظوا وجودك. ولا يمكنك أن تقضي حياتك محبوسة في ثكنات مادوك المهيبة». ومنحني ابتسامة من الواضح أنها تهدف إلى دفعي لقبول طلبه، وقد نجحت إلى حدٍّ ما. فكرت حينذاك في عرض داين بأن يضع لي علامة المحبة فوق جفني وعلى جبيني، وتساءلت بلا مبالاة عما إذا كانت لدى لوك واحدة، لأنني على الرغم من كل شيء، أشعر بالانجذاب نحوه.

قلت مشيرةً إلى السترة التي أرتديها والملطخة بدماء فاليريان: «ليس لديَّ الملابس المناسبة».

فحصني بنظره من أعلى لأسفل لفترة أطول مما يتطلبه فحص ملابسي، ثم قال: «يمكنني أن أجد لكِ ثوبًا. يمكنني أن أجد لك أي شيء تريدينه. وقد سألتني عن كاردان وفاليريان ونيكاسيا - عليك رؤيتهم وهم خارج المدرسة، عليك رؤيتهم وهم حمقى وغائبون عن الوعي من كثرة الشراب، وحقيرون. انظري إلى نقاط ضعفهم، وتحسسي الشقوق في دروعهم المنيعة الوهمية. عليك أن تعرفيهم جيِّدًا لتهزميهم، أليس كذلك؟ أنا لا أقول إنك ستحبينهم بشكل أفضل، بل أقول إنك لست بحاجة إلى الإعجاب بهم».

قلت له: «أنا معجبة بك. وأحب التظاهر بأننا في علاقة عاطفية».

فردَّدَ كأنه غير متأكد ما إذا كنت أُقلِّل من شأنه أم لا: «التظاهر؟».

قلت: «بالطبع»، وذهبت إلى نوافذ القاعة، ونظرت إلى الخارج، كان ضوء القمر ينساب على المدخل المليء بأوراق الشجر، والمؤدي إلى المتاهة. وكانت المشاعل تتوقّد في الجوار وألسنة اللهب تتأرجح مع هبوب الرياح. ثم تابعتُ: «بالطبع نحن نتظاهر! نحن لا ينتمي أحدنا للآخر، لكن الأمر ممتع على أية حال».

ألقى إليَّ نظرة فاحصة مليئة بالشك، وقال: «إذن، دعينا نستمر في فعل ذلك».



فقلت بتلقائية: «حسنًا، سأبقى. وسأحضر حفلك». لقد حصلتُ على القليل من المرح في حياتي حتى الآن، ومن الصعب مقاومة الوعد بنيل المزيد منه.

قادني لوك عبر عِدَّة غرف حتى وصلنا إلى باب مزدوج. وللحظة تردَّدَ وهو ينظر إليَّ مرة أخرى. ثم دفعه ليفتحه، فدخلنا غرفة نوم ضخمة. كانت هناك طبقة سميكة كثيفة من الغبار تغطي كل شيء. وهناك آثار أقدام - صفّان منها. لقد دخل إلى هنا من قبل، لكن ليس كثيرًا.

قال وهو يُمسك بيدي: «الفساتين الموجودة في الخزانة كانت ملكًا لأمي. اقترضي منها ما تشائين».

بالنظر في أنحاء هذه الغرفة التي لم تمس محتوياتها التي تقع في قلب هذا المنزل، أدركت مدى الحزن الذي جعله يغلقها لفترة طويلة، وسعدت لأنه سمح لي أنا تحديدًا بالدخول. فإذا كانت لدي غرفة مليئة بأشياء والدتي، فلا أعرف ما إذا كنت سأسمح لأي شخص بالدخول. ولا أعرف حتى ما إذا كنت سأجرؤ على الدخول بنفسي.

ثم فتح إحدى الخزانات. لقد أكلت العثة الكثير من الملابس، لكن أمكنني رؤية ما كانت عليه من قبل. كانت هناك تنورة مطرزة بعدد من صور الرمان، وأخرى تُسحب لأعلى مثل الستارة لتُظهر تحتها مسرحًا عليه دمى آلية مرصعة بالجواهر. حتى إنه كانت هناك تنورة صنعت كصورة ظلية لمخلوقات الفون الراقصة بطول التنورة نفسها. لقد أُعجبت في السابق بفساتين أوريانا لأناقتها ورفاهيتها، لكن هذه الملابس أثارت لديَّ رغبة شديدة في امتلاك ثوب مزخرف على نحو صاخب. وجعلتني أتمنى لو رأيت والدة لوك في أحد هذه الفساتين. وجعلتني هذه الملابس أعتقد أنها كانت امرأة تحب الضحك.

قلت له: «لا أعتقد أنني رأيت ثيابًا كهذه من قبل. هل تريدني حقًّا أن أرتدي أحدها؟».

مسح بيده أحد الأكمام، وقال: «أعتقد أنها بليت بعض الشيء».

قلت: «لا، أنا أحبها».



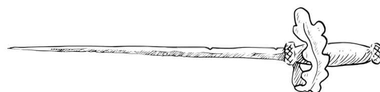
وكانت التنورة التي تحتوي على زخارف مخلوقات الفون هي الأقل تضرُّرًا. فنفضت الغبار عنها، وارتديتها خلف ستار قديم. وعانيت لفعل ذلك؛ لأنها من النوع الذي يصعب ارتداؤه دون مساعدة خادمة مثل تاترفيل. وليست لديَّ أية فكرة عن كيفية تصفيف شعري بشكل مختلف، لذلك تركته كما هو - مضفرًا كتاج حول رأسي. وعندما مسحت بيدي مرأة فضية، ورأيت نفسي أرتدي ثياب جنية ميتة سرت ارتعاشة في جسدي.

وفجأة، لم أعد أعرف لماذا أنا هنا في هذا المكان، ولا أعرف نية لوك الحقيقية. وعندما حاول أن يُلبسني مجوهرات والدته، رفضتها.

وقلت: «فلنخرج إلى الحديقة». ولم أعد أريد أن أبقى في هذه الغرف الفارغة التي تتردد فيها أصداء حياة الراحلين.

وضع لوك سلسلة الزمرد الطويلة التي كان يحملها جانبًا. وعندما هممت بالمغادرة، نظرت للخلف نحو الخزانة المليئة بالملابس البالية. ورغم شعوري بعدم الارتياح، كان هناك جزء مني لا يسعه إلا تخيُّل ما ستكون عليه الحال إذا سكنت في هذا المكان. تخيَّلت الأمير داين مرتديًا التاج، وتخيلت الجلوس إلى تلك الطاولة الممتدة التي جلسنا فوقها أنا ولوك، وجميع زملائي في الفصل يتناولون الشراب الأخضر باهت اللون، ويتظاهرون بأنهم لم يحاولوا قط قتلي. تخيلت لوك وهو يضع يده في يدي.

ثم تخيلت نفسي وأنا أتجسس عليهم جميعًا لصالح الملك.



كانت متاهة الشجيرات أطول من ارتفاع غول، وتكتسي بأوراق كثيفة لامعة بلون أخضر داكن. وعلى ما يبدو، فإن دائرة كاردان المقربة تلتقي هنا كثيرًا، استطعت سماعهم يضحكون في وسط المتاهة عندما مشيت في الخارج مع لوك، الذي تأخر على استقبال أصحابه. وكانت

رائحة شراب الصنوبر تنتشر في الهواء. وكان ضوء ألسِنة نيران المشاعل يصنع ظلالًا طويلة، ويغطي كل شيء باللون القرمزي، وتباطأت خطواتي.

مددت يدي تلقائيًا إلى جيب فستاني، ولمست سكيني الذي كان لا يزال مُلطَّخًا بدم فاليريان. وعندما فعلت ذلك، لمست أصابعي شيئًا آخر، شيئًا من المؤكد أن والدة لوك تركته فيه قبل سنوات. وأخرجت حلية بسيطة تخصها - شجرة بلوط ذهبية، إنها لا تشبه المجوهرات - لا توجد سلسلة - ولا أستطيع أن أتخيل الغاية منها سوى أنها جميلة. ووضعتها مرة أخرى في جيبي.

أمسك لوك بيدي ونحن نتحرك بين المنعطفات في متاهة الشجيرات. ولم يبدُ لي أن هناك الكثير من هذه المنعطفات، ومن ثم حاولت أن أرسمها في ذهني أثناء ذهابي، في حال اضطررت إلى إيجاد طريقي للخروج بمفردي. بساطة هذه المتاهة جعلتني أشعر بالتوتر أكثر من شعوري بالثقة. إذ إنني لا أعتقد أن هناك الكثير من الأشياء البسيطة لدى الجان. أما في المنزل، فسينتهون من تناول العشاء دوني. وستهمس تارين لفيفي بأنني ذهبت إلى مكان ما مع لوك. وسيكون مادوك عابسًا وهو يلتقط قطع اللحم، منزعجًا لأنني فوتُّ دروسه.

لكنني، وعلى أية حال، قد تعاملت مع أمور أسوأ من هذه من قبل.

في منتصف المتاهة، عزف الزمار ألحان أغنية جامحة ومطربة. وتطايرت بتلات الورد الأبيض في الهواء. فيما تجمَّعَ الجان ليأكلوا ويشربوا حول مائدة ولائم ممتدة بدت مكدسة بمختلف المشروبات - العصائر التي تطفو فوق سطحها جذور الماندريك، وشراب البرقوق الحامض، وشراب نقي مملوء بحفنة من البرسيم الأحمر. وإلى جانب هذا كله، كانت توجد

قوارير من شراب ذهبي اللون.

كان كاردان مستلقيًا على بطانية، ورأسه مائل للخلف، وقميصه الأبيض الفضفاض مفتوحًا. ومع أن الوقت كان في بداية الأمسية، إلا أنه بدأ غائِبًا عن الوعي من كثرة الشراب، وكان فمه مُلطَّخًا بلون ذهبي. كانت هناك فتاة لا أعرفها ذات قرنين تقبِّل يديه، وأخرى ذات شعر نرجسي اللون، تقبِّل ساقيه مباشرة فوق الجزء العلوي من حذائه.



وما أشعرني بالارتياح أني لم أرَ فاليريان. آمل أن يكون قد بقي في المنزل ليعالج الجرح الذي أصبته به.

أحضر لي لوك كوبًا صغيرًا من الشراب، فأخذت رشفة صغيرة جدًّا كتصرف ينم عن اللياقة. وبدأت السعال على الفور. وفي تلك اللحظة اتَّجهَ بصر كاردان نحوي. كانت عيناه مفتوحتين بالكاد، لكن أمكنني رؤية لمعانهما وهما رطبتان كالقطران. لقد نظر إليَّ بينما تقبِّل الفتاة يديه، وراقب تعبيرات وجهي وهي تمرِّر يدها تحت طرف قميصه المتموج السخيف.

احمرَّ وجهي خجلًا. ونظرت بعيدًا، ثم شعرت بالغضب من نفسي لأنني منحته الشعور بالرضا عن نفسه بإظهاري عدم ارتياحي، إنه الشخص الذي يسعى دومًا للفت الأنظار إليه.

قالت نيكاسيا وهي تتبختر في ثوب به كل ألوان غروب الشمس: «أرى عضوة في دائرة الديدان قد اختارت أن تشرفنا بحضورها الليلة». ثم نظرت إلى وجهي، وتساءلت ساخرةً: «ولكن مَن هي؟».

قلت لها، متجاهلةً سخريتها: «من لا تحبينها».

جعلها هذا تطلق ضحكة عالية مصطنعة. وقالت: «أوه قد تتفاجئين بما يشعر به البعض منا تجاه كليكما».

قال لوك بحزم، وهو يُمسك بمرفقي: «لقد وعدتك بتسلية أفضل من هذه». كنت ممتنة له عندما جذبني نحو طاولة منخفضة توجد حولها وسائد متناثرة عشوائيًّا، ولكن لم أستطع

منع نفسي من إعطاء نيكاسيا تلويحة صغيرة معادية في طريقي. وسكبت كوبي من الشراب على العشب عندما لم يكن لوك ينظر إليَّ. انتهى الزمار من عزفه، وجاء صبي، يلمع جسده بطلاء ذهبي، وأخرج قيثارة، وغنى أغنية جريئة عن القلوب المكسورة: "أيتها السيدة الجميلة! أيتها السيدة القاسية كم أشتاق إلى مشاكستك الجميلة. أشتاق إلى ملمس شعرك أشتاق الى لون عينيك. لكن الأهم من ذلك كله، أشتاق إلى خديك".

وقبَّل لوك يدي مرة أخرى أمام النار. كان بوسع الجميع رؤيته لكنني لم أعرف يقينًا ما إذا كانوا ينظرون أم لا؛ لأنني أغمضت عينيَّ قدر الإمكان.





الفصل 17

استيقظت في منزل لوك على سرير مغطى بالمفارش المزخرفة واستشعرت طعم الخوخ الحامض في فمي، وكان جفناي منتفخين. فيما كان لوك نائمًا على سرير آخر بالقرب مني، وعيناه مغمضتان، ولا يزال مرتديًا ملابس الحفل. توقفت خلال نهوضي لأتفحصه، وأتأمل أذنيه المدببتين، وشعره الذي يشبه فرو الثعلب ونعومة بشرته، وأطرافه الطويلة الممدودة في أثناء النوم. وكان رأسه موضوعًا على معصم سترته المنفوش.

ثم استعدت أحداث الليلة في دفقة سريعة من الذكريات. كان هناك رقص ومطاردة عبر المتاهة. وأتذكر سقوطي على يدي فوق التراب وأنا أضحك، وهذا على عكس طبيعتي تمامًا. وفي الواقع، عندما نظرت إلى ثوب الحفلات الذي نمت فيه، كانت هناك بقع من العشب عليه.




لا يعني ذلك أنني سأكون أوَّل من سيُعبث معها.

لقد ظلَّ الأمير كاردان يراقبني طوال الليل مثل سمكة قرش تدور بلا كلل في انتظار اللحظة المناسبة للهجوم. وحتى الآن يمكنني استحضار ذكرى عينيه السوداوين المتقدتين. وإذا ما كنت قد ضحكت بصوتٍ أعلى من أجل أن أغيظه أو ابتسمت ابتسامة عريضة، وقبّلت يدي لوك، فإن هذا يَعُد نوعًا من الخداع الذي لا يستطيع حتى الجان استنكاره.

ولكن الآن، بدت هذه الليلة لي كحلم طويل مستحيل.

كانت غرفة نوم لوك فوضوية - كتب وملابس مبعثرة على مقاعد طويلة وأرائك منخفضة. سرت نحو الباب، وتجولت في قاعات المنزل الخاوية، وسلكت طريق العودة إلى غرفة والدته المتربة، فخلعت ثوبها، وارتديت ملابس أمس. ثم مددت يدي لأخذ السكين من جيبها، وعندما فعلت ذلك خرجت حلية شجرة البلوط الذهبية معها.

بسرعة، دسست السكين والحلية في سترتي. لقد أردت تذكارًا لتلك الليلة شيئًا مُميَّزًا أحتفظ به إذا لم يحدث أمر مماثل مرة أخرى. وقد أخبرني لوك بأنه يمكنني استعارة أي شيء في الغرفة، وأنا استعرت هذا.

في طريقي للخروج، مررت بطاولة الطعام الممتدة. وكانت نيكاسيا هناك تقطع تفاحة بسكين صغير.

وقالت وهي تلقي بشريحة من الفاكهة في فمها: «يبدو شعرك مثل الشجيرات المتشابكة».

ألقيت نظرة على لوح فضي يشبه المرآة على الحائط، حيث ظهرت صورة مشوهة وغير واضحة الملامح لي. ومع ذلك، أستطيع أن أقول إنها على حق، فقد كانت هناك هالة بنية تحيط بعنقي، وعندما مددت يدي إليها، بدأت في فك ضفيرتي، وتمشيطها بأصابعي.

ثم قلت: «لوك نائم»، على افتراض أنها تنتظر رؤيته. وتوقعت أن أشعر بأنني تفوقت عليها بشيء ما، لكوني الشخص الذي كان على مقربة منه طول الليل، لكن ما شعرت به في الواقع هو القليل من الذعر.



ولم أعرف فعلًا كيف فعلتُ ذلك. لا أعرف كيف أستيقظ في منزل فَتًى وأتحدث مع الفتاة التي تربطه بها علاقة. وكان الشعور أيضًا بأنها بالتحديد الفتاة التي ربما ترغب في موتي، بشكل غريب، هو الشعور الوحيد من كل هذا الذي يبدو طبيعيًّا تمامًا.

قالت نيكاسيا: «تعتقد والدتي وشقيقه أننا ينبغي أن نتزوج فسيكون هذا تحالفًا مفيدًا». وبدا كأنها تتحدث إلى شخص آخر غير موجود وليس إليَّ على الإطلاق.

سألتها في حيرة: «تحالفًا مع لوك؟».

رمقتني بنظرة انزعاج، ويبدو أن سؤالي منعها لفترة وجيزة من سرد قصتها. ثم قالت: «أعني أنا وكاردان. لكنه يفسد الأمور دومًا. هذا ما يحبه. إفساد الأمور».

بالطبع يحب كاردان إفساد الأمور. وتساءلتُ كيف يمكن لها ألا تكون قد أدركت شيئًا كهذا إلا في الحال. كما كنت أعتقد أن هذا سيكون قاسمًا مشتركا بينهما.

تركتها لتفاحتها وذكرياتها، وأخذت طريقي إلى القصر. هب نسيم بارد عبر الأشجار، رفع خصلات شعري السائب، وجلب إليَّ رائحة أزهار الصنوبر. وفي السماء، سمعت صياح طيور النورس. وكنت سعيدة لوجود محاضرة اليوم؛ سعيدة لأن لديَّ عذرًا لعدم العودة إلى المنزل، وسماع ما ستقوله أوريانا لي.

ستعقد المحاضرة في البرج، وهو أقل الأماكن تفضيلًا لديَّ. صعدت الدرج، وضبطت هندامي. لقد تأخرت، لكنني وجدت مكانًا على مقعد قريب من نهاية الفصل. كانت تارين تجلس على الجانب الآخر. ونظرت إليَّ مرة واحدة وهي ترفع حاجبيها دهشةً أو استنكارًا. وكان كاردان بجانبها، يرتدي ثوبًا من القطيفة الخضراء، مُطرَّزًا بخيوط ذهبية على شكل أشواك قمتها محاكة بخيوط زرقاء. كان يجلس مُسترخِيًا في مقعده، فيما كانت أصابعه الطويلة تنقر بتوتر على خشب المقعد المجاور له.

مجرد النظر إليه يجعلني أشعر بالقلق.

على الأقل لم يظهر فاليريان. لكم أتمنى ألَّا يعود أبدًا، لكنه مع ذلك غاب هذا اليوم.

كانت هناك مدربة جديدة. فارسة تُدعى دولكامارا، تتحدث عن قواعد الميراث، ربما تحسُّبًا للتتويج القادم.

التتويج الذي سيشهد ارتقائي إلى السلطة أيضًا، وبمجرد أن يصبح الأمير داين الملك السامي، سيتاح لجواسيسه أن يفعلوا ما يشاءون داخل مدينة إلفهايم، ولن يستطيع أحد سوى داين نفسه السيطرة علينا.

قالت دولكامارا: «في بعض الممالك الدنيا، يمكن لقاتل الملك أو الملكة أن يتولى العرش». وواصلت حديثها لتخبرنا بأنها تنتمي إلى بلاط مملكة النمل الأبيض، التي لم تنضوي بعد تحت راية إلدريد.

ومع أنها لا ترتدي درعًا، فإنها تقف كما لو كانت معتادة ثقله، ثم أضافت: «هذا هو السبب الذي جعل الملكة ماب تساوم الجان البريين لجعل الملك إلدريد يرتدي التاج، والذي لا يمكن أن يورث إلا لنسلها. وسيكون من الصعب الحصول عليه بالقوة». وابتسمت بطريقة شريرة.

أتخيل أنه إذا حاول كاردان إيقاف درسها، فستأكله حيًّا، وتكسر عظامه حتى النخاع فيما يبدو.

كان أبناء النبلاء ينظرون إلى دولكامارا بعدم ارتياح. إذ تقول الشائعات إن اللورد روبين، ملكها، يخطط لحلف قسم الولاء للملك السامي الجديد وسيُحضر معه حاشيته الكبيرة. الحاشية التي استعصت على قوات مادوك لسنوات، ويعد انضمام روبين إلى حاشية الملك السامي في إلفهايم، إلى حد كبير، بمثابة ضربة بارعة لصالح الدبلوماسية التي اختارها الأمير داين ضد رغبات مادوك. وأعتقد أن هذه المعلمة حضرت من أجل التتويج.

قال لاركسبور، وهو أصغرنا سنًّا: «ماذا سيحدث عندما لا يكون هناك المزيد من الأبناء في سلالة جرينبريال؟».



أبدت دولكامارا ابتسامة لطيفة، وقالت: «بمجرد أن يكون هناك أقل من فردين - واحد ليرتدي التاج والآخر ليضعه على رأس الحاكم - سينهار التاج السامي وقوته. وسوف تتحرَّر كل مدينة إلفهايم من قسم الولاء لهم».

ثم أردفت: «حينئذٍ من يدري؟ ربما يؤسس حاكم جديد سلالة وتاجًا جديدين. وربما تعودون إلى القتال مع مملكة سيلي وأنسيلي الصغيرتين، وربما تنضوون تحت راياتنا في الجنوب الغربي». وقد بيَّنت ابتسامتها أي احتمال تفضل من بين هذه الاهتمامات.

رفعت يدي، فأوْمَأت دولكامارا لي كي أتكلم. فتساءلت: «ماذا لو حاول شخص ما انتزاع التاج عنوة؟».

ألقى كاردان إليَّ نظرة حانقة. وأردت أن أحدِّق إليه في تحدٍّ، لكن لم يسعني إلا التفكير فيه مُمدَّدًا على الأرض ومحاطًا بهؤلاء الفتيات. فاحمر خداي خجلًا مرة أخرى، وأشحت ببصري عنه.

قالت دولكامارا: «هذا سؤال مثير للاهتمام. تقول الأسطورة إن التاج لن يسمح بأن يوضع على جبين أي شخص ليس من سلالة ماب، لكن سلالة ماب كانت خصبة للغاية. وإذا حاول بعض الأبناء انتزاع التاج، فإنهم يستطيعون فعل ذلك. لكن أخطر جزء في الانقلاب هو: أنه قد ألقيت على التاج لعنة ستجعل من مقتل الملك الذي يرتديه سببًا في وفاة الشخص المسئول عن ذلك».

وعلى الفور فكرت في الرسالة التي وجدتها في منزل بالكين بخصوص الفطر الأحمر والقابلية للتسمم.

بعد المحاضرة، نزلت الدرج بعناية، وتذكرت ركضي عليه بعد طعن فاليريان، فتشوشت رؤيتي، وشعرت بالدوار للحظة، لكن هذه اللحظة مرَّت. ثم دفعتني تارين، القادمة خلفي ناحية الغابة بمجرد خروجنا.

وقالت وهي تجذبني إلى بقعة من نبات السرخس المجعد: «أوَّلًا، لا أحد يعرف أنك لم تكوني في المنزل طوال الليلة الماضية سوى تاترفيل، وقد أعطيتها واحدًا من أجمل خواتمك للتأكد من أنها لن تقول أي شيء. لكن عليك أن تخبريني أين كنتِ».

قلت لها: «لقد أقام لوك حفلًا في منزله، وقد مكثت لديه - لكن لم يحدث. أعني، لم تحدث أشياء كثيرة. فقط تبادلنا بعض النظرات الحنون، وقبَّل يدي. هذا كل ما في الأمر».

تطايرت ضفائرها الكستنائية وهي تهز رأسها. وقالت: «لا أعرف ما إذا كنت سأصدق هذا أم لا».

فأطلقت زفيرًا عميقًا، ربما بشكل درامي قليلًا، ثم قلت بنبرة موحية: «ولِمَ أكذب؟ فأنا لستُ الشخص الذي يخفي هوية من يغازلني».

عبس وجه تارين، وقالت: «أظن أن النوم في منزل شخص ما، لو كان ذلك بعد حفل به العديد من الأشخاص ينطوي على ما هو أكثر من مجرد تبادل النظرات وتقبيل الأيدي».

احمرَّ خداي خجلًا، وأنا أفكر فيما شعرت به عند الاستيقاظ، وجسده ممدد على سرير بالقرب مني. ولجذب الانتباه بعيدًا عني، بدأت تخمين محبوبها. وقلت: «أوه، قد يكون الأمير بالكين. هل ستتزوجين الأمير بالكين؟ أو قد يكون المعلم نوجل، إذ يمكنكما عد النجوم معًا».

ضربتني على ذراعي بقوة، وقالت: «توقفي عن التخمين. أنت تعلمين أنه لا يحق لي أن أكشف عنه».

قلت متوجعة: «آه». ثم قطفت زهرة كامبيون بيضاء، ووضعتها خلف أذني. ثم سألتني: «إذن، هل أنت معجبة به؟ معجبة به للغاية؟».

سألتها: «لوك؟. بالطبع معجبة به».



رمقتني بنظرة متوجسة، فتساءلت إلى أي مدى أثرت قلقها لعدم عودتي إلى المنزل في الليلة السابقة.

ثم قلت لها: «لكني لا أحب بالكين كثيرًا»، فحركت عينيها في حيرة.

عندما عدنا إلى المنزل، وجدت أن مادوك ترك لي رسالة يخبرني بأنه سيظل في الخارج حتى وقت متأخر. ولعدم وجود ما يشغلني حتى ذلك الحين بحثت عن تارين، ومع أنني رأيتها تصعد إلى الطابق العلوي قبل دقائق فقط. فإنها لم تكن في غرفتها. وبدلًا من ذلك، كان فستانها على السرير وخزانة ملابسها مفتوحة، وبعض الفساتين متدلية منها كما لو أنها أخرجتها قبل أن تجد ما تريده.

هل ذهبت للقاء محبوبها؟ درت في الغرفة مُحاوِلةً استخدام مواهبي في التجسس، والانتباه للعلامات التي تشير إلى وجود أسرار، ولم ألاحظ شيئا غير عادي سوى بعض بتلات الورد الآخذة في الذبول على منضدة الزينة الخاصة بها.

ذهبت إلى غرفتي، واستلقيت على سريري، واستعرضت ذكرياتي عن الليلة السابقة. ثم مددت يدي إلى جيبي، وأخرجت السكين لتنظيفه. وعندما أخرجتها، أخرجت معها حلية شجرة البلوط الذهبية أيضًا. وأخذت أقلبها في يدي.

كانت الحلية عبارة عن كتلة صلبة من المعدن - غرض جميل. لقد نظرت إليها على هذا النحو فقط في البداية، قبل أن ألاحظ بعض الخطوط الدقيقة التي تمر عبرها، إنها خطوط صغيرة ربما تشير إلى أجزاء متحركة. كما لو كانت أحجية.

ولم أستطع إزالة قمتها، مع أنني حاولت بشدة. ولم أستطع أن أعمل أي شيء آخر معها أيضًا. كنت على وشك الاستسلام وإلقائها على منضدة الزينة عندما لمحت ثقبًا صغيرًا، صغيرًا جدًّا يكاد يكون غير مرئي تقريبًا في أسفلها. فقفزت من فراشي، وفتشت في مكتبي بحثًا عن دبوس. كان الدبوس الذي وجدته به لؤلؤة في أحد طرفيه، فحاولت أن أدخل طرفه

المدبب في ثقب حلية البلوط وقد استغرق الأمر لحظة، لكنني تمكنت من التغلب على المقاومة حتى سمعت صوت نقرة وفُتِحت الحلية.

دارت بعض الدرجات الآلية داخلها حول مركز لامع، حيث يرقد طائر ذهبي صغير. ثم تحرك منقار الطائر، وتحدث بصوتٍ خافت. وقال: «يا أعز أصدقائي، هذه هي آخر كلمات ليريوبي. لديَّ ثلاثة طيور ذهبية سأُطيِّرها. ثلاث محاولات لإيصال أحدها إلى يدك. لقد صرت في حالة متدهورة لا يجدي معها استخدام أي ترياق. لذا إن وصلتك رسالتي، فسأتركك مع عبء أسراري وأمنية قلبي الأخيرة. احمه. خذه بعيدًا عن مخاطر هذا البلاط، حافظ عليه في مكان آمن، ولا تخبره أبدًا بحقيقة ما حدث لي».

دخلت تاترفيل إلى الغرفة وهي تحمل صينية بها الأشياء الخاصة بالشاي. وحاولت إلقاء نظرة خاطفة على ما أفعله، لكنني أطبقت يدي على الحلية.

وعندما خرجت، سكبت لنفسي كوبًا من الشاي، وأمسكت به لتدفئة يديّ. ليريوبي هي والدة لوك. وتبدو هذه كرسالة تطلب فيها من شخص ما - أعز أصدقائها - أن يأخذ لوك بعيدًا. وتُسمي هذه الرسالة بـ"كلماتها الأخيرة" لذا لا بُدَّ أنها عرفت أنها على وشك الموت. ربما كانت تنوي إرسال الحلية إلى والد لوك؛ على أمل أن يقضي لوك بقية حياته في استكشاف الأماكن البرية معه بدلًا من الوقوع في فخاخ المؤامرات.

ولكن بما أن لوك لا يزال هنا، فالواضح أنه لم يعثر أحد على أي من الطيور الثلاثة. وربما لم يغادر أي منها المنزل.

ينبغي أن أعطي الرسالة له، وأدعه يُقرِّر بنفسه ماذا يفعل بها، لكن كل ما ظللتُ أفكر فيه هو الرسالة الموجودة على مكتب بالكين، وهي الرسالة التي يبدو أنها تدل على تورط بالكين في مقتل ليريوبي. أينبغي عليَّ أن أخبر لوك بكل شيء؟

"عرفت مصدر الفطر الأحمر الذي تبحث عنه، لكن ما تفعله به يجب ألا يكون مرتبطًا بي".



ظللت أقلب الكلمات في عقلي مثلما أقلب حلية شجرة البلوط في يدي وشعرت بالروابط نفسها بينها.

إن هناك شيئًا غريبًا في هذه الجملة.

لذا نسختها مرة أخرى على قطعة من الورق للتأكد من حفظها بشكل صحيح، وعندما قرأتها لأول مرة، بدا أن الملاحظة تشير إلى أن الملكة أورلاج قد وجدت سمًّا مُميتًا ليستخدمه بالكين. لكن الفطر الأحمر - على الرغم من ندرته - ينمو في البرية، حتى في هذه الجزيرة. وقد قطفتُ من قبل الفطر الأحمر في غابة ميلكوود، بجانب بيوت النحل ذي الشوكة السوداء الذي يبني خلاياه في أعالي الأشجار (يمكن صنع ترياق من عسله. وقد علمت هذا مؤخَّرًا من خلال قراءاتي الكثيرة). والفطر الأحمر لا يكون خطيرًا إذا لم تشرب عصارته الحمراء.

ماذا لو لم تَكُن رسالة الملكة أورلاج تعني أنها وجدت الفطر الأحمر، وأنها ستعطيه لبالكين؟ ماذا لو كانت أورلاج تقصد بعبارة "أعرف المصدر" حرفيًّا أنها تعرف من أين يأتي الفطر الأحمر بالتحديد؟ وبعد كل شيء، فإنها قالت "ما تفعله به" وليس "ما تفعله بهذا الفطر". إنها تحذره بشأن ما سيفعله بمعرفة المصدر وليس بالفطر ذاته.

ما يعني أنه لن يسمم داين.

وهذا يعني أيضًا أن بالكين ربما يكون قد اكتشف من تسبب في وفاة والدة لوك، إذا كان قد اكتشف من كان لديه الفطر الأحمر الذي قتلها. ومن الممكن أن يكون الجواب هناك، بين الأوراق الأخرى التي أغفلتها خلال مسارعتي إلى الاختباء.

لا بُدَّ لي من العودة. لا بُدَّ لي من العودة إلى البرج، اليوم، قبل أن يقترب موعد التتويج؛ لأنه ربما لن يحاول بالكين قتل داين على الإطلاق، ومن ثم فلدى مجلس الظلال فكرة خاطئة عما ينوي بالكين فعله، أو، إذا كانت لديه الفكرة الصحيحة، فإنه لن يفعل ذلك باستخدام الفطر الأحمر. في أثناء تناول الشاي وجدت زي الخادمة في الجزء الخلفي من خزانة ملابسي. فمشطت شعري وصففته بشكل يقارب الضفيرة غير الأنيقة التي كانت الفتيات الخادمات

في منزل بالكين يصففن شعورهن بها. ودسست سكيني وثبَّته على فخذي. ووضعت بعضًا من علبة الملح الفضية في جيبي. ثم التقطت عباءتي، وانتعلت حذائي الجلدي، وخرجت من الباب، وبدأت راحتاي في التعرق.

لقد تعلمت الكثير من رحلتي الأولى إلى القصر الأجوف، وهو كافٍ ليجعلني أفهم بشكل أفضل المخاطر التي كنت أخوضها. ولكن هذا لم يسهم في تقوية أعصابي كثيرًا. فنظرًا لما رأيته يفعله مع كاردان، لست واثقة على الإطلاق بأنني أستطيع تَحمُّل ما سيفعله معي بالكين إذا أمسك بي.

وبعد أخذ نفس عميق، ذكَّرت نفسي بألا أدعهم يمسكون بي.

هذا ما قاله الصرصور عن المهمة الحقيقية للجاسوس. أما المعلومات فثانوية. إن المهمة الأولى ألا يُمسك بي أحد.

في قاعة الجلوس، مررت بأوريانا. فرمقتني بنظرة من أعلى إلى أسفل، لا بُدَّ لي من مقاومة الرغبة في شد العباءة بإحكام أكثر حول نفسي. كانت ترتدي ثوبًا بلون التوت غير الناضج، فيما كان شعرها مشدودًا للخلف قليلًا. وكان طرفا أذنيها المدببتين مغطيين بقرطين من الكريستال المتلألئ. وقد شعرت بالغيرة قليلًا منها. لأني إذا ارتديتهما، فسيخفيان استدارة أذنيّ البشريتين.

قالت، وقد بدا الانزعاج على وجهها: «لقد عدت إلى المنزل في وقت متأخر جدًّا في الليلة الماضية. وفاتتك وجبة العشاء، وكان والدك يتوقع منك أن تبارزيه».

قلت: «أعدك أن أكون أفضل من ذلك»، ثم تأسفت على الفور لما قلته. لأنني على الأرجح لن أعود لتناول العشاء الليلة أيضًا. فتداركت كلامي: «غدًا. سأتدرَّب غدًا».

قالت أوريانا: «أنتِ مخلوقة غير جديرة بالثقة»، وهي تنظر إليَّ كما لو كانت من خلال شدَّة نظرتها قد تكشف أسراري، ثم أردفت: «أنتِ ماكرة».

لقد سئمت شكوكها، سئمت للغاية.

وقلت: «أنتِ تعتقدين هذا دائمًا. لكن لمرة واحدة فقط قد تكونين على حق». وتركتها تقلق بشأن ما قد يعنيه ذلك، ونزلت الدرج، وخرجت إلى العشب. وفي هذه المرة، لم أجد أحدًا في طريقي، لا أحد ليجعلني أعيد النظر فيما سأفعله.

ولم أُحضر الضفدع معي هذه المرة؛ فقد كنت أكثر حذرًا، وبينما كنت أسير في الغابة، رأيت

بومة تحوم فوقي، فجذبت غطاء الرأس لتغطية وجهي.

وفي القصر الأجوف، تركت عباءتي في الخارج بين كومة من الحطب ودخلت عبر المطبخ، حيث كان العشاء يُعَد. وقد دُهنت أفراخ الحمام المطهية بمربى الورد، ورائحة جلدها المقلي كانت كافية لجعل لعابي يسيل ومعدتي تقرقر.

ثم فتحتُ خزانة، فوجدت عشرات الشموع، وكلها بلون الجلد اللامع، ومزينة بختم ذهبي لشعار بالكين الشخصي - ثلاثة طيور سوداء ضاحكة. أخرجت تسع شمعات، وحاولت التحرُّك بطريقة آلية قدر الإمكان كالخادمات الأخريات، وحملتها ومررت بالحراس. وألقى إليَّ أحد الحراس نظرة غريبة. كنت واثقة بأن هناك شيئًا خاطئًا فيَّ، لكنه رأى وجهي من قبل، وأنا الآن أكثر ثقة من المرة السابقة.

على الأقل كنت كذلك حتى رأيت بالكين ينزل الدرج.

وألقى نظرة في اتجاهي، وكل ما أمكنني فعله هو إبقاء رأسي لأسفل، وخطواتي منتظمة. وحملت الشموع إلى الغرفة التي أمامي، والتي تبين أنها المكتبة.

وما أشعرني بقدر هائل من الارتياح هو أنه لم يرني حقًّا فيما يبدو. ومع ذلك، تسارعت دقات قلبي، وكذلك أنفاسي.

كانت الخادمة التي عملت على تنظيف المدفأة في غرفة كاردان في المرة السابقة، تعيد الكتب بلا وعي إلى الرفوف. إنها كما أتذكرها - ذات شفة متشققة، ونحيفة، وبها كدمات في العينين.

وحركاتها بطيئة، كما لو كان الهواء المحيط بها كثيفًا كالماء. وفي ثنايا حلمها الذي يجعلها غير واعية بما حولها، لم يكن وجودي أكثر لفتًا للانتباه من قطع الأثاث، وبالطبع أقل عبئًا منه.

تفحصت رفوف الكتب بشغف، لكنني لم أرَ شيئًا مفيدًا. أحتاج إلى الصعود إلى البرج، لاستكشاف جميع مراسلات الأمير بالكين، وآمل أن أجد شيئًا يتعلَّق بوالدة لوك، أو داين، أو التتويج. شيئًا أغفلته.

لكن لا يسعني فعل أي شيء وبالكين يحول بيني وبين الدرج.

نظرت إلى الفتاة مرة أخرى. وتساءلت كيف تبدو حياتها هنا، وما الذي تحلم به. وما إذا كانت لديها فرصة، ولو لحظة، للهروب. فعلى الأقل، بفضل التعويذة، إذا أمسك بي بالكين، فلن يكون هذا قدري.

انتظرت، وظللت أعد حتى ألف، وأنا أكدس شموعي على كرسي. ثم نظرت إلى الخارج. ولحسن الحظ، غادر بالكين، وبسرعة، صعدت الدرج مُتَّجهةً نحو البرج، وحبست أنفاسي وأنا أمر بباب كاردان، لكن الحظ كان إلى جانبي وكان الباب مغلقًا بإحكام.

ثم صعدت الدرج، ودخلت مكتب بالكين، ورأيت الأعشاب الموجودة في الجرار حول الغرفة، أعشاب نظرت إليها هذه المرة نظرة جديدة. إن القليل منها سام، لكن معظمها مُخدِّر فقط. ولم أرَ في أي مكان فطرًا أحمر. ثم ذهبت إلى مكتبه ومسحت يدي بقطعة قماش خشن من ثوبي، مُحاوِلةً ألا أترك أي أثر للعرق، وحاولت حفظ نمط ترتيب الأوراق.

كان هناك خطابان من مادوك، لكن يبدو أنهما يتعلقان فقط بالفرسان الذين سيكونون في التتويج، ونمط توزيعهم حول المنصة المركزية. وهناك أمور أخرى يبدو أنها تدور حول المخصصات والاحتفالات والأكل والشراب. ولا شيء عن الفطر الأحمر، لا شيء عن السموم على الإطلاق. لا شيء عن ليريوبي أو القتل. والشيء الوحيد الذي بدا مفاجئًا بعض الشيء هو بعض الأشعار، قصيدة حب بخط الأمير داين عن امرأة لا تزال مجهولة الهوية، سوى "شعرها الأشبه بشروق الشمس" و "عينيها المتلألئتين كالنجوم".



والأسوأ من ذلك، لا أجد ما يخبرني بأي شيء عن وجود خطة للتحرك ضد الأمير داين. إذا كان بالكين ينوي قتل أخيه، فهو ذكي بما يكفي لعدم ترك أدلة حوله، حتى الرسالة المتعلقة بالفطر الأحمر قد اختفت.

لقد جازفت بالمجيء إلى القصر الأجوف دون فائدة.

وللحظة، وقفت هناك فحسب؛ مُحاوِلةً جمع شتات أفكاري، عليَّ المغادرة دون لفت الانتباه إلي.

مرسال. سوف أدَّعي أنني مرسال. يجري تناقل الرسائل داخل وخارج القصور طوال الوقت. ومن ثم أخذت ورقة بيضاء، وكتبت اسم مادوك على جانب منها، ثم ألصقت الجانب الآخر بالشمع وظلت رائحة عود الثقاب المنطفئ عالقة في الهواء للحظة. وعندما تلاشت، نزلت الدرج، والرسالة المزيفة في يدي.

عندما مررت بالمكتبة، ترددت إذ لا تزال الفتاة في الداخل، ترفع الكتب بطريقة آلية من كومة وتضعها على الرفوف. ستستمر في فعل ذلك حتى يُطلب منها أن تفعل شيئًا آخر، أو تنهار، أو تتلاشى، دون أن يتذكرها أحد. كما لو كانت شيئًا تافهًا.

لا أستطيع تركها هنا.

ليس لديَّ أي شيء أعود إليه في عالم البشر أما هي فلديها، نعم هذه خيانة لثقة الأمير داين بي، وخيانة للجان أنفسهم. أعلم هذا. لكن، لا يمكنني تركها.

وهناك نوع من الشعور بالارتياح في فعل ذلك.

دخلت المكتبة، ووضعت الرسالة على الطاولة، فلم تلتفت ولم تصدر أي رد فعل على الإطلاق، مددت يدي إلى جيبي، وسكبت القليل من الملح في وسط راحتي ومددتها نحوها، مثلما سأفعل إذا لاطفتُ حصانًا بمنحه قطعًا من السكر.

وقلت لها بصوتٍ منخفض: «كلي هذا».

استدارت نحوي. مع أن نظرتها لم تكن تركز عليَّ. وقالت بصوتٍ خشن بسبب طول صمتها: «هذا غير مسموح لي. لا ملح. ليس من المفترض أن...».

صفقت بيدي فمها، فتناثر بعض الملح على الأرض، والباقي انسل من بين شفتيها.

يا لي من حمقاء. حمقاء مُندفعة.

طوَّقتها بذراعيّ، وجذبتها إلى موضع أعمق من غرفة المكتبة. فتناوبت محاولة الصراخ

ومحاولة عضي. وظلت تخدش ذراعيّ باستمرار، وتغرس أظافرها في جلدي. ثبتُّها هناك على الحائط، حتى خارت قواها، وجلست على الأرض، ولم تعد تقوى على القتال.

فهمست وأنا ممسكة بها: «أنا آسفة. أنا أحاول مساعدتك. لا أريد أن أؤذيك. بل أريد أن أنقذك من فضلك، دعيني أفعل هذا. دعيني أنقذك». وفي النهاية، ظلَّت ساكنة لفترة طويلة بما يكفي لأغتنم الفرصة، وأسحب يدي من فوق فمها. كانت تلهث، وأنفاسها تتسارع، ومع ذلك، لم تصرخ، وهو ما بدا لي كعلامة جيِّدة.

قلت لها: «سوف نخرج من هنا. يمكنك أن تثقي بي».

أبدت لي نظرة خالية من أي تعبير تدل على عدم الفهم تمامًا.

فقلت لها: «فقط تصرفي كأنَّ كل شيء طبيعي». ثم جذبتها لتقف على قدميها، وأدركت مدى استحالة ما أطلبه. ثم أخذت عيناها تدوران في محجريهما مثل حصان هائج، ولم أعرف كم سيتاح لنا من الوقت حتى تفقد وعيها تمامًا.

ومع ذلك، ليس هناك ما أفعله سوى إخراجها من القصر الأجوف بأسرع ما يمكنني. مددت رأسي خارج غرفة المكتبة لأتفحص ببصري الغرفة الرئيسية. لا تزال فارغة، لذلك جررتها



من المكتبة. وكانت تنظر حولها كما لو أنها ترى الدرج الخشبي الثقيل والصور المعلقة أعلاه لأول مرة. ثم تذكرت أنني تركت رسالتي المزيفة على الطاولة في المكتبة.

قلت: «مهلًا. لا بُدَّ لي من العودة و...».

فأصدرت صوتًا حزينًا، وحاولت التخلص من قبضتي. فجررتها معي على أية حال، وأمسكت الرسالة، وطويتها ووضعتها في جيبي. لا جدوى منها الآن ويمكن للحراس حينما يعثرون عليها أن يربطوا اختفاء الخادمة بمنزل الشخص الذي سرقها. قلت لها: «ما اسمك؟».

هزَّت الفتاة رأسها.

قلت لها: «يجب أن تتذكريه». من المحزن أنني بدلًا من التعاطف معها شعرت بالانزعاج،

وقلت في نفسي: "تشجعي. كفي عن الشعور تجاهها بهذا النحو. فلنذهب".

قالت بشيء من النحيب: «صوفي». وبدأت الدموع تنحدر من عينيها. وتزايد شعوري بالاستياء من مدى القسوة التي سأعاملها بها بعد لحظات.

وقلت لها بقسوة قدر المستطاع: «غير مسموح لكِ بالبكاء»، على أمل أن تخيفها نبرة صوتي وتدفعها إلى الاستماع. وبذلت جهدي لأبدو مثل مادوك، أي لأبدو كما لو كنت معتادة أن تُطاع أوامري، وأردفت: «يجب ألا تبكي. سأصفعك إذا اضطررت لذلك».

فانكمشت على نفسها خوفًا مني، لكنها لاذت بالصمت. فمسحت عينيها بظهر يدي، وقلت لها: «اتفقنا؟».

وعندما لم تجب، علمت أنه لا فائدة من المحادثة. فقُدتها نحو المطابخ وتعيَّن علينا المرور بجوار الحراس، إذ لم تكن هناك طريقة أخرى للخروج. لقد اصطنعتْ لنفسها ابتسامة مروعة، لكن على الأقل كان لديها ما يكفي من التَّحكُّم في الذات لفعل ذلك. والأمر الأكثر

إثارة للقلق هو أنها لم تكن تستطيع التوقف عن التحديق في الأشياء. وحينما سرنا نحو الحراس، كان من المستحيل إخفاء حِدَّة نظرتها.

وارتجلت، مُحاوِلةً أن أبدو كأنني أقرأ رسالة محفوظة، دون تغيير في الكلمات. «أمرنا الأمير كاردان بأن نأتي إليه».

التفت أحد الحراس إلى زميله، وقال: «لن يحب بالكين هذا».

حاولت ألَّا أُبدي ردَّة فعل، لكن ذلك كان صعبًا، فوقفت هناك فحسب وانتظرت. إذا اندفعوا تجاهنا، فسوف أضطر إلى قتلهم.

قال الحارس الأول: «حسنًا. اذهبا، لكن أبلغا كاردان بأن شقيقه يطلب منه إعادتكما هذه المرة».

لم أحب نبرة هذا الكلام.

ثم ألقى الحارس الثاني نظرة على صوفي، وعينيها القلقتين، وقال لها: «ماذا ترين؟».

شعرت بها ترتجف بجانبي، جسدها كله كان يرتجف. وأردت أن أقول شيئًا ما بسرعة قبل أن تقول هي. قلت: «أخبرنا اللورد كاردان بأن نكون أكثر انتباهًا»، على أمل أن تساعد الحيرة المنطقية بشأن هذا الأمر الغامض في توضيح سبب الطريقة التي تتصرف بها الفتاة.

ثم مشيت مع صوفي عبر المطابخ، متجاوزين الخدم البشريين الذين لم أنقذهم لعلمي بعدم جدوى هذا الفعل. هل يمكن أن تكون مساعدة شخص واحد مهمة جدًّا مقارنة بمساعدتهم كلهم؟

وقلت لنفسي: "بمجرد أن أمتلك النفوذ، سأجد طريقة لمساعدتهم جميعًا".

وبمجرد أن يصبح داين على رأس السلطة، سيكون لديَّ نفوذ.

حرصت على جعل حركاتي بطيئة، وسمحت لنفسي بأن أتنفس بحرية فقط عندما خرجنا في النهاية.

ثم اتَّضح لي أن فعلي لهذا كان مُبكرًا جدًّا. فقد كان كاردان قادمًا نحونا مُمتطيًا حصانًا رمادِيًّا أرقط طويل القامة. وخلفه فتاة تركب حصانًا صغيرًا - إنها نيكاسيا. وبمجرد دخوله، سيسأله الحراس عنا، وبمجرد دخوله، سيعرف أن هناك خطأ ما.

هذا إن لم يرني، ويكشف الأمر قبل ذلك.

وسألت نفسي ما عقوبة خطف خادمة الأمير؟ وأجبت: «لا أعرف. ربما تكون عقوبته لعنة، مثل تحويلك إلى غراب، وإجبارك على الطيران شمالًا والعيش تسعة وأربعين عامًا في قصر جليدي - أو الأسوأ من ذلك، لا لعنة على الإطلاق، بل الإعدام.

وتطلب الأمر أن أستجمع كل ما لدي من رباطة جأش حتى لا أنهار وأهرب. لأنني لا أعتقد أن باستطاعتي الوصول إلى الغابة، خاصة وأنا أجر فتاة ذاهلة معي، ومن ثم سيكون بوسعه دهس كلٍّ منَّا بحصانه. همست لصوفي، بأقسى مما قصدت قائلةً: «كفي عن التحديق.

وانظري إلى قدميك».

فردت: «كفي عن توبيخي»، لكنها على الأقل لم تكن تبكي. أبقيت رأسي منخفضًا، وشبكت ذراعها بذراعي، ومشينا نحو الغابة.

ومن زاوية عيني، رأيت كاردان ينزل عن سرجه، وشعره الأسود يتطاير بفعل الريح. وقد نظر باتجاهي وتوقف للحظة. أخذت أنفاسي، ولم أركض.

لا أستطيع الركض.



ولم أسمع دوي حوافر الخيل، ولا أصوات تسابق الحراس للقبض علينا ومعاقبتنا. وما أشعرني بقدر كبير من الارتياح هو أنه رأى فيما يبدو خادمتين فقط تتجهان نحو الغابة، ربما لجمع الحطب، أو التوت، أو شيء من هذا القبيل.

وكلما اقتربنا من حافة الغابة، زاد شعوري بأن كل خطوة لنا صارت مفعمة بالحيوية.

ثم انهارت صوفي على ركبتيها، واستدارت للنظر إلى قصر بالكين. وخرج صوت حاد من أعماق حلقها، وقالت وهي تهزُّ رأسها: «لا. لا لا لا لا لا. هذا ليس حقيقيًّا. هذا لم يحدث».

حثثتها على الوقوف، وغرزت أصابعي تحت إبطها. وقلت: «تحركي. تحركي أو سأتركك هنا. هل تفهمينني؟ سأتركك، وسيجدك الأمير كاردان ويجرك إلى الداخل».

ثم اختلست نظرة إلى الخلف، فرأيته. لقد ترجَّلَ عن حصانه وقاده إلى الإسطبلات. ولا تزال نيكاسيا راكبةً فوق حصانها ، ورأسها مائل للخلف وتضحك على شيء قاله وهو يبتسم أيضًا، لكنها ليست ابتسامته الساخرة المعتادة. إنه لا يشبه شخصية الشرير التي توجد في القصص. إنه يبدو كفتى عادي من الجان خرج في نزهة مع صديقته تحت ضوء القمر.

كانت صوفي تترنَّح في سيرها إلى الأمام. يجب ألا يمسكوا بنا الآن ليس ونحن قريبتان جدًّا.

وفي اللحظة التي عبرت فيها إلى الغابة المليئة بأشجار الصنوبر المدببة أطلقت تنهيدة

عميقة. وأبقيتها تتحرَّك حتى وصلنا إلى نهير صغير، فجعلتها تمشي عبره، مع أن الماء الضحل البارد والطين اللزج كانا يبطأن سيرنا، إلا أن أية طريقة لإخفاء مسارنا كانت تستحق أن ننفذها.

في نهاية المطاف، انهارت فوق الضفة الأخرى للنهر واستسلمت للنحيب فراقبتها، وتمنيت أن أعرف ما ينبغي عليَّ فعله. وتمنيت أن أكون شخصًا أفضل وأكثر تعاطفًا، بدلًا من الانزعاج والقلق من أن أي تأخير سيؤدي إلى القبض علينا. أجبرت نفسي على الجلوس فوق بقايا جذع شجرة أكله النمل الأبيض وتركتها تبكي، لكن بعد مرور بضع دقائق دون أن تتوقف دموعها، وقفت. ثم جثوت أمامها على ركبتي فوق العشب الموحل.



وقلت مُحاوِلةً أن أبدو مقنعة: «منزلي ليس بعيدًا. علينا فقط أن نمشي قليلًا».

صاحت، وهي ترفع يدها لتُسكِتني: «اخرسي!».

لقد بلغ منها الإحباط ما بلغ. أردت أن أصيح في وجهها. أردت أن أهزها وعضضت على لساني، وضممت قبضتي لأمنع نفسي عن ذلك.

قلت، وأنا أخذ نفسًا عميقًا: «حسنًا. لقد حدث كل هذا بسرعة، وأنا أعلم ذلك. لكنني أريد حقًّا مساعدتك، ويمكنني إخراجك من بلاد الجان. الليلة».

هزَّت الفتاة رأسها مرة أخرى. وقالت: «لا أعرف ما حدث. لا أعرف. كنت في مهرجان الرجل المحترق، وكان هناك ذلك الرجل الذي قال إن لديه عربة تنقل بعض الأطعمة الشهية من أجل ثري غريب الأطوار في إحدى الخيام المكيفة. ثم حذرني بقوله: "لا تأخذي أي شيء. وإذا أخذت شيئًا، فسيتعين عليك أن تخدميني لألف عام...".

ثم خفت صوتها، لكنني علمت في تلك اللحظة كيف خُدِعَت، من المؤكد أنه بدا كأنه يمزح. ومن المؤكد أنها ضحكت ومن المؤكد أنه ابتسم. وبعد ذلك، سواء أأكلت فطيرة واحدة أم وضعت في جيوبها بعض الفضيات - سيكون الأمر سيان والعاقبة واحدة.

قلت بلا معنى محدد: «لا بأس. سيكون الأمر على ما يرام».

نظرت إليَّ وبدا كأنها تراني للمرة الأولى، وأدركت أنني أرتدي زيًّا مثل زيها، مثل زي الخادمة، لكن هناك شيئًا مختلفًا بشأني، فسألتني: «من أنت؟ ما هذا المكان؟ ماذا حدث لنا؟».

ولأنني قد سألتها عن اسمها، لذا اعتقدت أنه يجب أن أعلمها باسمي. قلت: «أنا جود. لقد نشأت هنا. وإحدى أختيّ تستطيع أن تأخذك عبر البحر إلى المدينة البشرية القريبة من هنا. ومن هناك، يمكنك الاتصال بشخص ما ليأخذك، أو يمكنك الذهاب إلى الشرطة وسوف يعثرون على أهلك. لقد أوشك هذا العناء على الانتهاء».

أخذت صوفي تستوعب هذا الكلام، ثم قالت: «هل هذا نوع من... ماذا حدث؟ أنا أتذكر أشياء أشياء مستحيلة. وأردت. لا، لم أكن لأرغب في...».

تهدج صوتها، ولم أعرف ماذا علي أن أقول إذ لم أستطع أن أخمن نهاية جملتها.

وعادت لتقول: «من فضلك، فقط أخبريني بأن هذا ليس حقيقيًّا. لا أعتقد أنني أستطيع قبول فكرة أن أي شيء من هذا حقيقي». تطلعت حولها إلى جميع أنحاء الغابة، كما لو كانت تستطيع إثبات أن هذا ليس سحرًا، فلم تجد شيئًا غيره. وهذا غباء لأن كل الغابات سحرية الطابع بمعنى ما.

قلت لها: «تعالي». ففي حين أني لا أحب الطريقة التي تتحدث بها، لم أرَ فائدة من الكذب لجعلها تشعر بتحسن كان لِزامًا عليها قبول حقيقة أنها كانت عالقة في بلاد الجن. وليس لديَّ قارب لأعبر به البحر؛ كل ما أملكه هي خيول فيفي السحرية. «هل يمكنك المشي قليلًا الآن؟». وفكرت في أنها كلما أسرعت في العودة إلى عالم البشر، كان ذلك أفضل للجميع.

عندما اقتربنا من منزل مادوك تذكرت عباءتي التي ما زالت مطوية ومخبأة في كومة خشبية خارج القصر الأجوف، فلعنت نفسي من جديد. قدت صوفي إلى الإسطبلات وأجلستها في حظيرة فارغة، فجلست على التبن. وأعتقد أن رؤيتها مظهر الضفدع العملاق أزال آخر ذرة من ثقتها بي.

قُلتُ بمرح مصطنع: «حسنًا. ها نحن ذا أنا ذاهبة إلى الداخل لإحضار أختي، وأريدك أن

تنتظري هنا. عديني بذلك».

فرمقتني بنظرة فظيعة، وقالت: «لا يمكنني هذا. لا أستطيع مواجهة هذا».

«يجب عليك ذلك». خرج صوتي أقسى مما كنت أقصد، وهرولت إلى المنزل، وصعدت الدرج بأسرع ما يمكنني، على أمل ألا ألتقي بأي شخص آخر في الطريق. ثم دفعت باب غرفة فيفيان دون أن أطرق عليه.



لحسن الحظ، كانت فيفي مستلقية على سريرها، تكتب رسالة بالحبر الأخضر عليها رسومات قلوب، ونجوم، ووجوه في الهوامش. وقد رفعت حاجبيها في تعجب عندما دخلت عليها، وأزاحت شعرها إلى الخلف. وقالت: «هذا زي مثير للاهتمام».

قلت وأنا ألهث: «لقد فعلت شيئًا غبيًّا للغاية».

جعلها هذا تعتدل في جلستها، وتنزلق من على السرير، وتقف على قدميها: «ماذا حدث؟»

«لقد خطفت فتاة بشرية - خادمة بشرية - من الأمير بالكين، وأريدك أن تساعديني على إعادتها إلى عالم البشر قبل أن يكتشف أي شخص ذلك». عندما قلت هذا، أدركت مرة أخرى مدى سخافة ما فعلت - ومدى خطورته ومدى حماقته. إذ إن بالكين سوف يجد، عاجلًا أو آجلًا، إنسانًا آخر مثل صوفي يرغب في إجراء صفقة خاسرة.

لكن فيفي لم توبخني. قالت: «حسنًا، دعيني ألبس حذائي. ظننت أنك ستخبرينني بأنك قتلت شخصًا ما».

سألتها: «لماذا ظننتِ هذا؟».

فشهقت بينما تبحث عن حذائها، والتقت عيناها بعينيّ، وهي تعقد الأربطة وقالت: «يا جود واصلي إظهار ابتسامتك اللطيفة أمام مادوك كما تشائين. لكن كل ما يمكنني رؤيته لديك هو أنيابك الحادة».

لم أعرف بماذا أرد على ذلك.

ارتدت معطفًا أخضر طويلًا مكسوًّا بالفراء ذا مشابك على شكل ضفدع وسألتني: «أين الفتاة».

قلت: «في الإسطبلات. سآخذك إليها...».




هزَّت فيفي رأسها رفضًا، وقالت: «بالطبع لا. عليك أن تخلعي هذه الملابس. ارتدي ثوبًا، وانزلي لتناول العشاء، واحرصي على التصرف كأنَّ كل شيء طبيعي. وإذا سألك أحد، فأخبريه بأنك كنت في غرفتك طوال الوقت».

قلت: «لم يرني أحد!».

أبدت فيفي نظرة تشكك، وقالت: «لا أحد؟ هل أنت متأكدة؟».

فكَّرتُ في كاردان، الذي كان راكبًا حصانه ونحن نهرب، وفي الحراس الذين كذبت عليهم. صححت قولي: «ربما لا أحد. لا أحد لاحظ أي شيء». فلو لاحظني كاردان، ما سمح لي بالهرب. وما كان ليتخلى عن مثل هذا القدر من التسلط علي.

قالت: «نعم، هذا ما ظننته»، وهي ترفع يدها طويلة الأصابع لتمنعني من الخروج، وحذرتني: «جود، ما تفعلينه ليس آمِنًا».

قلت بإصرار: «سأذهب. اسم الفتاة صوفي وهي خائفة للغاية...».

قالت فيفي: «أراهن على هذا».

«لا أعتقد أنها ستذهب معك. أنت تبدين كواحدة منهم». ربما كنت أخاف من عدم السيطرة على أعصابي أكثر من خوفي من أي شيء آخر. وكنت أشعر بالقلق من انحسار مستوى الأدرينالين في جسدي، ما يجعلني أواجه تدريجيًّا حقيقة الشيء المجنون الذي فعلته. لكن بالنظر إلى شك صوفي بي وأنا أشبهها في الخلقة، فإني أعتقد بصدق أن عينَيْ فيفي اللتين تشبهان عيون القطط ستكونان كافيتين لإثارة هلعها. «لأنك واحدة منهم».

سألت فيفي: «هل تذكرينني بما نسيت؟».

قلت: «علينا الذهاب. وأنا قادمة. ليس لدينا وقت للجدل بشأن هذا».

قالت: «تعالي إذن». ومعًا نزلنا الدرج، لكن عندما أوشكنا على الخروج من الباب أمسكت بكتفي. وقالت: «لا يسعكِ إنقاذ والدتنا، كما تعلمين. لقد ماتت بالفعل».

شعرت بأنها صفعتني. فقلت: «هذا ليس...».

سألت: «أليس كذلك؟ أليس هذا ما تفعلينه؟ تخبرينني بأن هذه الفتاة ليست في موقف أمي نفسه. أي تشكل بديلًا ما لحالتها».

قلت وأنا أزيح قبضتها: «أريد أن أساعد صوفي، صوفي فحسب». وفي الخارج، كان القمر عاليًا في السماء، وحوّل ضوؤه أوراق الشجر إلى اللون الفضي. ذهبت فيفي لتلتقط باقة من سيقان النباتات، وقالت: «حسنًا إذن. اذهبي وأحضري صوفي هذه».

كانت الفتاة تجلس حيث تركتها، فوق التبن، وتؤرجح جسمها إلى الأمام والخلف، وتتحدث بهدوء إلى نفسها. شعرت بالارتياح لرؤيتها، شعرت بالارتياح لأنها لم تهرب، ولم نضطر الآن إلى تعقبها عبر الغابة، وشعرت بالارتياح لأنه لم يتمكن أحد من منزل بالكين من العثور عليها وأخذها بعيدًا.

قلت بمرح مصطنع: «حسنًا، نحن مستعدون».

قالت وهي تقف: «نعم». كان وجهها مُبلَّلًا بالدموع، لكنها لم تَعُد تبكي. وكانت تبدو كأنها في حالة صدمة.

قلت لها مرة أخرى: «سيكون الأمر على ما يرام»، لكنها لم ترد بل تبعتني بصمتٍ خلف

الإسطبلات، حيث كانت فيفي تنتظر جنبًا إلى جنب مع اثنين من المهور خضراء العيون، ولهما عُرفان مزينان بأشرطة مزركشة.

نظرت صوفي إليهما ثم نظرت إلى فيفي. وبدأت التراجع بخطوات للوراء، وهزَّت رأسها. وعندما اقتربت منها، ابتعدت عني.

وقالت: «لا، لا، لا. من فضلك لا. لا مزيد من ذلك. لا».

قالت فيفي بكلام منطقي: «هذا مجرد قدر قليل جدًّا من السحر. مجرد قدر ضئيل، وبعد ذلك لن تضطري أبدًا إلى رؤية شيء سحري آخر. وستعودين إلى عالم البشر، عالم النهار. العالم الطبيعي. لكن هذه هي الطريقة الوحيدة لإيصالك إلى هناك. سوف نطير».

لكن هذا الكلام كان يصدر، في نهاية المطاف، من شخص لديه طرفان زغبيان خفيفان على أذنيها، وكانت عيناها تومضان باللون الذهبي في الظلام. قالت صوفي: «لا»، وخرج صوتها واهِنًا.

فقلت: «دعونا نسِر إلى الجرف القريب من هنا. ستكونين قادرة على رؤية الأضواء... وربما بعض القوارب وستشعرين بتحسُّن عندما ترين وجهتك».

ذكَّرتني فيفي بنظرة جادَّة، وقالت: «ليس لدينا الكثير من الوقت».

قلت: «ليست المسافة بعيدة». أنا لا أعرف ماذا ينبغي أن نفعل غير هذا. والخيارات الأخرى الوحيدة التي يمكنني التفكير فيها هي إفقادها وعيها، أو جعل فيفي تُلقي عليها تعويذة. وكلاهما أمر فظيع.

وهكذا سرنا عبر الغابة، وخلفنا الحصانان السحريان الصغيران. لم تتوقف صوفي حيث بدا أن المشي يهدئها. وظلَّت تلتقط حجارة خلال سيرنا، حجارة ملساء كانت تنفض عنها التراب ثم تضعها في جيوبها.

وسألتُها: «هل تتذكرين حياتك السابقة؟».

أَوْمأَتْ برأسها، ولم تتحدَّث لبرهة، لكنها التفتت إليَّ بعدها. وأصدرت ضحكة حزينة غريبة، وقالت: «أردت دائمًا أن يكون هناك سحر. أليس هذا مثيرًا للتعجب؟ أردت أن يكون هناك بالفعل شخصيات حقيقية، مثل إيستر باني وسانتا كلوز وتينكر بيل، أنا أتذكَّر تينكر بيل. لكني لا أريد حدوث ذلك. ليس بعد الآن».



قلت: «أعلم». وأنا كذلك تمنيت الكثير من الأشياء على مر السنين، لكن كانت أوَّل أمنية قلبية خالصة لي أنا أيضًا هي ألا يكون أيٌّ من هذا حقيقيًّا.

وعند حافة الماء، ركبت فيفي أحد الحصانين ووضعت صوفي أمامها. فيما امتطيت أنا ظهر الآخر. ألقت صوفي على الغابة نظرة ذعر، ثم نظرت إليَّ ولم تبدُ خائفة. يبدو أنها بدأت تعتقد أنها تركت الأسوأ وراءها.

قالت فيفي: «تمسكي جيِّدًا»، وارتفع حصانها من الجرف في الهواء. وتبعه حصاني. وتدفقت داخلي بهجة الطيران الجامحة، وابتسمت بسعادة مألوفة. وكانت الأمواج البيضاء تحتنا، وأمامنا أضواء المدن البشرية المتلألئة. مثل أرض غامضة مليئة بالنجوم. ثم ألقيت نظرة على صوفي؛ على أمل منحها ابتسامة مطمئنة.

لكن صوفي لم تنظر إليَّ، وكانت عيناها مغلقتين. وبعد ذلك، وبينما أنظر إليها، مالت إلى الجانب وأفلتت قبضتها من عرف الحصان وتركت نفسها تسقط. بسرعة مدَّت فيفي يدها لتمسكها لكن الأوان كان قد فات. وقد غرقت بلا صوت تحت سماء الليل، في ظلام البحر المنعكس.

وعندما اصطدمت بالمياه بالكاد أحدثت اضطرابًا في سطحها.

لم أستطع التكلم. وبدا أن كل شيء يتباطأ من حولي. ثم فكرت في شفتي صوفي المتشققتين، وفكرت في قولها: "من فضلك، فقط أخبريني أن هذا ليس حقيقيًّا. لا أعتقد أنني أستطيع قبول فكرة أن أي شيء من هذا حقيقي".

وفكَّرت في الحجارة التي ملأت بها جيوبها.

لم أكن أستمع. لم أرغب في سماعها. أردت فقط أن أنقذها.

والآن، ماتتْ بسببي.







الفصل 18

استيقظتُ بذهن مشوش. فقد بكيت حتى غلبني النوم والآن عيناي منتفختان وحمراوان ورأسي يؤلمني. وقد كانت الليلة السابقة كلها تبدو كأنها كابوس محموم ورهيب، ولم يبدُ ممكنًا في نظري أنني بالفعل تسلَّلت إلى منزل بالكين، وخطفت إحدى خادماته. ولم يبدُ ممكنًا في نظري أنها فضَّلت الغرق على أن تعيش مع ذكريات عن الجن. وحينما كنت أشرب شاي الشمر، وأرتعش داخل سترة ضيقة كنت أرتديها، جاء ناربوني إلى باب غرفتي.

وقال بانحناءة قصيرة: «المعذرة. يجب أن تحضر جود على الفور...».

فلوَّحت له تاترفيل بأن ينصرف. وقالت له: «إنها ليست مُهيَّأة لرؤية أي شخص في الوقت الحالي. سأرسلها إلى أسفل عندما ترتدي ملابسها».





عاد ليلح: «الأمير داين ينتظرها في الطابق السفلي في مكتب سيدي مادوك. وقد أمرني بإحضارها بغض النظر عن أية حالة تكون عليها. وأمرني بأن أحملها إذا اضطررت لذلك». وقد بدا ناربوني آسِفًا على اضطراره لقول ذلك، لكن بدا واضحًا أنه لا يمكن لأحد منا أن يرفض أوامر ولي العهد.

انتابتني مشاعر خوف شديد. كيف لم أعتقد أنه من بين كل الناس، ومع وجود جواسيسه الكثيرين لن يكتشف ما فعلته؟ مسحت يدي على سترتي المصنوعة من القطيفة. وعلى الرغم من أوامره، ارتديت السروال والحذاء قبل أن أذهب إليه، ولم يمنعني أحد. أنا حزينة بما فيه الكفاية، وسأحافظ على كرامتي قدر الإمكان.

كان الأمير داين يقف بالقرب من النافذة خلف مكتب مادوك. وكان ظهره مواجِهًا لي وانتقل نظري تلقائيًّا إلى السيف المُتدلي من حزامه، الذي يظهر تحت عباءته الصوفية الثقيلة، ولم يستدر إليَّ عندما دخلت.

قلت: «لقد أخطأت. وسوف أُكفِّر عن خطئي بأية طريقة...»، كنت سعيدة لأنه بقي كما هو في مكانه، فمن الأسهل التحدث إليه عندما لا ينظر إليَّ.

استدار، ووجهه مليء بالغضب الشديد الذي جعلني أرى فجأة مدى شبهه بكاردان. ثم ضرب بيده بقوة على مكتب مادوك فاهتز كل شيء فوقه، وقال: «ألم أضمك إلى خدمتي وأعطيتك نعمة عظيمة؟ ألم أعدك بمكان في بلاطي؟ ومع ذلك... ومع ذلك، استخدمتِ ما علمتك إياه لتعريض خططي للخطر».

تحول بصري إلى الأرض. إن لديه القدرة على فعل أي شيء بي، أي شيء. ولا يستطيع أحد، حتى مادوك، إيقافه - ولا أعتقد أنه سيحاول إيقافه. وأنا لم أعصه فقط، بل أعلنت ولائي لشيء منفصل تمامًا عنه. لقد ساعدتُ فتاة بشرية. لقد تصرفتُ مثل البشر.

عضضت شفتي السفلية لمنع نفسي من التوسل إليه أن يغفر لي ولم أستطع أن أسمح لنفسي بالتحدث.

«لم يكن جرح الصبي خطيرًا كما كان يمكن له أن يكون، ولكن باستخدام السكين الصحيحة - سكين أطول - كانت الطعنة ستصبح قاتلة. لا تظني أنتي لا أعرف أنك كنت تنوين توجيه

تلك الطعنة الأشد خطورة وفتكًا».

نظرت إلى أعلى فجأة، وكنت مندهشة للغاية بدرجة يصعب إخفاؤها. تبادلنا النظرات عِدَّة لحظات مزعجة. وحدَّقتُ إلى عينيه ذواتي اللون الرمادي الفضي ولاحظت طريقة انثناء حاجبيه، وظهور خطوط عميقة متعرجة بينهما. لاحظت كل هذا لتجنب التفكير في كيفية نجاتي من اكتشاف جريمة أكبر من تلك التي اكتشفها.

قال: «حسنًا؟ ألم تكن لديك أية خطة لمنع اكتشاف أمرك؟».

قلت له: «لقد حاول أن يسحرني ليدفعني إلى القفز من البرج».

«إذن، علم أنك لا يمكن أن تُسحري الأمر يزداد سوءًا». ودار حول المكتب ليقترب مني، وقال: «أنت ملكي يا جود دوارتي. وستضربين فقط عندما أقول لك اضربي. أما خلاف ذلك، فستبقين يديك في موضعهما. أتفهمين؟».

قلت بطريقة آلية: «لا». وفكرت في أن ما يطلبه مني سخيف، وقلت باستنكار: «أيفترض أن أدعه يؤذيني؟».

لو علم كل الأشياء التي فعلتُها حقًّا، فسيكون أكثر غضبًا مما هو عليه.

فغرس خنجرًا بقوة في مكتب مادوك. وقال: «أمسكي مقبضه»، فشعرت بتأثير سحره، واقتربت أصابعي من المقبض وانتابني نوع من التشوش، فكنت أعرف ولا أعرف ما أقدر على فعله.

تابع داين بنبرة آمرة: «خلال لحظة، سأطلب منك غرس الخنجر في يدك. وعندما أطلب منك فعل ذلك، أريد منك تذكُّر مواضع عظامك، ومواضع شرايينك. وأريد منك أن تطعني





يدك وتحدثي أقل ضرر ممكن». كان صوته هادئًا ومنوِّمًا، لكن نبض قلبي كان يتسارع على أية حال.

وعلى الرغم مني، صوَّبت الطرف الحاد للخنجر، وضغطته برفق على جلدي. أنا مستعدة.

أنا أكرهه، لكنني مستعدة. أنا أكرهه وأكره نفسي.

قال: «الآن»، وحرَّرني من سطوة سحره. فتراجعت نصف خطوة إلى الخلف.

استعدت السيطرة على نفسي مرة أخرى، وكنت لا أزال أُمسك بالخنجر. كان على وشك أن يجبرني على ما يريد.

قال الأمير داين: «لا تخيبي ظني».

وأدركت على الفور أنه لم يُسقط عني العقاب، وكذلك لم يطلق سراحي. لأنه يريد أن يحافظ علي. وبوسعه أن يسحرني مرة أخرى، لكنه لن يفعل لأنه يريد مني أن أطعن نفسي بإرادتي. يريدني أن أثبت إخلاصي بدمي وعظامي. ترددت... بالطبع ترددت فهذا سخيف إن هذا فظيع وليست هذه هي الطريقة التي يظهر بها الناس الولاء. هذا هراء خيالي.

قال مُلِحًّا: «جود؟». ولم أدرِ ما إذا كان هذا اختبارًا يتوقع مني اجتيازه أم أنه يريد مني أن أفشل. وفكرت في صوفي التي ترقد في قاع البحر، وجيوبها المليئة بالحجارة وفكرت في الشعور بالرضا الذي كسا وجه فاليريان عندما أمرني بأن أقفز من البرج. وفكرت في عيني كاردان وهو يتحداني.

حاولت أن أكون أفضل منهم، لكني فشلت.

ماذا يمكن أن أصبح إذا توقفت عن القلق بشأن الموت، والألم، وأي شيء؟ إذا توقفت عن محاولة الانتماء إلى أحد؟

بدلًا من أن أكون خائفة، يمكن أن أصبح أنا نفسي شيئًا مُخيفًا.

ثبتُّ نظري عليه، وغرست الخنجر في يدي. كانت هناك موجة من الألم ترتفع إلى أعلى وأعلى، ولا تتراجع أبدًا. وأصدرت صوتًا منخفضًا من حلقي. قد لا أستحق العقاب على هذه الفعلة، لكنني أستحق العقاب على أية حال.

كانت تعبيرات وجه داين غريبة وجامدة. ثم تراجع مبتعدًا عني خطوة إلى الخلف، كأنني فعلت شيئًا صادمًا وليس ما أمر به. ثم تنحنح وقال: «لا تكشفي عن مهارتك في استخدام الأسلحة. ولا تكشفي عن قدرتك على صد السحر ولا تكشفي عن كل ما يمكنك فعله. وأظهري قوتك من خلال الظهور بمظهر ضعيف. هذا ما أريده منك».

قلت: «حسنًا». وتأوهت ونزعت الخنجر فجرى تيار الدم فوق مكتب مادوك بأغزر مما كنت أتوقع. وشعرت فجأةً بالدوار.

فقال: «امسحيه». وأطبق فمه. وأيًّا كانت المفاجأة التي شعر بها فقد تلاشت، وحل محلها شيء آخر.

لم يكن هناك شيء أنظف به المكتب سوى حافة سترتي. ثم قال: «والآن أعطني يدك». وعلى مضض، مددتها إليه، لكن كل ما فعله هو أنه أمسكها برفق ولفها بقطعة قماش خضراء من جيبه. حاولت ثني أصابعي وكدت أموت من الألم، وقد تحوَّلَ نسيج هذه الضمادة المؤقتة إلى لون داكن بالفعل. ثم عقَّب: «بمجرد أن أغادر، اذهبي إلى المطبخ وضعي الطحالب عليها».

فأوْمَأتُ برأسي مرة أخرى. ولم أكن واثقة بأنني أستطيع ترجمة أفكاري إلى كلمات وخشيت ألا أكون قادرة على الوقوف لفترة أطول، لكنني ثبتُّ ركبتي وحدَّقت إلى الشق الخشبي المتقطع على مكتب مادوك، حيث انغرس طرف الخنجر وهو ملطخ باللون الأحمر الفاتح.

انفتح باب المكتب فجأة، ما أفزع كلينا. وترك الأمير داين يدي، فأدخلتها في جيبي، وكاد الألم يسقطني أرضًا. كانت أوريانا تقف هناك، وفي يديها صينية خشبية بها إبريق يتصاعد منه البخار، وثلاثة أكواب فخارية. وكانت ترتدي ثوبًا منزليًّا بألوان زاهية من البرتقالي الفاتح.





وقالت وهي تنحني للأمير انحناءة جميلة: «مولاي الأمير داين. قال الخدم إنك تختلي بجود في اجتماع منفرد فقلت لهم من المؤكد إنكم مخطئون فبالتأكيد، مع اقتراب موعد تتويجك يكون وقتك ثمينًا للغاية كي تستهلك فتاة سخيفة مثلها الكثير منه. أنت تمنحها الكثير من الفضل، ولا شك أن كرمك فياض».

فقال وهو يعطيها ابتسامة مصطنعة: «بلا شك، لقد أمضيت وقتًا طويلًا هنا».

فحثَّته قائلةً: «تناول بعض الشاي قبل أن تغادر. يمكننا جميعًا تناول الشاي والتحدث معًا. إذا كانت جود قد فعلت شيئًا يسيء إليك ...». ووضعت الصينية على مكتب مادوك.

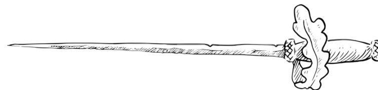
لكنه قال بطريقة لا تخلو من فظاظة: «المعذرة، لكن تذكيرك لي بواجباتي يحثني على المغادرة على الفور».

ومرَّ بسرعة بجوار أوريانا، ونظر إليَّ مرة أخرى قبل أن يخرج، ولا أدري ما إذا كنت قد نجحت في الاختبار أم لا. لكن في كلتا الحالتين، إنه لم يَعُد يثق بي كما كان من قبل. لقد أضررت بهذه الثقة.

ومن جانبي لم أعُد أثق به كثيرًا أيضًا.

قلت لأوريانا: «شكرًا لك» لتدخلها في الوقت المناسب. وكنت أرتجف من كل موضع في جسدي.

وهي لم توبخني في هذه المرة، ولم تقل أي شيء. بل وضعت يديها برفق على كتفي، فملت عليها. وتصاعدت رائحة عطرها إلى أنفي. فأغمضت عيني واستنشقت هذه الرائحة المألوفة. أنا يائسة. سوف آخذ أي قسط متاح من الراحة، أية راحة على الإطلاق.





لم أفكر في الدروس أو المحاضرات وبجسد ترتجف كل خلية منه، عدت مباشرة إلى غرفتي، وصعدت إلى سريري. ومسَّدت تاترفيل شعري لفترة وجيزة، كأنني قطة نعسانة، ثم عادت إلى مهمة فرز فساتيني. فمن المقرر أن يصل ثوبي الجديد في وقت لاحق اليوم، وسيبدأ التتويج في اليوم التالي. سيبدأ شهر من الصخب على شرف تنصيب داين ملكًا ساميًا، حيث يتلاشى القمر ثم يظهر من جديد.

كانت يدي تؤلمني كثيرًا لدرجة أنني لم أتحمل وضع الطحالب عليها. ومن ثم وضعتها على صدري فحسب.

لقد ظلَّت تنبض، وكان الألم يأتي في صورة نبضات شديدة، مثل نبضات قلب يدقُّ كل ثانية. ولم أستطع أن أجبر نفسي على فعل شيء أكثر من الاستلقاء وانتظار التئامها. وانجرفت أفكاري في مسارات متشابكة وعلى نحو ضبابي.

وفي مكان بعيد، توافد جميع اللوردات والسيدات والسادة الذين يحكمون الممالك النائية لتقديم احترامهم للملك السامي الجديد. الممالك الليلية والممالك النهارية، والممالك الحرة والممالك البرية ورعايا الملك السامي والممالك التي عقدت هدنات معها، ومهما كانت هذه الهدنات هشة وغير مستقرة. حتى مملكة "أورلاج" البحرية ستكون حاضرة وسيتعهد الكثيرون بقبول حكم الملك السامي الجديد بإخلاص في مقابل عدله وحمايته. كما سيتعهدون بالدفاع عنه والانتقام له، إذا لزم الأمر. ثم سيظهر الجميع احترامهم من خلال الاحتفال بأقصى ما لديهم.

ومن المتوقع مني بالطبع أن أحتفل معهم. إنه شهر من الرقص والولائم والشرب والتسلية بحل الأحاجي والمبارزة.

لذلك، يجب إزالة الغبار عن أفضل الفساتين لديّ، وكيّها، وتجديدها. وحاكت تاترفيل أطراف أكمام مصنوعة من مخاريط الصنوبر حول حواف الأكمام البالية. كما حاكت أشكالًا صغيرة للزينة في التنانير بتطريز بعض من أشكال أوراق الشجر، وحبوب الرمان، وصورة

ثعلب يقفز مرحًا على بعضها. وقد حاكت العشرات من النعال الجلدية لي. ومن المتوقع أن أرقص بقوة لدرجة أنني سأرتدي زوجًا منها كل ليلة.

على الأقل، سيكون لوك هناك ليرقص معي. وقد حاولت التركيز على ذكرى عينيه العنبريتين بدلًا من الألم الذي أشعر به في يدي.

وفي أثناء تحرك تاترفيل في جميع أنحاء الغرفة، أغلقت عيني، وغرقت في نوم غريب متشنج، وعندما استيقظت كان الليل قد انتصف، والعرق يملؤني في كل مكان. شعرت بهدوء غريب،

وقد زالت الدموع والذعر والألم بطريقة ما. وتحوَّلت معاناة يدي إلى خفقان خفيف.

كانت تاترفيل قد غادرت. وكانت فيفي تجلس عند طرف سريري، وعيناها الفضيتان تعكسان ضوء القمر والنجوم اللامعة.

وقالت: «جئت لأرى إن كنتِ بخير. وإن كنتُ متأكدة أنكِ لستِ كذلك».

أجبرت نفسي على الاستواء في جلستي مرة أخرى، باستخدام يد واحدة فقط. ثم قلت: «أنا آسفة بشأن ما طلبت منك أن تفعليه. ما كان ينبغي لي ذلك. لقد عرَّضتك للخطر».

قالت: «أنا أختك الكبرى. ولستِ بحاجة إلى حمايتي من قراراتي الخاصة».

بعد أن غرقت صوفي في الماء، أمضيت أنا وفيفي عِدَّة ساعات حتى الفجر نغطس في البحر المتجمد، وننادي على صوفي في مُحاوَلةٍ للعثور على أثر لها. لقد سبحنا تحت أمواج الماء الأسود، وصحنا باسمها حتى بُح صوتنا.

قلت: «ومع هذا».

ردَّدت بحِدَّة: «ومع هذا. لقد أردت أن أساعد. كنت أرغب في مساعدة تلك الفتاة».

قلت: «مؤسف للغاية أننا لم نتمكن من ذلك». وعلقت الكلمات بحلقي.



هزَّت فيفيان كتفيها في يأس، وتذكرتُ كيف أننا نختلف بطرق يصعب فهمها، على الرغم من أنها أختي. ثم قالت: «لقد فعلتِ شيئًا شجاعًا. كوني سعيدة لذلك. فليس الجميع بقادرين على أن يكونوا شجعانًا. وأنا لا أكون قادرة على ذلك دائمًا».

قلت: «ماذا تقصدين؟ أتقصدين مسألة عدم إخبار صديقتك هيذر بحقيقة الأمور؟».

أبدت بعض العبوس، لكنها ابتسمت بعد ذلك، ومن الواضح أنها ممتنة لأنني أتحدث عن شيء أقل خطورة - ومع ذلك، تحوَّلَ تفكير كلينا من الفتاة البشرية الميتة إلى صديقة فيفيان، التي هي بشرية أيضًا. وقالت فيفي: «كنا نجلس متجاورتين منذ بضعة أيام، وبدأت تتحسّس شكل أذني. واعتقدت أنها ستسأل عن شيء من شأنه أن يمنحني فرصة للحديث، لكنها أخبرتني بأن شكل أذني جيِّد حقًّا. هل تعلمين أن بعض البشر يقطعون أذانهم ويخيطونها حتى تصبح مُدبَّبَةَ الأطراف؟».

أنا لست مندهشة. وأتفهم الرغبة الشديدة في امتلاك آذان مثل أذنيها. وأشعر بأنني أمضيت نصف عمري وأنا راغبة في امتلاك أذن مثلها بأطرافها المُدبَّبة الرقيقة المكسوة بالشعر.

لكن ما لا أقوله هو هذا، لا يمكن لأحد أن يلمس هاتين الأذنين ويعتقد أنهما بشريتان وهيذر إما تكذب على فيفي، أو تكذب على نفسها.

قالت فيفي: «لا أريدها أن تخاف مني».

وفكَّرت في صوفي، وأنا متأكدة من أن فيفي فكَّرت فيها أيضًا، وفي جيوبها المليئة بالحجارة. وصوفي الآن موجودة في قاع البحر. وربما تأثَّرت فيفي جدًّا بما حدث على عكس ما تريد أن تبدو.

ومن الطابق السفلي، سمعت صوت تارين وهي تقول: «إنها هنا! فساتيننا! تعاليا وانظرا!».

انزلقت فيفي من على فراشي، وابتسمت لي. وقالت: «على الأقل حظينا بمغامرة. والآن سنحظى بواحدة أخرى».

سمحت لها بأن تسبقني؛ حيث احتجت إلى تغطية يدي المضمدة بقفاز قبل أن أتبعها إلى أسفل الدرج. ثم وضعت زرًّا، منتزعًا من معطف، على الجرح لحمايته من الضغط المباشر. والآن عليَّ أن آمل ألا يكون الانتفاخ في راحة يدي ملحوظًا للغاية.

نُشرت فساتيننا على ثلاثة كراسي وأريكة في صالون أوريانا. وكان مادوك يستمع بصبر إلى حديثها بحماس عن كمال الملابس. حيث كان ثوبها المخصص للحفلات الراقصة ذا لون وردي مماثل تمامًا للون عينيها، كما يتحوَّل إلى اللون الأحمر ويبدو كأنه مصنوع من بتلات زهور هائلة تنتشر في شكل خطوط متصلة، وثوب تارين رائع، وقصَّة الجزء الفضفاض السفلي منه والجزء المشدود على البطن منه مثالية وبجانبها توجد بذلة أوك الصغير الجميلة، وهناك سترة وعباءة لمادوك بلونه الأحمر المفضل الذي يشبه لون الدم المتخثر. فيما كانت فيفي تحمل فستانها الرمادي الفضي، بحوافه المشقوقة، وتُبدي ابتسامة لي.

وفي القاعة، رأيتُ فستاني. وتنهدت تارين بإعجاب عندما رفعته.

وقالت بنبرة اتهامية: «ليس هذا ما طلبتِه». كما لو كنت قد خدعتها بشكل متعمد.

صحيح أن الفستان الذي أحمله ليس هو الثوب الذي صممته لي برامبلوفت إنه شيء آخر تمامًا، شيء يذكرني بالملابس المدهشة الجنونية التي كانت خزانة والدة لوك محشوة بها. لقد كان ثوب حفلات راقصة من طراز أومبري. لونه يتدرَّج من الأبيض بالقرب من عنقي، ثم الأزرق الباهت، وصولًا إلى الأزرق الداكن للغاية عند قدمي. وفوق ذلك، توجد فوقه أشكال أشجار مطرزة على نحو بارز، مثل التي أراها من نافذتي مع حلول الغسق. حتى إن الخياطة حاكت عليه نماذج لحبات كريستالية صغيرة لتمثل النجوم.

هذا ثوب لم أكن أتخيله قطُّ، إنه ثوب مثالي للغاية لدرجة أنني عندما أنظر إليه لا يمكنني التفكير في شيء سوى جماله.

قلت: «أنا... أنا لا أعتقد أن هذا لي. تارين محقة. فهو لا يبدو مثل رسومات التصميم».

قالت أوريانا بمواساة، كما لو أنني مستاءة: «لكنه جميل. وقد طُرز اسمك عليه».



كنت سعيدة؛ لأنه لا أحد سيجبرني على إعادته، ولا أعرف لماذا حصلت على مثل هذا الثوب، لكنني إذا استطعت أن أرتديه، فسأفعل.

رفع مادوك حاجبيه، وقال: «سنبدو جميعًا رائعين». وعندما مرَّ بجواري. وهو يخرج من الصالون داعب شعري. في مثل هذه اللحظات، أكاد أعتقد أنه لا يوجد بيننا نهر من الدماء المراقة على الإطلاق.

صفقت أوريانا بيديها معًا، وقالت: «يا فتيات تعالين إلى هنا للحظة. اقتربن مني».

جلسنا نحن الثلاث على الأريكة بجانبها، ونحن ننتظر في حيرة: «غدًا، ستكنَّ موجودات بين أبناء النبلاء من ممالك كثيرة مختلفة. وأنتن تحت حماية مادوك، لكن هذه الحماية لن تكون معروفة لمعظم الحاضرين. ويجب ألا تسمحن لأحد بأن يستدرجكن لعقد مساومات أو وعود يمكن استخدامها ضدكن. وفوق كل ذلك، لا تصدرن أية إهانة قد تبرِّر التعدي على حرمة وقواعد الضيافة. ولا تكن حمقاوات، ولا تضعن أنفسكن تحت سلطة أحد».

قالت تارين: «نحن لم نكن حمقاوات قطُّ»، وهذه كذبة صارخة بالطبع. وقد أبدت أوريانا الانزعاج من قولها هذا وعقبت: «كنت سأبعدكن عن هذه الاحتفالات الحساسة، لكن مادوك أمر بأن تشاركن فيها. لذا انتبهن لنصائحي. وكن حذرات وربما تجدن طرقًا للاستمتاع بها».

كان عليَّ أن أتوقع هذا - المزيد من التحذيرات، ومحاضرة أخرى. وإذا كانت لا تثق بأننا سنحسن التصرف في احتفال كهذا، فإنها بالتأكيد لن تثق بنا خلال التتويج. نهضنا، وانصرفنا، ولكن بعد أن حدثت كل واحدة منا بالترتيب، وقبلتنا بفمها البارد على خدودنا. ثم قبلتني أخيرًا.

وقالت لي بهدوء: «لا تطمحي إلى ما فوق مستواك».

وللحظة، لم أفهم لماذا تقول ذلك. ثم فهمت معناه، فأصابني الذعر. إذ إنها اعتقدت في ظهيرة ذلك اليوم، أنني محبوبة الأمير داين.

قلت بلا تفكير: «أنا لست كذلك». وبالطبع سيقول شخص مثل كاردان إن كل شيء أمتلكه هو فوق مستواي.

ثم أمسكت أوريانا بيدي، وعلى وجهها تعبيرات الإشفاق. وقالت بصوتٍ رقيق: «إنني أفكر في مستقبلك فحسب، فنادرًا ما يكون المقربون من العرش قريبين حقًّا من أي شخص آخر. وسيكون للفتاة الإنسية بالطبع عدد أقل من الحلفاء».

أَوْمَأتُ برأسي كما لو كنت أستسلم لنصيحتها الحكيمة. إنها إذا لم تصدقني، فإن أسهل شيء

أفعله هو أن أوافقها الرأي. وأعتقد أن هذا معقول أكثر من الحقيقة - حقيقة أن داين اختارني لأكون جزءًا من وكره من اللصوص والجواسيس.

كان هناك شيء ما في تعبيرات وجهي جعلها تُمسك بكلتا يدي. وقد ارتجفتُ ألمًا من ضغطها على جرحي. وقالت: «قبل أن أكون زوجة مادوك، كنت من المقربين لملك إلفهايم. اسمعيني يا جود. ليس من السهل أن يكون المرء من المقربين للملك السامي. إنه يعني أن يكون المرء دائمًا في خطر. أن يكون دائمًا بيدقًا».

لا بُدَّ أنني كنت أحدِّق إليها ، لشعوري بمثل هذا القدر من الصدمة. فلم أتساءل قطُّ عن حياتها قبل أن تأتي إلينا. وفجأة، أصبحت مخاوف أوريانا بالنسبة لنا منطقية على نحو مختلف؛ لأنها كانت معتادة التعامل وفق مجموعة مختلفة تمامًا من القواعد وبدا كأن الأرض تتمايل تحت قدميّ. فلم أعد أعتقد أني أعرف المرأة التي أمامي، ولا أعرف ما عانته قبل مجيئها إلى هذا المنزل. ولم أعد أعرف كذلك كيف أصبحت بالفعل زوجة مادوك. هل كانت تحبه أم تمكنت من الزواج به بذكاء لتنال حمايته؟

فقلت بغباء: «لم أعرف هذا عنك من قبل».



قالت لي: «لم أنجب لإلدريد طفلًا قط. لكن إحدى الأخريات كادت تفعل ذلك أو فعلته بالفعل. وعندما ماتت، أشارت شائعة إلى أن أحد الأمراء سمّمها، لمجرد منع ظهور منافس له على العرش». نظرتْ أوريانا إلى وجهي بعينيها الورديتين الشاحبتين، وقد علمت أنها تتحدث عن ليريوبي. واستطردت: «أنتِ لستِ مضطرة إلى تصديقي. فهناك الكثير من الشائعات على القدر ذاته من الفظاعة. وعندما يكون هناك الكثير من النفوذ المركز في مكان واحد، يكون هناك الكثير من الفتات الذي يتقاتل عليه القوم. وإذا لم يكن أفراد البلاط مشغولين بشرب السم، فسيكونون مشغولين بشرب كئوس الأحقاد. ولن تعرفي كيف تتوافقين مع ذلك».

فسألتها: «ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟» فكلماتها قريبة بشكل مزعج من كلمات مادوك عندما رفض سعيي للحصول على لقب فارسة، وقلت: «ربما أتوافق جيِّدًا معه».

مسحت بأصابعها على وجهي مرة أخرى، ومسدت شعري للخلف. من المفترض أن تكون هذه حركة لطيفة، لكن الغاية منها كان فحصي من كثب. وقالت: «من المؤكد أنه أحب والدتكن كثيرًا. إنه مغرم بكن يا فتيات. ولو كنتُ مكانه، لأرسلتكن بعيدًا عن هذا المكان منذ زمن بعيد».

أنا لا أشك في ذلك.

«إذا ذهبتِ إلى الأمير داين على الرغم من تحذيري، وإذا صرت تحملين في أحشائك وريثه، فلا تخبري أحدًا قبل أن تخبريني. أقسمي بقبر والدتك». وشعرت بملمس أظافرها حينما استقرت يدها على مؤخرة رقبتي، فارتجفتُ. وكرَّرتْ في حِدَّة: «لا أحد. أتفهمين؟»

«أعدك». كان هذا من الوعود التي لن أجد صعوبة في حفظها. وحاولت أن أعطي الكلمات مصداقية عبر نبرتي، حتى تصدق أنني أعنيها. «حقًّا أعدك».

فأطلقت سراحي، وقالت: «يمكنك الذهاب. استريحي جيِّدًا يا جود. وعندما تنهضين سيكون حفل التتويج قد حان، ولن يتبقى لنا سوى القليل من الوقت للراحة».





انحنيتُ واستأذنتُ.

وفي القاعة، كانت تارين تنتظرني. وكانت جالسة تؤرجح قدميها على مقعد مزين بنقش لأفاعٍ ملفوفة. وعندما أُغلق الباب، نظرت لأعلى، وسألتني: «ما أمرها؟».

هززت رأسي مُحاوِلةً أن أتخلَّصَ من مزيج من المشاعر التي تنتابني وقلت: «هل تعلمين أنها كانت من المقربين للملك السامي؟».

ارتفع حاجبا تارين في دهشة، وتساءلت: «لا. أهذا ما أخبرتك به؟».

«نعم». فكرت في والدة لوك والطائر المغني في حلية شجرة البلوط والملك إلدريد على عرشه، ورأسه منحنٍ من ثقل تاجه. من الصعب بالنسبة لي أن أتخيَّله مُتزوِّجًا بسيدات أخرى، بعد معرفة عدد السيدات اللاتي تزوجهن لإنجاب هذا العدد الكبير من الأبناء، وهو

عدد غير طبيعي بالنسبة للجان، ومع ذلك، ربما كان هذا مجرد قصور في مخيلتي.

علَّقَت تارين في حيرة: «هه!». وبدا أنها تعاني القصور نفسه في تخيُّل مثل هذا الأمر. ثم تجهَّمَ وجهها، ثم بدا أنها تذكرت ما كانت تنتظرني لتسألني عنه. وقالت: «هل تعرفين لماذا كان الأمير بالكين هنا؟».

قلت: «كان هنا؟ هنا، في المنزل؟»، لست متأكدة من أنني أستطيع تَحمُّل المزيد من المفاجآت.

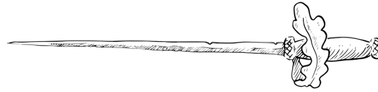
أَوْمأَتْ برأسها إيجابًا. وقالت: «لقد وصل مع مادوك، وظلَّا في مكتبه ساعات».

فتساءلت عن وقت وصولهما عقب رحيل الأمير داين. أتمنى لو كانا قد وصلا بعد وقت طويل بحيث لا يسمع الأمير داين أي شيء عن الخادمة المفقودة. كانت يدي المصابة تؤلمني عندما أحركها، لكنني سعيدة لأنني أستطيع تحريكها على أية حال ولست متحمسة لاحتمال المزيد من العواقب.

ومع ذلك، فمادوك لم يبدُ غاضبًا مني عندما رآني مع فستاني. لقد بدأ طبيعيًّا، بل سعيدًا. وربما كانا هو وبالكين يتشاوران عن أشياء أخرى.

قلت لتارين: «هذا غريب»؛ ولم أزد على ذلك لأنني أُمرت بعدم إخبارها بأنني جاسوسة، ولا يمكنني أن أحمل نفسي على إخبارها بأمر صوفي.

وأنا سعيدة لأن حفل التتويج قد اقترب. أريده أن يأتي ويمحو أثر كل شيء آخر.



في تلك الليلة، ظللت مُستلقِيةً في فراشي، وأنا مرتدية ملابسي بالكامل، في انتظار الشبح.

لقد غبت عن التدريب لمدة ليلتين متتاليتين - ليلة حفلة لوك والليلة الماضية خلال البحث في الماء عن صوفي. ومن المؤكد أنه سيكون منزعجًا عندما يأتي.

أبعدت ذلك الخاطر عن تفكيري قدر الإمكان، وركزت على نيل قسط من الراحة. وظللت أشهق وأزفر.

عندما أتيت إلى أرض الجان لأول مرة، واجهت مشكلة في النوم. وربما يعتقد البعض أن الكوابيس راودتني، لكنني لا أتذكر الكثير. وكانت أحلامي تنافس حياتي الواقعية في مدى فظاعتها. ومع ذلك، لم أستطع أن أهدأ بما يكفي لأرتاح. بل ظللت أتقلَّب طوال الليل وطوال الصباح، وتسارعت دقات قلبي، وفي النهاية غرقت في النوم بسبب الصداع في وقت متأخر من الظهيرة، وهو الوقت الذي يستيقظ فيه بقية الجان. وأخذت بين الصحو والمنام أتجوَّل في ممرات المنزل كروح مضطربة، فأتصفح الكتب القديمة، وأتحرَّك حول قطع اللعب على لوح لعبة الثعلب والإوز، وأحمص الجبن في المطبخ، وأحدِّق إلى قبعة مادوك المليئة بالدماء، كما لو كانت تحتوي في خطوطها على إجابات لكل أسئلة الكون. ثم وجدني أحد العفاريت الذين يعملون هنا، ويدعى نيل أوثر وقادني إلى غرفتي، وأخبرني بأنني إذا لم أستطع



النوم، فعندئذٍ يجب عليَّ أن أغلق عيني وأستلقي ساكنة. فهذا على الأقل يمكن أن يريح جسدي، حتى لو لم يسترِح عقلي.

كنت مستلقية هكذا عندما سمعت حفيفًا بالقرب من الشرفة. التفتُّ، وكنت أتوقَّع أن أرى الشبح وكنت على وشك توبيخه لإصداره صوتًا واضحًا عندما أدركت أن الشخص الذي يفتح باب الشرفة ليس الشبح على الإطلاق. إنه فاليريان يُمسك بسكين طويلة منحنية النصل في يده، ويرسم ابتسامة واسعة خبيثة على وجهه.

قلت في ترقُّب: «ماذا...؟» وسارعت إلى اتِّخاذ وضعية الجلوس. ثم كرَّرت: «ماذا تفعل هنا؟».

أدركت أنني كنت أهمس، كأنني أخاف أن يتم اكتشافه.

أنت ملكي يا جود دوارتي. وستضربين فقط عندما أقول لك اضربي، أما خلاف ذلك، فستُبقين

يدك في موضعها.

على الأقل، الأمير داين لم يسحرني لإطاعة تلك الأوامر.

سألني فاليريان وهو يقترب أكثر: «لماذا لا أكون هنا؟» كانت رائحته مثل الصنوبر، وشعره حالك السواد، وهناك غبار خفيف من مسحوق ذهبي على أحد خديه ولا أدري أين كان قبل هذا، لكنني لا أعتقد أنه واعٍ بما يفعل.

أجبته: «هذا منزلي». ولأني كنت مستعدة للتدريب مع الشبح. كان لديَّ سكين في حذائي، وآخر على فخذي، لكن بعد التفكير في أوامر داين، وكيف ينبغي لي ألَّا أُخيِّب ظنَّه أكثر من هذا، لم أمد يدي إلى أيٍّ منهما. لكنني شعرت بالحيرة من وجود فاليريان هنا، في غرفتي.

مشى نحو فراشي. وكان يُمسك بالسكين جيِّدًا، لكن يمكنني القول من طريقة إمساكه بها إنه لم يتدرَّب على استخدامه بشكل خاص. إنه ليس ابن قائد الجيوش مادوك. وقد قال لي بصوتٍ يرتعش من الغضب: «ليس هذا منزلك».



قلت في النهاية، والخوف يشملني: «إذا كان كاردان قد وضعك في هذا الموقف، فعليك حقًّا إعادة التفكير في علاقتك به. لأنني إذا صرخت، فهناك حراس في الأسفل وسوف يأتون. إن لديهم سيوفًا كبيرة مُدبَّبة وضخمة. سوف يُعرِّضك صديقك للقتل». وبمعجزة ما، ظلَّ صوتي هادئًا وأنا قول له ذلك.

أظهري قوتك من خلال الظهور بمظهر ضعيف.

لم يبدُ عليه أنه استوعب كلماتي. وكانت عيناه جامحتين ويعلوهما احمرار غريب، ولا تركزان عليَّ بشكل كامل، ثم قال: «هل تعرفين ما قاله عندما أخبرتُه بأنك طعنتني؟ قال لي إن هذا أقل مما أستحقه».

هذا مستحيل من المؤكد أن فاليريان قد أساء فهمه. ومن المؤكد أن كاردان كان يسخر منه لأنه سمح لي بمباغتته.

سألته مُحاوِلةً إخفاء دهشتي: «ماذا كنت تتوقع من شخص كهذا؟ لا أعرف ما إذا كنت قد لاحظت ذلك من قبل أم لا، لكن ذلك الفتى وغد حقيقي».

لو لم يَكُن فاليريان مُتأكِّدًا من رغبته في طعني من قبل، فقد بدا مُتأكِّدًا تمامًا الآن وبقفزة واحدة، طعن بسكينه المرتبة في اللحظة التي تدحرجت فيها مُبتعدةً، ووقفت على قدمي. وقد تطاير ريش الإوز من داخل المرتبة عندما انتزع السكين منها، وتساقط في الهواء مثل ندف الثلج. ثم عاد ليقف على قدميه في تحفُّز، حينما أخرجت خنجري.

لا تكشفي عن مهارتك في استخدام الأسلحة. لا تكشفي عن تغلُّبك على التعاويذ السحرية. لا تكشفي عن كل ما يمكنك فعله.

لم يعرف الأمير داين أن مهارتي الحقيقية تكمن في إزعاج الآخرين. ثم تقدَّمَ فاليريان نحوي مرة أخرى. إنه مُغيَّب العقل، وغاضب، ولا يتعلَّق الأمر بأنه غير مُدرَّب جيِّدًا، لكنه يبقى واحدًا من الجان الذين ولدوا بمهارات بهلوانية، وقد مُنح نعمة الطول الذي يمكِّنه من

الطعن بشكل أفضل. ظلَّ قلبي يدقُّ في صدري بقوة وأحسست بأنني يجب أن أصرخ طلبًا للمساعدة. يجب أن أصرخ.

فتحت فمي لأصرخ، فاندفع نحوي. وخرج صراخي على شكل زفير وأنا أفقد توازني. وارتطمت كتفي بالأرض بقوة، وتدحرجت مرة أخرى. وقد كنت مُدربة بما يكفي لدرجة أنني، وعلى الرغم من مباغتته لي ركلت يده التي تحمل السكين عندما أتى نحوي. فتدحرج السكين على الأرض.

وقلت: «حسنًا»، كما لو كنت أحاول تهدئة كلٍّ منَّا. وكرَّرت: «حسنًا».

لكنه لم يتوقف. ومع أني أحمل سكينًا، وأني تفاديت هجومه مرتين، ونزعت سلاحه، وأني طعنته مرة من قبل، فقد أمسك رقبتي مرة أخرى. وانغرست أصابعه في لحم رقبتي، وتذكرت كيف شعرت حينما حشر الفاكهة السحرية في فمي، ولبها الطري يتفتت على أسناني. تذكرت أنني كنت أختنق من الرحيق واللب حيث سلبتني لذتهما الفظيعة عقلي، ما سلبني الاهتمام حتى إنني كنت على وشك الموت. لقد أراد أن يشاهدني أموت، وأراد أن يشاهدني أصارع من أجل أخذ أنفاسي كما أصارع الآن. ثم نظرت إلى عينيه، ووجدت التعبيرات نفسها التي ارتسمت عليه في المرة السابقة.

أنتِ نكرة. أنتِ بالكاد موجودة وحية. وهدفك الوحيد هو إيجاد المزيد من نوعك قبل أن تموتي.

إنه مخطئ بشأني. وسأجعل حياتي القصيرة مهمة ومكرَّسة لهدف ما. ولن أخاف منه أو من لوم الأمير داين. وإذا لم أستطع أن أكون أفضل منهم، فسأصبح أسوأ كثيرًا.

وعلى الرغم من أن أصابعه كانت تضغط على قصبتي الهوائية، ومع أن رؤيتي بدأت تتلاشى، فإنني حرصت على تحديد ضربتي قبل أن أغرس سكيني في صدره، في قلبه.

اندفع فاليريان مبتعدًا عني، وهو يُصدِر صوت غرغرة. فملأت رئتي بالهواء. وقد حاول الوقوف، وترنح، ثم سقط على ركبتيه مرة أخرى. نظرت إليه على نحو مشوش، ورأيت

مقبض سكيني يبرز من صدره. وتحولت القطيفة الحمراء في سترته إلى لون أحمر أكثر رطوبة وداكنًا بقدر أكبر.

ثم مدَّ يده إلى السكين ليُخرجه من جسده.

قلت له بطريقة تلقائية: «لا تفعل»؛ لأن ذلك سيؤدي فحسب إلى جعل الجرح بحال أسوأ. ومددت يدي لأمسك بأي شيء قريب - وكان هناك معطف على الأرض يمكنني استخدامه لإيقاف الدم. فانزلق على جنبه مبتعدًا عني، ونظر إليَّ نظرة ساخرة مع أنه بالكاد يستطيع أن يفتح عينيه.

قلت: «عليك أن تدعني...».

فهمس فاليريان: «أنا ألعنك. ألعنك ثلاث مرات. ألعنك لأنك قتلتني. ستكون يداك ملطختين دائمًا بالدماء. سيكون موتي رفيقك الوحيد. سيكون...». وتوقف فجأةً وسعل بقوة. وعندما توقف عن السعال، لم يتحرك. وظلَّت عيناه كما هي غير مفتوحتين بالكامل، لكن اللمعان كان قد تلاشى منهما.

انطلقت يدي الجريحة لتغطي فمي برعب من أثر هذه الفاجعة، كأنني كنت أوقف الصراخ، لكنني لم أكن أصرخ. لم أصرخ طوال ذلك الوقت، ولن أبدأ الآن، حيث لا يوجد شيء آخر أصرخ من أجله.

مع مرور الدقائق، جلست هناك بجانب فاليريان، أشاهد جلد وجهه يزداد شُحوبًا لأن الدم لم يَعُد يتدفق إليه، وأراقب شفتيه تتحوَّلان إلى اللون الأزرق المَشوب باخضرار. إنه لم يمت بشكل يختلف كثيرًا عن البشر، على الرغم من أنني متأكدة من أن معرفة هذا كانت ستثير غضبه. ربما كان سيعيش لألف عام. لولاي.

لقد جُرحت يدي بشكل أسوأ من ذي قبل. من المؤكد أنني صدمتها خلال القتال.



نظرت حولي، ورأيت انعكاسي في المرآة في الغرفة: مجرد فتاة بشرية. شعرها أشعث، وعيناها محتقنتان، وبركة من الدم تتشكل عند قدميها.

الشبح قادم، وهو يعرف ماذا يفعل بالجثة. ومن المؤكد أنه قتل أشخاصًا من قبل. لكن الأمير داين قد غضب مني لمجرد أن طعنت ابن عضو محبوب من حاشيته. وقتل ذلك الابن نفسه في الليلة التي تسبق تتويج داين لن يمرَّ بشكل جيِّد. وآخر الأشخاص الذين أحتاج إلى إعلامهم بهذا هم أعضاء مجلس الظلال. لا، أنا بحاجة إلى إخفاء جثته بنفسي.

تفحصت الغرفة، على أمل أن أتلقى إلهامًا، لكن المكان الوحيد الذي كان يمكنني التفكير فيه، والذي يخفيه مؤقتًا هو أسفل سريري. مددت إحدى تنانيري الداخلية بجانب جثة فاليريان، ثم دحرجته عليها، وشعرت بقليل من الغثيان. كان جسده لا يزال دافئًا. وبعد تجاهل ذلك، جررته إلى السرير، ودفعته هو وجميع تنانيري إلى الأسفل، بيدي أوَّلًا ثم بقدمي.

لم يتبقَّ بعد ذلك سوى بقعة من الدم. جلبت إبريق الماء الموجود بالقرب من السرير، ورششت القليل منه على ألواح الأرضية الخشبية، ثم رششت بعضه على وجهي. ارتعشت يداي عندما انتهيت من المسح وانهرت على الأرض، وكلتا يدي موضوعة على شعري.

وقلت في نفسي أنا لست بخير.

أنا لست بخير.

أنا لست بخير.

لكن عندما وصل الشبح إلى شرفتي، لم يتمكَّن من معرفة ذلك، وهذا هو الشيء المهم.





الفصل 19



في تلك الليلة، علَّمني الشبح كيف أتسلَّق إلى موضع أعلى كثيرًا من الموضع الذي بلغناه أنا وتارين في المرة الأخيرة التي تسلقنا فيها معًا. وقد تسلقنا هذه المرة حتى بلغنا العوارض الخشبية فوق القاعة الكبرى للاحتفالات، وجلسنا على عوارض خشبية ثقيلة التفَّت حولها شبكة من الجذور، التي تَتَّخذ أحيانًا أشكال الأقفاص، وأحيانًا الشرفات، وأحيانًا ما يبدو أشبه بحبال مشدودة. وتحتنا، استمرت الاستعدادات للتتويج، حيث طُرحت مفارش الطاولات المصنوعة من القطيفة الزرقاء المطرزة بخيوط الفضة والذهب، وكل واحدة منها مُزيَّنة بشعار عائلة جرينبريال، وهو عبارة عن شجرة مليئة بالزهور والأشواك والجذور.

سألت الشبح: «هل تعتقد أن الأمور ستكون أفضل بعد أن يصبح الأمير داين الملك السامي؟».

منحني ابتسامة غامضة، وهزَّ رأسه بحزن، ثم قال لي: «ستبقى الأمور كما هي دائمًا. ستزيد

وطأتها فحسب».

لم أعرف ماذا يعني ذلك، لكنها إجابة ذكية بما يكفي لأن أخمن أنه من غير المحتمل أن أحصل على مزيد من المعلومات منه. ثم فكرت في جثة فاليريان تحت سريري. إن جثث الجن لا تتعفَّن كما تتعفَّن جثث البشر. وفي بعض الأحيان تنمو على جثثهم النباتات أو الفطر. لقد سمعت قصصًا عن ساحات معارك تحولت بمرور الوقت إلى تلال خضراء. وأتمنى أن أعود وأجده قد تحوَّلَ إلى قش، لكنني أشك في أنني سأكون محظوظة إلى هذا الحد.

ينبغي ألَّا أفكِّر في جثته؛ بل ينبغي أن أفكِّر فيه هو. ينبغي أن أقلق أكثر بشأن اكتشاف الجان وأهله خاصَّةً ما فعلته.

سرنا بين الجذور والعوارض، دون أن يلاحظنا أحد، وأخذنا نقفز عاليًا بصمتٍ فوق العديد من الخدم بأزيائهم الرسمية. التفتُّ إلى الشبح، وراقبت وجهه الهادئ والطريقة الخبيرة التي يضع بها كل قدم، وحاولت تقليده. وحاولت ألا أستخدم يدي المجروحة في أي شيء سوى التوازن. وبدا أنه لاحظ ذلك، لكنه لم يسألني عنه. ربما كان يعرف بالفعل ما حدث.

وقال ونحن نجلس على عارضة ثقيلة: «انتظري الآن». سألته: «لأي سبب؟».

«لديَّ خبر يفيد بأن رسولًا قادمًا من منزل بالكين متنكرًا بزي أحد خدم الملك السامي. وعلينا أن نقتله قبل أن يدخل منطقة القصر».

قال الشبح هذا الكلام دون أية عاطفة مُعيَّنة. تساءلت منذ متى وهو يعمل في خدمة داين. وتساءلت عما إذا كان داين طلب منه من قبل أن يطعن راحة يده بسكين، أو ما إذا كان اختبرهم جميعًا بهذه الطريقة، أو ما إذا كان هذا اختبارًا خاصًّا للبشر فقط.

سألته: «هل هذا المرسال سيغتال الأمير داين؟».

قال: «دعينا لا نخض في هذا الأمر».

أسفل مني، كانت اللمسات النهائية توضع لأشكال من حلوى غزل البنات وذلك بتتويجها

بقمم بلورية عالية. وأخذت ثمار التفاح السحرية المطلية بألوان مختلفة تتراكم على طاولات المأدبة بكميات كافية لإفقاد نصف أفراد البلاط وعيهم.

فكَّرت في فم كاردان المغطى باللون الذهبي، وسألته: «هل أنت متأكد من أن المرسال سيأتي من هذا الطريق؟».

قال: «نعم»، ولم يزد على هذه الكلمة.

لذا انتظرنا، وحاولت ألا أتململ مع مرور الدقائق، ثم الساعات، كما حرَّكت أطرافي بما يكفي لمنع عضلاتي من التصلب. هذا جزء من تدريبي - ربما يكون هذا هو الجانب الذي يعتقد الشبح أنه الأكثر أهمية، بعد التَّسلُّلِ خفية. وقد أخبرني مرارًا وتكرارًا بأن معظم ما يحتاج القاتل واللص إلى إتقانه هو الانتظار. وأصعب شيء، وفقًا لقوله، هو عدم ترك عقلك ينجرف إلى التفكير في أشياء أخرى، ويبدو أنه محق. ففي قصر الملك السامي هنا، وأنا أراقب دخول الخدم وخروجهم، تنحدر أفكاري على الرغم مني إلى التفكير في التتويج، والفتاة الغارقة، وإلى كاردان وهو يمتطي حصانه حينما هربت من القصر الأجوف، وبالطبع إلى ابتسامة فاليريان المتجمدة المحتضرة.

عدت بأفكاري إلى الحاضر. وتحتي، كان هناك مخلوق ذو ذيل طويل أجرد يجر دلاء القاذورات على الأرض. وللحظة، ظننت أنه من طاقم عمل المطبخ. لكن الحقيبة التي يحملها كانت قذرة للغاية، وهناك شيء غريب على نحو دقيق في زيه. إنه لا يرتدي زيًّا كأحد خدام بالكين، ولا زيًّا كزي العاملين الآخرين في القصر.

نظرت إلى الشبح الذي قال: «جيِّد. أطلقي عليه سهمًا الآن».

شعرت بيدي تتعرَّق وأنا أُخرِج آلة رمي السهام الصغيرة، وأحاول تثبيتها على ذراعي. لقد نشأت في منزل تُستخدم فيه المعادن والأسلحة، كما أنني تدرَّبت على هذا، وذكريات طفولتي الأساسية مليئة بإراقة الدماء. وقد قتلت بالفعل فردًا من الجان قبل قليل هذه الليلة. ومع ذلك، وللحظة، لم أعرف ما إذا كنت قادرة على فعل هذا.

أنتِ لستِ قاتلة.

أخذت نفسًا وأطلقت السهم وتشنجت ذراعي من قوة الارتداد. انقلب المخلوق على الأرض، ودفعت ذراعه المتساقطة هرمًا من التفاح الذهبي إلى التناثر فوق التراب. وضغطت نفسي للتواري أسفل مجموعة سميكة من الجذور، وتخفيت كما علَّمني الشبح. في حين صرخ الخدم، ونظروا حولهم بحثًا عن مُطلق السهم.

بجواري، وقف الشبح وابتسامة تسكن زاوية فمه. وسألني: «هل كانت هذه هي المرة الأولى لك؟». ثم عندما نظرتُ إليه في استفهام، أوضح قائلًا: «هل قتلت أحدًا من قبل؟».

سيكون موتي رفيقك الوحيد.

هززت رأسي نفيًا، فلم أثق بقدرتي على الكذب بصوتٍ عالٍ وبشكل مقنع.

فقال: «أحيانًا يتقيَّأ البشر. أو يبكون، ينبغي ألا تخجلي من هذا». ومن الواضح أنه كان مسرورًا لأنني لم أفعل أيًّا من هذين الأمرين.

قلت: «أنا بخير». وأخذت نفسًا عميقًا، وأدخلت سهمًا جديدًا في آلة رمي السهام.

ما شعرت به هو نوع من الجاهزية العصبية المدفوعة بالأدرينالين. لقد بدا أنني خطوت الخطوة الأولى في مسار مُعيَّن. قبل ذلك، لم أكن أعرف أبدًا إلى أي مدى سأذهب، والآن أعتقد أن لديَّ الجواب. سأذهب إلى أبعد ما يمكن أن أذهب إليه. سأذهب بعيدًا جدًّا.

ثم رفع كلا حاجبيه، وقال: «أنتِ جيِّدة في هذا. لديكِ مهارة جيِّدة في الرماية، وقدرة على تَحمُّل العنف وآثاره».

لقد شعرت بالمفاجأة. فالشبح ليس ممن يقدمون المجاملات.

كما أنني تعهَّدت سابقًا بأن أصبح أسوأ من غُرمائي. وقد ارتكبت جريمتَيْ قتل في ليلة واحدة، وهو ما يجب أن أفتخر به. ومن المؤكد أن مادوك مخطئ للغاية بشأني.



قال الشبح: «معظم أبناء النبلاء لا يتحلون بالصبر. ولم يعتادوا أن تَتَّسِخ أيديهم بأعمال كهذه».

لا أدري ماذا أقول ردًّا على هذا، ولعنة فاليريان ما زالت ماثِلةً في ذهني. ربما هناك شيء انكسر داخلي من مشاهدة والديَّ يُقتلان، وربما حوَّلتني حياتي الفوضوية إلى شخص قادر على فعل أشياء فوضوية أيضًا. لكن جزءًا آخر مني يتساءل عما إذا كنت قد تعلَّمت من مادوك تقليد العائلة المتمثل في إراقة الدماء. هل أنا هكذا بسبب ما فعله لوالديَّ أم لأنه والدي؟

ستكون يداكِ ملطختين دائمًا بالدماء.

مدَّ الشبح يده ليُمسك بمعصمي، وقبل أن أتمكن من انتزاعه منه أشار إلى أطراف أصابعي الباهتة عند قاعدة أظافري. وقال: «بمناسبة الحديث عن اليدين، أستطيع أن أعرف ما كنت تفعلينه من تغيُّر لون أصابعك. السموم، أستطيع أن أشمها في عرقك أيضًا. لقد كُنتِ تُسمِّمين نفسك».

ابتلعت ريقي، ثم أَوْمَأتُ برأسي مُؤكِّدةً استنتاجه؛ لأنه لا يوجد سبب لإنكار ذلك. ثم سألني: «لماذا؟» الشيء الذي يعجبني في الشبح هو أنني أعرف أنه لا يسألني تمهيدًا ليُلقي عليَّ محاضرة. لقد بدا فضولِيًّا فحسب.

ولم أكن مُتأكِّدةً من كيفية شرح ذلك، لكنني قلت له: «نظرًا لأني بشرية، عليَّ أن أبذل جهدًا أكبر».

تفحَّصَ الشبح وجهي. وقال: «لقد خدعوك حقًّا لتصديق هذه الكذبة. هناك الكثير من البشر أفضل في كثير من الأشياء من الجان. وفي ظنك إذن، لماذا نختطفهم؟».

استغرقت دقيقة لأدرك أنه جاد في قوله. وقلت: «إذن، هل يمكنني أن أكون أفضل...؟» ولم أستطع إنهاء التساؤل.

فأطلق زفيرًا وقال: «أفضل مني؟ لا تأملي الكثير من حظك».

قلت: «ليس هذا ما كنت سأقوله». لكنه ابتسم فحسب، ثم نظرت إلى أسفل، حيث كانت الجثة لا تزال مُستلقِيةً هناك فيما تجمَّعَ عدد قليل من الفرسان حولها. وبمجرد أن يحركوا الجثة سوف نتحرَّك نحن أيضًا، ثم عقَّبت: «أريد فقط أن أكون قادرة على هزيمة أعدائي. وهذا كل ما في الأمر».

بدا مندهشًا، وقال: «لديك الكثير من الأعداء إذن؟». أنا متأكدة من أنه يتخيَّلني بين بنات النبلاء، بأيديهن الناعمة وتنوراتهن المصنوعة من القطيفة. ويفكر في أن كل ما يمكن أن يحدث لي هو التَّعرُّض للقليل من القسوة والسخرية والتعديات الطفيفة.

قلت: «ليس الكثير»، وأنا أفكر في نظرة الاحتقار والكراهية التي ألقاها إليَّ كاردان وهو بجوار ضوء المشعل في متاهة الشجيرات، ثم أكَّدت: «لكنهم يتمتعون بالقوة».

عندما حمل الفرسان الجثة بعيدًا في النهاية، ولم يَعُد أحدٌ يبحث عنا. قادني الشبح عبر الجذور مرة أخرى. وانسللنا في الممرات إلى أن تمكَّنَ من الاقتراب بدرجة كافية من حقيبة المرسال لسرقة الأوراق الموجودة داخلها. وعلى الرغم من ذلك، أدركت عن قرب شيئًا جمَّدَ الدم في عروقي. كان المرسال مُتنكِّرًا، وكان أنثى. وفي حين أن ذيلها كان مُزيَّفًا، فإن أنفها الطويل الشبيه بالجزر الأبيض حقيقي تمامًا. إنها إحدى جواسيس مادوك.

وضع الشبح الرسالة في سترته، ولم يفتحها حتى خرجنا إلى الغابة، ولم يَكُن هناك ضوء ليقرأها تحته سوى ضوء القمر. لكنه عندما نظر فيها، تجهَّمَ وجهه. وقبض على الورقة بقوة لدرجة أنها تجعَّدت بين أصابعه.

سألته: «ماذا كُتِب فيها ؟».

فسلمني الورقة. كانت هناك أربع كلمات مكتوبة فيها: "اقتل حامل هذه الرسالة".

سألته، وأنا أشعر بالغثيان: «ماذا يعني هذا؟».

هزَّ الشبح رأسه، وقال: «هذا يعني أن بالكين كشف أمرنا. تعالي، يجب أن نذهب».



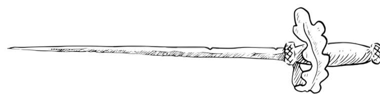
وانسللنا معًا بعيدًا. لم أخبر الشبح بأنني أظن أنها تعمل لدى مادوك. وبدلًا من ذلك، حاولت أن أحل هذه الأحجية بنفسي. لكن كان لديَّ القليل جدًّا من المعلومات.

ما علاقة مقتل ليريوبي بالتتويج؟ وما علاقة مادوك بأيٍّ من هذا؟ هل يمكن أن تكون جاسوسته عميلة مزدوجة تعمل لدى بالكين ومادوك؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل هذا يعني أنها كانت تنقل معلومات عن عائلتي؟

قال الشبح: «هناك من يحاول تشتيت انتباهنا. وفي حين أنهم ينصبون فخهم، كوني يقظة غدًا».

لم يعطني الشبح أيَّةَ أوامر مُحدَّدة أكثر من هذا، ولم يخبرني كذلك بالتوقف عن تناول جرعات السم الصغيرة. ولم يوجهني لفعل أي شيء بشكل مختلف؛ بل قادني إلى المنزل لأخذ قسط صغير من النوم بعد الفجر مباشرة. وبمجرد أن أوشكنا على التفرق، أردت أن أتوقف وأطلب مساعدته. أردت أن أقول له: لقد فعلتُ شيئًا فظيعًا. ساعدني على التخلُّص من الجثة. ساعدني.

لكننا جميعًا نريد أشياء غبية. وهذا لا يعني أننا يجب أن نحصل عليها.



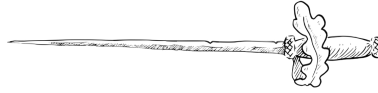
دفنت فاليريان بالقرب من الإسطبلات، وليس داخلها؛ حتى يظلَّ قيام خيول مادوك ذات الأسنان الحادَّة بحفر الأرض والتهام عظامه أمرًا مُستبعدًا.

لم يكن من السهل دفن الجثث. وليس من السهل بشكل خاص دفن جثة دون أن تعرف أسرتك كلها. لقد تعيَّن عليَّ أن أدحرج فاليريان نحو شرفتي وأقذفه على الشجيرات الكثيفة التي تحتها. ثم بيدٍ واحدة سليمة، تَعيَّنَ عليَّ أن أجره بعيدًا عن المنزل. كنت متعبة ومُتعرِّقة

حينما وصلت إلى قطعة الأرض المناسبة ذات العشب المغطى بالندى. وكانت الطيور المستيقظة حديثًا ينادي بعضها بعضًا تحت السماء الساطعة.

وللحظة، كل ما أردت فعله هو الاستلقاء على فراشي.

لكن تَعيَّنَ عليَّ الحفر.



كانت فترة الظهيرة عبارة عن نوبة من التشوش الناتج عن الحرمان من النوم، وجولة من التجمُّل وتضفير الشعر، وارتداء الصدرية وشدها بإحكام. وعلى جانب إحدى أذني مادوك الخضراوين كانت توجد ثلاثة أقراط ذهبية كبيرة، وكان يرتدي مخالب ذهبية طويلة فوق أصابعه. وكانت أوريانا تبدو كأنها وردة مُزهرة بجانبه، مرتدية عقدًا ضخمًا من الزمرد الأخضر المصقول حول رقبتها، وكان كبيرًا بما يكفي ليعتبر تقريبًا بمثابة درع لها.

في غرفتي، فككت ضمادة يدي وبدت حالتها أسوأ مما كنت أتمنى - كانت رطبة وملتصقة بدلًا من أن يكون الجرح قد التأم وكوَّنَ قشرة فوقه، كما كانت متورمة. وفي النهاية، أخذت بنصيحة داين، وأحضرت بعض الطحالب من المطبخ، وغسلت الجرح، ثم أعدت لفه بضمادتي المؤقتة. لم أكن أخطط لارتداء قفازات في حفل التتويج، لكن ليس لديَّ الكثير من الخيارات. بحثت في أدراجي، ووجدت قُفَّازًا من الحرير الأزرق الداكن فارتديته.

تخيَّلت لوك وهو يُمسك بيدي الليلة، وتخيَّلته يصحبني في جولة حول التل. وأملت ألا أجفل إذا ضغط على كفي. لا يمكنني السماح له بتخمين ما حدث لفاليريان، وبغض النظر عن مدى إعجابه بي، فإنه لن يحب التَّودُّد إلى الشخص الذي دفن صديقه في الأرض.

أخذت أنا وأختاي ندور في بهو المنزل، ونأخذ الأشياء التي نحتاج إليها. ثم جاءت فيفي وبحثت في خزانة المجوهرات الخاصة بي؛ إذ إنها لم تجد شيئًا يتناسب بشكل جيِّد مع فستانها الشبحي المظهر في خزانتها.



قلت: «أنتِ ستأتين معنا حقًّا!!. سيذهل مادوك».

كنت أرتدي قلادة عنق كبيرة لتغطية الكدمات التي توجد على رقبتي بسبب أصابع فاليريان التي انغرست في جلدي. وعندما جثت فيفي على ركبتيها لفصل مجموعة من الأقراط المتشابكة، شعرت بالرعب من أن تُلقي نظرة تحت سريري وترى بعض بقع الدم التي غفلت عن تنظيفها. وكنت قلقة للغاية لدرجة أنني بالكاد لاحظت ابتسامتها التي ارتسمت على وجهها.

وقالت: «أحب أن أبقي الجميع متشوقين لرؤيتي. وعلاوة على ذلك، أريد أن أتحدث مع الأميرة ريا وأرى المشهد المذهل لوجود العديد من حكام ممالك الجان في مكان واحد. ولكن الأهم من ذلك كله، أنني أريد أن ألتقي بحبيب تارين السري، وأعلم رأي مادوك في عرضه للزواج بها».

سألتها: «هل لديك أية فكرة عن هويته؟». في ظلِّ كل ما حدث، كدت أنسى أمره.

«ولا حتى تخمين وأنت؟». لقد وجدتْ ما تبحث عنه - قرط على شكل قطرات من معدن اللابرادوريت ذات لون رمادي فاتح، وقد أعطتني إياه تارين بمناسبة ذكرى ميلادي السادسة عشرة، وهو من صنع عفريت صائغ من عشيرة الجوبلن مقابل ثلاث قطع نقدية.

في بضع لحظات الفراغ، ظللت أفكر بتمعن فيمن قد يطلب يدها. فكرت في الطريقة التي جذبها بها كاردان جانبًا وجعلها تبكي. وفكرت في غمزة فاليريان لها، وفي الطريقة التي دفعتني بها بشدَّة عندما أزعجتها بشأن بالكين، على الرغم من أنني شبه متأكدة من أنه ليس هو. هام عقلي، وأردت الاستلقاء على السرير وإغلاق عينيَّ. من فضلك، من فضلك يا تارين، أرجو ألا يكون أحدهم. فليكن شخصًا لطيفًا لا نعرفه.

وذكَّرت نفسي بما قالته: أعتقد أنك ستُعجبين به.

وبعد أن التفتُّ إلى فيفي، كنت على وشك إعداد قائمة باحتمالات أكثر أمانًا عندما دخل مادوك إلى الغرفة. وكان يحمل سلاحًا رفيعًا في غمد فضي في إحدى يديه.

ثم قال وهو يومئ برأسه قليلًا: «فيفيان، أيمكن أن تمنحيني لحظة مع جود هنا؟».

قالت بنبرة شريرة بعض الشيء: «بالتأكيد، يا أبي»، وخرجت ومعها قرطي.

تنحنح بشكل محرج قليلًا، ومدَّ السيف الفضي إليَّ. كان مقبضه وعارضته غير مزخرفين، ولكن شكلهما كان أنيقًا. وكانت محفورة على طول نصله بالكامل أشكال حبات عنب بالكاد مرئية. وقال: «لديَّ شيء أود أن ترتديه الليلة. إنه هدية».

اعترتني الدهشة. لقد كان سيفًا جميلًا جدًّا، جدًّا، جدًّا. ثم تابع: «لقد كُنتِ تتدربين بدأب شديد لدرجة أنني أيقنت أنه يجب أن يكون لك. لقد أسماه صانعه سيف الظلام، لكن يمكنك بالطبع تسميته بأي اسم تريدينه، أو عدم تسميته على الإطلاق. يقال إنه يجلب الحظ العظيم، لكن الجميع يقولون ذلك عن السيوف، أليس كذلك؟ إنه من الإرث العائلي».

وتذكرت كلمات أوريانا لي: "إنه مغرم بكن يا فتيات. ومن المؤكد أنه كان يحب والدتكن كثيرًا". قلت: «ولكن ماذا عن أوك؟ ماذا لو أراده؟».

منحني مادوك ابتسامة صغيرة، وقال: «هل تريدينه؟».

قلت: «نعم». بلا تفكير. وعندما أخرجته من غمده، بدا كأنه مصنوع خصِّيصًا ليدي. وكان قوامه وتوازنه مثاليًّا، ثم أكدت: «نعم، بالطبع أريده».

قال: «هذا جيد؛ لأن هذا السيف من حقك، وقد صنعه والدك جاستين دوارتي. إنه من صنعه، وهو من سماه. إنه إرثك العائلي».

انقطعت أنفاسي للحظات. فلم أسمع من قبل اسم والدي ومادوك ينطقه بصوتٍ عالٍ. ونحن لا نتحدث عن حقيقة أنه قتل والدي. ونتفادى ذلك دومًا.



وبالتأكيد أيضًا إننا لا نتحدث عما كانا يفعلانه حينما كانا على قيد الحياة.

قلت بحذر لمجرد التَّأكُّد: «والدي صنع هذا. والدي كان هنا، في أرض الجان؟».

«نعم، ظلَّ هنا لِعدَّة سنوات. لديَّ فقط بضع قطع من صنعه. وقد وجدت قطعتين، واحدة لك والأخرى لتارين. ثم تجهَّمَ وجهه، وقال: «هذا هو المكان حيث التقت به والدتك. ثم هربا معًا عائدين إلى عالم البشر».

أخذت نفسًا مرتجفًا، واستجمعت شجاعتي لطرح سؤال دائمًا ما راودني ولكني لم أتجرأ قطُّ على التَّفوُّه به بصوتٍ عالٍ: «كيف سارت قصتهما؟». ارتعشتُ عندما خرجت الكلمات من فمي. ولا أعرف حتى إذا كنت أريده أن يخبرني عنهما. وفي بعض الأحيان كنت أريد فقط أن أكره أمي؛ ولو كان بإمكاني أن أكرهها، فلن أجد صعوبة في أن أحب مادوك.

لكنها بالطبع لا تزال والدتي. والشيء الوحيد الذي يمكنني أن أغضب منها حقًّا بسببه هو رحيلها، وهذا بالتأكيد ليس خطأها.

جلس مادوك على الكرسي الذي تشبه أرجله أرجل الماعز أمام منضدة الزينة الخاصة بي، ومدَّ ساقه المصابة، ونظر بعمق كما لو أنه على وشك أن يخبرني بقصة قبل النوم. وقال: «كانت والدتك ذكية وشابة. وبعد أن أحضرتها إلى أرض الجان، ظلَّت تتناول الشراب وترقص لأسابيع. وكانت واسطة العقد في كل حفل. لكني لم أستطع مصاحبتها دائمًا.

كانت هناك حرب في الشرق، ضد ملك أنسيلي الذي كان يحكم الكثير من الأراضي، ولا يرغب في الخضوع للملك السامي. لكنني كنت أغرق في السعادة معها عندما أكون هنا. فقد كانت لديها طريقة لجعل كل من حولها يشعرون بأن كل ما هو مستحيل يصبح ممكنًا. لقد حسبت أن هذا راجع إلى طبيعتها البشرية، لكنني لا أعتقد أنني كنت مُصيبًا. كان هناك سبب آخر. جرأتها، ربما. فلم تبدُ خائفة قطُّ، لا من السحر، ولا من أي شيء».

اعتقدت أنه قد يكون غاضبًا، لكن من الواضح أنه لم يكن كذلك. وفي الواقع، كان صوته يحمل محبة غير متوقعة على الإطلاق. فجلست بدوري على المقعد أمام سريري، مستندة إلى سيفي الفضي الجديد.

بينما استطرد هو: «وكان والدك مثيرًا للاهتمام. أعتقد أنك تظنين أني لم أكن أعرفه، لكنه جاء إلى منزلي - بيتي القديم، المنزل الذي أحرقاه - عِدَّة مرات. وتناولنا نحن الثلاثة شراب العسل في الحدائق. وكان يقول إنه يحب السيوف منذ أن كان طفلًا صغيرًا. وعندما كان في عمر قريب من عمرك، أقنع والديه بالسماح له ببناء أول ورشة للحدادة في الفناء الخلفي لمنزلهم.

وبدلًا من الذهاب إلى الكلية، وجد صانع سيوف محترفًا قَبِل أن يعمل لديه مُتدرِّبًا. من هناك، تعرَّفَ على امرأة تشغل منصب أمين مساعد في متحف. وسمحت له بالتسلل إلى المتحف بعد ساعات العمل، ما سمح له برؤية السيوف القديمة عن قرب وصقل حرفته. لكنه سمع بعد ذلك عن أنواع الأسلحة التي لا يستطيع أن يصنعها إلا الجان، لذلك جاء يبحث عنا.

لقد كان حدادًا بارعًا عندما جاء إلى هنا، وصار أكثر براعة عندما غادر. لكنه لم يستطع مقاومة التباهي بسرقة أسرارنا. وفي النهاية، وصلت القصة إلى بالكين، الذي نقلها إليَّ».

إن كان والدي قد تحدث بالفعل مع مادوك، فلا بُدَّ أنه عرف حق المعرفة أنه لا يستطيع التباهي بالسرقة منه. لكنني عرفت شوارع عالم البشر، وعلمت مدى بعدها عن عالم إلفهايم. ومع مرور السنوات، من المؤكد أن وقته في أرض الجان بدا له كحلم بعيد.

قال مادوك: «هناك القليل من الخير داخلي. لكنني مدين لك بِدَيْن مُعيَّن وقد أقسمت على أن أبذل قصارى جهدي حتى أعرف كيف أرده».

نهضت، وعبرت الغرفة لأضع إحدى يديَّ المغطاة بقفاز على بشرة وجهه الخضراء الشاحبة، فأغمض عينيه الشبيهتين بعيون القطط. لا أستطيع أن أغفر له، لكن لا أستطيع أن أكرهه أيضًا. وقفنا هكذا للحظة طويلة، ثم رفع ناظريه إلى وجهي، وأمسك يدي غير المضمدة وقبَّل ظهرها، واضعًا فمه على القماش.

وقال لي: «بعد اليوم، ستكون الأمور مختلفة. سأنتظرك في العربة».

ثم تركني. فرفعت رأسي، وتشتَّتتْ أفكاري. ولكنني عندما نهضت، ربطت سيفي الجديد حول خصري. إنه بارد وصلب في يدي، وثقيل كالوعود.







الفصل 20



كان أوك يرتدي ملابس خضراء، ويرقص أمام العربة. وعندما رآني، ركض باتجاهي، وأرادني أن أحمله، ثم ركض لمداعبة الخيول قبل أن أحمله. إنه طفل جني، ولديه أهواء أطفال الجان المتقلبة.

كانت تارين جميلة في ثوبها المطرز، وفيفي تشع باللون الرمادي البنفسجي الخافت، وعلى ثوبها فراشات مُطرَّزة تبدو كأنها تطير من كتفها عبر صدرها حتى تتجمع مرة أخرى على أحد جانبي خصرها. وأدركت أنني نادرًا ما أراها في ملابس رائعة للغاية. كان شعرها مُصفَّفًا لأعلى، والقرط يبرق في أذنيها المكسوتين بالشعر قليلًا، بينما تلمع عيناها الشبيهتان بعيون القطط في الضوء الخافت، وهي شبيهة تمامًا بعيني مادوك. ولأوَّلِ مرة، جعلتني هذه الملاحظة أبتسم. أخذت يد تارين بيدي السليمة، فاعتصرتها بقوة. وتبادلنا الابتسام كالمتآمرين لأول

مرة.

في العربة، كانت هناك سلة مليئة بالطعام، وهذا تصرُّف ذكي من شخص ما؛ فلا أحد منا تذكر أن يتناول ما يكفيه من الطعام طوال اليوم. خلعت أحد القفازين، وأكلت لفافتين صغيرتين من الخبز الخفيف جدًّا لدرجة أنه بدا كأنه يذوب على لساني. وفي وسط كل لفافة منهما كانت توجد كتلة من الزبيب والمكسرات مع العسل، وكانت حلاوتها كافية لإسالة الدموع في عيني. ومدَّ إليَّ مادوك قطعة جبن صفراء باهتة اللون وشريحة لا تزال دامية من لحم الغزال المُتبَّل بالعرعر والفلفل. وتناولنا الطعام سريعًا.

ولمحت قبعة مادوك الحمراء، وقد برز نصفها من جيبه الأمامي. وميداليته الخاصة التي على ما أعتقد، يرتديها في المناسبات الرسمية.

ولم تتبادل أي حديث له قيمة في هذه الأثناء. ولا أعرف ما الذي يفكر فيه الآخرون، لكنني فجأة أدركت أنني سأضطر إلى أداء الحركات الإيقاعية. وأنا سيئة للغاية في ذلك؛ لأنني لم أتدرَّب إلَّا في الدروس التي كان يغلب عليها شعوري بالحرج وخيبة الأمل في المدرسة مع تارين.

ثم فكرت في الشبح والصرصور والقنبلة، وفي محاولة حماية داين من أي شيء يخطِّط له بالكين. وتمنيت أن أعرف ماذا عليَّ أن أفعل، وكيف أساعدهم.

اقتل حامل هذه الرسالة.

نظرت إلى مادوك وهو يتناول شرابًا حارًّا منعشًا. يبدو مُرتاحًا تمامًا، وغير مدرك تمامًا - أو غير مكترث - لفقدان أحد جواسيسه.

تسارعت نبضات قلبي. وظللت أُذكِّر نفسي بألا أمسح يدي في ثوبي خوفًا من تلطيخه بالطعام. وفي النهاية، أخرجت أوريانا بعض المناديل المبللة بماء الورد والنعناع لننظِّف



أنفسنا بها. وأدى هذا إلى بعض الشغب، حيث حاول أوك تجنُّب تنظيفه. لكن لم تكن هناك مساحة كبيرة ليركض في العربة، لكنه جعل المطاردة تستمر فترة أطول مما نظن، وقد داس

على ملابسنا جميعًا فيما كان يفعل ذلك.

كنت مُشتَّتةً للغاية لدرجة أنني لم أستعد بشكل تلقائي عندما مررنا مباشرة بالمدخل الحجري للقصر. وقد توقفنا حتى قبل أن ألاحظ أننا وصلنا. ثم فتح أحد الخدم الباب، فرأيت باحة القصر كلها تحتشد بأنغام الموسيقى والأصوات والسرور. وكانت هناك شموع - الكثير منها، كأنها أشجار غابات - تذوب وتصنع أشكالًا مثل أشجار أكلها النمل الأبيض. كانت الشموع ترتكز على أغصان أشجار، وتومض ألسِنة اللهب مع الهواء الذي يدفع نسماته حفيف الفساتين العديدة التي تمر تحتها. فيما تصطف شموع على الجدران مثل الحراس، وتتجمع في تشكيلات محكمة فوق الصخور فتُضيء التل.

همست لي تارين قائلةً: «هل أنت مستعدة؟». قلت بلهفة: «نعم».

خرجنا من العربة، وأخرجت أوريانا سلسلة فضية صغيرة ثبتتها بمعصم أوك - وهذا كان أكثر إثارة لذهولي من أسوأ فكرة خطرت ببالي عنها، على الرغم من أنه ظلَّ يئن، وجلس في التراب احتجاجًا - مثل قطة.

نظرت فيفيان حولها في الباحة، وكان هناك شيء وحشي في نظرتها واتَّسع منخراها. وسألت مادوك: «هل من المفترض أن نُقدِّم أنفسنا للملك السامي مرة أخرى؟».

فأعطى إيماءة بسيطة برأسه، وقال: «كلا. سيجري استدعاؤنا عندما يحين دورنا في تقديم قَسَم الولاء. وحتى ذلك الحين، يجب أن أقف بجانب الأمير داين. وعلى الباقين أن يستمتعوا بوقتهم إلى أن تدق الأجراس، ويبدأ فال مورين الحفل. ثم تعالوا إلى قاعة العرش لتشهدوا مراسم التتويج. وسأجعلكم بالقرب من المنصة؛ حتى يستطيع فرساني الاعتناء بكم».



التفتُّ إلى أوريانا مُتوقِّعةً خطبة أخرى لتحذيرنا من عدم الوقوع في مشكلة، أو حتى خطبة جديدة عن إبقاء ساقيَّ مضمومتين حينما أكون بقرب العائلة المالكة، لكنها كانت مشغولةً جدًّا بالتَّوسُّل لأوك كي يبتعد عن الطريق.

قالت فيفي، وهي تجذبنا أنا وتارين معها: «دعونا نحتفل». ثم هربنا إلى الزحام، وبعد

لحظات، غرقنا فيه.

كان قصر إلفهايم يغص بالناس. حيث اختلط الجان البريون من غير الحلفاء ورجال الحاشية والملوك معًا. وتحدث أبناء عشيرة السيلكس من بلاط ملكة البحار أورلاج معًا بلغتهم الخاصة، فيما تتدلى جلودهم من أكتافهم مثل الأردية. وقد لمحت روبيين حاكم مملكة النمل الأبيض، روبيين الذي قيل إنه قتل حبيبته للفوز بالعرش. كان يقف بالقرب من إحدى الطاولات الممتدة. حتى وهو واقف في الصالة الضيقة كانت هناك مساحة فارغة حوله، كما لو أن أحدًا لا يجرؤ على الاقتراب منه أكثر من اللازم. كان شعره أبيض كلون الملح. وثيابه سوداء بالكامل، ويضع على فخذه سيفًا مُقوَّسًا فتَّاكًا. وعلى نحو متفاخر، كانت تقف بجانبه جنية ذات بشرة خضراء ترتدي ما يبدو كثوب رمادى لؤلئي. وحذاءً ثقيلًا برباط - أي ملابس بشرية بشكل واضح. وتقف على جانبي الجنية فارستان ترتديان ثيابًا سوداء كثياب الحاكم، وكان لإحداهما شعر قرمزي مُضفَّر على شكل تاج على رأسها. إنها دولكمارا التي أعطتنا دروسًا عن تقاليد التتويج وتاريخه.

كان هناك آخرون، شخصيات سمعت عنها في القصص والأغاني الشعبية: كانت رو سيلفر من نيو أفالون، التي اقتطعت جزيرتها من ساحل كاليفورنيا. تتحدث إلى نجل ألدركينج المنفي، سيفيرين، الذي قد يحاول التحالف مع الملك السامي الجديد، أو ربما الانضمام إلى مملكة اللورد روبيين الذي كان يقف بدوره مع صبي بشري أحمر الشعر في مثل عمري تقريبًا، ما جعلني أتوقف لبرهة لتفحصهما. هل الصبي خادمه؟ هل هو مسحور؟ لم أستطع أن أعرف من مجرد الطريقة التي ينظر بها حوله في القاعة، لكن عندما رآني أحدِّق إليه. ابتسم.

فالتفتُّ بعيدًا بسرعة.

وعندما فعلت ذلك، تحرَّكَ جان السيلكس، ورأيت شخصًا آخر معهم. كانت فتاة ذات بشرة رمادية وشفتين زرقاوين، يتدلى شعرها على وجهها وعينيها الغائرتين. لكنني مع كل ذلك، تعرَّفت عليها. إنها صوفي!!!. لقد سمعت قصصًا عن جان البحار الذين يحتفظون بالبحارة الغارقين، لكنني لم أصدقها. وعندما تحرَّكَ فمها، رأيت أسنانها الحادَّة. فسرت قشعريرة في كتفيَّ.

ومشيت خلف فيفي وتارين. وعندما نظرت إلى الخلف، لم أرَ صوفي، ولا أعلم تمامًا ما إذا كنت أتخيَّلها أم رأيتها حقًّا.

ثم مررنا بكلبين من كلاب الجان أحدهما من فصيلة شاجفول، والآخر من فصيلة بارجست. كان الجميع يضحكون بصوتٍ عالٍ ويرقصون بحماس وعندما مررت بأحد المدعوين الذي كان يرتدي قناع عفريت، رفعه وغمز لي بعينه. إنه الصرصور.

قال: «لقد سمعت بشأن الليلة الماضية. أحسنتِ عملًا. والآن أبقِ عينيك منتبهتين لأي شيء يبدو غريبًا. وإذا كان بالكين سيتحرَّك ضد داين، فسوف يفعل ذلك قبل بدء مراسم الاحتفال».

قلت: «سأفعل». وقد حدث ذلك بعد أن ابتعدت عن أختيَّ لأتحدث معه للحظة.

وفي حشد بهذا الحجم، من السهل أن تغيب عن الأنظار لفترة وجيزة.

ثم استطرد: «حسنًا. لقد جئت لأرى بعيني الأمير داين يفوز بالتاج بالإضافة إلى أنني أريد مشاهدة النبلاء يتقافزون في رقصهم ويبدون كالحمقى». ومدَّ يده لسترته البنية المائلة إلى الخضرة، وأخرج قارورة فضية ثم رفع سدادتها وأخذ رشفة كبيرة.

بعدها مدَّ القارورة إليَّ بيد خضراء مائلة إلى اللون الرمادي وذات مخالب. ومن هذه المسافة أيضًا، كنت أستطيع أن أشم رائحةً ما في داخلها. رائحة نفَّاذة وقوية ونتنة قليلًا. فقلت بسرعة، وأنا أهزُّ رأسي رفضًا: «لا أريد».

فقال، وهو يضحك: «بالطبع لا تريدين»، ثم أنزل قناعه على وجهه مرة أخرى.



ظللت مُبتسِمةً بعد مغادرته وانجرافه بين الحشود. فمجرد رؤيته ملأتني بإحساس بالانتماء إلى هذا المكان أخيرًا، فهو والشبح والقنبلة ليسوا أصدقائي على وجه التحديد، لكن يبدو في الواقع أنهم يحبونني، وأنا أميل إلى مبادلتهم هذا الشعور. إن لديَّ مكانًا بينهم، وتجمعني بهم غاية.

سألت فيفيان وهي تُمسك بي بقوة: «أين كُنتِ؟ أنتِ بحاجة إلى أن تُعلَّق بكِ سلسلة مثل سلسلة أوك. تعالي، سوف نرقص».

رقصت في دائرة معهما. وكانت هناك موسيقى في كل مكان، تحثُّ على الرقص بخفة. يقولون من المستحيل مقاومة جاذبية موسيقى الجان، وهذا ليس صحيحًا تمامًا. لكن المستحيل هو التوقف عن الرقص بمجرد أن تبدأ، ما دامت الموسيقى مستمرة. وهي مستمرة طوال الليل، وتُتبع الرقصة بالرقصة التالية وتلي الأغنية أغنية أخرى دون توقف لالتقاط أنفاسك. من المبهج أن تنغمس في الموسيقى، وأن تنجرف بعيدًا مع مدها وبالطبع، تستطيع فيفي – لأنها واحدة منهم - أن تتوقَّف وقتما تشاء. ويمكنها أيضًا إخراجنا من وسط حلقة الرقص متى ساءت الأمور؛ لذا فالرقص معها يكاد يكون آمنًا. ولا يعني ذلك أن فيفي تتذكَّر دائمًا فعل الشيء الآمن.

لكن في الحقيقة، أنا آخر من يسعه أن ينتقد شخصًا على ذلك.

شبَكنا أيدينا وانضممنا إلى حلقة الرقص، وظللنا نقفز ونضحك. وبدت الأغنية كأنها تثير دمي، وتحركه في عروقي بالإيقاع الحماسي نفسه، وبالنغمات العذبة نفسها. ثم تفكَّكت الحلقة، وبطريقة ما صرت أمسك بيدي لوك الذي أخذني في دوامة تصيب بالدوار.

وقال لي: «أنتِ جميلة جدًّا مثل ليالي الشتاء».

وابتسم ونظر إليَّ بعينيه اللتين تشبهان عيني الثعلب. وكان شعره البني المائل إلى الحُمرة يلتف حول أذنيه المدببتين. ومن شحمة أذنه، يتدلى قرط ذهبي، يعكس ضوء الشموع مثل المرآة. إنه شخص وسيم، ووسامته من النوع السامي الذي يحبس الأنفاس.

قلت له: «أنا سعيدة لأن الثوب أعجبك».

فسألني على نحو مفاجئ: «أخبريني، أيحتمل أن تحبيني؟». قلت: «بالطبع». وضحكت وأنا لا أعلم ما الإجابة التي من المفترض أن أرد بها.

لكن السؤال صيغ بطريقة غريبة للغاية لدرجة أنني لا أكاد أستطيع أن أجيب بالنفي. أنا أحب قاتل والديَّ. وأفترض أنني أستطيع أن أحب أي شخص. وأودُّ فعلًا أن أحبه.

وقال: «أتساءل. ما الذي يمكنك فعله من أجلي؟».

فقلت: «لا أعرف ماذا تقصد». هذا الشخص الغامض ذو العينين الجامدتين ليس هو لوك الذي وقف على سطح منزله، وتحدث معي بلطف، أو الذي طاردني وهو يضحك في قاعات منزله. ولا أعرف جيِّدًا من يكون لوك هذا الواقف أمامي، لكنه أفقدني توازني تمامًا.

وقال: «أيمكنك أن تقطعي لي وعدًا؟». وابتسم لي كأنه يمازحني.

قلت له: «أي وعد؟». فأخذ بيدي وجعلني أدور من حوله، فدار نعلي الجلدي على الأرض المزدحمة. وعلى مسافة منا، بدأ أحد الزمارين في العزف.

فردَّد بمرح وخفة: «أي وعد»، مع أن ما يطلبه، في جوهره، ليس بالشيء السهل.

قلت: «أعتقد أن الأمر يعتمد على ما تطلبه». لأن الإجابة الحقيقية، وهي لا، ليست بالإجابة التي يريد أي شخص سماعها.

قال: «هل تحبينني بما يكفي لتتخلي عني؟». أنا متأكدة من أن تعبيرات وجهي دلَّت على الصدمة. فمال نحوي أكثر، وقال: «أليس هذا اختبارًا للحب؟».

قلت: «أنا... أنا لا أعرف. ولا بُدَّ أن يؤدي كل هذا إلى إعلان من جانبه. إما عن وجود الحب أو انعدامه.



«هل تحبينني بما يكفي لتبكي لفراقي؟» قال هذه الكلمات وقد تقاربنا جدًّا. وكنت أشعر بأنفاسه، ما جعل خصلات شعره الصغير تنتصب، وجعلني أرتعش لهذا المزيـج الغريب من الشعور بالهيام والانزعاج.

قلت: «أتقصد إذا تأذيت؟».

قال: «أقصد إذا آذيتك أنا».

شعرت بتنميل في جلدي. ولم أحب هذا الشعور. لكني على الأقل كنت أعرف ما ينبغي أن أقول: «إذا آذيتني، فلن أبكي. سأؤذيك».

تعثرت خطواته ونحن ندور بخفة على الأرض، وقال: «أنا متأكد من أنك...».

ثم قطع كلامه، ونظر خلفه، وأنا أكاد لا أستطيع التفكير. لقد احمرَّ وجهي حياءً، وكنت أخشى مما سيقوله بعد ذلك.

قال صوت ما: «حان الوقت لتغيير الشركاء في الرقص»، فنظرت ورأيت أسوأ شخص ممكن: كاردان الذي قال للوك: «أوه. هل أفسدت لحظتكما؟».

كانت نبرته غير ودية، وعندما فكرت في كلماته، شعرت بالضيق.

تركني لوك لأصغر أمراء الأسرة المالكة سنًّا، كما هو متوقع، بدافع الاحترام. ورأيت من زاوية عيني أن تارين تراقبنا. كانت تقف مُتجمِّدةً في منتصف الحفل، وتبدو تائهة بينما يرقص الجان من حولها، ويتمايلون مع شركائهم في الرقص في دوامات تصيب بالدوار. وتساءلت عما إذا كان كاردان قد أزعجها قبل أن يزعجني.

لقد أمسك يدي الجريحة في يده. كان يرتدي قفازات سوداء، وكان ملمس جلدها دافئًا رغم وجود قفازي الحريري فوق أصابعي. كما كان يرتدي بدلة سوداء، ويغطي ريش الغراب النصف العلوي من سترته، وكان حذاؤه ذا أسنان معدنية مدببة بشكل مفرط يجعلني أدرك





كم من السهل عليه أن يركلني بوحشية بمجرد أن نبدأ الرقص، وفوق جبينه، كان يضع تاجًا من الأغصان المعدنية المنسوجة، وقد أماله قليلا على أحد جانبيه. وارتسمت خطوط بلون فضي داكن على عظام وجنتيه، وخطوط سوداء على طول رمشيه. ورمشه الأيسر كان مُلطَّخًا كأنه نسي ومسح عينه هذه.

سألته، وأنا أجبر الكلمات على الخروج من حلقي: «ماذا تريد؟». وظللت أفكر في لوك، وأتقلَّب بين معاني ما قاله، وما لم يقله. وقلت: «هيا. فلتُهني».

فارتفع حاجباه في استنكار، وقال بابتسامته القاسية المعتادة: «أنا لا أخذ أوامر من بشر».

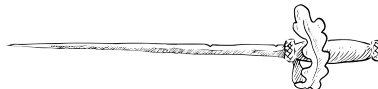
قلت: «إذن، ستقول شيئًا لطيفًا؟ لا أظن ذلك، فالجان لا يستطيعون الكذب». وأردت أن أكون غاضبة، لكن ما شعرت به حينها هو الامتنان، ولم يَعُد وجهي مُحمَرًّا من الخجل، وعيناي لا تؤلمانني. صرت مستعدة للعراك، وهذا بالنسبة لي أفضل كثيرًا. ومع أنني متأكدة من أن هذا هو آخر شيء يقصده، فقد قدَّمَ لي معروفًا كبيرًا عندما أخذني من لوك.

ثم انزلقت يده على خصري إلى الأسفل. فضيَّقت عينيَّ. وسألني وابتسامته تزداد اتِّساعًا: «أنت تكرهينني جدًّا، أليس كذلك؟».

قلت، وأنا أفكر في الورقة التي كتب فيها اسمي: «بقدر ما تكرهني تقريبًا». وفكرت في الطريقة التي نظر بها إليَّ عندما أفرط في الشراب في متاهة الشجيرات. والطريقة التي ينظر بها إليَّ الآن.

ثم ترك يدي. وقال، وهو ينحني انحناءة لم أشعر فيها إلا بالاستهزاء: «فلنفترق مُؤقَّتًا، وإلى أن نتجادل مرة أخرى».

راقبته وهو يسير مُترنِّحًا بين الحشود، ولم أدرِ ما الغاية من هذه المحادثة.



قُرِعت الأجراس إيذانًا ببدء مراسم الحفل. وأوقف العازفون آلات الكمان والقيثارات. وللحظة طويلة، صار كل من في التل صامتين ومنصتين، ثم انتقلوا إلى أماكنهم. ومن ناحيتي اندفعت إلى الأمام حيث يجتمع بقية النبلاء في بلاط الملك السامي، فهناك ستوجد عائلتي. كانت أوريانا موجودة هناك بالفعل، وتقف بجانب أحد أفضل فرسان مادوك، وتبدو كأنها تتمنى أن تكون في أي مكان آخر. بينما تخلَّصَ أوك من قيده وحملته تارين على كتفيها. وكانت تهمس بشيء للوك وهو يضحك.

توقفت عن الحركة. وكان الحشد من حولي يتدفق، لكنني تجمدت في مكاني عندما مالت تارين نحوه، ودفعت قليلًا من الشعر خلف أذن لوك.

كان هناك الكثير من المعاني في تلك الحركة البسيطة. وحاولت أن أجعل نفسي أصدق أنها لا تعني شيئًا، لكن بعد المحادثة الغريبة التي أجريناها، لم أستطع ذلك. لكن تارين لديها حبيب، وسيطلب يدها الليلة. وهي تعلم أنني أنا ولوك... أيًّا كان ما بيننا.

هل تحبينني بما يكفي لتتخلي عني؟ أليس هذا اختبارًا للحب؟

خرجت فيفيان من الحشد، وعيناها اللتان تشبهان عيون القطط تلمعان وشعرها سائب حول وجهها. ثم أخذت أوك بين ذراعيها وظلَّا يرقصان ويدوران إلى أن سقط كلاهما بعد تعثرهما بثوب فيفي. كان ينبغي أن أتحقَّق من المشهد الذي صدمني، لكنني لم أفعل.

لا أستطيع مواجهة تارين بعد، ليس وأنا عاجزة عن إخراج أفكار الخيانة هذه من رأسي.

وبدلًا من ذلك، توقفت، وشاهدت العائلة المالكة تتجمع على المنصة. جلس الملك السامي على عرشه المُكوَّن من الأغصان المتشابك بعضها مع بعض، مرتديًا التاج الثقيل، وناظرًا بوجهه المجعد بعمق وعينيه البرونزيتين مثل عيني البومة. فيما جلس الأمير داين على كرسي خشبي متواضع بجانبه مرتديًا ملابس بيضاء بالكامل، وقدماه كانتا حافيتين، وكانت يداه عاريتين. وخلف العرش، وقف بقية أفراد العائلة المالكة - بالكين، وإلوين، وريا، وكايليا. حتى

تانيوت، والدة الأمير داين، كانت حاضرة بثوب من الذهب اللامع. وعضو العائلة الوحيد الذي كان غائِبًا هو كاردان.

وقف الملك السامي إلدريد، بينما كان كل من في التل صامتين. وقال: «لقد طال حُكمي، لكنني اليوم سأتنحى عن حكمكم». وتردَّد صدى صوته عبر التل. فنادرًا ما تحدث الملك بهذه الطريقة من قبل إلى تجمع كبير منا، وأنا كنت مندهشة من قوة صوته وضعف جسده: «عندما شعرت لأول مرة بالرغبة في البحث عن أرض الموعد، كنت أعتقد أنها رغبة عابرة وستزول، لكنني لم أعد أقاومها. واليوم، لن أصبح ملكًا بعد الآن، بل سأصبح طوافًا».

ومع أن كل شخص هنا يعرف بالتأكيد أن هذا ما تجمعنا من أجله، كانت هناك صيحات دهشة من حولي. وبدأ أحد الأشباح بالبكاء مائِلًا على شعر أحد أفراد عشيرة البوكا له رأس ماعز.

وتقدَّمَ شاعر البلاط ووكيل الملك "فال مورين" من جانب المنصة. وهو أحدب، طويل القامة، وشعره الطويل مليء بالعصي، ولديه غراب مقنع جاثم على كتفه. ويتكئ بشدَّة على عصا من الخشب الأملس في قمتها زهور تتفتح كما لو أنها لا تزال على قيد الحياة. ويشاع أنه تعرَّضَ للاستدراج من بلاد البشر إلى قصر إلدريد عندما كان شابًّا. وأتساءل ماذا سيفعل الآن دون ملكه.

قال: «نحن نكره السماح لك بالرحيل، يا مولاي». وبدت الكلمات كأنها تصدر رنينًا حلوًا ومرًّا في الوقت نفسه وبشكل خاص وهي تخرج من فمه.

فرفع إلدريد يديه، فاهتزَّت أغصان العرش وبدأت النمو، وخرجت براعم خضراء جديدة منها والتفت في الهواء، واستطالت الأوراق ونبتت على طولها الزهور. كما بدأت جذور السقف في التلوي، وامتدت مثل الكروم، وزحفت عبر الجانب السفلي من التل. كانت هناك رائحة في الهواء مثل نسيم الصيف. مليئة بعطر أزهار التفاح. ثم قال: «سيقف شخص آخر في مكاني. أطلب منكم إعفائي من منصبي».



فهتف الجان المجتمعون بصوتٍ واحد، مما أذهلني. قالوا: «أعفيناك». وتردد صدى الكلمة من حولي.

فترك الملك السامي رداء المُلك الثقيل يسقط من كتفيه. وسقط على الأرضية الحجرية ككومة مُرصعة بالجواهر. وخلع تاج أوراق البلوط عن رأسه. وبالفعل، وقف بشكل أكثر استقامة، وكانت تشع منه حماسة مُقلقة. لقد كان إلدريد الملك السامي لإلفهايم لفترة أطول من أبعد ذكريات العديد من الجان. وكثيرًا ما بدا لي مُسِنًّا للغاية، لكن يبدو أنه طرح أمارات الكبر عن كاهله إلى جانب رداء الحكم.

وسأله فال مورين: «من ستضعه مكانك ليكون ملكنا السامي؟».

قال إلدريد: «مولودي الثالث، ابني داين. تقدَّم يا بني». نهض الأمير داين من مكانه المتواضع على الكرسي. وأزالت والدته الملابس البيضاء التي تغطيه وتركته شبه عارٍ. فطرفت عيناي مرة واحدة فأنا معتادة قدرًا مُعيَّنًا من العري لدى الجان، ولكن ليس بين أفراد العائلة المالكة. وعندما وقف بجانب الباقين الذين يرتدون الديباج الثقيل والملابس الفاخرة المطرزة، بدا ضعيفًا بشكل لا يُصدق.

وتساءلتُ عما إذا كان يشعر بالبرد. وفكرت في يدي المصابة، وأملت ذلك.

سأله فال مورين: «هل تقبل؟» والغراب المقنع على كتفه يرفع جناحيه ذوي الأطراف السوداء، ويضرب بهما الهواء. ولم أدرِ ما إذا كان من المفترض أن يكون ذلك جزءًا من مراسم الحفل.

قال داين بجدية: «سوف أتحمَّل عبء التاج وشرفه»، وفي تلك اللحظة، أصبح عريه شيئًا آخر، أصبح علامة على القوة. ثم أكد: «سآخذه».

قال فال مورين: «يا أفراد بلاط أنسيلي، يا ضيوف شرف الليلة، تعالوا وادهنوا ونصِّبوا أميركم».

فخرج جني هائل الحجم من عشيرة البوجان وشق طريقه المزدحم إلى المنصة المرتفعة. كان جسده مغطى بشعر ذهبي كثيف، وكانت ذراعاه طويلتين بما يكفي لجرهما على الأرض إذا لم يثنهما. وبدا قويًّا بما يكفي لشق الأمير داين إلى نصفين. وحول خصره كان يرتدي ثوبًا من الفراء المرقع، وفي إحدى يديه الضخمتين يحمل ما يشبه محبرة.

ثم دهن ذراع داين اليسرى بدوائر طويلة من الدم المتجلط، ورسمها على بطنه، وأسفل ساقه اليسرى، ولم يرتعش الأمير. وعندما انتهى جني البوجان، تراجع ليُبدي إعجابه بعمله اليدوي المروع، ثم أعطى انحناءة بسيطة لإلدريد.

ثم قال فال مورين: «يا أفراد بلاط أنسيلي، يا قوم الشفق، تعالوا وادهنوا أميركم».

فخرج صبي صغير الحجم، يرتدي عباءة تشبه لحاء شجرة البتولا، وشعره غير المصفف

يبرز من زوايا غريبة، وسار إلى المنصة. كان على ظهره جناحان صغيران ذوا لون أخضر فاتح. وعندما دهن الجانب الآخر لجسد داين، فإنه رسمه على شكل مساحات كثيفة من حبوب اللقاح، التي بدت صفراء مثل الزبد.

ثم قال فال مورين: «أيها الجان البريون، أيها القوم الخجولون، تقدموا وادهنوا أميركم».

تقدَّمَ في هذه المرة عفريت في بدلة صغيرة أنيقة محاكة بعناية. وحمل معه حفنة من الطين، ثم لطَّخَ بها منتصف صدر الأمير داين، فوق قلبه مباشرة.

وفي النهاية، لمحت كاردان وسط الحشد وهو يتمايل، وبإحدى يديه قارورة شراب. لقد بدا أنه أفرط في الشراب بشكل مبالغ فيه. وعندما استعدت منظر بقعة اللون الفضية على وجهه والطريقة التي انزلقت بها يده على خصري أعتقد أنه كان قد بدأ يغيب عن وعيه ويفقد اتِّزانه. وشعرت بارتياح كبير لا يخلو من خبث؛ لأنه لم يقف مع العائلة المالكة في أهم لحظة للمملكة منذ قرون.

لكنني أعتقد أنه سوف يُحدث الكثير من المتاعب.



ثم قال فال مورين: «من سيكسو الملك؟». وبدورهن أحضرت له كل واحدة من أختيه ثم والدته سترة بيضاء وسروالًا مصنوعًا من الجلد، وطوقًا من الذهب، وحذاء عاليًا من جلد الماعز. كان يشبه ملكًا من القصص الخيالية. ملكًا سيتسم حكمه بالعدل والحكمة. وتخيَّلت الشبح واقفًا فوق العوارض الخشبية والصرصور في قناعه وهما يشاهدانه بفخر وشعرت بقدر من ذلك الفخر؛ لأنني موالية له.

لكن لا يمكنني أن أنسى كلماته لي: أنتِ ملكي يا جود دوارتي.

ولمست بيدي الجريحة مقبض سيفي الفضي. السيف الذي صنعه أبي. وبعد هذه الليلة، سأكون جاسوسة للملك السامي وعضوة حقيقية في حاشيته. وسأكذب على أعدائه، وإذا لم ينجح ذلك، فسوف أجد طريقة لفعل شيء أسوأ. وإذا تحداني أو أزعجني، حسنًا، سأجد طريقة للتغلب على ذلك أيضًا.

ثم ضرب فال مورين طرف عصاه بالأرض بقوة، فشعرت بصداها، ثم قال: «ومن سيضع التاج على رأسه؟».

ارتسمت على وجه إلدريد تعبيرات الفخر ولمع التاج في يديه المتشابكتين وكان مُتوهِّجًا كما لو أن ضوء الشمس ينبعث من المعدن نفسه. وقال: «أنا من سيفعل هذا».

في تلك اللحظة غيَّرَ الحراس تشكيلتهم بمهارة؛ فربما كانوا يستعدون لمرافقة إلدريد إلى خارج القصر. وصار عدد الفرسان عند أطراف الحشد أكبر مما كان عليه عندما بدأ حفل التتويـج.

ثم تحدث الملك السامي، وقال: «تعال يا داين. اركع أمامي».

فانحنى ولي العهد أمام والده والحاضرين.

ثم انتقل نظري إلى تارين التي لا تزال تقف مع لوك. وكانت أوريانا تلف ذراعها حول أوك، بينما كان أحد مساعدي مادوك ينحني للتحدث معها. وأشار إلى أحد المداخل، فقالت شيئًا لفيفي، ثم سارت نحو هذا المدخل. وتبعها كل من تارين ولوك. فصررت على أسناني، وبدأت

شقَّ طريقي عبر الحشد إليهم. فلم أرد أن أسيء إلى نفسي مثل كاردان بعدم الوجود في المكان الذي يفترض أن أكون فيه.

ثم قطع صوت فال مورين حبل أفكاري. وقال: «وهل ستقبلون، يا قوم إلفهايم، الأمير داين ملكًا لكم؟».

فارتفعت هتافات من الحشد تصيح بنبرات ابتهاج وتهليل: «نقبل».

حينئذٍ توجَّهت نظراتي إلى الفرسان المحيطين بالمنصة. ولو قدر لي الأمر، لكنت واحدة منهم الآن. ولكن حينما استقرت عيناي هناك، لاحظت وجوهًا مألوفة. إنهم أفضل قادة مادوك، ومحاربون موالون له بشدة.

ولم يكونوا يرتدون زيهم الرسمي. بل كانوا يرتدون زي جرينبريال مع الدروع اللامعة. ربما كان مادوك حريصًا فحسب، ومن ثم فإنه وضع أفضل رجاله في الأماكن المناسبة. لكن الجاسوسة التي قتلتها، صاحبة الرسالة القاتلة والساخرة في الوقت نفسه، كانت تابعة لمادوك أيضًا.

لقد غادرت أوريانا وأوك وأختاي. حيث اصطحبهم أحد مساعدي مادوك إلى خارج منطقة التل عندما أصبحت المنصة ذات حراسة أكثر شدة. لديَّ خطة لضمان مستقبلنا. أحتاج إلى العثور على الصرصور. أحتاج إلى العثور على الشبح. أريد أن أخبرهما بأن هناك شيئًا ما خاطئًا.

الخبير الاستراتيجي المتمرس ينتظر الفرصة المناسبة.

لقد دفعت وأنا في طريقي مسرعة ثلاثة من جان الجوبلن، وقزمًا، وواحدًا من الجان الساكنين. وزمجر أحد جان السبريجان في وجهي، لكنني لم أكترث به. كانت مراسم التتويج على وشك الانتهاء، ورأيت الكئوس والأقداح تُملأ من جديد.



وعلى المنصة، ترك بالكين مكانه مع الأمراء والأميرات الآخرين وللحظة، ظننت أن هذا جزء من الحفل... إلى أن أخرج سيفًا طويلًا رفيعًا، سيفًا تعرَّفت عليه من مبارزته المرعبة مع كاردان، فتوقّفت عن الحركة.

قال له الأمير داين لائمًا: «أخي».

فردَّ بالكين: «أنا لا أقبل بك ملكًا. وجئت لأتحداك على التاج». وفي جميع أنحاء المنصة، رأيت فرسانًا يستلُّون سيوفهم.

ولم يكن إلوين، ولا إلدريد، ولا أي من الباقين - لا فال مورين أو تانيوت، أوريا - يحمل سلاحًا. فقط كايليا أخرجت سكينًا من صدريتها وكانت أصغر من أن تكون ذات فائدة.

أردت أن أستل سيفي، لكن الجميع كانوا متدافعين ومحتشدين بشدة. قال إلدريد بصرامة: «بالكين يا بني. لا يصح للمملكة العليا أن تكون مثل الممالك الدنيا ليس لدينا إرث بالدم. ولن تجبرني مبارزتك مع أخيك على وضع التاج على رأسك الذي لا يستحقه. ارضَ باختياري. ولا تهن نفسك أمام جميع الجان».

قال بالكين: «هذا بيننا فقط. لا توجد مملكة عليا الآن. لا يوجد سوانا نحن والتاج». ولم يكترث بحديث والده.

قال داين مُشيرًا إلى الفرسان المتجمعين بكثافة حول المنصة، في انتظار الأوامر: «لست بحاجة إلى محاربتك، بل إنك لا تستحق مثل هذا الشرف». كان مادوك من بينهم، لكنني لم أكن قريبة بما يكفي لأرى أكثر من ذلك.

«إذن، خذ هذه يا صاحب الشرف». ومشى بالكين خطوتين ومد ذراعه بالسيف. ولم ينظر حتى في الاتجاه الذي دفع ذراعه فيه، لكن سيفه أصاب حلق إلوين. فصرخ شخص ما، ثم صرخ الجميع. وللحظة، بدا الجرح مجرد بقعة دامية، ثم تدفَّقَ الدم كنهر أحمر. فمالت





الأميرة إلى الأمام، ثم سقطت على يديها وركبتيها. وتحوَّلَ النسيج الذهبي والأحجار الكريمة المتلألئة التي ترتديها إلى اللون القرمزي.

لقد حدث ذلك بسبب وخزة من سيف بالكين، مجرد تلويحة بلا مبالاة. رفع إلدريد يده. وأظن أنه كان يحاول استحضار السحر نفسه الذي جعل الجذور تنمو، وجعل أغصان العرش تتبرعم وتلتف. لكن تلك القوة كانت قد زالت. لقد تنازل عنها مع مملكته. وبدلًا من ذلك، صارت أزهار العرش المتفرعة حديثًا بنية وذبلت.

وطار الغراب الذي على كتف فال مورين، وظلَّ ينعق وهو يطير باتجاه الجذور المتدلية من السقف المُجوَّف للتل.

قال داين بنبرة يتوقَّع صاحبها أن يطيعه كل من يسمعه: «يا حراس». ومع ذلك، لم يتقدَّم أي من الفرسان نحو المنصة ومعًا، أداروا ظهورهم للعائلة المالكة، وأشهروا سيوفهم في وجوه الحشد المجتمع. إنهم يسمحون بحدوث ذلك، يسمحون لبالكين بالقيام بانقلابه.

لكني لا أصدق أن هذه هي خطة مادوك. فداين صديقه. داين في صفه. داين سيكافئه بمجرد أن يصبح الملك السامي.

تدافع الحشد، ودفعوني معهم. كان الجميع يتحركون، ويدفعون بعضهم بعضًا للأمام أو

بعيدًا عن هذا المشهد المُروِّع. وقد رأيت حاكم مملكة النمل الأبيض ذا الشعر الأبيض يحاول أن يقاتل، لكن فرسانه وقفوا أمامه، ومنعوه. لقد غادرت أسرتي ونظرت حولي بحثًا عن كاردان، لكنه ضاع بين الحشد.

حدث كل هذا بسرعة. وركضت كايليا باتجاه الملك السامي. وكان بحوزتها سكينها الصغير، والذي يكاد لا يكون طويلًا بما يكفي ليُعد سلاحًا، لكنها حملته بشجاعة. فيما انحنت تانيوت على جسد إلوين؛ مُحاوِلةً أن توقف تيار الدم بثوبها.

وقال بالكين: «ما قولك الآن يا أبي؟ وأنت يا أخي؟».



انطلق سهمان من الظل، وانغرسا في جنب بالكين، فترنح إلى الأمام. وبدا قماش سترته ممزقًا، وهناك بريق معدني تحته. إنه يرتدي درعًا. ورفعت عيني إلى العوارض الخشبية بحثًا عن الشبح.

أنا عميلة سرية للأمير مثله تمامًا بالتأكيد. ومن واجبي الوقوف مع داين. فواصلت الاندفاع إلى الأمام مرة أخرى. وكان بوسعي أن أتخيَّل رؤية مستقبلية. مثل قصة أرويها لنفسي، قصة واضحة ومشرقة تتناقض مع الفوضى التي من حولي، وتتمثل في أنني بطريقة ما سأصل إلى الأمير، وأدافع عنه ضد خيانة بالكين إلى أن يدركنا أفراد مخلصون من حرسه. سأكون البطلة، من تحول بنفسها بين الخونة وملكها.

لكن مادوك وصل إلى هناك قبلي.

وللحظة وجيزة، شعرت بالارتياح. قد يُشترى ولاء فرسانه، لكن مادوك نفسه لن...

ثم غرس مادوك سيفه في صدر داين بقوة لدرجة أن النصل خرج من الجانب الآخر. ثم دفعه إلى أعلى، عبر قفصه الصدري، وصولًا إلى قلبه.

توقَّفت عن الحركة، وتركت الحشد يتدفَّق من حولي. وظللت جامدةً كالحجر.

ورأيت على نحو خاطف العظام البيضاء تبدو من بين العضلات الحمراء المخضبة بالدماء.

وسقط الأمير داين، الذي كان قد أوشك على أن يصبح الملك السامي، على رداء الحكم الأحمر المكسو بالأحجار الكريمة، وانسكب دمه المتدفق بين خليط من الجواهر.

همس إلدريد قائلًا في غضب: «خونة»، لكن صوته تضخَّمَ بفعل الساحة التي خلت شيئًا فشيئًا من الحضور، وبدت الكلمة وكأنها ترن في القاعة.

ظلَّ مادوك واقفًا في مكانه لهنيهة، ثم أطبق فكه مُتجهِّمًا، كما لو كان يؤدي واجبًا كريهًا. وكان يرتدي قبعته الحمراء حينها، التي رأيتها بارزة من جيبه، وهي التي فحصتها في غلافها من





قبل. لقد خضبها بالدماء الليلة. وسترتسم عليها خطوط دموية جديدة. لكن لا أصدق أنه يفعل ذلك بناءً على أوامر من أحد.

من المؤكد أنه تحالف مع بالكين، وضلَّلَ جواسيس داين. وعيَّنَ فرسانه في مواقعهم، لإبقاء العائلة المالكة معزولة عن أي شخص قد يساعدهم. وحثَّ بالكين على تنظيم انقلاب في وقتٍ لم يتوقعه أحد. وقد اكتشفت أن الطريقة الوحيدة لعدم تحقُّق لعنة موت حامل التاج هي التَّحرُّك لفعل ما دبِّر عندما لا يكون مُستقِرًّا على رأس أحد. ونظرًا لمعرفتي الكبيرة بمادوك، فأنا متأكدة من أنه خطط لهذا الانقلاب.

لقد خان مادوك الملك إلدريد، ورحل داين آخِذًا معه كل آمالي وخططي.

حفل التتويج هو بالفعل الوقت الذي تكون فيه أشياء كثيرة ممكنة.

وبدا بالكين راضيًا عن نفسه جدًّا، وقال لوالده: «أعطني التاج».

أسقط إلدريد التاج من يده، فتدحرج قليلًا على الأرض. وقال له في حنق: «خذه بنفسك إذا كان هذا ما تريده بشدة».

انتحبت كايليا بشدَّة بينما حدَّقَت ريا إلى الحشد برعب. ووقف فال مورين بجانب إلدريد، ووجهه شاحب. ومع تحلُّق الفرسان حول المنصة، بدت كأنها مسرح لمشهد مُروِّع، حيث حُكِم على جميع الممثلين أداء أدوارهم حتى الوصول إلى النهاية الدموية نفسها.

كانت يدا مادوك مغطاتين باللون الأحمر. ولم أستطع التوقُّف عن التحديق إليهما.

رفع بالكين التاج السامي، وتلألأت أوراق البلوط الذهبية فيه بفعل ضوء الشموع. ثم قال: «لقد انتظرت طويلًا لتترك العرش، يا أبي. لقد أصبحت ضعيفًا، وتركت الخونة يحكمون الإقطاعيات الصغيرة، وتركت سلطة الممالك الدنيا بلا رقابة، ويفعل الجان البريون ما يحلو لهم. وكان داين سيفعل الأمر نفسه؛ فهو جبان يختبئ وراء حَبْكِ المؤامرات. لكنني لست خائفًا من إراقة الدماء».

لم يتحدث إلدريد، ولم يشرع بأي تحرُّك نحو التاج أو نحو السلاح. بل انتظر ببساطة.

أمر بالكين فارِسًا بأن يحضر له تانيوت. فتقدَّمت فارسة من أتباع مادوك ترتدي درعًا إلى المنصة لتُمسك بالملكة الأم التي أبت الاستسلام لما يحدث. ظلَّ رأس تانيوت يندفع للأمام والخلف ليضرب من يقترب منها، وجرح قرناها الأسودان الطويلان كتف الفارسة. لا يهم. لا شيء من ذلك يهم. فهناك الكثير من الفرسان. وبعد قليل، سينتهي هذا الصراع. تقدَّمَ بالكين أمام والده. وقال: «أعلنِّي ملكًا ساميًا، ضع التاج على رأسي، ويمكنك حينها أن تغادر هذا المكان. حرًّا وسليمًا من الأذى. وستتلقى أخواتي الحماية، وستعيش زوجتك. وإلا سأقتل تانيوت. سأقتلها هنا أمام الجميع، وسيعلمون جميعًا أنك سمحت بذلك».

اتَّجهت نظراتي إلى مادوك، لكنه كان يقف على درج المنصة يتحدَّث بصوتٍ منخفض إلى أحد قادته، وهو قزم تناول الطعام معنا من قبل ومازح أوك، وجعله يضحك. لقد ضحكت أنا أيضًا حينها. والآن يداي ترتعشان وجسدي كله يرتجف.

وقال إلدريد: «يا بالكين، أيها الابن البكر، بغض النظر عمَّن سفكت دمه، فإنك لن تحكم إلفهايم أبدًا. أنت غير جدير بالتاج».

أغمضت عينيَّ، وفكرت في كلمات أوريانا لي: "ليس من السهل أن يكون المرء من المقربين للملك السامي. إن ذلك يعني أن يكون المرء دائمًا بيدقًا".

تقبَّلت تانيوت مصيرها بكبرياء، وظلَّت ساكنة. وكانت وقفتها ملكية وبائسة، كما لو كانت قد

انتقلت بالفعل إلى عالم القصص الخيالية، كما كانت أصابعها مضمومة معًا. ولم تُصدر أي صوت حيث تولت إحدى الفارسات - الفارسة ذات الكتف المجروحة - قطع رأسها بضربة واحدة سريعة ووحشية بسيفها. وتدحرج رأس تانيوت ذو القرنين لمسافة قصيرة حتى اصطدم بجثة داين.

وشعرت ببلل على وجهي، مثل قطرات المطر.

هناك الكثير من الجان مِمَّن سعدوا بعملية القتل، وأكثر منهم سعدوا بالمشهد. وقد بدا أن نوعًا من الجنون المتطرف أصاب الحشد، نوعًا من التعطش لمزيد من الدماء، وخشيت أن يحظوا بأقصى قدر من الارتواء وإشباع نهمهم. ثم قبض فارسان على إلدريد.

وقال بالكين مُهدِّدًا: «لن أطلب منك مرة أخرى».

لكن إلدريد ضحك فحسب. واستمر في الضحك عندما قتله بالكين. ولم يسقط مثل الآخرين. وبدلًا من تدفُّق الدم من جرحه، انطلقت فراشات حمراء في الهواء. وقد اندفعت من داخله بسرعة كبيرة لدرجة أنه في لحظة اختفى جسد الملك السامي، ولم يبقَ سوى تلك الفراشات الحمراء، التي ظلَّت تحوم في الهواء كسحابة هائلة، أو إعصار من الأجنحة الرقيقة.

لكن أيًّا كان السحر الذي صنع هذا، فإنه لم يدم. حيث بدأت الفراشات في السقوط حتى تناثرت على المنصة مثل أوراق الخريف. لقد مات الملك السامي إلدريد الذي لم يكن موته متصورًا من قبل.

كانت المنصة مليئة بالجثث والدماء. وكان فال مورين جاثيًا على ركبتيه. وقال بالكين: «أختيَّ»، وهو يمشي نحوهما. وقد تلاشى قدر من الغطرسة من صوته، واستبدل به رقة زائفة. وبدا كأنه رجل في منتصف حلم مُروِّع. لكنه يرفض الاستيقاظ منه. وقال: «من منكما ستتوجني؟ تتوجني وتعيش».

فاستعدت صورة مادوك وهو يطلب من أمي ألَّا تهرب.

تقدَّمَتْ كايليا للأمام، وألقت بسكينها. وكانت ترتدي صدرية ذهبية وتنورة زرقاء، وتاجًا من التوت فوق شعرها السائب.

وقالت: «أنا سأفعلها. هذا يكفي. سأجعلك الملك السامي، مع أن عار ما فعلته سيُلوِّث حكمك إلى الأبد».



فذكَّرني كلامها بطريقة كلام كاردان، وبشيء قاله لي من قبل، ومن ثم شعرت بالغضب لتذكيري بشيء من هذا القبيل، خاصة الآن. وكان هناك جانب مني سعيد لأنها استسلمت، على الرغم من فظاعة بالكين والرعب الحتمي لحكمه. فعلى الأقل، انتهى الأمر.

ثم انطلق سهم من جهة ظلال العوارض الخشبية - في مسار مختلف تمامًا عن السابق. وأصابها في صدرها. فاتَّسعت عيناها، وارتعشت يداها وهي تضعها فوق قلبها، وكأنَّ موضع الجرح عارٍ وعليها أن تغطيه. ثم زاغ بصرها، وسقطت دون أن تتنفس. فصرخ بالكين من الإحباط. وأصدر مادوك الأوامر لرجاله بالتحرك، مُشيرًا إلى السقف. فانفصلت فرقة عن الآخرين، واندفعت صعودًا على الدرج. بينما طار بضعة حراس في الهواء بأجنحة خضراء شاحبة. وسيوف مسلولة.

لقد قتلها، قتلها الشبح.

واندفعت في طريقي بشكل أعمى نحو المنصة، متجاوزةً الصياح والعويل الناتج عن إراقة مزيد من الدماء. ولم أعرف ما الذي أعتقد أنني سأفعله عندما أصل إلى هناك. والتقطت ريا سكين أختها، وحملته بيد واحدة مرتجفة. وكانت تبدو في ثوبها الأزرق مثل طائر قُبِض عليه قبل أن يتمكن من الطيران.

إنها الصديقة الحقيقية الوحيدة لفيفي في أرض الجان.

قال بالكين: «هل ستقاتلينني حقًّا يا أختي؟ ليس لديك سيف ولا درع. دعك من هذا، لقد فات أوانه».

فكرَّرت كلامه بنبرة يائسة: «لقد فات الأوان»، ثم قرَّبت السكين إلى حلقها، وضغطت على

النقطة الموجودة أسفل أذنها مباشرة.

صحتُ قائلةً: «لا!»، مع أن صوتي طُمس وسط صياح الحشد وصياح بالكين أيضًا. وبعد ذلك، ونظرًا لأنني لم أستطع تَحمُّل رؤية المزيد من الموت، أغمضت عيني. وأبقيتهما



مغلقتين للحظات رغم دفعي من قِبَل أجساد ثقيلة وفرائية الملمس. ثم بدأ بالكين في النداء على شخص ما ليعثر على كاردان ويحضره، فانفتحت عيناي تلقائيًّا. لكن لم يكن كاردان هناك. لم يكن هناك سوى جسد ريا المنكمش والمزيد من الرعب.

استهدف الرماة المجنحون مجموعة الجذور التي كان الشبح يختبئ فيها. وبعد لحظة، سقط بين الحشد. وحبست أنفاسي خوفًا من أن يكون أصيب. لكنه تدحرج، ووقف، وانطلق نحو الدرج، فتبعه الحرَّاس.

لم تكن لديه فرصة للفرار. فقد كان هناك الكثير منهم، والبرج مكتظ جدًّا، ولم يتركوا له مهربًا. أردت أن أساعده، أردت أن أذهب إليه، لكنني عالقة. ولا يمكنني فعل أي شيء. ولا أستطيع إنقاذ أحد.

التفت بالكين إلى شاعر البلاط، وأشار إليه بأصبعه، وقال: «سوف تُتوِّجني. انطق بكلمات التتويج».

قال فال مورين: «لا أستطيع. أنا لست من أقاربك، ولا أقارب الملك».

قال له بالكين: «ستفعل».

أجاب شاعر البلاط بصوتٍ مرتعش: «حسنًا يا سيدي». ونطق بعبارات مختصرة من عبارات التتويج بمجرد أن صمت الحاضرون. ولكن عندما سُئِلَ الحشد عن قبولهم بالكين كملك سام جديد، لم يتحدَّث أحد. وكان تاج أوراق البلوط الذهبي في يد بالكين، لكن لم يوضع على رأسه بعد.

تحوَّلَ نظر بالكين إلى الحشد، ومع أنني أعلم أنه لن يثبت نظره عليَّ، فإنني ارتجفت وجلجل صوته قائلًا: «أقسموا على الولاء لي». فلم نفعل. ولم يركع له الملوك على ركبهم. وظلَّ النبلاء صامتين. وظلَّ الجان البريون يراقبون ويقيِّمون الموقف. ورأيت الملكة أنيت حاكمة أقصى جنوب مملكة أنسيلي، مملكة الفراشات، تشير إلى رجال حاشيتها لمغادرة القاعة والتفتت مبتعدة بسخرية.



قال بالكين بصوتٍ عالٍ: «أنتم أقسمتم بالولاء للملك السامي. وأنا الملك الآن». ورفع بالكين التاج ووضعه على رأسه. لكن بعد لحظة، صاح فزعًا وطرحه بعيدًا. وكان هناك حرق على جبينه، وعلامة حمراء لموضع التاج.

وصاح أحدهم: «نحن لم نقسم بالولاء للملك، بل للتاج». إنه اللورد روبيين حاكم مملكة النمل الأبيض. ثم شقَّ طريقه للوقوف أمام الفرسان، وعلى الرغم من وجود أكثر من اثني عشر فارِسًا بينه وبين بالكين، لم يبدُ روبيين خائفًا. وقال بجرأة: «أمامك ثلاثة أيام لوضعه على رأسك، يا قاتل أهله. ثلاثة أيام قبل أن أغادر هذا المكان، غير مدين بالولاء لأحد، وغير مُقيَّد بسلطة أحد، وغير حزين. وأنا واثق بأنني لست الوحيد في هذا».

امتزجت الضحكات بالهمسات بين الحشد وهم يتناقلون كلماته. وكانت هناك مجموعة متنوعة لا تزال تملأ القاعة: حاشية مملكة سيلي المتلألئة ومملكة أنسيلي المرعبة، وحاشية الجان البريين الذين نادرًا ما يغادرون تلالهم أو أنهارهم أو مقابرهم، وجان عشيرتي الجوبلن والهاج، والجنيات وجان البوكا. وقد شاهدوا جميع أفراد العائلة المالكة تقريبًا يُذبحون في ليلة واحدة. وأتساءل عن مقدار العنف الذي سينشأ إذا لم يكن هناك ملك جديد يحذرهم من مغبة العواقب، ويمنعهم من التمرُّد. وأتساءل كذلك من سيرحب بكل هذا العنف.

تلألأت الأشباح في الهواء الذي تنبعث منه رائحة الدم المسفوح حديثًا. وأدركت أن مراسم الاحتفال ستمضي قُدُمًا. وكل شيء سيمضي قُدُمًا.

لكنني لا أعلم يقينًا إن كان بوسعي كذلك المضي قُدُمًا.




الكتاب الثاني

أفرغ قلبك من حلمه المميت. فمن
حولك تهب الرياح، وتحوِّم الأوراق في
الهواء.
خدودنا شاحبة، وشعرنا أشعث،
وصدورنا تضطرب، وأعيننا تلمع،
وأذرعنا تلوح، وشفاهنا متباعدة؛
وإذا حدق أحد إلى فرقتنا المندفعة،
فسوف نحول بينه وبين ما يفعله بيديه
العاريتين،
وسوف نحول بينه وبين ما يتمناه قلبه.

– ويليام بتلرييتس،
قصيدة

«The Hosting of the Sidhe»





الفصل 21



لقد عُدتُ طفلةً مرة أخرى. أختبئ تحت الطاولة، بينما الاحتفالات تدور فوقي ومن حولي.

وعندما ضغطت بيدي على قلبي، شعرت بضرباته المتسارعة. ووجدت أنني لا أستطيع التفكير. لا أستطيع التفكير. لا أستطيع التفكير.

هناك دماء على ثوبي، ونقاط صغيرة تلطخ بعضًا من زرقته.

كنت أظن أنني لن أصاب بصدمة من رؤية الموت، لكن... كان هناك الكثير منه في كل مكان. وعلى نحو مفرط ومثير للاستغراب والفزع في آن واحد. استمر عقلي في العودة إلى رؤية مشاهد ضلوع الأمير داين البيضاء، ورذاذ الدم المتناثر من حلق إلوين، ورفض الملك السامي تنصيب بالكين مرارًا وتكرارًا قبل وفاته. وإلى صور المسكينات تانيوت وكايليا وريا اللاتي اكتشفن - إحداهن تلو الأخرى - كيف أن تاج أرض الجن أهم من حياتهن.



ثم فكَّرت في مادوك، الذي كان الذراع اليمنى لداين طوال هذه السنوات. قد لا يكون الجان قادرين على الكذب صراحة، لكن مادوك كذب من خلال كل ضحكة، وكل تربيتة على الظهر، وكل كوب شراب تناولاه معًا. إنه مادوك الذي جعلنا جميعًا نرتدي أبهى الثياب، وأعطاني سيفًا جميلًا لأزين به حضوري الليلة، كما لو كنا ذاهبين حقًّا إلى حفلة ممتعة.

حاولت أن أقول لنفسي: كنت أعرف حقيقته. لقد رأيت الدم المتخثر على قبعته الحمراء. وإذا سمحت لنفسي بأن أنسى، فسيزيد من خداعه لي وسأغدو أكثر حُمقًا من ذي قبل.

على الأقل، لقد قاد الفرسان أفراد عائلتي بعيدًا قبل بدء القتل. وعلى الأقل لم يضطر أي منهم إلى المشاهدة، ولكن ما لم يكونوا بعيدين جدًّا، فمن المؤكد أنهم سمعوا الصراخ. على الأقل لن يكبر أوك كما كبرت أنا، ولن يكون سيف الموت مُسلَّطًا عليه كمصير لا مفر منه...

جلستُ ساكنةً في مكاني حتى هدأت ضربات قلبي مرة أخرى. كنت بحاجة إلى الخروج من التل. فسوف يزداد هذا الحفل وحشية، ومع عدم وجود ملك جديد على العرش، فلن يكون هناك ما يمنع أيًّا من حاضري الحفل من الحصول على أي نوع من الترفيه يمكنهم ابتكاره. وربما لا يكون هذا هو أفضل وقت مناسب لوجود البشر الفانين هنا.

حاولت أن أتذكَّر مشهد قاعة العرش من أعلى عندما كنت أنظر إليها مع الشبح. وحاولت تذكُّر مداخل الجزء الرئيسي من القلعة.

إذا تمكنت من العثور على أحد الحراس وجعله يصدق أنني من عائلة مادوك، فقد يأخذني إلى بقية أفراد عائلتي. لكنني لا أريد الذهاب. لا أريد أن أرى مادوك مُلطَّخًا بالدماء، وجالسًا بجانب بالكين. لا أريد أن أتظاهر بأن ما حدث ليس بالشيء المُروِّع. لا أريد أن أخفي اشمئزازي.

هناك طريقة أخرى للخروج. يمكنني الزحف أسفل الطاولات وصولًا إلى الدرج، والصعود إلى الحافة الموجودة بالقرب من غرفة التخطيط الإستراتيجي الخاصة بمادوك. أعتقد أنه يمكنني من هناك أن أتسلق مباشرة، وأن أصل إلى جزء القلعة الذي قد يكون مهجورًا على الأرجح - الجزء الذي يمكنه إيصالي إلى الأنفاق السرية. ومن هناك، يمكنني الخروج دون



القلق بشأن الفرسان، أو الحراس، أو أي شخص آخر. لقد جعل الأدرينالين جسدي كله شديد الرغبة في الحركة، لكن مع أن ما لديَّ يبدو كخطة، فهو لا يعد خطة كاملة بعد، حيث يمكنني الخروج من القصر، لكن ليس لديَّ مكان أذهب إليه بعد ذلك. حثَّتني غريزتي على الخروج، قائلةً: فكري في هذا لاحقًا. حسنًا، الخطة غير الكاملة تعد خطة جيِّدة بما فيه الكفاية.

ظللت أزحف على يديَّ وركبتيَّ، غير مكترثة بثوبي، وغير مكترثة بالطريقة التي يُجرُّ بها غمد سيفي على الأرض الترابية، وغير مكترثة بالألم الذي في يدي. ومن فوقي، كنت أسمع الموسيقى وأسمع أشياء أخرى أيضًا - صوت ما قد يكون عظامًا تتكسر ، أو أنينًا، أو نحيبًا. فتجاهلت ذلك كله.

ثم رُفع مفرش الطاولة، وبينما كانت عيناي تتكيفان مع سطوع ضوء الشموع، أمسك شخص مقنع بذراعي. لم أستطع إخراج سيفي بسهولة؛ لأنني منحنية تحت إحدى الطاولات، لذا أخرجت السكين الموجود داخل سترتي. وكنت على وشك المهاجمة عندما تعرفت على تلك الأحذية السخيفة ذات الرؤوس المسننة.

إنه كاردان. الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يُتوِّج بالكين على نحو شرعي. والابن الوحيد الآخر المتبقي من سلالة جرينبريال. ولا بُدَّ أن كل شخص في أرض الجن يبحث عنه، وها هو يتجوَّل مرتديًا قناع ثعلب فضي رقيق، وينظر إلى وجهي بتشوش وارتباك شخص أفرط في الشراب، ويترنَّح قليلًا. كدت أضحك بصوتٍ عالٍ وأنا أتخيل مدى حظي في أن أكون الشخص الوحيد الذي عثر عليه.

قال لي: «أنتِ إنسية». وفي يده الأخرى، كان يحمل كأسًا فارغة ومقلوبة كما لو أنه نسي أنه ما زال يحملها، ثم تابع: «الوضع ليس آمنًا لك هنا. خاصة إذا دُرت وأنت راغبة في أن تطعني الجميع».

«غير آمن لي؟». بغض النظر عن سخافة العبارة، فليست لديَّ أية فكرة عن سبب تصرفه، كما لو أنه يفكر في سلامتي للحظة، إلا إذا كان ينوي تعريضها للخطر. وحاولت تذكير نفسي

بأنه لا بُدَّ في حالة صدمة وحزن. وهذا قد يجعله يتصرف بغرابة، لكن يصعب عليَّ أن أفكر فيه كشخص قد يهتم بأي أحد لدرجة تجعله يحزن عليه، وفي الوقت الحالي لا يبدو أنه يهتم بنفسه كذلك. قلت له: «انزل إلى هنا قبل أن يتعرَّفوا عليك».

قال: «أتلعبين الغميضة تحت الطاولة؟ وأنت رابضة على التراب؟ هذا من شيم نوعك البشري، ولكنه أقل كثيرًا من كرامتي». وضحك بصوتٍ عالٍ، كما لو أنه يتوقَّع مني أن أضحك أيضًا.

أما أنا فلم أضحك. وكورت قبضتي، ولكمته في معدته، في الموضع الذي أعلم أنه سيؤلمه. فجثا على ركبتيه، وسقطت الكأس على التراب، مُصدِرةً صوت طقطقة أجوف. وصرخ قائلًا: «آه!»، ما سمح لي بسحبه تحت الطاولة.

قلت له: «سنخرج من هنا دون أن يلاحظ أحد. وسنبقى تحت الطاولات ونشق طريقنا إلى الدرج، ثم إلى الطوابق العليا من القصر. ولا تقل لي إن الزحف يهدر كرامتك. لقد أفرطت في الشراب لدرجة أنك تكاد لا تستطيع الوقوف على أية حال».

سمعته يزفر أنفاسه. وقال: «حسنًا، إذا كنت تصرين على هذا». كان المكان مُظلِمًا جدًّا لدرجة أني لم أستطع رؤية تعابير وجهه، وحتى لو لم يكن المكان كذلك، فهو يرتدي قناعًا.

شققنا طريقنا أسفل الطاولات، حيث صدحت فوقنا الأغاني الراقصة وأغانٍ عن الشراب، وانتشر الصراخ والهمسات في الهواء، وتردَّد صدى وقع أقدام الراقصين حولنا مثل المطر. كان قلبي يخفق بقوة بسبب إراقة الدماء. ولقربي من كاردان، ولضربي له دون تفكير في العواقب، لكني ركزت على صوت زحفه من خلفي. كان كل شيء تفوح منه رائحة الأرض المكتظة بالجان والشراب المسكوب والدم. كنت أستطيع أن أشعر بأفكاري تحوم وتضطرب في رأسي، وأن أشعر بنفسي وقد بدأت أرتجف. وقد عضضت على الجزء الداخلي من شفتي لأسبب لنفسي ألمًا جديدًا أركز عليه.

يجب أن أحافظ على رباطة جأشي. ولا يمكنني فقدانها الآن، ليس أمام ناظري كاردان. وليس عندما بدأت الخطة في التشكل في عقلي. خطة تتطلَّب وجود هذا الأمير الأخير.



نظرت خلفي، فرأيت أنه توقَّفَ عن الحركة. لقد كان جالسًا على الأرض، ينظر إلى يده. ينظر إلى خاتمه قائلًا: «لقد احتقرني». وبدا كأنه يحاور شخصًا ما، وكأنه نسي أين هو.

سألته: «أتقصد بالكين؟»، حيث فكرت فيما رأيته سابقًا في القصر الأجوف.

زفر كاردان قائلًا: «بل أبي. فلم أكن مُقرَّبًا كثيرًا إلى الآخرين، إلى إخوتي وأخواتي. أليس هذا مثيرًا للضحك؟ والأمير داين- لم يكن يريدني في القصر؛ لذا أجبرني على الخروج منه».

سكتُّ؛ لأني لم أعرف ماذا عليَّ أن أقول. إنه لأمر مزعج أن أراه هكذا، يتصرف كما لو كانت لديه مشاعر.

وبعد لحظة، بدا أنه استعاد طبيعته. وكانت عيناه تركزان عليَّ، وهما متلألئتان في الظلام. وقال: «والآن كلهم ماتوا. بفضل مادوك قائد جيوشنا المهيب. ما كان عليهم أن يثقوا به أبدًا. لكن والدتكِ اكتشفت هذا منذ وقت طويل، أليس كذلك؟».

ضيَّقت عينيَّ، وقلت له لتغيير الموضوع: «ازحف».

فارتفعت زاوية فمه مبتسمًا، وقال: «أنتِ أوَّلًا».

انتقلنا من طاولة إلى أخرى، إلى أن صرنا في النهاية أقرب ما نكون من الدرج، ودفع كاردان مفرش الطاولة للخلف ومد يده نحوي، بطريقة مهذبة كما يفعل من يساعد شخصًا يحبه. وربما يقول كاردان إنه فعل ذلك كتصرف مهذب أمام من يمكنه أن يرانا، لكن كلينا يعرف أنه كان يسخر مني، فوقفت دون أن استند إليه.

الشيء الوحيد المهم هو الخروج من القاعة قبل أن يصبح الحفل أكثر دموية، قبل أن يقرر المخلوق الخطأ أنني لعبة مسلية، قبل أن يُقتل كاردان على يد شخص لا يريد أي ملك أعلى في السلطة.

وبدأت السير نحو الدرج، لكنه أوقفني. وقال: «ليس هكذا، سوف يتعرَّف عليك فرسان والدك».

فذكَّرته قائلةً: «لست أنا الشخص الذي يبحثون عنه».

فعبس وجهه، مع أن قناعه كان يُخفي معظم هذا العبوس. ولكني استطعت رؤية عبوسه في استدارة فمه. وقال: «إذا رأوا وجهك، فقد يولون الكثير من الاهتمام لمعرفة من معك».

أزعجني شعوري بأنه كان مُحِقًّا، لكنني قلت: «لو عرفوني فسيكونون على يقين بأنني لن أكون معك أبدًا». وهذا قول سخيف، فأنا أقف بجانبه حاليًّا، مع أنني شعرت بمزيد من الارتياح بعد أن قلت ذلك. وبتنهيدة، أسدلت ضفائري. وتخللت يدي شعري إلى أن تبعثر على وجهي.

ثم قال: «أنت تبدينَ...»، ثم مضى قُدُمًا، وكان ينظر إليَّ عِدَّة مرات، وبدا أنه غير قادر على التوقف عن النظر. أظن أن مسألة بعثرة الشعر نجحت بشكل أفضل مما كان يتوقع.

قلت: «أمهلني ثانية»، ثم انسللت بين الحشد. لا أحب المخاطرة بهذا، لكن تغطية وجهي أكثر أمانًا من عدم تغطيته. لمحت جنية ترتدي قناعًا أسود من القطيفة تأكل قلب عصفور صغير باستخدام دبوس طويل. وبعد أن تسلَّلت خلفها، قطعت الشرائط وأمسكت قناعها قبل أن يصل للأرض. لقد استدارت: لتبحث عن مكان سقوطه، لكنني كنت ابتعدت عنها بالفعل. وسرعان ما كفت عن البحث وأكلت طعامًا شهِيًّا آخر - أو على الأقل كنت أتمنى أن تفعل ذلك. فما سرقته منها مجرد قناع رغم كل شيء.

وعندما عدت، كان كاردان يتجرَّع المزيد من الشراب، وهو يُحملِق إليَّ. ولا أدري ماذا كان يرى، ولا عَمَّ كان يبحث أيضًا. ثم انسكب نهر رفيع من السائل الأخضر على خده، ومدَّ يده إلى الإبريق الفضي الثقيل كما لو كان سيسكب لنفسه كأسًا أخرى.

قلت له: «تعال»، وأمسكت يده التي ترتدي قُفَّازًا بيدي.



كنَّا على وشك الصعود على الدرج الموصل إلى خارج القاعة عندما اعترض طريقنا ثلاثة فرسان. قال أحدهم: «ابحثا عن مكان آخر للاستمتاع بوقتكما فيه. هذا الطريق يؤدي إلى داخل القصر، وهو محظور على عامة الجان».

شعرت بكاردان يتصلَّب في وقفته بجانبي؛ لأنه أحمق بما يكفي، ويهتم بشعوره بالإهانة لأنه وُصِف بأنه من عامة الجان أكثر من اهتمامه بسلامة أي شخص، حتى سلامته الشخصية للأسف. جذبت ذراعه لنبتعد، وقلت للفارس: «سنفعل ما طلبت«»، مُحاوِلةً إبعاد كاردان قبل أن يفعل شيئًا يأسف عليه كلانا. ومع ذلك، لم يتزحزح كاردان. وقال: «أنت مخطئ كثيرًا بشأننا».

اسكت. اسكت. اسكت.

وقال كاردان، صاحب اللسان المصبوغ باللون الفضي من فرط الشراب، وقناع الثعلب الفضي: «الملك الأعلى بالكين صديق لحاشية سيدتي». ورسم على وجهه نصف ابتسامة، وتحدَّث بلغة خاصَّة القوم، وبلهجة مُتأنِّقة، ثم أرخى أطرافه، وكأنه يعتقد أنه يمتلك كل ما تقع عليه عيناه. حتى في حالة إفراطه في الشراب، إنه مقنع: «لعلك سمعت عن الملكة جليتين في الشمال الغربي. لقد أرسل الملك بالكين رسالة عن الأمير المفقود. وينتظر الرد».

قال أحد الفرسان: «لا أظن أن لديك أي دليل على هذا، أليس كذلك؟».

فقال بسرعة: «بالطبع لديَّ. لقد أُعطيت هذه العلامة حتى تعرفوني». ومدَّ كاردان يده المضمومة، وفتحها ليكشف عن خاتم ملكي لامع في منتصف راحة يده. لا أدري متى خلعه من إصبعه، فهذه خفة يد دقيقة لم أعلم أنه قادر على ممارستها، خاصة وهو مفرط في الشراب.

عند رؤية الخاتم، تراجعوا.

وبابتسامة بغيضة وساحرة للغاية، أمسك كاردان بذراعي ومرَّ بي من جوارهم. ورغم أنني صررت على أسناني، فقد سمحت له بأن يمسكني. وصعدنا الدرج، وكان هذا بفضله.

ثم صاح أحد الحراس قائلًا: «وماذا عن الإنسية؟». فالتفت له كاردان قائلًا: «أوه حسنًا، أنت لست مخطئًا تمامًا بشأني، أنا أنوي الاحتفاظ ببعض مباهج الحفل لنفسي»، فابتسموا جميعًا.

تمالكت نفسي بصعوبة كي لا أطرحه أرضًا، ولكن لا جدال في أنه بارع في انتقاء كلماته. ووفقًا لقواعد اللباقة والصدق التي تحكم ألسِنة الجان، فإن كل ما قاله كان صحيحًا بما فيه الكفاية، لأنك إذا ركزت على الكلمات فستجد أن بالكين صديق مادوك، وأنا جزء من حاشية مادوك، ومن ثم فأنا "سيدة" وربما سمع الفرسان عن الملكة جليتين؛ فهي شهيرة بما فيه الكفاية. وأنا واثقة بأن بالكين ينتظر الرد عن موقف الأمير المفقود، ومن المرجح أنه بحاجة ماسة إليه، ولا يمكن لأحد أن يدَّعي أن خاتم كاردان لم يُقصد بصنعه أن يكون علامة مميزة يُعرف بها.

أما ما يريد أن يحتفظ به دون علم أحد بعيدًا عن الحفل، فقد يكون أي شيء.

كاردان بارع، لكن ليس النوع المحبب من البراعة، وهو نوع قريب جدًّا من ميلي إلى الكذب للشعور بالارتياح. ولكننا صرنا حرين. وخلفنا، استمر ما كان ينبغي أن يكون احتفالًا بالملك السامي الجديد: الصياح، والولائم، والدوران في رقصات لا نهاية لها. وألقيت نظرةً إلى الخلف مرة واحدة ونحن نصعد فرأيت بحرًا من الأجساد والأجنحة، وعيونًا صغيرة وأسنانًا حادَّة. فارتجفت.

صعدنا الدرج معًا. وتركته يحتفظ بقبضته على ذراعي، ويوجهني، وتركته يفتح الأبواب بمفاتيحه الخاصة. تركته يفعل ما يشاء. وبعد ذلك، بمجرد دخولنا الصالة الفارغة في الطابق العلوي من القصر، التفتُّ وضغطت بطرف سكيني تحت ذقنه مباشرة.



قال باندهاش: «ماذا تفعلين يا جود؟». وقد نطق اسمي بعناية، وهو مستند إلى الحائط، كما لو أنه يتجنَّب التَّعرُّضَ للطعن. ولست متأكدة حتى من أنني سمعته يستخدم اسمي الفعلي من قبل.

قلت له: «أأنت متفاجئ؟» وارتسمت ابتسامة شرسة على وجهي. أهم فتى في أرض الجان وعدوي أصبح أخيرًا تحت رحمتي. إنه شعور أفضل مما كنت أظن. ثم أتممت جملتي: «لا يجدر بك أن تكون كذلك».



الفصل 22



ضغطتُ بطرف السكين على جلد كاردان حتى يشعر بألمه. وكانت عيناه السوداوان تركزان عليَّ بنظرة جديدة، ثم تساءل قائلًا: «لماذا؟» ولم يقل شيئًا آخر.

نادرًا ما شعرت بسعادة انتصار كهذه. ويجب أن أركز على منعها من تغييب عقلي على نحو أقوى من الشراب. فأجبت: «لأن حظك سيئ للغاية، وحظي رائع. افعل ما أقوله وسأؤجل الاستمتاع بإيذائك».

قال بتهكُّم: «أتخططين لإراقة المزيد من الدماء الملكية الليلة؟». وتحرَّكَ كما لو أنه يتجاهل السكين فتحركت معه، وأبقيت السكين على حلقه. وواصل الكلام: «أشعر بأني مستبعد من مذبحة الليلة؟».

قلت: «أنت ثمل».

فقال هازِئًا: «أوه، حقًّا. لكن هل تعتقدين حقًّا أنني سأدعك تستعرضين براعتك عبر احتجازك لي، وبيان ذلك أمام مادوك، كما لو كنت شخصًا وضيعًا....» ومال برأسه إلى الخلف على الجدار الحجري وأغمض عينيه. كان هناك ضوء مشعل قريب حوَّلَ شعره الأسود إلى لون برونزي.

ضغطت على السكين بقوة أكبر، فأخذ نفسًا ولم يُتم تلك الجملة. وقال بعد لحظة بضحكة مليئة بالسخرية من نفسه: «بالطبع. لقد كنتُ غائِبًا عن الوعي بينما قُتلت عائلتي. من الصعب أن أكون أكثر وضاعة من ذلك».

قلت له: «كُف عن الكلام»، وأنا أكبح بداخلي أي قدر من التعاطف نحوه. إذ لم يكن لديه قطُّ أي قدر منه نحوي. ثم قلت بغلظة: «تحرك».

ثم سأل وهو مغلق عينيه: «أو ماذا؟ أنتِ لن تطعنيني حقًّا».

همست له: «متى كانت آخر مرة رأيت فيها صديقك العزيز فاليريان؟ ليس اليوم، على الرغم من الإهانة التي انطوى عليها غيابه. هل تساءلتَ عن السبب؟».

ففتح عينيه، وبدا كما لو أنني صفعته لأوقظه، وقال: «نعم، تساءلت. أين هو؟».



فأجبت بتشفٍّ: «يتعفن بالقرب من إسطبلات مادوك. أنا قتلته ثم دفنته. لذا صدقني عندما أهددك. ومهما بدا ذلك مُستبعدًا، فأنت أهم شخص في أرض الجان. ومن يملكك، يملك القوة. وأنا أريد القوة».

تفحَّصَ وجهي، دون أن يُغيِّر من تعبيرات وجهه، ثم قال: «أظن أنك محقة بعد كل شيء.. أعتقد أنني لم أعرف بالفعل ما يمكنك فعله». حاولت ألا أُظهر له كم يزعجني هدوؤه. وشعرت كما لو أن السكين الذي في يدي، والذي ينبغي أن يمنحني القوة، ليس كافيًا. كما جعلني أرغب في إيذائه فقط لأقنع نفسي بأنه يمكن أن يخاف. لكنه فقد عائلته من فوره، وينبغي عليَّ ألا أفكر بهذه الطريقة. لكن لا يسعني إلا التفكير في أنه سيستغل أية شفقة من جانبي، أية نقطة ضعف.

قلت بقسوة: «حان وقت التحرك. اذهب إلى الباب الأول وافتحه. وعندما نكون في الداخل، سنذهب إلى الخزانة حيث يوجد ممر هناك».

قال منزعجًا: «نعم، حسنًا»؛ مُحاوِلًا إبعاد سكيني.

فأمسكته بثبات، حتى تجرح جلده. فأطلق سبابًا من جراء ذلك، ثم وضع إصبعه الذي ينزف في فمه. وسأل حانقًا: «لِمَ فعلت هذا؟».

قلت: «من أجل المتعة»، ثم أبعدت السكين عن حلقه ببطء وتروٍّ، وتجعدت شفتاي تقزُّزًا، لكنني أبقيت تعبيرات وجهي جامدة بقدر ما أعرف، وقاسية وباردة مثل الوجه الذي يتكرَّر في كوابيسي. وبمجرد أن فعلت ذلك، أدركت هوية ذلك الشخص الذي كنت أقلده، الذي أخافني وجهه لدرجة أنني رغبت في امتلاك وجه كوجهه.

إنه وجه كاردان بالتحديد.

ودقَّ قلبي بشدَّة لدرجة أني شعرت بالغثيان.

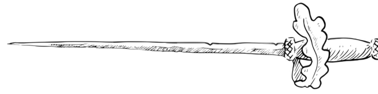
«هل ستخبرينني على الأقل إلى أين نحن ذاهبان؟». سألني وأنا أدفعه أمامي بيدي الفارغة.



فرددت: «كلا. والآن تحرك». كانت النبرة القوية الحازمة هذه نابعة من أعماقي.

وعلى نحو لا يصدق، فعل ما أمرته وأخذ يترنَّح وهو يشقُّ طريقه إلى القاعة، ثم إلى الخزانة التي أشرت إليها. وعندما وصلنا إلى الممر الخفي، زحف بعد أن رمقني بنظرة غامضة. ربما كان ثملًا أكثر مما ظننت.

لا يهم. فسوف يفيق قريبًا جدًّا.



أول شيء فعلته عندما وصلت إلى وكر مجلس الظلال هو تقييد الأمير كاردان في كرسي بقطع ممزقة من ثوبي المتسخ. ثم أزلت كلا القناعين عن وجهينا. لقد تركني أفعل ذلك كله، وكانت هناك نظرة غريبة على وجهه. لم يكن هناك أحد في الوكر، ولم تكن لديَّ أية فكرة عن موعد عودة أي شخص، هذا إن كان أحد سيعود على الإطلاق.

لا يهم. يمكنني تولي الأمر دونهم.

وقد نجحت في ذلك حتى الآن. عندما وجدني كاردان، علمتُ أن السيطرة عليه هي السبيل الوحيد إلى بعض السيطرة على مصير عالمي الخاص.

ثم فكرت في جميع الوعود التي قطعتها لـ داين، بما في ذلك الوعد الذي لم أتحدث عنه بصوتٍ عالٍ: بدلًا من الخوف، سأصبح أنا نفسي شخصًا مُخيفًا. وإذا لم يمنحني داين القوة، فسوف آخذها بنفسي.

ونظرًا لأنني لم أُمضِ الكثير من الوقت في وكر مجلس الظلال، فإني لم أكن أعرف أسراره. مشيت في الغرف، وفتحت الأبواب الخشبية الثقيلة والخزانات، وجردت المؤن الخاصة بي. واكتشفت مخزنًا مليئًا بالسموم مثلما هو مليء بالجبن والنقانق وغرفة تدريب بها نشارة خشب على الأرض، وأسلحة مُعلَّقة على الحائط، ودمية خشبية جديدة في المنتصف،



ووجهها مرسوم على نحو رديء، ويحمل ابتسامة مزعجة. ثم ذهبت إلى الغرفة الخلفية التي بها أربع مراتب محشوة بالقش على الأرض، وبضعة أكواب وملابس مهملة منتشرة بالقرب منها. فلم ألمس أيًّا منها، إلى أن أتيت إلى غرفة التخطيط التي بها مكتب. كان مكتب داين مليئًا بلفائف ورقية وأقلام وشمع مخصص للأختام.

وللحظة، شعرت بالصدمة لضخامة ما حدث لقد رحل الأمير داين، رحل إلى الأبد، ورحل والده وأخواته معه.

عُدتُ بعدها إلى الغرفة الرئيسية، وجررت كاردان بكرسيه إلى مكتب داين، ووضعته مقابل الباب المفتوح حتى أتمكَّن من مراقبته. ثم أنزلت قوسًا من الحائط في غرفة التدريب، مع عدد قليل من السهام ووضعت السلاح بجانبي جاهزًا ومهيأ، وجلست على كرسي داين،

ووضعت رأسي بين يدي.

«هلَّا أخبرتني أين نحن بالضبط، الآن بعد أن أصبحت مُقيَّدًا على النحو الذي يرضيك؟». أردت أن أضرب كاردان مرارًا وتكرارًا حتى أزيل تلك العجرفة البادية على وجهه. لكنني إذا فعلت ذلك، فسيعلم تمامًا إلى أي حد يخيفني.

قلت له مُحاوِلةً أن أتخلص من خوفي: «هذا هو المكان الذي يلتقي فيه جواسيس الأمير داين». كنت بحاجة إلى التركيز. فكاردان في النهاية لا شيء، مجرد أداة، غرض للمراهنة به لا أكثر.

حدجني بنظرة غريبة ومذهولة، وتمتم: «كيف عرفتِ ذلك؟ وما الذي جعلك تحضرينني إلى هنا؟».

فقلت بصراحة: «أنا أحاول معرفة ما ينبغي عليَّ فعله بعد ذلك».

«وإذا عاد أحد الجواسيس؟ سوف يجدونك في مخبئهم و...». سألني، وقد أفاق من ذهوله بما يكفي ليبدو قلقًا بالفعل.

تأمَّلَ الابتسامة المتكلفة على وجهي، ولاذ بالصمت الناتج عن ذهوله. واستطعت أن أرى أنه أدرك أنني واحدة منهم، وأنني أنتمي إلى هذا المكان. واصل كاردان الصمت أخيرًا. أخيرًا، جعلته يرتجف.

لقد فعلت شيئًا لم أكن أجرؤ على فعله من قبل. لقد فتشت مكتب الأمير داين، حيث كانت هناك أكوام من المراسلات وقوائم، ورسائل لا إلى داين ولا منه، ربما كانت مسروقة، وأخرى بخط يده، كانت هناك تحرُّكات ونصوص مُلغَّزة ومقترحات لقوانين. كما كانت توجد دعوات رسمية. ورسائل غير رسمية وغير تآمرية، بما في ذلك بعض الرسائل من مادوك. لست أدري عما كنت أبحث. كنت أستعرض كل شيء بأسرع ما يمكنني بحثًا عن شيء معين، أي شيء، قد يعطيني فكرة عن سبب تعرضه للخيانة.

طوال حياتي، نشأت وأنا أفكر في الملك السامي والأمير داين باعتبارهما حاكمينا بلا منازع. وكنت أعتقد أن مادوك مخلص لهما تمامًا، وكنت مخلصة لهما أيضًا. كما كنت أعرف أن مادوك مُتعطِّش للدماء. وأظنني كنت أعلم أنه يريد المزيد من الفتوحات، والمزيد من الحروب والمزيد من المعارك. لكنني ظننت أن رغبته في المشاركة في الحروب جزء من دوره كقائد للجيوش، بينما كان دور الملك السامي إبقاءه تحت السيطرة. وقد تحدث مادوك كثيرًا عن الشرف والالتزام والواجب. وقد ربَّانا أنا وتارين باسم كل هذه الأشياء؛ وبدا من المنطقي أنه كان على استعداد لتحمُّل أشياء أخرى قاسية، وربما غير سارَّة في سبيلها.

كما أنني ظننت أن مادوك كان يتقبَّل بالكين بالكاد.

ثم تذكرت الرسول القتيل، الذي أطلقت عليه السهم، والرسالة التي في حقيبته: "اقتل حامل هذه الرسالة". لقد كانت حيلة تضليلية، تهدف إلى إبقاء جواسيس داين منشغلين بمطاردة الأشباح، بينما خطَّطَ بالكين ومادوك للضرب في المكان الوحيد الذي لم ينظر إليه أحد - في العراء. سألت كاردان: «هل كنت تعلم؟ هل كنت تعلم ما سيفعله بالكين؟ هل هذا هو السبب في أنك لم تكن مع بقية أفراد عائلتك؟».

ضحك قائلًا: «إذا كنت تعتقدين ذلك، ففي رأيك لماذا لم أهرول مباشرة كي أنصِّب بالكين ملكًا؟» .

قلت: «أخبرني على أية حال».

قال: «لم أعرف بأمر ما حدث. هل كُنتِ تعرفين؟ فمادوك والدك، بعد كل شيء». أخرجت شريطًا طويلًا من الشمع من مكتب داين، وكان أحد طرفيه أسود.

وقلت له: «ما أهمية ما أقوله؟ فقد أكذب».

قال: «أخبريني على أية حال»، وتثاءب.

وفي لحظتها أردت بشدة أن أصفعه.

ثم اعترفت له قائلةً: «لم أعرف أنا أيضًا بالتخطيط لما حدث»، دون أن أنظر إليه. وبدلًا من ذلك، حدَّقت إلى كومة الرسائل، وفي أختام الشمع الرقيقة، وفي النقش الغائر بالمقلوب، ثم أردفتُ: «كان ينبغي عليَّ أن أعرف».

اتَّجهَ نظري نحو كاردان. ومشيت إليه، ثم جلست القرفصاء، وبدأت خلع خاتمه الملكي. لقد حاول سحب يده من قبضتي، لكنه كان مُقيَّدًا بطريقة لا يستطيع معها فعل ذلك. ونزعت الخاتم من إصبعه.

لقد كرهت ما أشعر به نحوه، والذعر غير المنطقي الذي انتابني عندما لمست بشرته.

قلت: «أنا فقط سأستعير خاتمك السخيف». ورأيت أن الخاتم تناسب تمامًا مع الختم الموجود على الرسالة. ومن المؤكد أن جميع خواتم الأمراء والأميرات متطابقة. وهذا يعني أن الختم الخاص بأحدهم يشبه إلى حد كبير ختم الآخر. ومن ثم فقد أخرجت ورقة جديدة، وبدأت الكتابة.

سأل كاردان: «ألا يفترض أن يكون لديك أي شراب هنا؟ لا أتخيَّل أن ما سيحدث لاحقًا سيكون مريحًا بشكل خاص بالنسبة لي، وأود أن أبقى مُشتَّتَ الذهن لأواجه الأمر».



سألته: «هل تعتقد حقًّا أنني أهتم براحتك؟».

سمعت وقع أقدام، فنهضت عن المكتب. وصدر من حجرة الطعام صوت تكسير للزجاج. أدخلت خاتم كاردان في سترتي، حيث استقر فوق بشرتي تمامًا، وتوجهت إلى المدخل. وفي القاعة بالخارج، أطاح الصرصور بصف من البرطمانات من على رف الكتب، وكسر خشب الخزانة، فانتشر الزجاج المكسور ومحتوياته المسكوبة على الأرضية الحجرية. جذور نبات اليبروح أو بيض الجن وزهور الدلفينيوم. كان الشبح يُمسك بذراع الصرصور، ويحاول أن يمنعه من تحطيم المزيد من الأشياء. وعلى الرغم من خطوط الدم المنهمر على ساقه. شل حركته. من الواضح أن الشبح خاض معركة دامية.

قلت: «مرحبًا».

وبدا كلاهما متفاجئًا لرؤيتي. وقد فوجئنا أكثر عندما لاحظنا أن الأمير كاردان مُقيَّد على كرسي في مدخل غرفة التخطيط.

قال الشبح: «ألا ينبغي أن تكوني مع والدك تحتفلين؟». وبصق على الأرض. تراجعت خطوة إلى الخلف. ففي السابق، كان الشبح - بالتحديد - دائمًا نموذجًا للهدوء المثالي غير الطبيعي. أما الآن فلا يبدو أي منهما هادئًا. ثم تابع في حنق: «القنبلة لا تزال في الخارج، لقد كاد كلانا أن يضحي بحياته لنحررك من زنزانة بالكين، ثم أجدك هنا، تشمتين بنا».

دافعت عن نفسي قائلةً: «كلا! فكِّر في الأمر. لو كنت أعرف ما سيحدث، ولو كنت في جانب مادوك، فإن الحالة الوحيدة التي سأكون بها هنا هي بصحبة فرقة من الفرسان. وكنا سنطلق عليكما السهام بمجرد دخولكما من الباب. وما كنت سأحضر وحدي، وأجر سجينًا يودُّ والدي بشدَّة لو حصل عليه».

قال الصرصور وهو ينظر إلى الضرر الذي أحدثه: «اصمتا كلاكما. نحن جميعًا نترنح من وطأة ما حدث». وهزَّ رأسه، ثم انتقل انتباهه إلى كاردان. ومشى نحوه، مُتفحِّصًا وجه الأمير. ثم ابتعدت شفتا الصرصور السوداوان عن أسنانه في دلالة على استغراقه في التفكير. وعندما

التفت إليَّ، بدا من الواضح أنه معجب بما فعلته. وقال: «ولكن يبدو أن واحدة منا حافظت على اتِّزانها».

قال كاردان: «مرحبًا»، وهو يرفع حاجبيه، ويتحدَّث إلى الصرصور كما لو كانا جالسين لتناول الشاي معًا.

كانت ملابس كاردان غير مهندمة؛ بسبب الزحف تحت الطاولات، أو الوقوع في الأسر والتقييد، وظهر ذيله سيئ السمعة تحت النسيج الأبيض لقميصه. إنه نحيف، وبلا شعر تقريبًا، وبه خصلة من الفراء الأسود عند طرفه. وبينما أشاهده من كثب، شكَّلَ ذيله منحنى متذبذبًا، وتلوَّى للأمام والخلف، كاشفًا زيف وجهه الهادئ، وحاكيًا قصته الخاصة عن شعور صاحبه بالقلق والخوف. وأدركت حينها لماذا يخفي هذا الشيء بعيدًا عن الأعين.

قال الشبح، وهو يتحرَّك جيئةً وذهابًا في مدخل الباب، بشعره البني الفاتح الذي يتطاير على

جبهته: «يجب أن نقتله. إنه العضو الوحيد في العائلة المالكة الذي يمكنه تتويج بالكين. ودون كاردان سيضيع العرش إلى الأبد، وسننتقم لداين».

أخذ كاردان نفسًا عميقًا، ثم أخرجه ببطء، وقال: «أفضِّل العيش».

وقال الصرصور للشبح، وقد اتَّسعت فتحتا أنفه الأخضر الذي يشبه سكينًا طويلًا: «نحن لم نَعُد نعمل لدى داين. وقد مات داين، ولم يَعُد يهتم بالعروش أو التيجان. سوف نرجع الأمير إلى بالكين مقابل كل ما يمكننا الحصول عليه ونرحل، وسنعيش بين الممالك الدنيا أو الجان الأحرار. وسوف نحصل على المتع والذهب. ويمكنكِ أن تأتي معنا يا جود. إذا أردت».

كان هذا العرض مغريًا، ومفاده أن أحرق كل شيء، وأهرب، وأبدأ بداية جديدة في مكان لا يعرفني فيه أحد سوى الشبح والصرصور.

بصق الشبح على الأرض، وقال: «أنا لا أريد أموال بالكين. وبخلاف ذلك. فإن الأمير الصبي لن ينفعنا. وهو صغير جدًّا، وضعيف جدًّا. وإن لم يكن من أجل داين، فلنقتله من أجل الجن جميعهم».

قلت له: «صغير جدًّا، وضعيف جدًّا، ووضيع جدًّا».

قال كاردان: «انتظروا». لقد تخيَّلته خائفًا مرات عديدة، لكن الواقع فاق تلك التخيلات. وإن رؤية تسارع أنفاسه، والطريقة التي يحاول الفكاك بها من وثاقه المحكم، أسعدتني. «انتظروا! يمكنني أن أخبركم بما أعرفه، كل ما أعرفه، أي شيء عن بالكين، أي شيء تريدونه. وإذا كنتم تريدون الذهب والثروات، يمكنني جلبهما من أجلكم فأنا أعرف الطريق إلى خزانة بالكين. ولدي المفاتيح العشرة للأقفال العشرة الخاصة بالقصر. يمكنني أن أكون مفيدًا لكم».

لم أرَ كاردان على هذه الحال إلا في أحلامي. يتوسَّل وهو بائس، عاجز.

سأله الشبح وهو يستند إلى الحائط: «ماذا تعرف عن خطة أخيك؟».

هزَّ كاردان رأسه قائلًا: «أعرف فقط أن بالكين كان يحتقر داين. وأنا أيضًا أحتقره، لقد كان

حقيرًا. لكني لم أعرف أن بالكين تمكَّنَ من إقناع مادوك بارتكاب هذه المذبحة».

سألته بسخط، حتى مع الجرح الذي لا يزال يلتئم في يدي: «ماذا تقصد بكلمة حقير؟». وقد جرف موت داين الاستياء الذي كنت أشعر به نحوه.

رمقني كاردان بنظرة غير مفهومة. «لقد سمَّمَ داين طفله وهو لا يزال في رحم أمه. وقد احتال على والدنا إلى أن جعله لا يثق بأحد سواه. اسأليهما... بالتأكيد يعرف جواسيس داين كيف دفع إلدريد إلى أن يعتقد أن إلوين كانت تتآمر ضده، وأقنعه بأن بالكين أحمق. كما دبَّرَ داين مسألة طردي خارج القصر لكي يأخذني أخي الأكبر أو أصبح مُشرَّدًا بين الحاشية. حتى إنه أقنع إلدريد بالتنحي بعد تسميم شرابه المفضل حتى يصبح مُتعَبًا ومريضًا بالتدريج... ولعنة التاج لا تمنع هذا».

«لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا». قلت هذا مُحتجَّةً، وأنا أُفكِّر في ليريوبي والرسالة، وكيف أراد بالكين إثباتًا بشأن من حصل على السم. كما أنه لم يكن ممكنًا تسميم إلدريد بالفطر الأحمر.

قال كاردان مُشيرًا برأسه إلى الصرصور والشبح: «اسألي صديقيك. كان أحدهما من أحضر السم الذي قتل الطفل وأمه».

هززت رأسي مُتسائِلةً عن صحة هذا الكلام، لكن الشبح لم يرفع عينيه إلى عيني. فصحت مُتسائِلةً: «لماذا فعل داين ذلك؟».

«لأنه أنجب الطفل من واحدة من محبوبات إلدريد، وكان يخشى أن يكتشف إلدريد الأمر ويختار منَّا شخصًا آخر وَلِيًّا للعهد». بدا كاردان سعيدًا بنفسه لأنه فاجأني - بل يمكنني القول إنه فاجأنا جميعًا، من النظرات التي ارتسمت على وجهَيْ الصرصور والشبح.

لم أحب الطريقة التي نظرا بها إليه لحظتها، التي دلَّت على أن كاردان قد تكون له قيمة مهمة بعد ما قاله. ثم أضاف: «حتى ملك الجان لا يحب أن يتزوج ابنه بواحدة من محبوباته».

ينبغي ألا أندهش من أن مملكة الجان فاسدة وقذرة نوعًا ما. كنت أعرف ذلك، تمامًا كما

علمت أن مادوك يمكنه فعل أشياء مُروِّعة للأشخاص الذين يهتم بأمرهم. وتمامًا كما علمت أن داين لم يكن لطيفًا قطُّ. لقد جعلني أطعن يدي، أطعنها بقوة. وقد ضمني إليه من أجل فائدتي له، لا أكثر.

قد يتمتع الجان والجنيات بقدر من الجمال، لكن جمالهم يبقى مثل جثة الأيل الذهبي، التي تزحف الديدان تحت جلدها، وتغدو جاهزة للانفجار في أي وقت.

لقد شعرت فجأةً بالغثيان من رائحة الدم. إنه على ثوبي، وفي أصابعي، وفي أنفي. كيف يفترض لي أن أكون أدنى منزلةً أو أسوأ حالًا من الجان؟

نُرجع الأمير كاردان إلى بالكين مقابل المال، قلَّبت هذه الفكرة في عقلي. سيكون بالكين تحت رحمتي، وسيجعلني عضوة في بلاطه، تمامًا كما أردت من قبل. سوف يعطيني أي شيء أطلبه، أيًّا من الأشياء التي كان يمكن لداين أن يقدمها وأكثر، الأراضي، لقب فارسة، تعويذة حب على جبيني حتى يهيم بي عشقًا كل من ينظر إليَّ، وسيفًا يصنع السحر مع كل ضربة له.

ومع ذلك، لا يبدو أن أيًّا من هذه الأشياء سيغدو ذا قيمة بعد الآن، لا شيء منها يعد بامتلاك سلطة حقيقية. والسلطة الحقيقية ليست منحة. السلطة الحقيقية لا يمكن أن تُسلب.

فكرت فيما ستكون عليه الحال عندما يكون بالكين ملكًا ساميًا، وعندما تلتهم دائرة السواديات جميع دوائر النفوذ الأخرى. وفكَّرت في خدمه الجائعين. وحثه كاردان على قتل أحدهم بغرض التدريب فحسب، والطريقة التي أمر بها بضرب كاردان بداعي حبه له ولعائلتهما.

لا، لا أستطيع أن أرى نفسي في خدمة بالكين.

قلت لهما وأنا أذرع المكان ذهابًا وإيابًا: «الأمير كاردان أسيري أنا». أنا لا أجيد الكثير من الأمور، وقد أجدت العمل في التجسس لفترة قصيرة جدًّا فقط. لكني لست مستعدة للتخلي عن ذلك. وقلت: «أنا من سيقرر ما سيحدث له».

فتبادل الصرصور والشبح النظرات.

وقلت: «إلا إذا اضطررنا لأن نتقاتل بعضنا مع بعض»، إنهما ليسا صديقيّ، وعليَّ أن أتذكَّر ذلك جيِّدًا. ثم استطردت: «لكن لديَّ إمكانية الوصول إلى مادوك. ولديَّ أيضًا إمكانية الوصول إلى بالكين. وأنا أفضل خيار لدينا للتوسط من أجل عقد صفقة».

قال كاردان ليحذرني: «جود!!». لكني لا أقبل التحذير، خاصَّةً منه.

وسادت لحظة من التوتر، ثم ابتسم الصرصور بعد ذلك، وقال: «لا يا فتاة. لن نتقاتل، إذا كانت لديك خطة، فأنا سعيد بها. أنا لا أحسن التخطيط حقًّا. إلا إذا كان الأمر يتعلَّق بكيفية

سرقة جوهرة من مكان لطيف. وقد سرقت أنتِ الأمير الصبي. هذه لعبتك إذن، إذا كنت تعتقدين أنك تستطيعين ممارستها».

وعبس وجه الشبح لكنه لم يعارضه.

ما كان يجب عليَّ أن أفعله بعد ذلك هو تجميع قطع الأحجية معًا. مبدئِيًّا ما لا يبدو منطقيًّا - لماذا يدعم مادوك بالكين؟ بالكين قاسٍ ومتقلب، وهما صفتان غير محببتين في الملك. وحتى لو كان مادوك يعتقد أن بالكين سيمنحه الحروب التي يريدها، ففيما يبدو أنه كان بوسعه إشعال فتيل تلك الحروب بطريقة أخرى.

ثم فكرت في الرسالة التي وجدتها على مكتب بالكين، الرسالة التي تخصُّ والدة نيكاسيا: "عرفتُ مصدر الفطر الأحمر الذي تبحث عنه". لماذا، بعد كل هذا الوقت، يريد بالكين دَلِيلًا على أن داين هو الذي دبَّرَ مقتل ليريوبي؟ وإذا كان لديه الدليل، فلماذا لم يُقدِّمه إلى إلدريد؟ ما لم يَكُن قد امتلك الدليل بالفعل، ولكن إلدريد لم يصدقه، أو يهتم به. أو ... ما لم يكن الدليل من أجل شخص آخر.

سألتُ: «متى سُمِّمت ليريوبي؟».

قال الشبح وهو يلوي فمه امتعاضًا: «قبل سبع سنوات، في شهر العواصف. أخبرني داين بأنه توصَّل إلى رأي متبصِّر بشأن الطفل. هل هذا مهم أم أنك فضولية فحسب؟

سألته: «وماذا كان ذلك الرأي المتبصر؟».

هزَّ رأسه كأنه لا يريد استدعاء هذه الذكرى، ولكنه أجاب: «إذا ولد الصبي، فلن يكون الأمير داين ملكًا أبدًا».

يا لها من نبوءة نمطية للجان - تلك التي تعطيك تحذيرًا بشأن ما ستخسره، ولكنها لا تعدك بأي شيء أبدًا. مات الصبي، وفي الوقت نفسه لن يغدو الأمير داين ملكًا أبدًا.




عليَّ ألَّا أكون من هذا النوع من الحمقى، ولا أضع إستراتيجيات بناءً على أحجيات. قال الصرصور بهدوء: «إذن الأمر صحيح. أنت من قتلها». فازداد عبوس الشبح، ولم يخطر ببالي حتى ذلك الحين أنهما قد لا يعرف كلٌّ منهما مهام الآخر.

بدا كلاهما منزعجًا. وتساءلت ما إذا كان الصرصور قد يقبل بأن يفعل ذلك. وتساءلت ماذا يعني أن الشبح فعلها. وعندما نظرت إليه، لم أتبيَّن على وجه الدقة ما إذا كنت أعرف شيئًا على حقيقته أم لا..

قلت: «سأعود إلى المنزل. سأتظاهر بأنني تهت في حفل التتويج، ويجب أن أكون قادرة على معرفة قيمة كاردان بالنسبة لهم. ثم سأعود غدًا وأدير التفاصيل بواسطتكم أنتما والقنبلة، وإذا حضرت إلى هنا. فامنحاني يومًا لأرى ما يمكنني القيام به، وأقسما على عدم اتِّخاذ أية قرارات حتى ذلك الحين».

«لو كان للقنبلة رأي مختلف أو أفضل من رأينا، فلعلها قد ماتت الآن». ثم أشار الصرصور إلى إحدى الخزانات. ومن دون كلام، ذهب الشبح وأخرج زجاجة ووضعها على الطاولة الخشبية البالية. وقال: «كيف نعرف أنك لن تخونينا؟ حتى إذا كنتِ تعتقدين أنك في صفنا الآن، فقد تعودين إلى معقل مادوك هذا وتعيدين النظر في الأمر».

نظرت إلى عيون الصرصور والشبح بتأمُّل، وقلت: «سأضطر إلى ترك كاردان في رعايتكما، ما يعني الوثوق بكما وأعد بألَّا أخونكما، وأنتما عداني بأن الأمير سيكون هنا عندما أعود».

بدا كاردان مُرتاحًا لفكرة أنه سيكون هناك تأجيل لحسم مصيره، بغض النظر عما سيحدث بعد ذلك. أو ربما شعر بالارتياح لوجود زجاجة الشراب بالقرب منه.

قال الشبح: «يمكنك أن تكوني صانعة ملوك. وهذا مُغرٍ. ويمكنك أن تجعلي بالكين أكثر ولاءً لوالدك».

قلت بجِدَّة: «إنه ليس والدي. حتى إذا قررت أنني أريد التعامل مع مادوك. فما دمت ستحصل على أجر، فلن يشكل ذلك فارقًا، أليس كذلك؟».

قال الشبح على مضض: «لا أظن ذلك. لكنك إذا عدت إلى هنا مع مادوك أو أي شخص آخر، فسنقتل كاردان، وبعد ذلك سنقتلك. أفهمت؟».

أَوْمَأتُ برأسي. وفكرت في أنه لولا تعويذة الأمير داين ربما كانا سيُرغمانني على فعل ما يريدان. وبالطبع، أنا لا أعرف ما إذا كانت تعويذة الأمير داين قد استمرت بعد وفاته أم لا، وأخشى استكشاف حقيقة هذا الأمر.

قال الشبح: «وإذا استغرقت أكثر من اليوم الذي طلبته للعودة، فسوف نقتله، ونخفض خسائرنا. فالأسرى مثل الخوخ كلما احتفظت بهم لفترة أطول، أصبحت قيمتهم أقل. وفي النهاية سيفسدون. أمامك يوم وليلة. فلا تتأخري».

جفل كاردان، وحاول لفت انتباهي إليه، لكنني تجاهلته.

قلت: «أوافق على ذلك»؛ لأنني لا أخادعهما. ولا أحد منا يشعر في الوقت الحالي بأنه جدير بالكثير من الثقة. ثم أردفت: «شريطة أن تقسما على أن كاردان سيكون هنا سالمًا عندما أعود غدًا، وحدي».

ولأنهما أيضًا لا يخادعانني، فقد أقسما لي على ذلك.







الفصل 23



لم أكن أعرف ما يمكنني أن أجده عندما أصل إلى المنزل. إنها مسيرة طويلة عبر الغابة، وقد صارت أطول لأنني تجنبت المرور بمخيمات الجان الحاضرين هنا من أجل التتويج. كان ثوبي مُتَّسخًا وممزقًا عند حاشيته، وقدماي كانتا تؤلمانني، ويغزوهما الشعور بالبرودة. وعندما وصلت، كان منزل مادوك يبدو على حاله المعهود دائمًا.

فكرت في جميع الثياب الأخرى المعلقة في خزانة ملابسي، التي تقبع هناك في انتظار ارتدائها، والنعال التي في انتظار أن ألهو وأرقص بها. ثم فكرت في المستقبل الذي اعتقدت أنني سأحظى به، والمستقبل الذي يفغر فمه أمامي الآن مثل الهاوية.

وفي البهو، رأيت عددًا من الفرسان أكثر مما اعتدت عليه، يدخلون ويخرجون من غرفة استقبال مادوك. بينما يندفع الخدم ذهابًا وإيابًا، ويحضرون الأباريق والمحابر والخرائط. وقِلَّة منهم رمقوني بنظرات عابرة.

كانت هناك أصوات بكاء وتفجُّع تملأ الردهة، إنها فيفيان. كانت وأوريانا في غرفة الاستقبال. وما إن رأتني حتى جرت فيفي نحوي، وطوَّقتني بذراعيها.



وقالت: «كنت سأقتله. كنت سأقتله إذا أصابتك خطته الغبية بسوء».

لكنني أدركت أنني لم أتحرَّك لحظتها من مكاني، فقط رفعت يدي لألمس شعرها، وأدع أصابعي تنزلق إلى كتفها، وقلت لها: «أنا بخير. لقد انجرفت وحسب بين الحشد. أنا بخير، إن كل شيء على ما يرام».

وبالطبع، ليس كل شيء على ما يرام على الإطلاق. لكن لم يحاول أحد معارضتي. ثم سألتُ: «أين البقية؟».

قالت أوريانا: «أوك في فراشه. وتارين خارج مكتب مادوك. وستكون معنا خلال دقيقة».

تغيَّرت تعبيرات وجه فيفي حينها، مع أنني لم أعرف ما شعرتْ به بالتحديد.

صعدت الدرج إلى غرفتي، حيث أزلت مساحيق الزينة عن وجهي، والوحل عن قدمي. فتبعتني فيفي، وجلست على كرسي. كانت عيناها اللتان تشبهان عيون القطط تسطعان بلون ذهبي في ضوء الشمس المتدفق من شرفتي. ولم تتحدث عندما أخذت مشطًا لفك التشابك في شعري، ثم ارتديت ملابس بألوان داكنة؛ سترة زرقاء داكنة ذات ياقة عالية وكمين ضيقين وحذاء أسود لامعًا، وقفازات جديدة لتغطية يدي. وربطت سيف الظلام بحزام أثقل، ووضعت الخاتم ذا الختم الملكي خلسة في جيبي.

يبدو شعورًا غرائبيًّا للغاية أن أكون موجودة في غرفتي، مع دمى حيواناتي المحشوة وكتبي ومجموعة سمومي الخاصة، ومع نسخة كاردان من كتابي مغامرات أليس في بلاد العجائب وعبر المرآة على منضدة بجانب سريري. انتابتني موجة جديدة من الذعر. إذ من المفترض أن أكتشف بالتحديد كيف أستفيد بأسر أمير الجان المفقود، وأستغل ذلك لمصلحتي.

وهنا، في منزل طفولتي، أردت أن أضحك من جرأتي. فمن أظن نفسي لأفعل ذلك؟

سألتْ فيفي وهي عابسة في وجهي: «ماذا حدث لحلقِك؟ وما خطب يدك اليسرى؟».

لقد نسيتُ مدى حرصي على إخفاء تلك الإصابات، فرددت: «إنهما ليسا مهمين، ليس في

ظل كل ما حدث. لماذا فعل هذا؟».

قالت وهي تخفض صوتها: «أتقصدين، لماذا ساعد مادوك بالكين؟ لا أعرف. إنها السياسة. وهو لا يكترث بالقتل. لا يهتم بأن الأميرة ريا ماتت بسببه، إنه لا يهتم يا جود لم يهتم قط. وهذا ما يجعله وحشًا».

قلت: «مادوك لا يريد حقًّا أن يحكم بالكين ألفهايم». سوف يؤثر بالكين في كيفية تعامل الجان مع عالم البشر لقرون، ومقدار الدم الذي سيُسفك، ومن سيُسفك دمه. وأرض الجان كلها ستكون مثل القصر الأجوف. ثم سمعت صوت تارين يتصاعد من أسفل الدرج. وهي تقول: «لوك مع مادوك منذ وقت طويل. إنه لا يعرف أي شيء عن المكان الذي يختبئ فيه كاردان».

ظلَّت فيفي صامتة تراقب وجهي، ثم قالت: «جود...».. ولم تكمل، وكان صوتها هامسًا.

قالت أوريانا التي دخلت إلى الغرفة: «ربما يحاول مادوك إخافته فحسب. كما أنك تعرفين أنه ليس حريصًا على ترتيب إقامة حفل زواج وسط كل هذه الاضطرابات».

وقبل أن تتمكَّن فيفي من قول أي شيء آخر، وقبل أن تتمكَّن من إيقافي. وقفت في أعلى الدرج.

وتذكرت الكلمات التي قالها لي لوك بعد أن شاركت في البطولة، وأغضبتُ كاردان: "أنتِ مثل قصة لم تحدث بعد، وأريد أن أرى ماذا ستفعلين. أريد أن أكون جزءًا من الحكاية التي ستتكشف". وعندما قال إنه يريد أن يرى ما سأفعله. هل قصد معرفة ما سيحدث إذا كُسر قلبي؟

إذا لم أجد قصة جيِّدة بما فيه الكفاية، فأنا أصنع واحدة.



وكلمات كاردان عندما سألته عما إذا كان يعتقد أنني لا أستحق لوك، ظلَّت تتردَّد في رأسي، حيث قال بابتسامة متكلفة: "أوه لا، أنتما مناسبان تمامًا، كلٌّ منكما للآخر". وكلماته في حفل التتويج: حان وقت تغيير الشركاء. أوه، هل سرقتُ جملتك؟

لقد كان يعرف الحقيقة. ومن المؤكد أنه سخر مني وضحك كثيرًا. ومن المؤكد أنهم ضحكوا جميعًا.

قلت لأختي التوأم : «أظنني عرفتُ الآن من هو حبيبك». فنظرت تارين إلى أعلى الدرج، وشحب وجهها، فيما نزلتُ الدرج ببطء وحذر.

وتساءلت عما إذا كانت تضحك. معهم عندما كان لوك وأصدقاؤه يضحكون عليَّ.

كل النظرات الغريبة والتوتر في صوتها عندما كنت أتحدَّث عن لوك وقلقها بشأن ما كنا نفعله أنا وهو في الإسطبلات، وما فعلناه في منزله - كل هذا بدا منطقيًّا بشكل فظيع. وشعرت بطعنة خيانة حادَّة.

استللت سيف الظلام من غمده، وقلت لتارين: «أنا أتحداك وأدعوك إلى المبارزة من أجل شرفي الذي تعرَّضَ للخيانة المروِّعة».

اتَّسعت عينا تارين، وقالت: «أردت أن أخبرك. كانت هناك مرات عديدة حاولت فيها قول شيء ما، لكنني لم أستطع ذلك. وأخبرني لوك بأنني إذا استطعت تَحمُّل خداعه لك، فسيكون ذلك بمثابة اختبار للحب».

وتذكرت كلماته في الحفل: هل تحبينني بما يكفي لتتخلي عني؟ أليس هذا اختبارًا للحب؟

أعتقد أنها نجحت في الاختبار، وفشلت أنا.

قلت: «إذن، فقد عرض عليك الزواج. بينما العائلة المالكة تتعرَّض للذبح. هذا رومانسي للغاية».

أصدرت أوريانا شهقة خافتة؛ فربما كانت تخشى أن يسمعني مادوك، وأن يعترض على وصفي لما حدث، بينما بدت تارين شاحبة بعض الشيء أيضًا.

شددت يدي على مقبض سيف الظلام. وقلت: «ماذا قال كاردان ليدفعك إلى البكاء في اليوم

التالي بعد عودتنا من عالم البشر؟». أذكر يديَّ المنغرستين في سترته المصنوعة من القطيفة، وظهره الذي اصطدم بالشجرة عندما دفعته، ثم لاحقًا، كيف أنكرتْ أن الأمر يتعلَّق بي. وكيف لم تخبرني بما اضطرت إلى فعله.

لفترة طويلة، لم تجب. ولكن من خلال تعبيرات وجهها، علمت أنها لا تريد أن تخبرني بالحقيقة.

«كان كلامه يتعلَّق بهذا الموضوع، أليس كذلك؟ كان يعرف. كانوا يعرفون جميعًا». فكرت في نيكاسيا حينما كانت جالسة على طاولة طعام لوك، فقد بدت للحظة كأنها تخدعني بثقتها الزائفة، وقولها عن لوك إنه يفسد الأمور. هذا ما يحبه. إفساد الأمور.

وقد ظننت حينها أنها كانت تتحدث عن كاردان.

قالت تارين بصوتٍ خافت: «قال إنه ركل الأوساخ على طعامك بسببي، لقد خدعهم لوك ليعتقدوا أنك أنتِ التي سرقته من نيكاسيا. لذلك كانوا يعاقبونك أنت. وقال كاردان لي إنك كنت تعانين بدلًا مني، وأنكِ إذا عرفت السبب فستتراجعين، لكنني لم أستطع إخبارك».

للحظة طويلة، لم أفعل شيئًا سوى محاولة استيعاب كلماتها. ثم ألقيت سيفي بيننا. فأصدر رنينا على الأرض، وقلت لها: «احمليه».

فهزَّت تارين رأسها، وقالت: «أنا لا أريد مبارزتك».

قلت: «هل أنتِ متأكدة من هذا؟ أعتقد أنك تريدين ذلك. أعتقد أنك تودين أن تضربيني. وأنا أعلم أنني أريد أن أضربك». ووقفتُ أمامها، مباشرة أمام وجهها، قريبة منها بشكل مزعج.

وكان بوسعي أن أشعر بمدى رغبتها الشديدة في الإمساك بكتفيَّ ودفعي. لا بُدَّ أنها اغتاظت لأنني قبَّلت لوك، ونمت ليلة الحفل في منزله.

كان هناك سيف مُعلَّق على الحائط فوق الموقد، تحت لافتة حريرية عليها شعار مادوك ذو القمر المتحوِّل. فصعدت على كرسي قريب، ثم صعدت على الرف، ورفعته عن حامله. إنه يصلح لما أريده.

ثم قفزت للأسفل، وسرت باتجاهها، مُوجِّهةً السلاح إلى قلبها.

قالت: «لقد توقفت عن التَّدرُّب منذ فترة».

قلت: «أما أنا فلم أتوقف قطُّ». وقرَّبت المسافة بيننا، ثم تابعت: «ولكن لديك السيف الأفضل، ويمكنك توجيه الضربة الأولى. هذا عادل، بل هو غاية العدل».

نظرت تارين إليَّ للحظة طويلة، ثم التقطت سيف الظلام. وتراجعت عِدَّة خطوات واستلته من غمده.

وفي الغرفة، انتفضت أوريانا وهي تشهق لكنها لم تتقدَّم نحونا ولم تمنعنا.

هناك الكثير من الأمور المعطلة التي لا أعرف كيف أصلحها. ولكنني أعرف كيف أقاتل.

صاحت فيفي من الشرفة: «لا تكونا غبيتين!». لكني لم أستطع أن أعطيها الكثير من انتباهي. فقد كنت أركز بشدَّة على تارين وهي تتحرك على الأرض. لقد علَّمَ مادوك كلتينا، وعلَّمنا جيِّدًا.

ثم ضربتْ بسيفها.

فصددت الضربة، وتصادم سيفانا معًا. وأصدر السلاح رنينًا، وتردَّد صداه في الغرفة. قلت لها: «هل استمتعت بخداعي؟ هل أعجبك الشعور بأنك أفضل مني؟ هل أعجبك أنه كان يغازلني ويقبِّل يدي بينما كان يعدك طوال الوقت بأن تكوني زوجته؟».

قالت: «لا!». وتفادت سلسلة ضرباتي الأولى ببعض الجهد، لكنها كانت تتذكَّر التعليمات، ثم كشَّرت عن أسنانها وقالت: «لقد كرهتُ ذلك، لكنني لست مثلك. أريد أن أنتمي إلى هذا المكان. وتحديهم يجعل كل شيء أسوأ. إنك لم تستشيريني قط قبل تحديك للأمير كاردان- ربما بدأ الأمر بسببي، لكنك واصلت ذلك. ولم تكترثي بما جلبتِه علينا. وكان عليَّ أن أظهر للوك أنني مختلفة».

اجتمع عدد قليل من الخدم ليشاهدوا.

فتجاهلتهم، وتجاهلت الوجع في ذراعي جرَّاء حفر قبر لفاليريان قبل ليلة واحدة فقط، كما تجاهلت وخز الجرح في راحة يدي. ثم قطع سيفي تنورة تارين ووصل إلى جلدها تقريبًا. فاتَّسعت عيناها وتعثرت للخلف.

تبادلنا سلسلةً من الضربات السريعة، وصارت تتنفس بصعوبة أكبر؛ فهي لم تعتد التَّعرُّض للضغط بهذه الطريقة، لكنها لم تتراجع أيضًا.

ضربت سيفها بسيفي، ولم أعطها الوقت لتفعل ما هو أكثر من الدفاع عن نفسها. «إذن، أكان هذا انتقامًا من جانبي؟». لقد اعتدنا أن نتشاجر عندما كنا أصغر سنًّا بعصي التَّدرُّب. ومنذ ذلك الحين، ونحن نتبادل شدَّ الشعر. والصراخ إحدانا في الأخرى، وحتى تجاهل كل منا الأخرى – لكننا لم نتقاتل قط بهذه الطريقة، ولم نتقاتل مطلقًا بسلاح حقيقي.

صاحت فيفي «تارين! جود! توقَّفَا، وإلا أوقفتكما أنا». وتحرَّكت نحو الدرج اللولبي.

قالت تارين لي: «أنتِ تكرهين الجان». ثم برقت عيناها وهي تدير سيفها في ضربة أنيقة. «وأنت لم تهتمي بلوك قط. لقد كان مجرد شيء آخر تسلبينه من كاردان».

فاجأني هذا الكلام لدرجة أنها تمكَّنت من مباغتتي ومسَّ سيفها جانبي قبل أن أدور مُبتعدةً عن متناول يدها.

وواصلت حديثها: «أنتِ تظنين أنني ضعيفة».

قلت لها: «أنتِ ضعيفة بالفعل. أنت ضعيفة ومثيرة للشفقة وأنا...».

صاحت: «أنا مرآة. أنا المرآة التي لا تريدين النظر إليها».

فهاجمتُ تارين مرة أخرى، واضعةً وزني بالكامل في الضربة. كنت غاضبة جدًّا، غاضبة من أشياء كثيرة. وأكره أن أكون غبية.

أكره أن أتعرض للخداع. تعالى صوت الغضب في رأسي، تعالى بما يكفي لحجب كل فكرة أخرى.

ثم وجَّهتُ سيفي نحو جانبها بحركة مقوسة.

فصاحت فيفي: «قلت توقَّفَا»، وكأنَّ هناك سحرًا جذَّابًا في صوتها، مثل شبكة الصيد، «الآن، توقَّفَا!».

هدأت تارين، وأرخت ذراعيها، وتركت سيف الظلام يتأرجح قليلًا بين أصابعها المرتخية فجأة، وعلى وجهها ابتسامة غامضة كأنها تستمع لموسيقى بعيدة. حاولت أن أوقف ضربتي، لكن كان الأوان قد فات. وبدلًا من ذلك، أفلت السيف من قبضتي. فجعلته قوة الاندفاع ينطلق في الغرفة حتى اصطدم برف من الكتب، وطرح جمجمة كبش على الأرض كما جعلتني القوة نفسها أرتمي على الأرض.

فالتفتُّ إلى فيفي مذعورة، وقلت: «ليس لك حق في فعل هذا». واندفعت هذه الكلمات من فمي قبل الكلمات الأكثر أهمية التي كان يجدر بي قولها... كان من المحتمل أن أشق تارين إلى نصفين.

لقد بدت فيفي مندهشة مثلي، وتساءلت: «هل ترتدين عقدًا واقيًا من السحر؟ لقد رأيتك وأنت تبدلين ملابسك، ولم يكن لديك واحد».

إنها تعويذة داين التي استمرت بعد وفاته.

شعرت بتسلخ ركبتي، وبأن يدي تنبض بالألم، ويؤلمني جانبي في الموضع الذي خدشني فيه سيف الظلام. كنت غاضبة لأنها أوقفت القتال، وغاضبة لأنها حاولت استخدام السحر علينا. أجبرت نفسي على النهوض على قدمي، وتنفست بصعوبة، كان هناك عرق على حاجبيّ، وأطرافي تهتز.

ثم أمسكت بي بعض الأيدي من الخلف. ونزل ثلاثة خدم آخرين، وراحوا يقفون بيننا،

ويمسكون بذراعي. وأمسك اثنان بتارين وجروها بعيدًا عني ونفخت فيفي في وجه تارين فعادت إلى وعيها.

وحينها رأيت مادوك خارج غرفة الاستقبال الخاصة به، ويحتشد من حوله مساعدوه وفرسانه، ولوك.

فاضطربت معدتي.

صاح مادوك غاضبًا على نحو لم أره من قبل في حياتي: «ما بكما أنتما الاثنتين؟ أليس لدينا بالفعل فائض من الموتى اليوم؟».

وهو ما بدا قولًا متناقضًا؛ لأنه كان السبب في الكثير مما حدث.

«انتظراني في غرفة الألعاب». وكل ما أمكنني التفكير فيه لحظتها هو مشهد وقوفه فوق المنصة، وسيفه يخترق صدر الأمير داين.

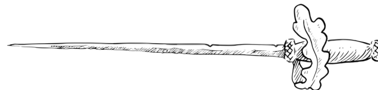
لم أستطع النظر إلى عينيه، وارتجف جسدي كله، وأردت الصراخ. أردت أن أهرول إليه وأدفعه وشعرت كأنني طفلة مرة أخرى، طفلة عاجزة في منزل الموت.



أردت أن أفعل شيئًا، لكنني لم أفعل أي شيء.

والتفت إلى ناربوني قائلًا له: «اذهب معهما. واحرص على أن تكون إحداهما بعيدة عن الأخرى».

دخلت غرفة الألعاب، وجلست على الأرض، ورأسي بين يدي. وعندما أبعدتهما، كانتا مبللتين بالدموع. فمسحت أصابعي بسرعة في سروالي قبل أن تتمكن تارين من رؤيتي.



انتظرنا ساعة على الأقل. ولم أتفوَّه بكلمة واحدة لتارين، ولم تتفوَّه هي أيضًا بأي شيء. لقد تمخطت قليلًا، ثم مسحت أنفها، ولم تبكِ.

فكرت في كاردان المُقيَّد على كرسي كي أبهج نفسي. ثم فكرت في الطريقة التي نظر بها إليَّ من خلال ستار شعره الأسود الغريب، والحواف المتعرجة لابتسامته الثملة، ولم أشعر بالراحة على الإطلاق.

كنت أشعر بالإرهاق والإحباط التام.

كنت أكره تارين وأكره مادوك وأكره لوك، وأكره كاردان. أكره الجميع، أنا فقط لا أكرههم بما فيه الكفاية.

سألتُ تارين، بعد أن سئمتُ أخيرًا من الصمت: «ماذا أعطاكِ؟ لقد أعطاني مادوك السيف الذي صنعه أبي، إنه ذلك الذي كنا نتشاجر به. وقال إنه كان لديه شيء لكِ أيضا».

فصمتتْ فترة طويلة لدرجة أنني ظننت أنها لن تجيب، ثم قالت: «مجموعة من سكاكين المائدة من المفترض أنها حادَّة لدرجة أنها تقطع العظام. السيف أفضل. وله اسم».





قلت: «أعتقد أنه يمكنك إطلاق اسم على سكاكين شرائح اللحم الخاصة بك. قواطع اللحم الكبرى، أو قواطع الغضاريف، شيء من هذا القبيل». فأصدرت زمجرة قصيرة من أنفها بدت كأنها تعبير عن ضحكة مكتومة. لكن بعد ذلك، عدنا إلى الصمت.

وفي النهاية، دخل مادوك إلى الغرفة، وكان ظله يسبقه منتشرًا على الأرض مثل السجادة. ثم ألقى سيف الظلام موضوعًا في غمده على الأرض أمامي، وجلس على أريكة ذات أرجل على شكل قدم الطائر. أصدرت الأريكة طقطقة فهي غير معتادة على تحمل الكثير من الوزن. ثم أوْمَأَ ناربوني برأسه لمادوك، واستأذن في الخروج.

قال مادوك: «يا تارين كنت أودُّ التحدث معك عن لوك».

«هل جرحتَه؟». وكانت هناك تنهيدة حزن مكتومة بصعوبة في صوتها. وعلى نحو خبيث،

تساءلتُ عما إذا كانت تصطنعها أمام مادوك.

فأصدر زفيرًا من أنفه، كأنه ربما يطرح التساؤل نفسه. ثم استطرد: «عندما طلب يدك، أخبرني بأنه مع أن الجان - كما أعرف - متقلبون، فإنه لا يزال يرغب في اتخاذك زوجة - وهذا يعني في ظني أنك لن تجديه على حال واحدة مستقرة لفترة طويلة. ولم يقل شيئًا عن مغازلته لجود حينها، لكن عندما سألته منذ لحظة قال لي إن مشاعر البشر متقلبة للغاية لدرجة أنه من المستحيل ألا تتلاعب بها قليلًا. وأخبرني بأنك يا تارين أظهرت له أن بوسعك أن تكوني مثلنا. ولا شك في أن كل ما فعلته لتظهري له ذلك كان هو مصدر الخلاف بينك وبين أختك».

كان ثوب تارين ملتفًّا حولها، وتبدو متماسكة على الرغم من تعرضها لجرح سطحي عند أحد جانبيها، وقطع في تنورتها. كانت تبدو كسيدة من طبقة نبلاء الجان، إذا لم يحدِّق المرء كثيرًا في المنحنيات الدائرية لأذنها. وعندما سمحت لنفسي بالتفكير في الأمر حقًّا، وجدت أنني لا يمكنني أن أعيب على لوك اختياره لها. فأنا عنيفة، وظللت أسمم نفسي لأسابيع، وأنا قاتلة، وكاذبة وجاسوسة.

وفهمتُ لماذا اختارها. كنت فقط أتمنى لو أنها اختارتني ولم تفعل ما فعلته.

سألتْ تارين: «ماذا قلت له؟».

قال مادوك: «إنني لم أجد نفسى متقلب الأحوال مثله من قبل. وأنني أرى أنه غير جدير بأيٍّ منكما».

كوَّرت تارين قبضتيها إلى جانبيها، ولكن لم تكن هناك علامة أخرى على غضبها. لقد أتقنت نوعًا من رباطة الجأش لم أتقنه. وفي حين كنت أتعلم أنا على يد مادوك، كانت معلمتها هي أوريانا. ثم قالت: «هل تمنعني عن قبوله كزوج؟».

قال مادوك: «لن ينتهي الأمر بشكل جيد في رأيي. لكنني لن أقف أمام سعادتك، ولن أقف كذلك أمام البؤس الذي تختارينه لنفسك».

لم تقل تارين شيئًا، لكن الطريقة التي أطلقت بها أنفاسها أظهرت ارتياحها.

قال لها: «اذهبي ولا مزيد من القتال مع أختك. ومهما كانت السعادة التي تجدينها مع لوك، يجب أن يكون ولاؤك لعائلتك».

تساءلتُ وقتها ما الذي يعنيه بذلك، أي بالولاء. لقد اعتقدتُ يومًا أنه كان مخلصًا لداين. اعتقدت أنه أقسم له بالولاء.

قالت تارين: «لكنها...»، رفع مادوك يده، مهددًا بأظافره السوداء المنحنية.

«هل كانت هي المتحدية؟ هل وضعت سيفًا في يدك وجعلتك تضربين به؟ هل تعتقدين حقًّا أن أختك ليس لها أي شرف، وأنها ستقطعك إلى أشلاء وأنت تقفين إلى جانبها عزلاء من السلاح؟».

حدَّقَت تارين بدهشة، وقد رفعت وجهها. وقالت: «لم أرغب في القتال».





قال مادوك: «إذن، يجب ألا تفعلي ذلك في المستقبل. لا فائدة من القتال إذا كنت لا تنوين الفوز. يمكنك الانصراف، ودعيني أتحدث إلى أختك».

نهضت تارين و مشت إلى الباب. وبعد أن وضعت يدها على المزلاج النحاسي الثقيل، التفتت للخلف كأنها تريد قول شيء آخر. وأيًّا كانت المشاعر الودية التي كانت بيننا قبل حضوره فقد ذوت واستطعت أن أرى في وجهها أنها تريده أن يعاقبني وهي شبه متأكدة من أنه لن يفعل ذلك.

ثم قالت وقد ضيَّقت عينيها: «عليك أن تسأل جود عن مكان الأمير كاردان. آخر مرة رأيته فيها، كان يرقص معها».

وبعد تلك الكلمات، دفعت الباب تاركةً قلبي يدقُّ من الرعب والختم الملكي يشتعل في جيبي. إنها لا تعرف شيئًا. إنها مغتاظة فحسب، وتحاول فقط أن توقعني في مشكلة بعبارتها الأخيرة هذه. ولا أظن أنها ستقول ما قالت لو عرفت حقيقة الأمر.

قال مادوك وهو يميل إلى الأمام: «فلنتحدث عن سلوكك الليلة».

فرددت قائلة: «فلنتحدث عن سلوكك أنت الليلة».

تنهَّدَ ودلَّكَ بيده وجهه، وقال: «أنتِ كنت هناك، أليس كذلك؟ لقد حاولت إخراجكم جميعًا، حتى لا تضطروا لمشاهدة ما حدث».

قلت: «لقد اعتقدت أنك تحب الأمير داين. واعتقدت أنك صديقه».

قال مادوك: «لقد أحببته كثيرًا بما فيه الكفاية، أكثر مما أحب بالكين بالقطع. لكن هناك آخرين ممن يطالبونني بتحديد جهة ولائي».

فكَّرت مرة أخرى في قطع أحجيتي، والإجابات التي عدت إلى المنزل للحصول عليها. ما الذي كان يمكن أن يقدمه بالكين أو وعد به مادوك ليقنعه بالتحرك ضد داين؟

سألته: «من؟ ما الذي قد يستحق هذا القدر من القتل؟».

قال بزمجرة: «كفى. أنت لست عضوة بعد في مجلس الحرب الخاص بي. وستعرفين ما يجب أن تعرفيه بمرور الوقت. وحتى ذلك الحين، اسمحي لي بأن أؤكد لك أنه على الرغم من فوضوية الأمور، فإن خططي لم تفسد، وما أحتاج إليه الآن هو العثور على الأمير الأصغر. وإذا كنت تعرفين مكان كاردان، يمكنني جعل بالكين يُقدِّم لك مكافأة رائعة. منصبًا في بلاطه. وأي زوج تريدينه، أو القلب النابض لأي شخص تحتقرينه».

نظرت إليه باندهاش: «هل تظن أنني أودُّ انتزاع لوك من تارين؟».

فهزَّ كتفيه قائلًا: «لقد بدا أنك تريدين اقتلاع رأسها من كتفيها. لقد أخطأتْ في حقك. ولا أعلم ما العقاب الذي قد ترينه مُناسِبًا لها».

للحظة، ظللنا ننظر فحسب، كلٌّ منا نحو الآخر. إنه وحش، لذا إذا أردت أن أفعل شيئًا سيئًا للغاية، فلن ينتقدني عليه كثيرًا.

قال ببطء: «إذا كنت تريدين نصيحتي، فالحب لا ينمو كما نرغب، ويتغذى دومًا على الألم.

أعلميني بالأمر على الأقل. وأنا أحبك، وأحب تارين، لكنني لا أعتقد أنها مناسبة للوك».

«وهل أنا مناسبة له؟». لا يسعني إلا التفكير في أن فكرة مادوك عن الحب لا تبدو كشيء آمن للغاية. فقد أحب أمي، وكان يحب الأمير داين. ومن المرجح أن حبه لنا لن يمنحنا حماية أكثر مما وفره لأي منهما.

ابتسم مُظهرًا أسنانه، وقال: «لا أعتقد أن لوك مناسب لك أيضًا. وإذا كانت أختك محقة وأنت تعرفين مكان الأمير كاردان، فسلميه لي. إنه صبي مسرف في التأنق، ولا يجيد استخدام السيف. إنه جذاب إلى حد ما وذكي، لكنه لا يستحق الحماية».

صغير جدًّا، وضعيف جدًّا، ووضيع جدًّا.

فكرت مرة أخرى في الانقلاب الذي خطَّطَ له مادوك مع بالكين، مُتسائِلةً كيف كان من المفترض أن يسير. قتل الشقيقين الأكبر سنًّا ذوي النفوذ. وحينها كان من المؤكد أن الملك السامي سوف يلين ويضع التاج على رأس الأمير صاحب القوة الأكبر، الذي يقف الجيش وقائده إلى جانبه. ربما على مضض، لكن بمجرد تهديده، كان إلدريد سيتوج بالكين، إلا أنه لم يفعل. ثم حاول بالكين إجباره، ثم مات الجميع.

الجميع ما عدا كاردان. وكادت لوحة الشطرنج تخلو من القطع ولا يمكن أن تكون هذه هي الطريقة التي اعتقد مادوك أن الأمور ستنتهي بها. لكنني ما زلت أتذكر دروسه عن التخطيط الإستراتيجي. يجب أن تؤدي كل نتيجة للخطة إلى النصر.

ولكن لا أحد يستطيع حقًّا التخطيط لكل متغير. وهذا عائق سخيف. قلت مُحاوِلةً توجيه المحادثة بعيدًا عن مكان كاردان: «ظننت أنك من المفترض أن تلقي عليَّ محاضرة حول عدم القتال بالسيف في المنزل». لقد حصلتُ على ما وعدت به مجلس الظلال؛ عرضًا. والآن عليَّ فقط أن أقرر ماذا أفعل به.

قال: «عليَّ أن أخبرك بأن سلاحك لو أصاب هدفه لكنت ستؤذين تارين، وكنت ستندمين على ذلك طوال حياتك؟ فمن بين جميع الدروس التي علمتك إياها، أعتقد أن هذا هو أفضل ما علمتك». وكانت عيناه مثبتتين على عيني إنه يتحدث عن والدتي، وعن قتله والدتي. ولم أستطع قول أي شيء حيال ذلك.

«من المخزي أنك لم تصبي هذا الغضب على شخص يستحق ما هو أكثر. وفي أوقات كهذه، قد يختفي بعض الجان دون أن يثير ذلك تساؤل أحد». ورمقني بنظرة ذات معنى.

هل يخبرني بأنه من المقبول لديه أن أقتل لوك؟ أتساءل ماذا سيقول إذا علم أنني قد قتلت بالفعل فردًا من طبقة النبلاء. وإذا أريته الجثة، فمن الواضح أنه ربما يقول لي أحسنتِ.

سألته: «كيف تنام قرير العين ليلًا؟». إنه لكلام مبتذل، وقد قلته فحسب لأنه أظهر لي مدى اقترابي من جميع الصفات التي احتقرتها فيه.

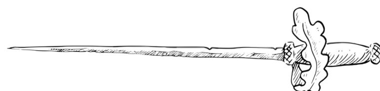


انعقد حاجباه، ونظر إليّ كما لو أنه يفكر في نوع الإجابة التي يجب أن يرد بها. وأنا أتخيَّل نفسي كما يراني، فتاة غاضبة تنتقده. وقال في النهاية: «يجيد البعض العزف على المزامير أو الرسم ولدى البعض مهارة في منح الحب وتلقِّيه. أما موهبتي فهي شن الحروب. والشيء الوحيد الذي يبقيني ساهرًا هو إنكار موهبتي هذه وعدم منحها المتنفس».

أَوْمَأتُ برأسي ببطء.

ونهض ثم قال: «فكري فيما قلته، ثم فكري في موضع تركُّز مواهبك».

كلانا يعرف ماذا يعني ذلك. وكلانا يعرف ما أجيده، وما أنا عليه... لقد طاردت أختي قبل قليل في الطابق السفلي، وأنا أحمل السيف. لكن ما ينبغي عليّ فعله بهذه الموهبة هو المهم.



عندما غادرت غرفة الألعاب، أدركت أن بالكين قد وصل مع ضباطه. وقد وقف الفرسان مرتدين الزي الخاص به - ثلاثة طيور ضاحكة مزخرفة على معاطفهم - في البهو. تسللت من ورائهم، وصعدت الدرج، وسحبت سيفي خلفي، وكنت مرهقة جدًّا بحيث لا أستطيع فعل أي شيء آخر.

كنت جائعة، لكنني كنت أشعر بالغثيان لدرجة أنني لا أستطيع تناول الطعام. هل هذا ما يعنيه أن تكون محطم الفؤاد؟ ولست متأكدة من أنني حاقدة على لوك بقدر ما أحقد على العالم الذي عشت فيه قبل بدء التتويج، ولو أن بوسعي إرجاع الأيام الماضية للخلف، لأرجعتها إلى ما قبل أن أقتل فاليريان لأرجعتها إلى الوقت الذي كان فيه والداي على قيد الحياة، لأرجعتها إلى البداية؟

كان هناك طرق على بابي، ثم انفتح دون أن آذن للطارق بالدخول. دخلت فيفي تحمل طبقًا خشبِيًّا عليه شطيرة، إلى جانب قنينة من الزجاج الكهرماني.

قلت: «أنا بلهاء. أنا حمقاء. أنا أعترف بذلك. وليس عليك أن تُلقي عليَّ محاضرة».

قالت: «ظننت أنك ستوبخينني بشأن التعويذة. أنت تعرفين عما أتحدث، تلك التي قاومتها».

قلت لها: «ينبغي عليك ألا تسحري أختيك». ونزعت غطاء القنينة وأخذت جرعة طويلة من الماء. لم أدرك كم كنت عطشانة، واستمررت في الشرب، وأفرغت القنينة كلها تقريبًا في جرعة واحدة متصلة.

قالت: «ينبغي ألا تحاولي شق أختك إلى نصفين». ثم جلست على وسادتي، وعلى دمى حيواناتي المحشوة البالية وعلى نحو عفوي، التقطت دمية الثعبان، ومسدت على نتوءات لسانه البارزة. وقالت: «لقد فكرت في الأمر كله - المبارزة والفروسية - أظنها كانت لعبة».

تذكَّرتُ كم كانت غاضبة عندما استسلمنا أنا وتارين للعيش في أرض الجان، وبدأنا نستمتع بوقتنا فيها. نستمتع بتيجان الأزهار على رؤوسنا، وقذف الأقواس والسهام في السماء، وبأكل الحلوى البنفسجية المسكرة، والنوم ورؤوسنا على الوسائد المريحة. كنا أطفالًا، وقد يضحك الأطفال طوال اليوم، ثم يبكون عند النوم ليلًا. لكن رؤيتها لي وأنا أمسك بسيف في يدي، سيف مثل الذي قتل والدينا، واعتقاد أنها مجرد لعبة يدل على أنها تعتقد أنني بلا قلب.

قلت لها في النهاية: «ليس الأمر كذلك».

قالت فيفي، وهي تلفُّ دمية الأفعى حول دمية القط: «لا».

سألتها، وأنا أصعد على سريري بجانبها: «هل أخبرتكِ عنه؟».

شعور جيِّد ومريح أن تستلقي، وربما يكون ممتعًا، فقد شعرت بالنعاس على الفور. قالت فيفي: «لم أكن أعرف أن تارين تحب لوك». وتعمدت قول الجملة كاملة؛ حتى لا أضطر إلى التساؤل عما إذا كانت تحاول خداعي. ثم أردفت: «لكنني لا أريد أن أتحدث عن لوك، انسيه، فأنا أريد أن نرحل عن أرض الجان. الليلة».



جعلني هذا أجلس منتصبة. «ماذا؟».

ضحكتْ على رد فعلي. إنه يبدو كأمر عادي، لذا فهو بعيد تمامًا عن الدراما العالية التي مررت بها في اليومين الماضيين. أوضحت فيفي: «لقد اعتقدت أن هذا سوف يفاجئك. اسمعي، أيًّا كان ما سيحدث بعد ذلك هنا، فلن يكون جيِّدًا. بالكين أحمق، وهو غبي فوق ما تظنين. كان يجب أن تسمعي أبي وهو يسبُّه ونحن في طريقنا إلى المنزل. دعينا نرحل فحسب».

سألتها: «وماذا عن تارين؟».

«لقد سألتها بالفعل، ولن أخبرك بما إذا كانت قد وافقت على الحضور أم لا. أريدك أن تجيبي أنتِ. جود، اسمعي. أعلم أنك تحتفظين ببعض الأسرار. فهناك شيء ما يجعلك مريضة. وأنت أكثر شُحوبًا ونحافة، ولعينيك لمعان غريب».

قلت لها: «أنا بخير».

قالت دون نبرة اتِّهامية حادَّة: «كاذبة. أعلم أنك عالقة هنا في أرض الجان بسببي. وأعلم أن

أسوأ الأشياء التي حدثت في حياتك كلها بسببي. وأنتِ لم تقولي هذا قطُّ، وهذا لطف منك، لكنني أعلم ذلك. وتعيَّن عليك أن تحوِّلي نفسك إلى شيء آخر، وقد فعلت ذلك. وفي بعض الأحيان، عندما أنظر إليك، لا أدري ما إذا كنت ستعرفين حتى كيف ستصبحين بشرية بعد الآن»..

لا أعرف ماذا أفعل بقولها - أي المجاملة والإهانة دفعة واحدة. لكن خلف كلامها يكمن شعور تنبُّئي.

قالت فيفي: «إنك تتأقلمين هنا أفضل مني، لكنني أُجزم بأن ذلك كلفك شيئًا ما».

أنا في الغالب لا أحب تخيُّل الحياة التي كان بإمكاني أن أحصل عليها، تلك التي ليس فيها سحر. تلك التي أذهب فيها إلى مدرسة عادية، وأتعلم أشياء عادية. تلك التي كان لي فيها أب

وأم على قيد الحياة. تلك التي كانت فيها أختي الكبرى غريبة الأطوار. تلك التي لم أكن غاضبة جدًّا فيها. تلك التي لم تكن فيها يداي ملطختين بالدماء. لقد تخيلتها الآن، وشعرت بالغرابة والتوتر في كل مكان من جسدي، واضطربت معدتي.

وما شعرت به هو الذعر.

عندما تأتي الذئاب لتحاصر جود التي أتخيَّل أنني كان من الممكن أن أكونها، فسوف تلتهمها في لحظة - والذئاب والأشرار يأتون دائمًا. وأخاف أن أرى نفسي ضعيفة للغاية. ولكن بما أنني على هذه الحال الآن، فأنا في طريقي لأن أصبح أحد تلك الذئاب. أيًّا كان الشيء الأساسي الذي تمتلكه جود المتخيَّلة تلك، وأيًّا كان الجزء الذي لم ينكسر فيها، وانكسر بداخلي، فقد يكون هذا الشيء غير قابل للاسترداد. فيفي على حق. لقد دفعت ثمن ما أنا عليه الآن ولكنني لا أعرف ما هو هذا الثمن ولا أعرف ما إذا كان بإمكاني استعادته. ولا أعرف كذلك ما إذا كنت أريده.

لكن ربما يمكنني المحاولة.

سألتها: «ماذا سنفعل في عالم البشر؟».

ابتسمت فيفي ومدَّت إليَّ الطبق ذا الشطيرة. «نذهب إلى السينما، ونزور المدن، ونتعلم قيادة السيارات. إن هناك الكثير من الجان الذين لا يعيشون في الممالك، ولا يمارسون السياسة. ويمكننا أن نعيش بالطريقة التي نحبها. في دور علوي. في شجرة. أيًّا ما تريدين».

قلت: «مع هيذر؟». والتقطت الطعام، وتناولت قضمة كبيرة. كانت الشطيرة تحتوي على شرائح لحم ضأن، ومخلل الهندباء الخضراء، ثم قرقرت معدتي.

فقالت: «آمل أن تستطيعي مساعدتي في شرح الأمور لها».

وخطر ببالي لأول مرة أنها، سواء أكانت تعرف ذلك أم لا، لا تقترح الهروب لتصبح إنسانة. بل تقترح أن نعيش كالجن البريين بين البشر، دون أن نكون منهم. ونسرق الكريمة من



أكوابهم، والعملات المعدنية من جيوبهم. لكننا لن نستقر ونحصل على وظائف مملة أو على الأقل لن تفعل هي هذا.

وتساءلتُ كيف سيكون رأي هيذر في كل ذلك.

بمجرد أن يتم التعامل مع موضوع الأمير كاردان بطريقة ما، فماذا بعد ذلك؟ حتى لو اكتشفت سر رسائل بالكين، لا يوجد مكان ملائم لي حتى الآن. سينحل مجلس الظلال، وسوف تتزوج تارين، وسوف تختفي فيفي. يمكنني الذهاب معها. ويمكنني محاولة اكتشاف ما هو مكسور داخلي، ومحاولة البدء من جديد.

فكرت في عرض الصرصور بالذهاب معه هو والشبح إلى مملكة أخرى. والبدء من جديد في أرض الجان. يشعر كلاهما بالرغبة في الاستسلام، ولكن ما الذي يمكن فعله غير هذا؟ وقد ظننت أنني بمجرد عودتي إلى المنزل سأتوصل إلى خطة، لكنني لم أفعل ذلك حتى الآن.

قلت بتردُّد: «لا أستطيع المغادرة الليلة».

تنهَّدت، واضعةً يدها على قلبها: «أنتِ تفكرين بجدية في الأمر».

قلت: «هناك بعض الأشياء التي أحتاج لإنهائها. امنحيني يومًا». وذلك بغرض المساومة

على الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا: الوقت. لكنني في يوم واحد سأتدبر الأمور مع مجلس الظلال، وسنتخذ الترتيبات اللازمة بشأن كاردان وبطريقة ما، ستتم تسوية كل شيء. وسأنتزع أي ثمن أستطيع انتزاعه من أرض الجان. وإذا لم تكن لديَّ خطة حتى الآن، فالأوان قد فات لوضع واحدة. ثم سألت فيفي: «فيم سيضيرك تأخير يوم واحد من أيام حياتك الأبدية التي لا نهاية لها؟».

فسألتني بدورها: «يوم واحد لاتخاذ قرار، أم يوم واحد لتحزمي حقائبك؟».

أخذت قضمة أخرى من الشطيرة وقلت: «كلاهما».

حرَّكت فيفيان عينيها يَمنةً ويسرة، وقالت: «فقط تذكَّري أن في عالم البشر لن تكون الحال كما هي هنا». ثم توجَّهت إلى الباب، وتابعت: «ليس عليك أن تكوني هناك كما أنت هنا».

ثم سمعت خطوات فيفي وهي في طريقها إلى البهو. أخذتُ قضمة أخرى من الشطيرة. ومضغتها وابتلعتها، لكنني لم أتذوق طعمها.

ماذا لو كانت طبيعتي الحقيقية هي طبيعتي الحالية؟ وماذا لو أصبح كل شيء مختلفًا، وبقيت كما أنا؟

أخرجت خاتم كاردان الملكي من جيبي، ووضعته في منتصف راحة يدي. ينبغي ألا يكون لديَّ هذا. ينبغي لأيدي البشر ألا تُمسك به. بل إن النظر من قرب إليه يبدو أمرًا خاطئًا، إلا أنني أفعل ذلك على أية حال. كان الذهب في الخاتم مشبَّعًا بحُمرة عميقة وكثيفة، والحواف مصقولة بسبب التآكل المستمر. وهناك القليل من الشمع عالق في موضع الختم، فحاولت استئصاله بحافة ظفري. وتساءلت كم ستكون قيمة الخاتم في هذا العالم.

وقبل أن أتمكن من إقناع نفسي بعدم ارتدائه، وضعته في إصبعي غير الجدير به.




الفصل
24

استيقظتُ بعد ظهر اليوم التالي، وطعم السم في فمي. لقد نمت بملابسي، وغمد سيف الظلام ملتف حولي.

ومع أنني لم أرد ذلك حقًّا، فإنني اتَّجهت نحو باب تارين وطرقته. يجب أن أقول لها شيئًا قبل أن ينقلب العالم رأسًا على عقب مرة أخرى، ولا بُدَّ لي من تصحيح الأمور بيننا. لكن لا أحد يجيب، وعندما أدرت المقبض ودخلت، وجدت غرفتها فارغة.

توجَّهت إلى غرفة أوريانا، على أمل أن تعرف أين يمكنني أن أجد تارين. وألقيت نظرة خاطفة على الباب المفتوح، فوجدتها في شرفتها، تنظر إلى الأشجار والبحيرة خلفها. وتدفع الرياح شعرها خلفها مثل راية شاحبة، وتملأ ثوبها الرقيق مثل البالونات.

سألتها وأنا أدخل: «ماذا تفعلين؟».

فالتفتت متفاجئةً، وحق لها ذلك. فأنا لا أذكر أنني جئت إلى غرفتها من قبل. قالت والحنين بادٍ في صوتها: «كانت لقومي أجنحة ذات يوم. ومع أنني لم أمتلك زوجًا منها قط، فإنني أشعر أحيانًا بافتقاري لهما».

فتساءلتُ عما إذا كانت تتخيَّل نفسها وهي تحلِّق في السماء مُبتعدةً عن كل هذا، وذلك عندما تتخيَّل أن لديها بالفعل جناحين.

«هل رأيتِ تارين؟». تلتف فروع نبات العنب حول أعمدة سرير أوريانا وسيقانه ذات اللون الأخضر الزاهي. وتتدلى الأزهار الزرقاء في تجمعات فوق الموضع الذي تنام فيه، ما يجعله معطرًا بوفرة. ولا يوجد مكان للجلوس لم تزحف عليه النباتات. ومن الصعب بالنسبة لي أن أتخيَّل مادوك يستلقي ويستريح هنا.

قالت: «لقد ذهبت إلى منزل خطيبها، لكنهما سيكونان في قصر الملك السامي بالكين غدًا. وسيتعين عليكِ أن تكوني هناك أيضًا. إنه يقيم وليمة لوالدك وبعض حكام سيلي وأنسيلي. ويجب أن تكونا أقل عداءً إحداكما تجاه الأخرى».

لا أستطيع أن أتخيَّل مشاعر الرعب والإحراج من أن أرتدي ملابس رقيقة، والأجواء تعبق برائحة فاكهة الجان الدسمة، بينما من المفترض أن أتظاهر بأن بالكين ليس وحشًا قاتلًا. «هل سيذهب أوك؟». سألتها، وأنا أشعر بأوَّل ألم حقيقي للندم. إذا رحلت، فلن أشاهد أوك وهو يكبر.

شبكت أوريانا أصابع يديها معًا، واتَّجهت نحو منضدة الزينة. كانت مجوهراتها مُعلَّقة هناك؛ قطع من العقيق في سلاسل طويلة من حبات الكريستال الخام، وأطواق مُرصَّعة بأحجار القمر وأحجار دم خضراء عميقة متداخلة معًا، وقلادة من الأوبال ساطعة كالنار في ضوء الشمس. وعلى صينية كانت فضية، وبجانب زوج من الأقراط الياقوتية المصممة على شكل نجوم، كما توجد حلية شجرة بلوط ذهبية.

حلية شجرة بلوط ذهبية مماثلة تمامًا للتي وجدتها في جيب الثوب الذي أعطاني إياه لوك. الثوب الذي كان يخصُّ والدته ليريوبي. فكرت في ثيابها المبهجة على نحو عجيب في غرفة





نومها المغطاة بالغبار. وكيف انفتحت الحلية لتُظهر طائرًا في الداخل.

«حاولت إقناع مادوك بأن أوك صغير جدًّا، وأن هذا العشاء سيكون مُمِلًّا للغاية، لكنه أصرَّ على حضوره. ربما يمكنك الجلوس بجانبه وتسليته».

فكَّرت في قصة ليريوبي، وكيف أخبرتني أوريانا عنها عندما اعتقدتْ أنني أتقرَّب كثيرًا من الأمير داين. وكيف كانت أوريانا محبوبة للملك السامي إلدريد قبل أن تكون زوجة مادوك. وفكرت في سبب احتياجها إلى الزواج بسرعة، وما عساها كانت تحاول إخفاءه.

وفكَّرت أيضًا في الرسالة التي وجدتها على مكتب بالكين، تلك التي كانت بخط يد داين، والشعر المنظوم لسيدة بشعر كشروق الشمس وعينين متلالئتين كالنجوم.

وفكرت فيما قاله الطائر: يا أعز أصدقائي، هذه هي آخر كلمات ليريوبي. لديَّ ثلاثة طيور ذهبية سأطيرها. ثلاث محاولات لإيصال أحدها إلى يدك. لا يسع أي ترياق أن يشفيني الآن، لذا إن سمعت رسالتي هذه، فسأتركك مع عبء أسراري وأمنية قلبي الأخيرة. احمِه. خذه بعيدًا عن مخاطر هذا البلاط الملكي. حافظ عليه في مكان آمن، ولا تخبره أبدًا بحقيقة ما حدث لي».

فكَّرت مرة أخرى في وضع الخطط الإستراتيجية الكبرى، وفي داين، وأوريانا، ومادوك. أذكر عندما جاءت أوريانا إلينا لأول مرة، ومدى سرعة ولادة أوك، وكيف لم يُسمح لنا برؤيته لأشهر، لأنه كان مريضًا جدًّا. وفكرت كيف كانت دائمًا تحميه منا، ولكن ربما كان ذلك لسبب مُعيَّن، بينما كنتُ أفترض سببًا آخر.

وذلك مثلما افترضت أن الطفل الذي أرادت ليريوبي أن يأخذه صديقها هو لوك. ولكن ماذا لو لم يمت معها الطفل الذي كانت تحمله؟

شعرت كما لو أن أنفاسي انقطعت، وكما لو أن إخراج الكلمات صار صراعًا ضِدَّ الهواء الموجود في رئتيَّ. لا أستطيع أن أصدِّق تمامًا ما سأقوله، حتى وأنا أعلم أن هذا الاستنتاج يبدو منطقيًّا. قلت: «أوك ليس ابن مادوك، أليس كذلك؟ أو على الأقل، ليست له صلة بمادوك أكثر من

صلتي به».

إذا وُلد الصبي، فلن يكون الأمير داين ملكًا أبدًا.

وضعت أوريانا يدها على فمي بسرعة. وانبعثت من جلدها رائحة كرائحة الهواء بعد تساقط الثلوج، وقالت: «لا تقولي هذا». ثم اقتربت مني، وكان صوتها مُرتجفًا، وحذرتني هامسة: «لا تقولي هذا مرة أخرى. إذا كنت تحبين أوك، فلا ترددي هذه الكلمات مجدَّدًا»..

دفعت يدها بعيدًا، وقلت: «كان الأمير داين والده وليريوبي والدته. وأوك هو السبب في دعم مادوك لبالكين، وهو سبب رغبته في موت داين. والآن هو مفتاح التاج».

اتَّسعت عيناها، وأخذت يدي الباردة بين يديها. لم تبدُ قط غريبة بالنسبة لي مثل تلك اللحظة، كأنها مخلوق من حكاية خرافية، مخلوق شاحب كالشبح. وسألتني في فزع وترقُّب: «كيف أمكنك معرفة هذا؟ كيف أمكنك أن تعرفي أيًّا من هذا، أيتها الإنسية الصغيرة؟».

كنت أعتقد أن الأمير كاردان كان الشخص الأكثر قيمة في أرض الجان. كنت جاهلة.

وبسرعة كبيرة، أغلقتُ الباب والشرفة. فراقبتني دون أن تعترض، ثم سألتها: «أين هو الآن؟».

«أوك؟ إنه مع مربيته». قالت ذلك همسًا، وهي تجذبني نحو الأريكة الصغيرة في أحد الأركان المنقوشة عليها صورة أفعى ومغطاة بالفراء. وقالت: «تحدثي بسرعة».

قلت: «أوَّلًا، أخبريني بما حدث قبل سبع سنوات».

أخذت أوريانا نفسًا عميقًا، وقالت: «قد تظنين أنني كنت أغار من ليريوبي لأنها كانت من محبوبات إلدريد أيضًا، لكنني لم أكن كذلك. لقد أحببتها. لقد كانت تضحك دائمًا، ومن

المستحيل ألَّا تحبيها - ومع أن ابنها قد أوقع بينك وبين تارين، لكن لا يسعني إلَّا أن أحبه هو أيضًا، ولو بقدر قليل، من أجلها».

تساءلت كيف كان شعور لوك عند معرفة أن والدته من محبوبات الملك السامي. وأنا ممزقة

بين التعاطف معه والرغبة في أن تكون حياته بائسة قدر الإمكان.

قالت أوريانا: «كنا مقربتين إحدانا من الأخرى، وأخبرتني عندما بدأت علاقتها مع الأمير داين. ولم يبدُ أنها تأخذ أيًّا من ذلك على محمل الجد. وأعتقد أنها كانت تحب والد لوك كثيرًا. وكانت علاقتها مع داين وإلدريد مجرد لهو وعبث. فنوعنا لا يقلق كثيرًا بشأن إنجاب الأطفال كما تعلمين. كما أن دم الجان رقيق للغاية. ولا أعتقد أنه خطر على بالها أنها قد تنجب ابنًا ثانيًا بعد عقد من ولادتها لوك. وبعضنا ينجبن بعد قرون من الولادة السابقة وبعضنا لا ينجبن على الإطلاق».

أَوْمَأتُ برأسي. هذا هو السبب في أن الرجال والنساء من البشر ضروريون لهم. ومن دون تعزيز السلالة، سينقرض الجان على الرغم من طول حياتهم اللانهائي.

قالت أوريانا وهي تلامس حلقها: «والفطر الأحمر طريقة رهيبة للموت. تبدأ حركتك في التباطؤ، وترتجف أطرافك حتى تعجزي عن الحركة. لكنك تظلين واعية إلى أن يتوقَّف كل شيء داخلك، مثل الساعة المتجمدة. تخيَّلي رعب ذلك، تخيَّلي أن يكون لديك أمل في القدرة على الحركة، تخيَّلي أنك تتوقين إلى التَّحرُّك وتعجزين عن فعل ذلك. وحينما وصلتني رسالتها، كانت قد ماتت. واستخرجتُ...». واختنق صوتها، وأنا كنت أعرف بقية الجملة. من المؤكد أنها استخرجت الطفل من بين أحشاء ليريوبي. لا أستطيع أن أتخيَّل أن أوريانا المتأنقة قد تفعل مثل هذا الشيء الوحشي والشجاع - بأن تضغط طرف سكينها في اللحم، وتجد البقعة الصحيحة وتقطعها. وتُخرج الطفل من رحم أمه، وتحمل جسده المبلل بين يديها. ولكن من غيرها يمكنه فعلها؟

قلت: «لقد أنقذتِه»؛ لأنها حتى لو كانت لا تريد التحدث عن هذا الجزء فلن أدفعها إلى ذلك.





قالت وكان صوتها أشبه بالهمس: «لقد سمَّيته على اسم حلية شجرة البلوط الخاصة بليريوبي، أوك؛ أي شجرة البلوط الذهبية الصغيرة الخاصة بي».

أردتُ بشدَّة أن أصدق - ولو كذبًا - أن الوجود في خدمة داين كان شرفًا، وأنه شخص يستحق الاتِّباع. ومثيل هذا هو الشعور الذي ينتج عن الرغبة الشديدة في تناول شيء ما: شيء تنسى التحقق مما إذا كان فاسدًا قبل أن تلتهمه. سألتها: «هل تعلمين أن داين هو الذي سمَّمَ ليريوبي؟».

هزَّت أوريانا رأسها: «لم أكن أعلم في البداية. ظننت أنه من الممكن أن تكون إحدى محبوبات إلدريد هي من فعلت ذلك. أو بالكين؛ فقد كانت هناك شائعات بأنه المسئول عن اقتراف هذا الفعل. حتى إنني تساءلت عما إذا كان من الممكن أن يكون إلدريد نفسه هو من فعلها، أي أن يكون قد سمَّمها بسبب عبثها مع ابنه. ولكن بعد ذلك اكتشف مادوك أن داين حصل على الفطر الأحمر. وأصرَّ على ألا أترك أوك في أي مكان بالقرب من الأمير داين. وقد كان غاضبًا - غاضبًا بطريقة مخيفة لم أرَها من قبل».

ليس من الصعب معرفة سبب غضب مادوك من داين. مادوك الذي اعتقد ذات مرة أن زوجته وطفله قد ماتا. مادوك الذي أحبَّ أوك. مادوك الذي ذكَّرنا مرارًا وتكرارًا بأن العائلة تأتي قبل أي شيء آخر.

«وهكذا تزوجتِ مادوك لأنه يمكن أن يحميك؟» لديَّ فقط ذكريات ضبابية عن مغازلته لأوريانا، ثم تعاهدهما على الزواج، مع معرفة أن هناك طفلًا في عهدة أوريانا. ربما ظننت حينها أن هذا أمر غير معتاد، لكن يمكن لأي شخص أن يحظى بحظ حسن مثلها. بينما بدا لي ذلك حظًّا سيئًا في ذلك الوقت، حيث شعرت أنا وتارين بالقلق مما سيعنيه وجود الطفل الجديد بالنسبة لنا. كنا نظن أن مادوك قد يسأم منا، ويلقينا في مكان ما بعد ملء جيوبنا بالذهب، ووضع بعض الرموز الملغزة على قميصينا.

نظرت أوريانا من أبواب الشرفة الزجاجية إلى الرياح التي تهب على الأشجار. «أنا ومادوك لدينا تفاهم محدد. ولا يخدع أحدنا الآخر».



ليست لديَّ أية فكرة عما يعنيه هذا، لكن يبدو أنه يجعل الزواج ينعم بالهدوء والرعاية.

سألتها: «إذن ما خطته؟ لا أتخيَّل أنه ينوي أن يدع بالكين يحتفظ بالعرش لفترة طويلة. أعتقد أن اتِّخاذ مثل هذه الخطوة الواضحة يُعَدُّ نوعًا من الجريمة ضد التخطيط الإستراتيجي».

سألتْ: «ماذا تقصدين؟». وقد بدت حائرة بصدق.

قلت لها: «سوف يضع أوك على العرش»، كما لو كان ذلك أمرًا بديهِيًّا وواضحًا؛ لأنه بالفعل واضح. ولا أعرف كيف ينوي فعل ذلك – أو متى – لكنني متأكدة من أنه سيفعله. بالطبع سيفعله.

قالت: «أوك. لا، لا، لا، يا جود، لا. إنه مجرد طفل».

خذيه بعيدًا عن مخاطر هذا البلاط الملكي، هذا ما قالته رسالة ليريوبي. ربما كان على أوريانا أن تنصت جيِّدًا كي تُنفِّذ وصيتها بالحرف.

أتذكَّر ما قاله لنا مادوك على مائدة العشاء منذ زمن طويل، حول كيف أن سلطة العرش تغدو ضعيفة في أثناء تغيير السلطة. وبغضِّ النظر عما كان ينوي فعله مع بالكين - فأنا الآن أتساءل عما إذا كان ما تخيَّله هو موت داين وموت بالكين أيضًا، ليعلِّق الملك السامي مراسم التتويج، وذلك حتى ينفِّذ مادوك خطة مختلفة - عليه أن ينتهز الفرصة التي أمامه، مع بقاء ثلاثة فقط من أفراد العائلة المالكة على قيد الحياة. وإذا أصبح أوك الملك السامي، فقد يصبح مادوك الوصي عليه. وسيحكم بلاد الجان حتى يبلغ أوك سن الرشد.

وبعد ذلك، من يعلم ما قد يحدث؟ إذا استطاع إبقاء أوك تحت السيطرة، فقد يحكم بلاد الجان إلى الأبد.

قلت لها: «لقد كنت مجرد طفلة أيضًا ذات يوم، ولا أعتقد أن مادوك كان قلقًا للغاية بشأن ما كنت أواجهه حينها، ولا أعتقد أنه سيكون قلقًا للغاية بشأن ما سيواجهه أوك الآن».



ولا أقصد أنني لا أعتقد أنه يحب أوك. بالطبع يحبه، ويحبني أيضًا. وقد أحبَّ أمي. لكن هذه طبيعته، وهو لا يستطيع أن يتصرَّف على نحو يخالف طبيعته.

أمسكت أوريانا بيدي، وضغطت عليها بقوة بما يكفي لتغرس أظافرها في جلدي. وقالت: «أنتِ لا تفهمين. الأطفال الملوك لا يعيشون طويلًا، وأوك صبي ضعيف. وكان ضئيلًا جدًّا عندما أُحضِر إلى هذا العالم. ولن يحني أي ملك أو ملكة من أية مملكة رؤوسهم له. إنه لم يُربَّ لحمل هذا العبء. يجب أن تمنعي هذا».

ما الذي يمكن أن يفعله مادوك بكل هذا القدر من السلطة غير المقيدة؟ وكيف سأستفيد عندما يكون أخي على العرش؟ كما أن بوسعي وضعه عليه. ولديَّ بطاقة رابحة يمكنني اللعب بها؛ لأنه بينما سيقاوم بالكين تتويج أوك، أُحزم أن كاردان لن يفعل ذلك. يمكنني جعل أخي الملك السامي، وجعل نفسي أميرة. كل هذه السلطة متاحة لي. وكل ما عليَّ فعله هو مدُّ يدي لأخذها.

والشيء الغريب في الطموح هو: يمكنك أن تصاب به كالحمى، لكن ليس من السهل التخلص منه. ذات يوم كنت راضية فحسب بالأمل في الحصول على لقب الفروسية، والقدرة على إجبار كاردان وأصدقائه على تركي وشأني. وكل ما أردته وقتها هو العثور على مكان يناسبني هنا في أرض الجان.

والآن أتساءل كيف ستكون الحال عند اختيار الملك المقبل.

فكرت في تدفُّق الدم من على المنصة الحجرية، وتساقطه على الأرض الترابية في منطقة التل، ثم جريانه حتى مسَّ الحافة السفلية للتاج، حتى إن بالكين عندما رفعه تلطخت يداه باللون الأحمر. تخيلت ذلك التاج على جبين أوك، فارتجفت من تخيُّلي هذه الصورة.

تذكَّرت أيضًا ما شعرت به حينما سحرني أوك ذات يوم. وظللت أصفع نفسي مرارًا وتكرارًا حتى أصبح خدي أحمر، وساخنًا، ومؤلمًا، وظهرت كدمة على وجهي في صباح اليوم التالي. كدمة لم تتلاشَ لمدة أسبوع. هذا ما قد يفعله الأطفال بالسلطة.

سألتها: «ما الذي يجعلك تعتقدين أنني يمكنني منعه؟».

لم تترك أوريانا يدي، وقالت: «لقد قلتِ ذات مرَّة إنني كنتُ مخطئةً بشأنك، وأنك لن تؤذي أوك أبدًا. أخبريني، هل يمكنك فعل أي شيء؟ هل هناك أية فرصة لمنع تأذِّيه؟».

لقد قلت لها أنا لست وحشًا عندما قلتُ إنني لن أؤذي أوك أبدًا. لكن ربما كان دوري في

الحياة أن أكون وحشًا. قلت لها: «ربما»، وهذا ليس جوابًا حاسمًا على الإطلاق.

وفي طريقي إلى الخروج، لمحت أخي الصغير. كان بالخارج في الحديقة يقطف باقة من أزهار قفاز الثعلب. كان يضحك، وقد حوَّلت أشعة الشمس لون شعره البني إلى اللون الذهبي. وعندما أتت مربيته نحوه، هرب منها.

أراهن أنه لا يعرف أن تلك الزهور التي كان يلهو بها سامة.







الفصل
25



تناهت إلى سمعي ضحكات عندما عدت إلى وكر مجلس الظلال. كنت أتوقع أن أجد كاردان كما تركته، خائفًا وهادئًا، وربما أكثر بؤسًا من ذي قبل. وبدلًا من ذلك. وجدته طليق اليدين، جالسًا على الطاولة يلعب الورق مع الصرصور والشبح و... والقنبلة. وفي منتصف الطاولة كانت توجد كومة من الجواهر ووعاء من الشراب. وكانت هناك قنينتان فارغتان أسفل الطاولة وزجاجهما الأخضر يعكس ضوء الشموع. قالت القنبلة بسعادة: «جود. اجلسي! سنشركك في اللعب».

شعرت بالارتياح لرؤيتها هنا سالمة. لكن لا شيء آخر في هذا المشهد كان ذا جدوى.

ابتسم لي كاردان كما لو كنا صديقين حميمين طوال حياتنا. لقد نسيت كم هو جذاب - ومدى خطورة ذلك.



صحت بهم: «ماذا تفعلون؟ من المفترض أن يكون مُقيَّدًا! إنه أسيرنا».

قال الصرصور: «لا تقلقي. إلى أين سيذهب؟ هل تعتقدين حقًّا أنه يستطيع تجاوزنا نحن الثلاثة؟».

قال كاردان: «أنا لا أمانع أن تقيدوا إحدى يديَّ. ولكن إذا قيَّدتم، كلتا يديَّ، فسيتعيَّن عليكم أن تسكبوا الشراب مباشرة في فمي».

قالت القنبلة وهي تدفع شعرها الأبيض للخلف: «لقد أخبرنا أين كان الملك العجوز يحتفظ بزجاجات الشراب الفاخرة. ناهيك عن مخبأ المجوهرات التي تخصُّ إلوين. وهو يظن أنه في حالة الارتباك هذه، لن يلاحظ أحد إذا ما سُرقت، وحتى الآن لم يلاحظ ذلك أحد. وهذه أسهل مهمة أداها الصرصور على الإطلاق».

لقد أردت الصراخ. لم يكن من المفترض أن يحبوه، لكن لماذا لا يحبونه؟ إنه أمير يعاملهم باحترام، وهو شقيق داين، ومن الجان مثلهم.

قال كاردان: «كل شيء يتحوَّل إلى فوضى على أية حال. وقد نحظى أيضًا ببعض المرح. ألا تظنين هذا يا جود؟».

أخذت نفسًا عميقًا، وفكرت في أنه إذا قوَّض موقفي هنا، وإذا تمكَّنَ من جعلي غريبة عنهم، فلن أتمكَّن من جعل مجلس الظلال يوافق على الخطة التي لا تزال غائمة الملامح في رأسي. يبدو أنني لا أستطيع معرفة كيفية مساعدة أي شخص. وآخر شيء أحتاج إليه هو أن يجعل كاردان كل شيء أسوأ.

سألتُ كما لو أننا جميعًا نتشارك المزحة نفسها: «ماذا عَرَض عليكم؟». نعم، إنها مقامرة، فربما لم يقدم لهم كاردان أي شيء على الإطلاق.

حاولت ألا أبدو مذهولة. بل حاولت ألا أبين كيف يُشعرني كاردان بمدى ضآلتي.

ألقى إليَّ الشبح إحدى ابتساماته النادرة، وقال: «عرض علينا الذهب ولكنه عرض أيضًا القوة والمنصب».

قالت القنبلة: «الكثير من الأشياء التي ليست لديه».

فقال كاردان بفتور: «ظننت أننا أصدقاء».

قلت: «سآخذه إلى الجزء الخلفي»، ووضعت يدي على كرسيه بطريقة من يملك شيئًا. أريد أن أخرجه من الغرفة قبل أن يتغلَّب عليَّ أمامهم. أنا بحاجة إلى إبعاده الآن.

سألني الصرصور: «وماذا ستفعلين به؟».

ذكَّرتهم قائلةً: «إنه أسيري»، وأنا جالسة على الأرض، وأقطع شرائط ثوبي التي ما زالت تُقيِّد ساقيه بالكرسي. وأدركت أنه نام بهذه الطريقة بالتأكيد، جالسًا في وضع مستقيم، هذا إن كان قد نام على الإطلاق. لكنه لا يبدو مُتعَبًا. ثم ابتسم لي، كما لو أن السبب في أنني أجثو على ركبتي هو أني أنحني احترامًا له.

أردت أن أمحو تلك الابتسامة من على وجهه، لكنني ربما لا أستطيع. ربما سيواصل الابتسام بهذه الطريقة حتى مماته.

سألني كاردان: «ألا يمكننا البقاء هنا؟ يوجد شراب هنا». وهذا أضحك الصرصور، فقال: «أهناك ما يزعجك، أيها الأمير الصغير؟ ألا تنسجمان أنت وجود على الإطلاق؟».

تحوَّلت تعبيرات كاردان إلى شيء بدا كالقلق. وهذا أمر حسن.

قدته إلى مكتب داين، الذي أعتقد أنني قد استوليت عليه لنفسي. وقد مشى مُترنِّحًا، وساقاه مُتصلِّبتان بسبب التقييد، وربما أيضًا لأنه ساعد طاقمي على تناول عِدَّة زجاجات من الشراب. لكن لا أحد منعني من أخذه، ثم أغلقت الباب خلفي، وأدرت القفل.



وقلت له مشيرةً إلى كرسي: «اجلس». فجلس.

فدرت حوله وجلست على الجانب الآخر من المكتب.

وخطر ببالي أنني إذا قتلته، فسيمكنني في النهاية التوقف عن التفكير فيه. وإذا قتلته، فلن أشعر بما أشعر به بعد الآن.

ولكن من دونه، لا يوجد طريق واضح لوضع أوك على العرش. يجب أن أثق بأن لدى مادوك طريقة ما لإجبار بالكين على تتويجه. ومن دونه، ليس لديَّ أوراق للعب. ولا خطة. ولن أساعد أخي. ولن أفعل أي شيء.

ربما يستحق الأمر ذلك.

كان القوس والسهام في الموضع الذي تركتهما فيه، في درج مكتب داين. فأخرجتهما، ووضعت السهم في القوس، ووجَّهته إلى كاردان الذي أخذ نفسًا مضطربًا.

ونظر إليَّ في فزع، وقال: «هل ستطلقين السهم عليَّ؟ الآن؟».

داعب إصبعي زناد آلة إطلاق السهام وشعرت بالهدوء، بقدر عظيم من الهدوء. قد يُعَدُّ هذا نقطة ضعف، أي أن تضع خوف الآخرين منك في مرتبة فوق الطموح، فوق العائلة، فوق الحب، لكنه شعور جيد على أية حال. ويشعرك بأنك قوي.

قال، كما لو كان يقرأ تعابير وجهي، ويتوصَّل إلى قرار ما: «أستطيع أن أفهم سبب رغبتك في فعل ذلك. لكنني أُفضِّل حقًّا ألا تفعلي ذلك».

قلت: «إذن ما كان يجب أن تبتسم في وجهي باستمرار - هل تعتقد أنني سأتحمل السخرية، هنا والآن؟ أما زلت مُتأكِّدًا من أنك أفضل مني؟». ارتجف صوتي قليلًا، وكرهته أكثر بسبب ارتجاف صوتي، لقد تدرَّبت كل يوم على أن أكون ذات بأس، وهو خاضع لسلطتي تمامًا، ومع ذلك فأنا من يخاف.



والخوف منه صار عادة، عادة يمكنني التخلُّص منها بوضع سهم في قلبه. رفع يديه احتجاجًا،

وتباعدت أصابعه الطويلة العارية، لكن عليَّ أن أتذكَّر أنَّني أنا صاحبة الخاتم الملكي. ثم قال: «أنا متوتر. أنا أبتسم كثيرًا عندما أشعر بالتوتر. ولا أستطيع منع نفسي من فعل ذلك».

ليس هذا ما كنت أتوقع أن يقوله على الإطلاق. وخفَّضت القوس والسهم للحظات.

استمر في الحديث، كما لو أنه لا يريد أن يترك لي الكثير من الوقت للتفكير: «أنتِ مخيفة. وقد ماتت عائلتي بأكملها تقريبًا، ونظرًا لأنهم لم يكونوا يكنُّون لي الكثير من الحب، فلا أريد الانضمام إليهم. وقد أمضيت الليل كله قلقًا مما ستفعلينه، وأنا أعرف بالضبط ما أستحقه. ولديَّ سبب وجيه لأكون مُتوتِّرًا». كان يتحدث إليَّ كأننا صديقان، ولسنا عدوين. وقد نجح الأمر معي أيضًا؛ صرت مسترخية قليلًا.

سهم وعندما أدركتُ ذلك، ذُهلت من حدوث هذا التحوُّل بقدر يكفي لإطلاق سهم عليه مباشرة.

قال: «سأخبرك بكل ما تريدين. بأي شيء».

«ولن تتلاعب بالكلمات؟». كان الإغراء هائلًا، وكل ما قالته لي تارين لا يزال يدور في رأسي، ويذكِّرني بمدى ضآلة معرفتي.

وضع يده على موضع قلبه، وقال: «أقسم على هذا ».

قلت: «وإذا أطلقت عليك السهم على أية حال؟».

قال مازِحًا: «يمكنك ذلك أيضًا. لكنني أريد منك أن تعديني بألا تفعلي ذلك».

ذكَّرته قائلةً: «إن وعدي ليست له قيمة كبيرة».

قال: «إذن عديني على أية حال». ثم رفع حاجبيه، قائلًا: «يجب أن أخبرك بأن تصويبك آلة السهام نحوي ليس مريحًا».

ضحكت في اندهاش، واهتزَّت آلة رمي السهام في يدي. كانت نظرات كاردان مُثبَّتة عليها. وببطء متعمد، وضعتها على المكتب. ثم حثثته: «أخبرني بكل ما أريد معرفته - كل شيء - ولن أطلق سهمًا عليك».

قال وهو يرفع أحد حاجبيه: «وماذا يمكنني أن أفعل لإقناعك بعدم تسليمي لبالكين ومادوك؟». أنا لست معتادة على تركيز انتباهه عليَّ على هذا النحو، فتسارعت دقات قلبي.

كل ما أمكنني فعله هو أن أبادله التحديق، فقلت: «ماذا عن تركيزك على البقاء على قيد الحياة؟».

هزَّ كتفيه، وقال: «ماذا تريدين أن تعرفي؟».

قلت: «لقد وجدتُ ورقة تخصُّك مكتوبًا عليها اسمي مرارًا وتكرارًا، اسمي فحسب».

ارتجف قليلًا لكنه لم يقل أي شيء.

فقلت: «حسنًا؟»، وحثثته على الإجابة.

تذمَّرَ كأنه غاضب، وقال: «هذا ليس سؤالًا. اطرحي علي سؤالاً مُناسِبًا. وسأعطيك إجابة».

قلت: «أنت كاذب على نحو مريع بشأن رغبتك في إخباري بكل ما أريد أن أعرفه». وامتدت يدي إلى آلة رمي السهام، لكنني لم ألتقطها.

فشهق، وقال: «فقط اسأليني عن شيء ما. اسأليني عن ذيلي. ألا تريدين رؤيته؟». ورفع حاجبيه في ترقُّب.

لقد رأيت ذيله، لكنني لن أمنحه شعور الرضا عبر إخباره بذلك، ثم قلت: «أتريد مني أن أسألك عن شيء ما؟ حسنًا متى بدأت العلاقة التي تربط تارين بلوك؟».

فضحك بسرور. يبدو أن هذا نقاش ليس مهتمًّا بتجنبه، كما أن هذا أمر نمطي بالنسبة له،

ثم أوضح: «أوه، لقد فكرت في متى ستسألينني عن هذا. لقد بدأ ذلك قبل بضعة أشهر، فقد أخبرنا بكل شيء - عن رمي الحجارة على نافذتها، وإرسال رسائل لمقابلته في الغابة، ومغازلتها في ضوء القمر. وقد أقسمنا له على التزام الصمت والتصرف كما لو أن الأمر برمته مزحة، وأعتقد أنه فعل ذلك في البداية ليجعل نيكاسيا تغار. ولكن في وقت لاحق...».

سألته بعبوس: «كيف عرف أنها غرفتها؟».

جعل هذا ابتسامته تزداد اتِّساعًا، وعقَّب: «ربما لم يعرف. ربما كان يستهدف أيًّا منكما كأوَّل غزو عاطفي بشري له. وأظن أن هدفه كان الحصول على كلتيكما في النهاية».

ولم يعجبني أي من هذا. «ماذا عنك؟».

رمقني بنظرة سريعة وغريبة، وقال مازحًا: «لم يحاول لوك إغرائي بعد، إذا كان هذا هو ما تسألين عنه. ومن المفترض أن أشعر بالإهانة من سؤال كهذا».

قلت: «ليس هذا ما أعنيه. أنت ونيكاسيا كنتما...». ولم أعرف بماذا أصف علاقتهما. فكلمة معًا ليست بالكلمة المناسبة لوصف فريق شرير الباطن وجميل الظاهر، يدمر الناس ويستمتع بذلك.

قال كاردان وهو يصر على أسنانه: «نعم، لقد سرقها لوك مني. ولا أعرف ما إذا كان لوك يريدها أن تجعل بعض المحبين الآخرين يشعرون بالغيرة منه أو أن يغضبني، أو لمجرد أن نيكاسيا رائعة الجمال، فيغيظها بتجاهله لها. ولا أعرف ما هو عيبي الذي جعلها تختاره. هل تصدقين الآن أنني أقدم لك الإجابات التي وعدت بها؟».



لم يبتسم، ولم يتكلَّف حتى الابتسام. ومن الواضح أن إخباري بهذا أحزنه. لقد كانت هذه فكرة تحطم قلب كاردان إلى حد لم أتخيله. فأومأت برأسي تفهُّمًا وسألته: «هل أحببتها؟».

سألني: «أي نوع من الأسئلة هذا؟».

فهززت كتفي في استهانة، وقلت: «أريد أن أعرف».

قال: «نعم. لقد أحببتها».. وكان نظره مُثبَّتًا على المكتب، وعلى يدي الموضوعة عليه. وفجأة أدركت أني كنت أقلم أظافري بأسناني.

ثم سألته: «لماذا تريد موتي؟». لأنني أردت أن أُذكِّر كلينا بأن الإجابة عن الأسئلة المحرجة هي أقل ما يستحقه مني. فنحن عدوَّان، بغض النظر عن عدد المزحات التي يلقيها أو مدى موَدَّته. إن الكائنات الفاتنة تجذب وتغوي الآخرين بطبيعة الحال؛ لكن هذا هو كل ما يُميزهم.

أطلق زفيرًا طويلًا، ووضع رأسه بين يديه دون أن يركِّز انتباهه بشكلٍ كافٍ على آلة رمي السهام. «أتقصدين مثل جنيات النكسيز؟ أنتِ الشخص الذي كان يتجوَّل ويرمي الأشياء عليها. إنها مخلوقات كسولة للغاية، لكنني ظننت أنك قد تزعجينها بشدة لدرجة رغبتها في أخذ قضمة منك. قد أكون مُدلَّلًا، لكن فضيلتي الوحيدة هي أنني لست قاتلًا. أردت أن أخيفك فحسب، لكنني لم أرد موتك قط. ولم أرغب قط في موت أحد».

فكَّرت في مشهد النهر، وكيف أنه عندما انفصلت إحدى الجنيات عن الآخرين، انتظر كاردان حتى توقَّفت مُؤقَّتًا ثم غادرت؛ حتى نتمكن من الخروج من الماء. حدَّقت إليه، في آثار اللون الفضي على وجهه من الحفل، وفي عينيه السوداوين الداكنتين. وتذكرت فجأة كيف أبعد فاليريان عني عندما كنت أختنق بفاكهة الجن.

لم أرغب قط في موت أحد.

وعلى الرغم مني، تذكرت الطريقة التي أمسك بها ذلك السيف في مكتب بالكين، واللامبالاة في أسلوبه. وقد ظننت أنه كان يفعل ذلك عن عمد لإزعاج شقيقه. والآن، ولأول مرة، فكرت في احتمالية أنه لا يحب القتال بالسيف، وأنه لم يتقنه قط. وإذا تقاتلنا، فسأفوز. وفكرت في كل الأشياء التي فعلتها لأصبح خصمًا جديرًا به، لكنني ربما لم أكن أحارب كاردان على الإطلاق. ربما كنت أحارب ظلي.

قلت له في مكاشفة: «لقد حاول فاليريان قتلي مباشرة، مرتين. أوَّلًا في البرج، ثم في غرفتي في منزلي».

رفع كاردان رأسه، وتصلَّبت وضعيته بالكامل كما لو أن بعض الحقائق المزعجة قد عاودته من فوره، ثم قال: «ظننت أنك عندما قلت إنك قتلتِه كنت تعنين أنك تعقبتِه و...»، وخفض صوته، ثم رفعه من جديد ليتم جملته: «فقط الأحمق من يقتحم منزل قائد الجيوش».

جذبت ياقة قميصي حتى يتمكَّن من رؤية الموضع الذي حاول فاليريان خنقي منه. وقلت: «لديَّ كدمات أخرى على كتفي حيث طرحني على الأرض. لم تُصدِّق بعد؟».

مدَّ يده نحوي كأنه ينوي أن يُمرِّر أصابعه على الكدمات، وحينما أمسكت آلة رمي السهام، تراجع عن فعل ذلك، وقال: «كان فاليريان يحب رؤية الألم. ألم أي شخص، حتى أنا. وكنت أعلم أنه يريد أن يؤذيك». وتوقف برهة؛ حيث بدا كأنه يستوعب مغزى كلماته، ثم قال: «وقد فعل. وظننت أنه اكتفى بذلك».

لم يخطر ببالي قط أن أتساءل كيف يكون شعور المرء حينما يكون صديقًا لفاليريان. يبدو أنه لن يكون مختلفًا تمامًا عن كونه عدوه.

سألته: «إذن، لا يهم أن فاليريان أراد أن يؤذيني؟ ما دام أنه لن يقتلني».

قال كاردان، وقد عادت تلك النغمة المرحة إلى صوته: «عليك أن تعترفي أن البقاء على قيد الحياة يبقى خيارًا أفضل».



وضعت كلتا يدي على المكتب، وقلت في حسم: «فقط أخبرني لماذا تكرهني. أخبرني على نحو قاطع».

تحرَّكت أصابعه الطويلة بخفة على خشب مكتب داين، وقال: «هل تريدين الصدق حقًّا؟».

فرددت: «أنا مَن لديه آلة رمي السهام، ولم أطلق عليك سهمًا لأنك وعدتني بإجابات. فماذا تظن؟».

رمقني بنظرة حاقدة، وقال: «حسنًا. أنا أكرهك لأن والدك يحبك على الرغم من أنك فتاة

بشرية مزعجة، وولدتك زوجته الغادرة، أما أنا فلم يهتم بي والداي قط مع أنني أمير الجان. أكرهك لأنه ليس لديك أخ يضربك. أكرهك لأن لوك استغلكما أنت وأختك ليجعل نيكاسيا تبكي بعد أن سرقها مني. وإلى جانب ذلك، بعد البطولة لم يَكُفَّ بالكين مطلقًا عن معايرتي بك لكونك الإنسية التي يمكن أن تكون أفضل مني».

لم أظن من قبل أن بالكين يعرف حتى مَن أكون.

حدَّقَ كلٌّ منا إلى الآخر عبر المكتب. ثم استرخى على كرسيه، وبدا أميرًا شريرًا بمعنى الكلمة. وتساءلت عما إذا كان يتوقع مني أن أطلق عليه سهمًا.

سألته: «هل هذا كل شيء؟ لأن هذا سخيف فعلًا. فلا يعقل أن تغار مني. إذ ليس عليك أن تتحمَّل المعاناة من الشخص نفسه الذي قتل والديك. ولست مُضطرًّا للبقاء غاضبًا لأنك إذا لم تفعل، فهناك بئر من الخوف لا قاع لها جاهزة كي تنفتح فوهتها تحت قدميك».

توقفت عن الحديث فجأة، متفاجئة من نفسي.

قلت إنني لن أنخدع بسحره، لكنني سمحت له بأن يخدعني، وأكشف له عما في نفسي.

وكما ظننت، تحوَّلت ابتسامة كاردان إلى سخرية مألوفة، وقال: «أوه حقًّا؟ لا أعلم شيئًا عن شعور الغضب؟ وربما لا أعلم شيئًا عن الخوف؟ على أية حال أنتِ لستِ الشخص الذي يتفاوض للحفاظ على حياته».

سألته: «أهذا حقًّا هو سبب كراهيتك لي؟ هذا فقط؟ ألا يوجد سبب أفضل؟».

للحظة ظننت أنه يتجاهلني، لكن بعد ذلك أدركت أنه لا يجيب لأنه لا يستطيع الكذب، ولا يريد أن يقول لي الحقيقة.

قلت: «حسنًا؟». ورفعت آلة رمي السهام مرة أخرى، وكنت سعيدة لأن لديَّ سببًا لإعادة تأكيد موقفي كشخص مسيطر. وقلت في إلحاح: «أخبرني!».

مال إلى الأمام وأغلق عينيه. ثم قال: «الأهم من ذلك كله، أنا أكرهك لأنني أفكر فيك. كثيرًا. إنه أمر مثير للاشمئزاز، ولا يمكنني التوقف عنه».

كنت مصدومةً لدرجة أنني صمت.

قال وهو يغطي وجهه بيدٍ واحدة، وبأصابعه الطويلة: «ربما ينبغي أن تطلقي السهام عليَّ في النهاية على الرغم من أي شيء».

قلتُ: «أنت تعبث معي». ولم أصدقه. لن أقع في خدعة سخيفة كهذه؛ لأنه معتقد أنني حمقاء، وقد أفقد صوابي أمام الوسامة أو الجمال. ولو كنت كذلك، ما استطعت الصمود ليوم واحد في أرض الجان، فوقفت وأنا مستعدة لتحديه.

إن آلة رمي السهام ليست رائعة في الاستخدام من مسافة قريبة، لذلك استبدلت بها خنجرًا.

لم ينظر كاردان لأعلى، وأنا أدور حول المكتب لأصل إليه. ثم وضعت طرف الخنجر أسفل ذقنه، كما فعلت في اليوم السابق في قاعة الوكر، وحينما أدرت وجهه نحو وجهي، حوَّلَ نظره عني بنفور واضح.

وبدت مشاعر الرعب والخزي على وجهه حقيقية تمامًا. وفجأة، صرت لا أدري ماذا عليَّ أن أصدق.

ملت نحوه، وصرت قريبة بما يكفي للمس وجهه، فاتَّسعت عيناه. كانت تعابير وجهه تُشكِّل مزيجًا من الذعر والرغبة. إنه لشعور قوي، أن تتمتَّع بالسلطة على شخص ما. وعلى "كاردان" بالتحديد، الذي لم أعتقد أن لديه أية مشاعر على الإطلاق.

قلت، وقد اقتربت بما يكفي لأشعر بدفء أنفاسه: «أنت تريدني حقًّا. وأنت تكره ذلك». ثم غيرتُ زاوية الخنجر، وأدرتها بحيث تلامس رقبته. ولم يبدُ منزعجًا من ذلك كما كنت أتوقع.

بل إنه لم يبدُ منزعجًا عندما قرَّبت وجهي إلى وجهه.







الفصل 26



ليس لديَّ الكثير من الخبرة في التعامل مع الشباب. كان هناك لوك ومحاولته للتقرب مني وخداعه لي للوقوع في حبه، ولا يوجد أحد قبله. لكن فكرة التقرب من لوك لم تبدُ قط مثل مجرد الرغبة في التقرب من كاردان، بل بدت مثل التجرؤ على الجري فوق صف من السكاكين، مثل ضربة صاعقة من الأدرينالين مثل اللحظة التي تسبح فيها بعيدًا جدًّا في البحر، ولا يمكنك الرجوع حيث لا تجد سوى الماء الأسود البارد يعلو فوق رأسك.

كانت ملامح كاردان القاسية عن بعد رقيقة بشكل مدهش عن قرب، ولفترة طويلة بعد أن قربت رأسي من رأسه، ظلَّ ثابتًا كتمثال. ثم أغمض عينيه، وظلَّت رموشه تمسد خدي. ارتجفت، كما يفترض أن يحدث عندما يمشي شخص ما فوق أرض قبر عزيز لديك. ثم رفع يديه بلطف وأمسك ذراعي. لو لم أكن أعرفه على نحو أفضل لقلت إن لمساته كانت رقيقة،



لكنني أعرف طبيعته الحقيقية وكانت يداه تهزانني ببطء، لأنه يحاول منع نفسه من الاقتراب أكثر. فهو لا يريد هذا. ولا يريد الشعور بهذا.

لقد بدا لي عن قرب مثل الشراب الحامض.

وكان بوسعي أن أشعر باللحظة التي استسلم فيها لحقيقة أننا تقاربنا إلى هذا الحد على الرغم مما كان وما لا يزال بيننا. واستمررنا على هذه الحال فترة طالت. تأجَّجت خلالها مشاعري، وتقلبت مثل تلقي ركلة في المعدة. كان الأمر أشبه بالقتال، إلا أن ما نقاتل من أجله هذه المرة هو محاولة التقارب وليس التباعد.

هذه هي اللحظة التي استولى فيها الرعب علي. أي نوع من الانتقام الجنوني موجود في الاستمتاع بكراهيتي له؟ والأسوأ من هذا، الأسوأ كثيرًا، أنني أحب هذا. أحب كل شيء في لحظة تقاربنا الآنية - ضجة الخوف المألوفة، ومعرفة أنني أعاقبه، والدليل الصريح على أنه يرغب في أن يكون معي لا عليَّ.

كان الخنجر الموجود في يدي عديم الفائدة. فألقيته على المكتب، ولم ألحظ أن طرفه انغرس في الخشب فتراجع كاردان مبتعدًا عند سماع الصوت وبدا عليه الذعر. كان فمه ورديًّا، وعيناه داكنتين، ثم رأى موضع السكين، وأطلق ضحكة خوف.

وهذا ما جعلني أتراجع للخلف. أردت أن أسخر منه، وأظهر ضعفه دون الكشف عن ضعفي، لكنني أثق بأن وجهي أظهر الكثير مما أفكر فيه.

سألته: «هل تخيَّلت يومًا تقاربنا إلى هذا الحد؟». وشعرت بالارتياح لأن صوتي بدا قاسيًا.

قال بفتور: «لا».

قلت: «فلتفصح أكثر».

هزَّ رأسه، على نحو منزعج، وقال: «ما لم تكوني تنوين طعني حقًا، أعتقد أنني لن أخبرك. وقد لا أخبرك حتى لو كنت ستطعنينني».

جلست خلف مكتب داين لأضع بعض المسافة بيننا. وشعرت بأن بشرتي مشدودة للغاية، وبدت الغرفة صغيرة جدًّا فجأة. وقد كاد كاردان أن يجعلني أضحك منذ لحظات.

قال كاردان: «سأقدم لك عرضًا. فأنا لا أريد أن أضع التاج على رأس بالكين ثم أفقد رأسي. اطلبي ما تريدين لنفسك، ولمجلس الظلال، لكن اطلبي كذلك شيئًا من أجلي. اجعليه يعطيني أراضي بعيدة عن هنا. أخبريه بأنني سأكون غير منضبط للغاية، لكن ذلك سيحدث بعيدًا عنه، ولن يضطر إلى التفكير بشأني مرة أخرى. ويمكنه أن ينجب بعض الأطفال ليكونوا خلفاءه ويورثهم التاج السامي. أو ربما يقطعون رأسه ويصبح هذا تقليدًا عائليًّا جديدًا. إنني لا أكترث في الحقيقة».

كنت معجبة بمنطقه، لأنه تمكَّنَ من التَّوصُّل إلى صفقة جيدة إلى حد ما مع أنه كان مُقيَّدًا على كرسي معظم الليل، وربما كان ثملًا تمامًا.

قلت له: «انهض».

قال وهو يُمدِّد ساقيه: «إذن أنت لا تخشين هروبي؟». لمع طرف حذائه المدبب في الغرفة، وتساءلت عما إذا كان عليَّ مصادرته، لأنه قد يستخدمه كسلاح. ثم تذكرت مدى سوئه في استخدام الأسلحة.

قلت له بأكبر قدر ممكن من السخرية: «بعد ما اقتربت منك بما يكفي، صار انخداعي بما تفعل أكثر سهولة لدرجة أني أكاد لا أستطيع تمالك نفسي. وكل ما أريد فعله هو أشياء لطيفة تجعلك سعيدًا. وبالتأكيد سأقبل بأية صفقة تريدها، ما دمنا قد صرنا حليفين بمعنى ما. هيا اهرب. وأنا بالتأكيد لن أطلق سهمًا نحو ظهرك».

طرفت عيناه عِدَّة مرات ثم قال: «سماعك تكذبين بوضوح أمر محبط بعض الشيء».

قلت: «إذن دعني أخبرك بالحقيقة. أنت لن تهرب، لأنه ليس لديك مكان تذهب إليه».



ثم توجَّهتُ إلى الباب وفتحت القفل، ونظرت إلى الخارج. كانت "القنبلة" مستلقية على سرير نقال في غرفة النوم. ورفع الصرصور حاجبيه مُستطلِعًا وهو ينظر إليَّ. وكان الشبح غارقًا في النوم على الكرسي، لكنه استيقظ عندما دخلنا، وشعرت بحمرة الخجل تكسو وجهي مع أني تمنيت ألا أظهرها.

سأل الصرصور: «هل انتهيت من استجواب الأمير؟».

أَوْمَأتُ برأسي، وقلت: «أعتقد أنني أعرف ما يجب أن أفعله».

ألقى الشبح نظرة فاحصة طويلة إلى كاردان، وقال: «إذن، هل سنبيعه؟ ام نشتريه؟ أم ننظف أحشاءه؟».

قلت له: «سأذهب في نزهة على الأقدام للحصول على بعض الهواء».

تنهَّدَ الصرصور في إحباط.

فقلت بسرعة: «أنا فقط بحاجة إلى ترتيب أفكاري. وبعد ذلك سأشرح كل شيء».

قال الشبح: «حقًّا؟»، وبدا أنه يرغب في أن يعرف حقيقة ما يدور برأسي، وقد ثبَّتَ بصره عليَّ للحظات. فتساءلت عما إذا كان يُخمِّن مدى سهولة خروج الوعود من شفتي. فأنا أنفقها مثل الذهب المسحور، الذي سرعان ما يرتد إلى هيئته الأولى كأوراق شجر جافة.

أوضحت لهم: «لقد تحدثت إلى مادوك، وعرض عليَّ كل ما أريد مقابل كاردان. الذهب، السحر، المجد، أي شيء. وقد أبرمنا الجزء الأول من هذه الصفقة، دون أن أعترف حتى بأنني أعلم مكان الأمير المفقود».

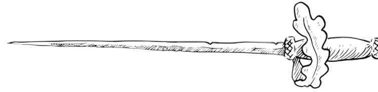
ابتسم الشبح عندما ذُكر مادوك، لكنه ظلَّ صامتًا. وسأل الصرصور: «إذن ما الذي يمنعك؟ أنا أحب كل هذه الأشياء التي ذكرتِها».



قلت: «أنا فقط أعمل على التفاصيل. وعليكم أن تخبروني بما تريدون. ما تريدونه بالضبط - مقدار الذهب، وماذا غيره أيضًا. اكتبوه لي».

أصدر الصرصور زفيرًا عاليًا من أنفه، لكن لم يبدُ أنه يميل إلى معارضتي. وأشار بإحدى يديه ذات المخالب لكاردان كي يعود إلى الطاولة. كان الأمير يترنح، ويدفع نفسه مُستنِدًا إلى الحائط للوصول إلى هناك. وقد حرصت على وجود كل آلات القتال الحادَّة حيث تركتها، ثم توجَّهتُ إلى الباب وعندما نظرت إلى الخلف، رأيت يدي كاردان تقسِّم ببراعة مجموعة الأوراق، لكن عينيه السوداوين اللامعتين كانتا تنظران إلي.



مشيت إلى بحيرة الأقنعة، وجلست على إحدى الصخور السوداء فوق الماء. ولوَّنت شمس الغروب وجه السماء، فجعلت قمم الأشجار متوهجة.

لوقت طويل، جلست هناك فحسب، أشاهد الأمواج وهي تتحرك نحو الشاطئ. واستنشقت أنفاسًا عميقة في انتظار أن يهدأ عقلي، كي يصفو ذهني. وفوق رأسي، سمعت صياح الطيور ينادي بعضها بعضًا، وهي تجثم في أعشاشها استعدادًا لليل، وتتطلَّع إلى أضواء وهَّاجة تتأجَّج في ثقوب مُجوَّفة حيث تستيقظ الأشباح.

لا يمكن أن يصبح بالكين الملك السامي، لا يمكن إذا كان هناك أي شيء بوسعي فعله. إنه يحب القسوة ويكره البشر، وسيكون حاكِمًا مُريعًا. وفي الوقت الحالي، هناك قواعد تحدد طريقة تعامل الجان مع عالم البشر - وهذه القواعد يمكن أن تتغير. ماذا لو لم تَعُد هناك حاجة للمقايضات لسرقة البشر؟ وماذا لو أمكن اختطاف أي شخص في أي وقت؟ كان الأمر كذلك؛ ولا يزال كذلك في بعض الأماكن. ويمكن للملك السامي أن يجعل العالمين أسوأ كثيرًا مما هما عليه، ويمكن أن يحابي ممالك أنسيلي، ويمكن أن يزرع الشقاق والرعب لألف عام.

إذن، ماذا لو سلمتُ كاردان إلى مادوك؟



سيضع أوك على العرش، ثم يحكم كوصي مستبد ووحشي. وسيشن الحروب على الممالك التي رفضت أن تحلف يمين الولاء للعرش. وسوف يربي أوك على سفك الدماء بحيث يتحوَّل إلى شخص مثل مادوك، أو ربما شخص أكثر قسوة في باطنه مثل داين. لكنه سيكون أفضل من بالكين. وسيعقد صفقة عادلة معي ومع مجلس الظلال، حتى لو كان ذلك من أجلي فقط. وأنا - ماذا سأفعل؟

يمكنني أن أذهب مع فيفي، على ما أظن.

أو يمكنني المساومة على أن أصبح فارسة. ويمكنني البقاء والمساعدة على حماية أوك، والمساعدة على عزله عن تأثير مادوك. وبالطبع، سيكون لديَّ القليل من السلطة لفعل ذلك.

ماذا سيحدث إذا أخرجتُ مادوك من الصورة؟ سيعني هذا عدم وجود ذهب لمجلس الظلال، ولا مساومات مع أي شخص. وسيعني الحصول على التاج بطريقة ما ووضعه على رأس أوك. ثم ماذا؟ سيظل مادوك وصِيًّا على العرش. ولن أستطيع منعه. وسيظل أوك يستمع إليه. وسيبقى دمية بيده، ويتعرض للخطر.

ما لم... ما لم يمكن تتويج أوك بطريقة ما، ثم يُبعَد عن أرض الجان. أن يكون الملك السامي ولكن في المنفى. وبمجرد أن يكبر ويكون مستعدًّا لتولي العرش، يمكنه العودة بمساعدة قوة تاج جرينبريار. قد يظل مادوك قادرًا على ممارسة بعض السلطة على أرض الجان حتى عودة أوك، لكنه لن يكون قادرًا على جعل أوك مُتعطِّشًا للدماء، وميَّالًا إلى إشعال الحروب مثله. ولن تكون لديه السلطة المُطلقة التي سيتمتع بها كوصي إذا كان الملك السامي بجانبه. وبما أن أوك سينشأ في عالم البشر، فعندما يعود إلى أرض الجان، آمل أن يكون على الأقل مُتعاطِفًا إلى حدٍّ ما مع المكان الذي نشأ فيه، والأشخاص الذين التقى بهم هناك.

عشر سنوات. إذا تمكَّنَا من إبقاء أوك بعيدًا عن أرض الجان لمدة عشر سنوات، سيمكنه أن يكبر، ويصبح الشخص الذي نرجو أن يكونه.





وبالطبع، بحلول ذلك الوقت، قد يضطر إلى القتال لاستعادة عرشه. وشخص ما - ربما مادوك، وربما بالكين، وربما أيضًا أحد الملوك أو الملكات من الممالك الصغرى - يمكن أن يتربص به مثل العنكبوت، مُتحيِّنًا فرصة الانقضاض على السلطة.

نظرت إلى المياه السوداء، وتمنيت لو كانت هناك طريقة لإبقاء العرش شاغِرًا لفترة طويلة بما يكفي حتى تتكوَّن شخصية أوك الخاصة، دون أن يخوض مادوك حربًا، ومن دون وجود أي وصي على الإطلاق.

وقفتُ بعد أن اتَّخذت قراري. وبشكل قاطع عرفت ما سأفعله، وصارت لديَّ خطتي. لن يوافق مادوك على هذه الإستراتيجية. فهي ليست من النوع الذي يحبه، أي الذي توجد فيه طرق متعدِّدة للفوز. إنها من النوع الذي لا يوجد فيه سوى طريق واحد للفوز، وهو بمثابة مخاطرة كبيرة ورمية بعيدة المدى.

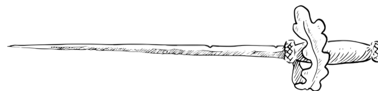
عندما وقفتُ، لمحت انعكاسي على صفحة الماء. ونظرت مرة أخرى وأدركت أنه لا يمكن أن تكون هذه أنا. إذ لا تُظهر لك بحيرة الأقنعة وجهك أبدًا. اقتربت من المياه وكان البدر ساطعًا في السماء، ساطعًا بدرجة كافية لتظهر لي والدتي وهي تنظر إليَّ. إنها تبدو أصغر مما أتذكرها، وتضحك، وتنادي شخصًا لا أستطيع رؤيته.

وبعد مرور بعض الوقت، أشارت إليَّ. وعندما تحدثت، أمكنني قراءة شفتيها. "انظر! فتاة بشرية". وبدت سعيدة.

ثم انضمَّ إليها انعكاس صورة مادوك، ويده تلتف حول خصرها. ولم يبدُ أصغر سنًّا، لكن كانت هناك بشاشة في وجهه لم أرها من قبل. فلوَّح لي.

وبدوت كشخص غريب بالنسبة لهما.

أردت أن أصيح بها: اهربي! لكن بالطبع هذا هو الشيء الوحيد الذي لا حاجة تدعوني لأنصحها بفعله، إذ إنها حاولت القيام به فيما مضى، وأخفقت في النهاية.



نظرَتْ إليَّ القنبلة عندما دخلتُ. كانت جالسة على طاولة خشبية، وتضع مسحوقًا رمادِيًّا.

وبجانبها عِدَّة كرات زجاجية مستديرة مغلقة بسدادات. كان شعرها الأبيض الرائع مربوطًا بما يشبه قطعة من شريط مُتَّسخ. وكانت هناك بقعة من الأوساخ تعلو أنفها.

وقالت لي: «البقية في الخلف. مع الأمير، يحصلون على قسط من النوم».

جلست إلى الطاولة مُطلِقةً تنهيدة. ثم استجمعت طاقتي للشرح، لكني وجدت أن قواي خائرة، فسألت: «هل يوجد أي طعام؟».

منحتني ابتسامة سريعة وهي تملأ كرة أخرى وتضعها بحذر شديد في سلة بجانب قدميها. وقالت: «التهم الشبح بعض الخبز الأسود والزبد، بينما أكلنا نحن النقانق، ونفد الشراب، ولكن ربما لا يزال هناك بعض الجبن».

بحثتُ في الخزانة، وأخرجت الطعام ثم تناولته بلا تركيز. سكبت لنفسي كوبًا من شاي الشمر المر، وجعلني هذا أشعر بأنني أكثر اتِّزانًا. ثم شاهدتها وهي تصنع المتفجرات لبعض الوقت. وفي أثناء عملها، أخذت تُصفِّر قليلًا، بلا استقرار على نغمة مُعيَّنة. كان من الغريب سماع ذلك؛ فمعظم الجان موهوبون في الموسيقى، لكنني أحببت ألحانها بقدر أفضل لكونها غير كاملة. إذ يبدو الأمر في هذه الحالة أكثر بهجة وسهولة وأقلَّ اعتيادًا.

سألتها: «إلى أين ستذهبين عندما ينتهي كل هذا؟».

فنظرت إليَّ بِحيرة، وقالت: «ما الذي يجعلك تظنين أنني سأذهب إلى أي مكان؟».

فنظرت بعبوس إلى كوب الشاي الفارغ تقريبًا أمامي، وقلت: «لأن داين مات. أعني، أليس هذا ما سيفعله الشبح والصرصور؟ ألن تذهبي معهما؟».





هزَّت القنبلة كتفيها الضيقتين، وأشارت بإصبع قدمها العاري نحو سلة الكرات الزجاجية. وقالت: «أترين كل هذه الكرات؟».

أَوْمَأتُ برأسي.

فقالت: «إنها لا تصلح للسفر. وسأبقى هنا، معك. وأنتِ لديك خطة. أليس كذلك؟».

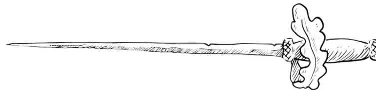
كنت غايةً في الارتباك لدرجة أنني لم أعرف ماذا أقول، ففتحت فمي ثم تلعثمت، فضحكت مني، وقالت: «قال كاردان إن لديك خطة. وإذا نويت المساومة، فلا بُدَّ أنك فعلت ذلك بالفعل. وإذا نويت خيانتنا فأنت تفعلين ذلك الآن أيضًا».

قلت: «لكن، اممم»، ثم فقدت تسلسل أفكاري. أردت أن أقول شيئًا ما عن كيف أن كلام كاردان لم يكن من المفترض أن يلقى منهم كل هذا القدر من الاهتمام، لكنني بدلًا من ذلك تساءلت: «ماذا يعتقد الآخران؟».

ثم عادت إلى ملء الكرات الزجاجية، وقالت: «لم يقولا شيئًا. لكن لا أحد منا يحب بالكين. وإذا كانت لديك خطة، فهنيئًا لك. ولكن إذا كنت تريديننا بجانبك، فربما عليك أن تكوني أقل تكتُّمًا حيالها».

أخذت نفسًا عميقًا، وقررت أنني إذا كنت سأفعل ذلك حقًّا، فيمكنني الاستفادة ببعض المساعدة. وقلت: «ما رأيك في سرقة التاج؟ أمام أنظار ملوك وملكات الجن؟».

اتَّسعت ابتسامتها، وقالت: «أخبريني فقط بما عليَّ تفجيره».



بعد عشرين دقيقة، أشعلت ما تبقى من الشمعة، وشققت طريقي إلى غرفة الأسِرَّة. وكما قالت القنبلة، كان كاردان مستلقيًا على أحدها، ويبدو وسيمًا على نحو مزعج. لقد غسل وجهه وخلع سترته وطواها تحت رأسه كوسادة. وخزتُ ذراعه، فاستيقظ على الفور، ورفع يده كأنه يَتَّقيني بها.

همست له قائلةً: «اصمت. لا توقظ الآخرين. أريد التحدث إليك».

قال: «ابتعدي. لقد أخبرتِني بأنك لن تقتليني إذا أجبت عن أسئلتك، وقد فعلت ذلك». ولم يبدُ كالفتى الذي كان وجهه قريبًا من وجهي منذ ساعات فقط. ذلك الفتى المفعم بالعاطفة. بل بدا نعسانًا، ومُتغطرِسًا، ومنزعجًا.

قلت له: «سأعرض عليك شيئًا أفضل من حياتك. والآن، هيا معي».

نهض، ووضع سترته على كتفه، ثم تبعني إلى مكتب داين وبمجرد أن وصلنا إلى هناك، اتَّكأ على دعامة الباب. وكان جفناه منتفخين، وشعره أشعث جرَّاء نومه على السرير، ومجرد النظر إليه جعلني أشعر بالخجل الشديد، ثم بادرني: «هل أنت مُتأكِّدة من أنك أحضرتني إلى هنا للتحدث فقط؟».

لقد اتَّضح لي أنك بعد أن تتيح لشخص أن يقترب منك بشكل حميمي، ولو قليلًا، فإن احتمالية تفكيره في تكرار ذلك التقارب تطغى على كل شيء، بغض النظر عن مدى فظاعة أول فكرة ترد على الذهن، فقلت له: «أحضرتك إلى هنا لعقد صفقة معك».

فرفع حاجبه. وقال: «هذا مثير للاهتمام».

قلت: «ماذا لو لم تكن مُضطرًّا للاختباء في مكان ما في الريف؟ وماذا لو كان هناك بديل لوجود بالكين على العرش؟». من الواضح أن هذا ليس ما كان يتوقَّع سماعه مني. وللحظة خذلته غطرسته غير المبالية.



ثم قال ببطء: «لن يبقى... سواي لو استثنينا بالكين. غير أني سأكون ملكًا سيئًا للغاية، وسأكره ذلك. وفضلًا عن هذا، من غير المرجح أن يضع بالكين التاج على رأسي. فأنا وهو لم نتوافق معًا بشكل جيِّد على الإطلاق».

قلت: «أعتقد أنك كنت تعيش في منزله». ووضعت ذراعيّ فوق صدري بشكل وقائي، مُحاوِلةً التخلُّص من استعادة صورة بالكين وهو يعاقب كاردان. لا يمكنني أن أحمل له أية تعاطف الآن.

أمال رأسه للخلف، ونظر إليَّ من بين رموشه حالكة السواد، وقال: «ربما كان العيش معًا هو السبب في عدم توافقنا».

قلت له: «أنا أيضًا لا أحبك».

قال لي: «كما تشائين». ومنحني ابتسامة باهتة، ثم قال: «إذا لم يكن أنا ولا بالكين، فمن إذن؟».

قلت له: «أخي أوك. ولن أخوض في التفاصيل، لكنه من السلالة الملكية حقًّا. من سلالتكم. ويمكنه ارتداء التاج».

عبس وجه كاردان، وقال: «أنتِ متأكدة؟».

أَوْمَأتُ برأسي مُؤكِّدةً. لم أود في البدء إخباره بهذا قبل أن أطلب منه أن يفعل ما أحتاج إليه، لكن لا يمكنه على أية حال فعل شيء بهذه المعرفة، ولن أساوم بالكين باستغلال وجود كاردان معي أبدًا، أو بتوصيل معلومة كهذه له. ولا يوجد أحد يمكنني إخباره بحقيقة أوك سوى مادوك الذي يعرف بالفعل.

قال كاردان: «إذن، سيكون مادوك وصِيًّا على العرش».



فهززت رأسي نفيًا، وقلت: «لهذا السبب أنا بحاجة إلى مساعدتك. أريد منك أن تُتوِّج أوك ملكًا ساميًا، وبعد ذلك سأرسله إلى عالم البشر. وسأدعه يحظى بفرصة الاستمتاع بطفولته. وسأدعه كذلك يحظى بفرصة أن يصبح ملكًا جيِّدًا يومًا ما».

قال كاردان: «قد يتَّخِذ أوك خيارات مختلفة عن تلك التي تريدين منه أن يتخذها. فعلى سبيل المثال، ربما يفضل مادوك عليكِ».

قلت له: «لقد عشت حياتي كطفلة مخطوفة، ونشأت في أرض أجنبية لسبب أكثر غرابة بشكل كبير، وأسوأ من هذا، وسوف تعتني به فيفي. وإذا وافقتْ على خطتي، فسأحضر لك كل ما طلبته وأكثر. لكنني أريد منك شيئًا- أن تقسم لي. أريد منك أن تقسم على أن تكون في

خدمتي».

أطلق ضحكة تُعبِّر عن المفاجأة التي باغتته، وهي الضحكة ذاتها التي أطلقها عندما رميت الخنجر على المنضدة، وقال: «أتريدين مني أن أضع نفسي تحت سلطتك؟ طواعيةً؟».

قلت له: «أنت لا تعتقد أنني جادَّة، لكنني كذلك. أنا أكثر جدية في هذا الأمر من أي أمر آخر». وباستخدام أحد أصابع ذراعي المتشابكتين، قرصت على جلدي لمنع ظهور أية تشنجات وأية إشارة قد تدله على توتري. لقد أردت أن أبدو هادئةً تمامًا، وواثقة بنفسي للغاية، فيما كانت دقات قلبي تتسارع، وشعرت مثلما شعرت عندما كنت طفلة ألعب الشطرنج مع مادوك - كنت أرى الحركات التي قد تقودني للفوز واضحةً أمامي، لكنني كنت أنسى توخي الحذر، ثم أتعرَّض للهزيمة بحركة لم أتوقعها. ومن ثم ذكَّرتُ نفسي بالتنفس الهادئ والتركيز.

قال: «لقد توافقت مصالحنا. فلماذا تحتاجين إلى قسمي؟».




أخذت نفسًا عميقًا، وقلت: «أريد أن أتأكد من أنك لن تخونني. فسوف تكون ذا بأس شديد عند وجود التاج في يديك. فماذا لو وضعته على رأس أخيك في النهاية؟ وماذا لو كنت تريده لنفسك؟».

بدا أنه يفكر في الأمر بتمعُّن، ثم قال: «سأخبرك بالضبط بما أريده... العقارات التي أعيش فيها. أريدها مع كل شيء وكل شخص فيها. القصر الأجوف هذا ما أريده».

أَوْمَأتُ برأسي موافِقةً: «لك هذا».

فأضاف: «وأريد كل زجاجة شراب في الأقبية الملكية، مهما كانت قديمة أو نادرة».

قلت: «ستكون لك».

قال: «وأريد أن يعلمني الصرصور كيف أسرق».

تفاجأت لطلبه هذا، ولم أرد لبرهة. هل يمزح؟ لا يبدو كذلك. ثم سألته في النهاية، «لماذا؟».

قال: «قد يفيدني هذا. وفضلًا عن هذا، أنا معجب به».

قلت بارتياب: «حسنًا. سأجد طريقة لترتيب هذا الأمر».

قال: «هل تعتقدين حقًّا أن بوسعك أن تعِدي بكل ذلك؟». ورمقني بنظرة فاحصة.

قلت بلا تفكير: «بوسعي ذلك، حقًّا. وأعدك بأننا سنتصدى لبالكين. وسوف نحصل على تاج أرض الجان». كم عدد الوعود التي عليَّ تقديمها قبل أن يثقوا بي؟ بضعة وعود أخرى فقط بحسب ما آمل.

ألقى كاردان بنفسه على كرسي داين. ومن خلف المكتب - من موقع السلطة هذا - كان ينظر إليَّ بهدوء. ساورتني بعض المخاوف، لكنني تجاهلتها. وأكَّدت لنفسي أنني أستطيع أن أفعل هذا. أستطيع أن أفعل هذا. وحبست أنفاسي.



قال: «لك خدمتي لمدَّة عام كامل».

قلت بإصرار: «ليس هذا بالقدر الكافي. لا يمكنني أن...».

فنخر، وقال: «أنا متأكد من أن أخاك سيتوج وسيذهب إلى عالم البشر بحلول ذلك الوقت. وإلَّا سنكون قد خسرنا بالفعل على الرغم من وعودك، ولن يهم طول المدة على أية حال ولن تحصلي مني على عرض أفضل من هذا، خاصة إذا هددتني مرة أخرى».

هذا يوفر لي بعض الوقت على الأقل. فأطلقت أنفاسي في ارتياح، وقلت: «حسنًا، اتفقنا».

مشى كاردان نحوي، ولم أدرِ ماذا سيفعل. إذا اقترب مني كثيرًا كما في المرة السابقة، أخشى أن أنغمس في هذا الشعور المُلح والمهين الذي شعرت به في المرة الأولى، ولكنه عندما ركع أمامي، كنت مندهشةً جدًّا لدرجة أني لم أستطع التفكير على الإطلاق. ثم أخذ يدي بأصابعه الطويلة التي كانت باردة عندما لفها حول يدي. وقال بانزعاج ونفاد صبر، ولم يبدُ قط كتابع على وشك أن يقسم لسيدته: «حسنًا. يا جود دوارتي يا ابنة الطين، أقسم بأن أجعل نفسي في خدمتك. سوف أفعل ما تأمرين. وسأكون درعًا لك. وسأتصرف وفقًا لإرادتك. لك عليَّ هذا لمدة عام كامل فقط... وليس لدقيقة واحدة إضافية».

قلت: «لقد حسَّنتَ من صيغة القسم حقًّا». مع أن صوتي بدا مُتوتِّرًا. وحتى عندما نطق بهذه الكلمات. شعرت بأن له اليد العليا عليَّ بطريقة ما. وعلى نحو ما بدا هو الشخص المسيطر.

ثم نهض بحركة انسيابية واحدة، وأفلت يدي وقال: «والآن، ماذا أفعل؟».

قلت له: «عد إلى الفراش. سأوقظك بعد قليل، وأشرح لك ما يتعيَّن علينا فعله».

قال كاردان بابتسامة ساخرة تملأ فمه: «كما تأمرين». ثم عاد إلى الغرفة ذات الأسِرَّة للاستلقاء على أحدها. فكَّرتُ في مدى غرابة وجوده هنا، حيث ينام على ملاءات منزلية

عادية، ويرتدي الملابس ذاتها لأيام متتالية، ويأكل الخبز والجبن، ولا يشتكي من أيٍّ من هذا. يبدو تقريبًا أنه يفضل مخبأ الجواسيس والقتلة على فخامة وراحة سريره الخاص.





الفصل 27



أقام ملوك وملكات سيلي وأنسيلي، إلى جانب الجان البريين غير الحلفاء الذين جاءوا لحضور التتويج، معسكرًا في أقصى ركن شرقي من الجزيرة. لقد نصبوا خيامًا، بعضها مُتعدِّد الألوان، وبعضها من الحرير الشفاف. وعندما اقتربت من أرض المعسكر تمكَّنت من رؤية نيرانهم المشتعلة. وكانت رائحة شراب العسل واللحم الفاسد تملأ الجو.

كان كاردان بجواري يرتدي ملابس سوداء غير لامعة، وشعره الداكن ممشط دون أن ينسدل على وجهه المغسول النظيف. بدا شاحبًا ومتعبًا، مع أنني تركته ينام قدر ما أمكن.

لم أوقظ الشبح أو الصرصور بعد أن أعطاني كاردان قسمه. وبدلًا من ذلك، ناقشت إستراتيجيتي مع القنبلة لساعة تقريبًا. وهي التي جعلتني أغير ملابس كاردان، وقد اتفقت معي

على أن هذا قد يكون مفيدًا لنا. وهكذا جئت إلى هنا مُحاوِلةً العثور على ملك يرغب في دعم حاكم آخر غير بالكين. وإذا أردت لخطتي أن تنجح، فسأحتاج إلى شخص من بين الحضور في هذا الحفل يدعم فكرة تنصيب ملك جديد، ويُفضَّل أن يكون شخصًا يتمتَّع بالسلطة الكافية لمنع حفل عشاء من التحوُّل إلى مذبحة أخرى إذا انحرفت الأمور عن مسارها.

على الأرجح إنني سوف أحتاج إلى حدوث الكثير من الاضطرابات والمشتتات لأتأكد من أنني سأستطيع إخراج أوك من هناك. ولن تكون الكرات الزجاجية الخاصة بالقنبلة كافية. وأنا لست متأكدة تمامًا مما سأقدِّمه في المقابل. لقد بذلت كل وعودي المرتبطة بشخصي، والآن سأبدأ ببذل وعود مرتبطة بالتاج.

أخذتُ نفسًا عميقًا. بمجرد أن أقف أمام اللوردات وسيدات بلاد الجان، وأعلن عزمي الانقلاب ضد بالكين فلا رجوع، ولا اختباء تحت أغطية سريري، ولا مهرب. وإذا فعلت هذا، فسيكون عليَّ التزام نحو بلاد الجان إلى أن يجلس أوك على العرش.

أمامنا الليلة ونصف الغد قبل الحفل، وقبل أن أذهب إلى القصر الأجوف وقبل أن تنجح خططي أو تفشل تمامًا.

هناك طريقة واحدة فقط لإبقاء بلاد الجان مُهيَّأة لأوك - يجب أن أبقى. ولا بُدَّ لي من استخدام ما تعلمته من مادوك ومجلس الظلال للتلاعب وتمهيد طريقي للحفاظ على العرش مُهيَّأ له. لقد قلت عشر سنوات، لكن ربما سبع سنوات ستكون كافية. وهذا ليس بالوقت الطويل على أية حال. سبع سنوات من شرب السم، ومن عدم النوم، ومن العيش في حالة تأهُّب قصوى. سبع سنوات أخرى، وبعد ذلك ربما تصبح بلاد الجان أرضًا أفضل وأكثر أمانًا. وسأكون قد حصلت على مكاني المُستحق فيها.

إنها اللعبة الكبرى، كما أسماها لي لوك عندما اتَّهمني بلعبها. ولم أكن ألعبها بالفعل حينها، لكنني سألعبها الآن ربما تعلمت شيئًا من لوك. لقد أدخلني في قصته، والآن سأصنع قصة تخصني باستخدام شخص آخر.



قال كاردان، مُتَّكِئًا على شجرة جوز: «إذن، سأجلس أنا هنا وأُزوِّدك بالمعلومات. فيما ستجذبين أنتِ الملوك والملكات؟ يبدو هذا وضعًا معكوسًا تمامًا».

فحدَّقت إليه وقلت: «يمكنني أن أكون جذابة. وقد جذبتك من قبل أليس كذلك؟».

فحرَّكَ عينيه، وقال: «لا تتوقعي من الآخرين أن يشاركوني ذوقي المعيب».

فقلت له: «عليك أن تعلم أنني سوف أصدر لك أوامر. حسنًا؟».

فتلوَّى فكُّه امتعاضًا. أنا متأكدة من أنه ليس بالأمر الهيِّن أن يقبل أمير الجان بأن يُسيطر عليه أحد، خاصَّةً أنا. لكنه هزَّ رأسه موافِقًا.

ثم نطقت بالكلمات الآمرة: «أنا آمرك بالبقاء هنا والانتظار إلى أن أكون مستعدة لمغادرة هذه الغابة، أو يكون هناك خطر وشيك، أو يمر يوم كامل. وفي أثناء انتظارك، آمرك بعدم إصدار أي صوت أو إشارة لجذب أي شخص آخر إليك. وإذا كان هناك خطر وشيك، أو مرَّ يوم دون عودتي، فأنا آمرك بالعودة إلى مجلس الظلال، وإخفاء نفسك بقدر ما تستطيع إلى أن تصل إلى هناك».

قال لي: «لم يكن ذلك سيِّئًا للغاية» وتمكَّن في نبرة صوته - إلى حد ما - من الحفاظ على غطرسته الملكية.

وكان ذلك مزعجًا لي.

قلت: «حسنًا. أخبرني بكل ما تعرفه عن الملكة أنيت».

ما أعرفه أنا هو: لقد غادرت مراسم التتويج قبل أي أحد من اللوردات أو السيدات. وهذا يعني أنها تكره إما فكرة تولي بالكين العرش، أو فكرة وجود أي ملك سامٍ. وعليَّ فقط أن أعرف أي الفكرتين بالتحديد تكره.

قال كاردان: «مملكة الفراشات مترامية الأطراف، وهي نموذج تقليدي لممالك أنسيلي. وأنيت ملكة ذات تفكير عملي ومباشر، وهي تُفضِّل القوة الغاشمة على الأشياء الأخرى. وسمعت أيضًا أنها تأكل أصدقاءها ومحبيها عندما تسأم منهم».

ابتسمت على الرغم مني. من الغريب أن أكون في هذا الموقف مع كاردان من بين كل المخلوقات. والأمر الأكثر غرابة أنه يتحدَّث معي بهذه الطريقة، كما يفعل مع نيكاسيا أو لوك.

سألته: «فلماذا إذن غادرت مراسم التتويج؟ لقد بدا أنها هي وبالكين متماثلان تمامًا.

قال: «ليس لديها ورثة. وقد يئست من الحمل تمامًا. وأعتقد أنها لم تكن تودُّ أن ترى المذبحة التافهة التي حلَّت بسلالة كاملة. وعلاوة على ذلك، لا أعتقد أنها أُعجبت بأن بالكين قتلهم جميعًا، ثم ترك المنصة دون أن يضع التاج فوق رأسه في نهاية المطاف».

قلت: «حسنًا». وأنا آخذ نفسًا.

ثم أمسك بمعصمي، واقترب مني - وقد صُدمت من إحساسي بدفء بشرته على بشرتي – وقال: «اعتني بنفسك»، ثم ابتسم، وتابع: «سيكون الأمر مُمِلًّا للغاية أن أجلس هنا ليوم كامل لمجرد أنك ذهبت لتُقتلي».

قلت له لأغيظه: «ستكون أفكاري الأخيرة عن مللك، وهذا يرضيني»، ثم توجَّهت نحو معسكر أنسيلي للقاء الملكة أنيت.

لم تَكُن هناك نيران مُشتعلة، وكانت الخيام مصنوعة من قماش خشن مائل للخضرة كلون المستنقع. وكان الحارسان في المقدمة قزمًا وواحدًا من جان الجوبلن. كان القزم يرتدي درعًا مطليَّة بلون داكن يبدو قريبًا جدًّا من لون الدم الجاف.

قلت: «اممم، مرحبًا»، وأدركت أنني بحاجة إلى الكلام بطلاقة أكبر وبثقة، فأردفت: «أنا مرسال. وأريد لقاء الملكة».



نظر القزم إليَّ، وكان من الواضح أنه فوجئ برؤية إنسان أمامه.

قال: «ومَن الذي يتجرَّأ على إرسال مثل هذا المرسال الشهي إلى بلاطنا؟». فظننت أنه ربما كان يطريني في الواقع، مع صعوبة تحديد ذلك.

كذبت وقلت: «الملك السامي بالكين». واعتقدت أن استخدام اسمه هو أسرع وسيلة للدخول.

لكن هذا جعله يبتسم، وإن لم يكن بطريقة ودية، ثم قال: «ما شأن الملك الذي بلا تاج؟ هذه أحجية، لكنها أحجية نعرف جميعًا حلها: إنه ليس ملكًا على الإطلاق».

ضحك الحارس الآخر، وقال: «لن ندعك تمرِّين، أيتها اللقمة الصغيرة. ارجعي إلى سيِّدك وأخبريه بأن الملكة أنيت لا تعترف به، مع أنها تُقدِّر حسه الدرامي، وما فعله على المنصة. ولن تتناول العشاء معه مهما كرَّرَ طلبه، أو أرسل رشاوى لذيذة وشهية تصلح كمقبلات مثلك لحمل رسائله».

قلت: «ليس الأمر كما تظنان».

قال القزم «حسنًا، انتظري معنا للحظة. أراهن أن عظامك لذيذة المذاق». كان القزم ذا أسنان حادَّة ومخيفًا بعض الشيء. وأعلم أنه لا يعني ذلك؛ لأنه إذا كان يعنيه، لقال شيئًا آخر تمامًا وابتلعني.

ومع هذا، فقد وجِلتُ وتراجعت. إن هناك التزامات خاصة بالضيوف واجبة على كل مَن حضر للتتويج، لكن التزامات الضيوف بين الجان كثيرة التفاصيل بما يكفي لدرجة أنني لست متأكدة مطلقًا مما إذا كانت ستحميني أم لا.

عدت إلى كاردان الذي كان ينتظرني في الغابة، مستلقيًا على ظهره كأنه يعد النجوم.

نظر إليَّ مُتسائلًا، فهززت رأسي قبل أن أستلقي على العشب.

قلت: «لم أتمكَّن حتى من الحديث إليها».

فالتفت نحوي، وكان ضوء القمر يُبرِز خطوط وجهه، وحدة عظام خديه وطرفي أذنيه المدببين، وقال: «إذن، فقد ارتكبتِ خطأً ما».

أردت أن أعنِّفه، لكنه كان مُحِقًّا لقد أخفقت وأحتاج إلى أن أكون أكثر رسمية، وأن أحرص على أن يُسمح لي بالمثول أمام الملوك والملكات كما لو كنت معتادة ذلك. لقد تدرَّبت على كل شيء أودُّ قوله لها، ولكن لم أتدرَّب على كيفية الوصول إليها. فقد بدا هذا الجزء سهلًا. والآن أستطيع أن أرى أنه لم يكن كذلك.

استلقيت على ظهري بجانبه، ونظرت إلى النجوم. لو كان لديَّ وقت لرسمت خريطة لها، وتتبعت حظي بها، ثم قلت: «حسنًا، لو كنتَ مكاني، فمن الذي ستتقدَّم إليه؟».

قال: «اللورد روبين وسيفرين نجل ألدركينج». ثم اقترب مني.

عبست في وجهه، وقلت: «لكنهما ليسا جزءًا من المملكة العليا، ولم يقسما على الولاء للتاج».

قال كاردان وهو يمدُّ إصبعه لتتبع شكل أذني: «بالضبط». أدركت فجأة أنه يتحسَّس تقوُّس أذني في فضول، فارتجفت، وأغمضت عيني من شدَّة الخجل. وواصل الحديث، لكن بدا عليه أنه أدرك ما كان يفعله، فأبعد يده سريعًا. والآن، صار كلانا يشعر بالخجل. ثم قال: «لن يخسرا سوى القليل ولكنهما سيكسبان الكثير بالمشاركة في خطة قد يسميها البعض خيانة. ويقال إن سيفرين يحب فتاة إنسية، لذلك سيتحدث معك. ولأن والده كان في المنفى، فإن الاعتراف بمملكته نفسها من قِبَل الملك السامي سيكون هدفًا ذا قيمة».

«أما بالنسبة للورد روبين، فإن القصص المأثورة تجعله يبدو كأنه شخصية من مسرحية مأساوية. إنه فارس سيلي، وقد عُذب لعقود كخادم في بلاط أنسيلي التي تولَّى حكمها في النهاية. ولا أعرف ما عليك تقديمه لشخص مثل هذا، لكن لديه مملكة كبيرة بما يكفي لدرجة



أنك إذا جعلته يدعم أوك فحتى بالكين سيكون منزعجًا. وفضلًا عن هذا، أعرف أن لديه زوجة يفضلها مع أنها من رتبة أدنى، لذا حاولي ألَّا تزعجيها».

تذكَّرتُ كيف مكَّننا كاردان وهو ثمل من تجاوز الحراس في طريقنا للخروج من حفل التتويج. إنه يعرف هؤلاء القوم، ويعرف عاداتهم. وبغض النظر عن مدى فاعليته في تقديم النصيحة أو مقدار إزعاجه لي، فسأكون حمقاء لو لم أستمع له. دفعت نفسي للنهوض على قدمي، على أمل ألا تكون هناك بقع من حمرة الخجل الشديد تُلوِّن خدي. واستوى كاردان في جلسته أيضًا، وبدا كأنه على وشك التحدث.

قلت، وقد اتَّخذت سبيلي إلى المخيم: «أعلم ما ستقوله. عليَّ ألَّا أصيبك بالملل من جرَّاء موتي». وقرَّرت أن أجرب حظي مع سيفرين نجل ألدركينج أوَّلًا. كان معسكره صغيرًا، مثل مملكته - مساحة من الغابة خارج موقع مملكة النمل الأبيض الخاصة برويبين مباشرة، ولا تشبه مملكة سيلي ولا أنسيلي في طبيعتها.

كانت خيمته مصنوعة من قطعة قماش ثقيلة مطلية باللونين الفضي والأخضر. ويجلس عدد قليل من الفرسان في مكان قريب منها حول نار متأججة. ولا أحد منهم كان يرتدي درعًا - بل مجرد سترات وأحذية جلدية ثقيلة. كان أحدهم يستخدم أداة غريبة لتعليق غلَّاية فوق النار لغلي الماء. والصبي البشري الذي رأيته مع سيفرين في حفل التتويج، ذو الشعر الأحمر الذي رآني أحدِّق إليه، يتحدث مع أحد الفرسان بصوتٍ منخفض. وبعد لحظة، ضحك كلاهما، ولم يشغل أي أحد منهم باله بي.

سرت نحو النار ، وقلت: «عفوًا»، مُتسائِلةً في نفسي عما إذا كان ذلك سلوكًا مُهذَّبًا للغاية بالنسبة لمبعوث ملكي أم لا. ومع ذلك، لم يكن لديَّ خيار سوى الاستمرار. «لديَّ رسالة لابن ألدركينج. يرغب الملك السامي الجديد في التوصل إلى اتِّفاق معه».

«أوه، حقًّا؟». فوجئت بأن البشري مَن تحدث أوَّلًا.

قلت كما ينبغي أن تقول الشخصية التي أدَّعيها: «نعم، أيها الفاني». لكن على أية حال هذه هي بالضبط الكيفية التي سيتحدث إليه بها أحد خدم بالكين.

فحرَّكَ عينيه، وقال شيئًا لأحد الفرسان الآخرين، وهو يقف، ولم أستغرق سوى لحظة حتى أدركت أنني أنظر إلى اللورد سيفرين نفسه، كان شعره بلون أوراق الخريف، وعيناه كانتا خضراوين كلون الطحالب، وقرناه مقوَّسين من خلف جبينه إلى فوق أذنيه مباشرة. وكنت مندهشة من فكرة جلوسه مع بقية حاشيته أمام النار، لكنني تعافيت من دهشتي بسرعة كافية لأتذكر الانحناء له.

قلت: «يجب أن أتحدث معك وحدك».

قال: «أوه؟». لم أرد. فرفع حاجبيه استغرابًا، ثم قال: «بالطبع، من هنا».

صاح الصبي البشري بعد مغادرتنا، قائلًا: «يجب أن تؤدِّبها. حقًّا، الخدم البشريون المسحورون شنيعون».

لكن سيفرين لم يجبه.

سرت خلفه إلى داخل الخيمة. ولم يتبعنا أي من الآخرين عندما دخلنا، وكانت هناك بعض النساء اللاتي يرتدين عباءات، ويجلسن على الوسائد، ويعزفن على المزامير لحنًا قصيرًا. وكانت هناك فارسة تجلس بجانبهم، وسيفها موضوع على حجرها. وكان السيف جميلًا بما يكفي لجذب انتباهي.

قادني سيفرين إلى طاولة منخفضة مُحاطة بمقاعد متقاربة معًا في مجموعات، ومليئة بالمرطبات - عليها إبريق ماء فضي ذو مقبض على شكل قرن، وطبق من العنب والمشمش، وطبق صغير من المعجنات المحشوة بعسل النحل. وأشار لي بأن أجلس وعندما فعلت، جلس على كرسي آخر، وقال: «كلي ما يحلو لك»، ما جعله يبدو عرضًا وليس أمرًا.

قلت متجاهلةً الطعام: «أريد أن أطلب منكم أن تشهدوا مراسم التتويج، ولكن ليس بالكين الشخص الذي سيُتوَّج».



لم يبدُ متفاجئًا للغاية، لكنه بدا أكثر تشكُّكًا بعض الشيء، وقال: «إذن أنتِ لستِ مبعوثة منه؟».

قلت: «أنا مرسال الملك السامي المقبل». وأخرجت خاتم كاردان من جيبي كدليل على أن لديَّ بعض الصلات بالعائلة المالكة، وأنني لا أختلق هذه القصة كلها من عندي. وأتممت في إصرار: «لن يكون بالكين الملك السامي المقبل».

فقال بهدوء: «فهمت». كان مظهره غير متأثر، لكن بصره كان منجذبًا إلى الخاتم فأردفت:

«ويمكنني أن أعدك بأنه سيتم الاعتراف بمملكتك بصفتها ذات سيادة، إذا ساعدتنا. ولن تواجه تهديدًا بالغزو من الملك السامي الجديد. وبدلًا من ذلك، سنعرض عليك التحالف». زحف الخوف إلى حلقي، وكدت أعجز عن قول الكلمات الأخيرة تقريبًا. لأنه إذا لم يساعدني فهناك احتمال بأن يخونني ويشي بي لبالكين. وإذا حدث ذلك، فستصبح الأمور أكثر صعوبة.

يمكنني التَّحكُّم في الكثير من الأمور، لكن لا يمكنني التَّحكُّم في هذا.

كانت تعابير وجه سيفرين غير قابلة للقراءة، وقال: «لن أهينك بالسؤال عمَّن تمثلينه. فهناك احتمال واحد فقط، إنه الأمير كاردان الشاب، الذي أسمع عنه أشياء كثيرة. لكنني لست المرشح المثالي لمساعدتك، وذلك للأسباب ذاتها التي تجعل عرضك مغريًا للغاية. ومملكتي ذات تأثير قليل. وفضلًا عن هذا، أنا ابن لرجل خائن، لذلك من غير المرجح أن يحظى عهدي بأية قيمة».

قلت: «أنت ذاهب إلى مأدبة بالكين بالفعل. وكل ما أريده منك هو المساعدة حينما تحين اللحظة الحرجة». إنه يشعر بالإغراء، وقد اعترف بذلك. وربما يحتاج فقط إلى مزيد من الإقناع. فألححت عليه: «بغضِّ النظر عما سمعته عن الأمير كاردان، فإنه سيكون ملكًا أفضل من أخيه».

على الأقل أنا لم أكذب في هذا.

نظر سيفرين إلى حافة الخيمة، وكأنه يتساءل من يمكنه أن يسترق السمع إلينا، وقال: «سأساعدكم ما دمتُ لست الوحيد. وأقول هذا من أجل مصلحتكم بقدر ما أقوله من أجل مصلحتي». ومع تلك الكلمات، وقف وقال: «أتمنى لك وللأمير التوفيق. وإذا احتجتما إليَّ، فسأفعل ما بوسعي لكما».

نهضت عن الكرسي، وانحنيت له مرة أخرى. وقلت: «أنت أكثر الملوك كرمًا».

عندما غادرت معسكره، أخذ عقلي يدور في مختلف الاتجاهات. فمن ناحية، فإنني نجحت. لقد تمكَّنت من التحدث مع أحد حكام الجان دون أن أبدو حمقاء حتى إنني أقنعته نوعًا ما

بالموافقة على خطتي. لكنني ما زلت بحاجة إلى ملك آخر، أكثر نفوذًا، للموافقة عليها.

وهناك مكان واحد كنت أتجنبه. المعسكر الأكبر الذي ينتمي لروبيين حاكم مملكة النمل الأبيض. ولأنه مشهور بتعطُّشه للدماء، فإنه فاز بكلا تاجيه في معركة؛ ولهذا لم يكن لديه سبب للاعتراض على انقلاب بالكين الدموي. ومع ذلك، يبدو أن روبيين يشعر بالطريقة نفسها التي تشعر بها أنيت من مملكة الفراشات تجاه بالكين، وبأنه ليست له أهمية تُذكر دون تاج.

وربما لا يرغب في لقاء أحد من رسل بالكين أيضًا. ونظرًا إلى حجم معسكره، لا يمكنني حتى تخيُّل عدد الحراس الذين سأضطر إلى تجاوزهم من أجل التحدث معه.

لكن ربما يمكنني التسلل إلى الداخل. فعلى الرغم من كل شيء، في وجود هذا العدد الكبير من الجان من حولنا، كيف سيلفت وجود شخص واحد مثلي الأنظار؟

جمعت حزمة من الأغصان الساقطة على الأرض وكانت كبيرة بما يكفي لتكون مساهمة عظيمة في إشعال النار واتَّجهت نحو مخيم النمل الأبيض، ووجهي لأسفل. كان هناك فرسان منتشرون في أرجاء المكان، لكنهم في الواقع لم يهتموا بي عندما مررت بهم.

وشعرت بالابتهاج الشديد مع نجاح خطتي. فعندما كنت طفلة، كان على مادوك التوقُّف أحيانًا في منتصف لعبة الشطرنج، ثم يُبقي لوح اللعب كما هو لليوم التالي، في انتظار استئناف



لعبنا. وطوال النهار والليل، كنت أتخيَّل تحركاتي وتحركاته المضادة، وعندما كنا نجلس، فإننا نكون بصدد لعب لعبة أخرى تمامًا غير اللعبة الأصلية. وما كنت أفشل فيه غالبًا هو توقُّع تحركاته التالية بدقة. كانت لديَّ إستراتيجية رائعة بالنسبة لي، ولكن ليس بالنسبة للعبة التي كنت أشارك فيها.

وهذا ما شعرت به الآن، وأنا أدخل المخيم. إنني ألعب لعبة ضد مادوك وفي حين يمكنني وضع الخطط والمكائد، فإنني إذا لم أستطع تخمين خططه بدقة، فسأفشل.

ألقيت حزمة الحطب بجانب النار. وألقت إليَّ امرأة ذات بشرة زرقاء وأسنان سوداء نظرة

للحظة، ثم عادت إلى حديثها مع رجل ذي قدمي ماعز. ثم أزلت آثار لحاء الأغصان عن ملابسي، وسرت باتجاه أكبر خيمة. وأبقيت وقع قدميّ خفيفًا وخطواتي سلِسة ومنتظمة. وعندما وجدت بقعة مظلمة، استغللتها للزحف تحت حافة قماش الخيمة. وللحظة، استلقيت هناك، وأنا شبه مختبئة وغير مخفية عن الأنظار تمامًا.

كان الجزء الداخلي من الخيمة الرئيسية مُضاءً بمصابيح مشتعلة بنيران كيميائية خضراء، ما أدى إلى تلوين كل شيء بلون باهت. ومن ناحية أخرى، كان هذا الجزء مُكتظًّا. فقطع السجاد كانت مبسوطة واحدة فوق الأخرى. وكانت توجد طاولات وكراسي خشبية ثقيلة، وسرير مُكدَّس بالفراء وبطانيات من الديباج، مُطرَّزة بصور تبرز ثمار وحبات الرمان.

لكن ما أثار دهشتي، أنه كانت توجد على الطاولة علب ورقية مليئة بالطعام. وكانت الجنية ذات البشرة الخضراء - التي رافقت روبين في حفل التتويج - تستخدم عيدان تناول الطعام لرفع المكرونة إلى فمها. وكان يجلس هو بجانبها، ويفض بعناية غلاف واحدة من كعكات الحظ.

سألته الفتاة: «ماذا تقول الكعكة؟ ثم أردفت في نبرة محبطة: «ماذا عن الرحلة التي أخبرت حبيبتك بأنها ستكون ممتعة لكنها انتهت بإراقة الدماء. كالعادة».





فقال لها بصوتٍ جاف وهو يُمرِّر لها قصاصة الورق الصغيرة من فوق الطاولة لتتحقَّق منها: «إنها تقول حذاءك سوف يجعلك سعيدًا اليوم».

وحين نظرتْ إلى حذائه الجلدي، هزَّ كتفيه، وارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه.

وحينما خرجتُ بصعوبة من مخبئي، وتدحرجت على ظهري خارج الخيمة، وجدت فارسة تقف فوقي، شاهرةً سيفها. لا أحد مُلامًا فيما حدث لي سواي فقد كان ينبغي عليَّ أن أستمر في الحركة وأن أجد طريقة لإخفاء نفسي داخل الخيمة. وما كان ينبغي أن أتوقف للاستماع إلى محادثة، بغض النظر عن مدى دهشتي منها.

قالت الفارسة: «انهضي». وقد تبيَّنَ أنها دولكامارا. ولكن لم يبدُ على وجهها أنها تعرَّفت عليَّ.

نهضتُ وقادتني إلى داخل الخيمة، وركلتني في ساقي بمجرد وصولنا، لذلك سقطت على السجاد، وكنت ممتنة لكثافة هذا السجاد. وللحظة، سمحت لنفسي بالاستلقاء عليه، وضغطت بحذائها على خصري من الخلف كأنني فريسة.

وقالت: «لقد ألقيتُ القبض على جاسوسة. هل أقطع رقبتها؟».

كان بوسعي أن أتدحرج وأشدها من كاحلها، وسيؤدي ذلك إلى فقدان توازنها لفترة كافية حتى أتمكَّن من النهوض. وإذا لويت ساقها وركضت، فقد أتمكَّن من الهرب. وفي أسوأ الأحوال، سأكون واقفةً على قدميَّ وقادرةً على الإمساك بسلاح وقتالها.

لكنني جئت إلى هنا للقاء اللورد روبين، والآن التقيته بالفعل. فبقيت هادئة، وتركت دولكامارا تُحقِّر من شأني.

قام اللورد روبين من على الطاولة، وانحنى فوقي، وشعره الأبيض يتدلى حول وجهه، وحدَّقَ إليَّ بعينيه الفضيتين بلا رحمة، وقال: «ومن أية حاشية أنت؟».

قلت: «حاشية الملك السامي. الملك الحقيقي إلدريد، الذي قتله ابنه».



قال: «لا أدري إن كنت أصدقك. تعالي اجلسي معنا وتناولي الطعام. سوف أسمع المزيد من حكايتك. دولكامارا، يمكنك تركنا وحدنا». لقد فاجأني بكلٍّ من تهذيب عبارته، وبافتراضه أنني أكذب.

سألتُه عابسةً: «هل ستطعمها؟».

لم يرد عليها، وبعد لحظة من الصمت الخالي من التعابير، يبدو أنها تذكرت مكانتها الحقيقية. وبعد انحناءة، غادرتْ.

ذهبت إلى الطاولة، ونظرت إليَّ الجنية بعينيها السوداوين مثل عيني تاترفيل. ولاحظت وجود مفصل إضافي في أصابعها عندما مدت يدها إلى لفافة بيض، وقالت لي: «تفضلي. هناك الكثير من الطعام. لكنني تناولت معظم علب المستردة الساخنة».

فيما انتظر روبين وهو يراقبني.

قلت: «هذا طعام بشر»، بطريقة تمنيت أن تكون مُحايدة.

فقال: «نحن نعيش جنبًا إلى جنب مع البشر، أليس كذلك؟».

قالت الجنية معترضة وهي تنظر إليَّ: «أعتقد أنها بلغت مدى أكبر من مجرد العيش بجانبهم».

فقال: «على رسلك»، وانتظر ما سأفعله. وأدركتُ أنهما يتوقَّعان مني حقًّا أن آكل شيئًا، فغرست عودًا في قطعة زلابية ووضعتها في فمي. وقلت: «إنها جيِّدة».

ثم واصلت الجنية أكل المكرونة.

وأشار روبين إليها. وقال: «هذه كاي. وأفترض أنك تعرفين مَن أنا لأنك تسلَّلتِ إلى معسكري. فما الاسم الذي يمكننا أن نخاطبك به؟».





أنا غير معتادة على مثل هذا التأدُّب الشديد الذي عوملت به؛ فهو يتفضَّل عليَّ بعدم طلب اسمي الحقيقي. قلت: «جود». لأن الأسماء ليس لها تأثير على البشر. ثم استطردت: «وقد جئت لرؤيتك لأنني أستطيع أن أضع شخصًا آخر غير بالكين على العرش، لكنني بحاجة إلى مساعدتك في فعل ذلك».

فسألني: «شخص أفضل من بالكين أم مجرد شخص آخر؟».

عبس وجهي؛ لأني لم أدرِ كيف أجيب عن هذا السؤال، وقلت: «على الأقل شخص لم يقتل معظم عائلته على منصة التتويج. أليس هذا أفضل في حد ذاته؟».

فتنهدت الجنية كاي في دلالة مبهمة بالنسبة لي..

نظر اللورد روبيين إلى يده الموضوعة على الطاولة الخشبية، ثم عاود النظر إليَّ. لم أستطع

قراءة تعابير وجهه المتجهم، ثم قال: «بالكين ليس دبلوماسيًّا، لكن ربما يمكنه التعلم. من الواضح أنه طموح، وقد نفَّذَ انقلابًا وحشِيًّا. وليس كل شخص لديه الجرأة على فعل ذلك».

قالت كاي: «لم تكن لديَّ الجرأة حتى على مشاهدته».

فذكَّرتهما قائلةً: «لقد نجح في ذلك نوعًا ما. ولا أعتقد أنك تحبه كثيرًا، بالنظر إلى ما قلته في حفل التتويج».

ارتفعت إحدى زوايا فم روبيين مبتسمًا، وكانت لفتة عابرة بالكاد يمكن ملاحظتها. قال: «لا. أنا أعتقد أنه جبان بقتل أبيه وأخواته فيما بدا أنه نوبة غضب. وقد اختبأ خلف جيشه، وترك قائد الجيوش يقضي على الوريث المختار لتولي منصب الملك السامي هذا يدل على ضعف، ضعف من النوع الذي سيتم استغلاله لا محالة».

سرت قشعريرة باردة في ظهري لهاجس مرَّ بخاطري، وقلت: «ما أحتاج إليه هو شخص ما ليشهد التتويج، شخص يتمتَّع بقوة كافية بحيث تكون شهادته مهمة. أنت بالتحديد.

وسيحدث الأمر في وليمة بالكين في عشية الغد. وإذا سمحت بحدوث ذلك وأعطيت يمينك للملك السامي الجديد...».

قالت كاي مُقاطِعةً: «لا إهانة شخصية فيما سأقول، ولكن ما علاقتك بأيٍّ من هذا؟ لماذا تهتمين بمن سيجلس على العرش؟».

قلت: «لأن هذا هو المكان الذي أعيش فيه. وهذا هو المكان الذي نشأت فيه. وحتى لو كرهته معظم الوقت، فهو يخصني».

أوْمَأَ اللورد روبين برأسه ببطء وقال: «ولن تخبريني بِمَن هو هذا المرشح ولا كيف سيضع التاج على رأسه؟».

قلتُ: «أفضِّل ألا أفعل».

«كان يمكنني أن أجعل دولكامارا تؤذيك إلى أن تتوسلي لنا كي نسمح لك بإخبارنا بأسرارك».

قال هذا بطريقة غير عدائية، وهي مجرد حقيقة أخرى بالفعل، لكنه ذكَّرني بمدى رعب ما سمعته. يجب ألَّا يدفعني أي قدر من الطعام الجاهز المقدم لي أو الأدب إلى أن أنسى بالضبط مع مَن وماذا أتعامل.

قلت له: «ألن يجعلك هذا جبانًا مثل بالكين؟». في مُحاوَلةٍ لإظهار الثقة نفسها التي كنت أتحدث بها مع مجلس الظلال. الثقة نفسها التي كنت أتحدث بها مع كاردان. لا يمكنني السماح له برؤية أنني خائفة أو مقدار خوفي على الأقل.

تأمَّلَ كلٌّ منا الآخر لفترة طويلة، وظلَّت الجنية تراقب كلينا. وفي النهاية أطلق اللورد روبين زفرة طويلة، وقال: «بل سأكون ربما أكثر جُبنًا منه. حسنًا يا جود يا صانعة الملوك سنغامر معك. ضعي التاج على رأس شخص غير بالكين وسأساعدك على إبقائه هناك». وتوقف برهة، ثم قال: «لكنك ستفعلين شيئًا من أجلي».





فانتظرت كلامه في توتر.

رفع أصابعه الطويلة، وقال: «يومًا ما، سأطلب معروفًا من ملكك».

قلت له: «هل تريد مني الموافقة على شيء ما دون أن أعرف ما هو؟».

لم يكشف وجهه الرزين عن الكثير. لكنه أكَّدَ طلبه بقوله: «الآن يفهم بعضنا بعضًا تمامًا».

أَوْمَأتُ برأسي موافِقةً. وهل كان لديَّ خيار آخر؟ وقلت موضِّحةً: «إذا كان شيئًا ذا قيمة مساوية. وفي حدود استطاعتنا، فسنمنحه لك».

قال اللورد روبين بابتسامة صغيرة غامضة: «لقد كان هذا الاجتماع شائقًا حقًّا».

وحينما وقفت استعدادًا للمغادرة، غمزت لي كاي بعينها السوداء، وقالت: «أتمنى لك حَظًّا جيِّدًا أيتها الإنسية».

ومع كلماتها التي تردَّدَ صداها ورائي غادرتُ المعسكر، وعدتُ إلى كاردان.

=







الفصل 28

كان الشبح مستيقظًا عندما عدنا. وكان قبلها في الخارج، وأحضر معه حفنة من التفاح الصغير، وبعض لحم الغزال المجفف، والزبد الطازج، ومئات من زجاجات الشراب. وقد أحضر معه أيضًا بعض قطع الأثاث التي كانت موجودة في القصر - مثل أريكة مطرزة بالحرير، ووسائد من الساتان، وأغطية متلألئة من حرير العنكبوت، ومجموعة أدوات شاي مصنوعة من العقيق الأبيض.

تطلَّعَ إلينا الشبح من فوق الأريكة التي كان يجلس عليها، وبدا مُتوتِّرًا ومرهقًا. واعتقدت أنه

كان حزينًا لكن ليس بطريقة مألوفة للبشر، ثم قال: «حسنًا؟ أعتقد أنني حصلت على وعد بالذهب».

قلت: «ماذا لو كان بإمكاني أن أعدك بالانتقام؟» وأنا أعي ثقل الديون الملقاة على عاتقي بالفعل.

فتبادل النظر مع القنبلة، وقال: «إذن لديك خطة بالفعل».

جلست القنبلة على وسادة. وقلت: «بل سر، وهذا أفضل كثيرًا من الخطة».

أمسكتُ بتفاحة، وذهبت إلى الطاولة، ثم جلست إليها، وقلت: «سوف ندخل مباشرة إلى وليمة بالكين، ونسرق مملكته من تحت يده، ما رأيكم في هذا الانتقام؟».

الجرأة، هذا ما أحتاج إليه. أن أدخل كأني أملك المكان، كأني ابنة قائد الجيوش حقًا. وكأنَّ بوسعي أن أنجح في فعل ما أريد.

ارتفعت زاوية من فم الشبح، فبدا كمن يبتسم، وأخرج أربعة أكواب فضية من الخزانة، ووضعها أمامي. وقال: «أتشربين؟».

هززت رأسي نفيًا وأنا أراقبه وهو يصب الشراب فيها. ثم عاد إلى الأريكة، لكنه جلس على الحافة كأنه سيضطر للقفز من فوقها خلال لحظة. وبعدها تناول جرعة كبيرة من الشراب.

قلت: «لقد تحدَّثتَ سابقًا عن مقتل طفل داين الذي لم يولد».

فأوْمَأَ الشبح برأسه، وقال: «لاحظت تعابير وجهكِ عندما تحدَّثَ كاردان عن ليريوبي وعندما أدركتِ دوري في الأمر».

قلت بصدق: «لقد فاجأني ذلك. وقد أردت أن أعتقد أن داين كان مختلفًا».

تنهَّدَ كاردان مُحتجًا، وأخذ الكأس الفضية التي كانت مخصصة لي وكذلك كأسه وتناولهما.

قال الشبح: «القتل صنعة قاسية. وأعتقد أن داين كان سيصير ملكًا عادِلًا مثل أي أمير للجان، لكن والدي كان إنسِيًّا، وما كان ليعد داين رجلًا صالحًا. وما كان ليعدني رجلًا صالحًا

أيضًا. ومن الأفضل أن يُقرِّر المرء مدى اهتمامه بالاستقامة قبل أن يتمادى بعيدًا في طريق التجسس».

ربما يكون على حق، لكن ليس لديَّ مُتَّسع من الوقت لأفكر في هذا الأمر الآن. قلت له: «أنت لا تفهم. طفل ليريوبي لم يمت».

فالتفتَ إلى القنبلة وهو مذهول وقال: «أهذا هو السر؟». فأومأت برأسها، وهي مُعتدَّة بذاتها قليلًا لكونها تعرف ما قيل مُسبقًا. وقالت: «هذه هي الخطة».

فرمقها الشبح بنظرة طويلة، ثم وجَّهَ نظره إليَّ وقال: «لا أريد أن أجد وظيفة جديدة. أريد أن أبقى هنا، وأخدم الملك السامي القادم، لذا، نعم. دعونا نسرق المملكة أو نستردها».

قلت للشبح: «نحن لسنا بحاجة إلى أن نكون صالحين، دعونا فقط نحاول أن نكون عادلين. عادلين مثل أي أمير للجان».

فابتسم الشبح.

قلت وأنا أرمي كاردان بطرف عيني: «وربما أكثر عدلًا منهم».

فأوْمَأَ الشبح قائلًا: «أنا أيضًا أرغب في ذلك».

ثم ذهب لإيقاظ الصرصور. فتعيَّن عليَّ شرح كل شيء مرة أخرى. وبمجرد أن وصلت إلى الجزء المتعلق بالوليمة، وما أعتقد أنه سيحدث، قاطعني الصرصور مرات عديدة لدرجة أنني لم أتمكَّن من قول جملة كاملة تقريبًا. وبعد أن انتهيت من الحديث، أخرج لفافة من الورق، وقلمًا مُدبَّبًا من إحدى الخزانات ودوَّنَ المواضع التي ينبغي أن يكون موجودًا فيها كل واحد منهم حتى تنجح الخطة.

قلت له: «إنك تعيد تخطيط خطتي».





قال وهو يلعق طرف القلم، ويبدأ في الكتابة مرة أخرى: «قليلًا فقط. هل أنت قلقة بشأن مادوك؟ لأن هذا لن يعجبه أبدًا».

قلت: «بالطبع أنا قلقة بشأن مادوك. ولو لم أكن قلقة، ما فعلت أيًّا من هذا. وكنت ببساطة سأسلمه مفتاح حكم هذه المملكة». ثم أكَّدت وأنا أحدِّق إلى بقايا الشراب في كأس الشبح: «وأعلم يقينًا أن هذا لن يعجبه».

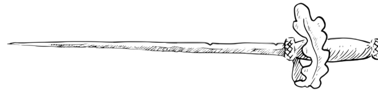
في اللحظة التي سأدخل فيها قاعة المأدبة مُتأبِّطةً ذراع كاردان، سيعرف مادوك أنني ألعب لعبة خاصة بي. وعندما يكتشف أنني أخدعه لأكون أنا الوصية على العرش، فسيكون غاضبًا جدًّا.

وهو يكون في أشد حالاته تعطُّشًا للدماء عندما يصبح غاضبًا.

سأل الصرصور: «هل لديك شيء مناسب لترتديه؟». وتزامنًا مع نظرتي المتفاجئة، رفع يديه، وقال: «أنت ستمارسين السياسة. وأنت وكاردان بحاجة إلى الظهور بروعة تليق بهذه المأدبة. ويحتاج ملكك الجديد إلى أن يبدو كل شيء على ما يرام».

راجعنا الخطط مرة أخرى، وساعدنا كاردان على رسم خريطة القصر الأجوف، وحاولت ألا أركز كثيرًا على أصابعه الطويلة التي تتحرك على الورقة، وعلى الشعور المرضي الذي أشعر به عندما ينظر إليَّ.

وعند الفجر، تناولت ثلاثة أكواب من الشاي، وانطلقت بمفردي إلى آخر شخص يجب أن أتحدث إليه قبل المأدبة، إلى أختي فيفيان.



عُدتُ إلى منزلي - بل منزل مادوك. ذكَّرت نفسي بهذا، لأنه لم يكن منزلي قط، ولن يعود منزلي مرة أخرى بعد هذا اليوم الذي أشرقت شمس صباحه بوهج ذهبي. وشعرت كأنني



مجرد ظل حينما صعدت السلالم الحلزونية وحينما مررت بجميع الغرف التي نشأت فيها. وفي غرفة نومي حزمت حقيبتي ووضعت فيها السم والسكاكين وعباءة وتنورة والمجوهرات التي أعتقد أن الصرصور سيجدها باهظة الثمن حقًا. وبتردد، تركت ورائي دمى الحيوانات المحشوة على فراشي. كما تركت النعال والكتب والحلي المفضلة. وخرجت من حياتي الثانية بالطريقة نفسها التي خرجت بها من الأولى، ممسكة بأشياء قليلة للغاية وفي داخلي شك كبير بشأن ما سيحدث بعد ذلك.

وبعد ذلك، ذهبت إلى باب فيفي، وطرقته بلطف، وبعد لحظات قليلة سمحت لي بالدخول وهي نعسانة.

قالت وهي تتثاءب: «أوه جيد. حزمت حقيبتك». ثم لاحظت وجهي، وهزَّت رأسها في استنكار، وقالت: «من فضلك لا تخبريني بأنك لن تأتي معي».

قلت وأنا أضع حقيبتي على الأرض: «حدث شيء ما»، وأبقيت صوتي منخفضًا. ولم يكن هناك سبب حقيقي لإخفاء أنني موجودة في المنزل، لكن إخفاء الأمور أصبح عادة. فقلت: «فقط اسمعيني».

قالت: «لقد اختفيتِ. وقد انتظرتك طويلًا، وحاولت أن أتصرف كأن الأمور على ما يرام أمام أبي. كما أنك أثرت قلقي».

قلت: «أعرف».

نظرت إليَّ كأنها تفكر في إعطائي صفعة سريعة. وقالت: «خشيت أن تكوني ميتة».

قلت: «أنا لست ميتة إلى حدٍّ ما، ثم أخذت بذراعها وجذبتها ناحيتي حتى أتمكَّن من التكلم بهمس، وقلت: «لكن يجب أن أخبرك بشيء أعلم أنك لن تحببيه: لقد كنت أعمل جاسوسة لدى الأمير داين. وقد ألقى عليَّ تعويذة حتى لا أستطيع أن أقول أي شيء إلا بعد وفاته».

رفعت حاجبيها المُدبَّبين بدقَّة عاليًا، وقالت في ذهول: «كنت تتجسَّسين؟ علامَ ينطوي ذلك؟».

قلت: «التسلُّل والحصول على المعلومات وقتل الناس. وقبل أن تقولي أي شيء آخر، كنت أجيد ذلك».

قالت: «حسنًا». لقد كانت تعلم أن هناك خطبًا ما بشأني، لكن من تعبيرات وجهها يمكنني القول إنها لم تكن لتخمِّن هذا ولو بعد مليون عام. واصلتُ كلامي قائلةً: «لقد اكتشفت أن مادوك سوف يتَّخِذ خطوة سياسية. خطوة تتعلَّق بأوك». وشرحت مرة أخرى القصة عن ليريوبي وأوريانا وداين. وعند هذه النقطة، رويت القصة بإيجاز بحيث كان من السهل الوصول إلى الأجزاء الضرورية فقط لسرد المعلومات بسرعة وبشكل مقنع. وقلت: «مادوك سوف يجعل أوك ملكًا، ويجعل نفسه وصيًّا على العرش. ولا أعرف ما إذا كانت هذه هي خطته الدائمة، لكنني متأكدة من أنها خطته الآن».

قالت: «ألهذا السبب لن تأتي إلى عالم البشر معي؟».

قلت لها: «وأريد منك أن تأخذي أوك بدلًا مني. أبقيه بعيدًا عن كل هذا حتى يكبر قليلًا، ويصبح كبيرًا بما يكفي حتى لا يحتاج إلى وصي على العرش. وسأبقى هنا وأتأكد من أن لديه شيئًا ليعود إليه».

وضعت فيفي يديها على فخذيها، وهي حركة ذكرتني بوالدتنا، وقالت: «وكيف ستفعلين ذلك بالضبط؟».

قلت: «اتركي هذا الجزء لي»، وتمنيت لو أن فيفي لا تفهم طبيعتي جيِّدًا كما هي الآن حتى لا يزداد قلقها عليَّ. ولإلهائها، أوضحت لها ما سيحدث بشأن مأدبة بالكين، وكيف سيساعدني مجلس الظلال على الحصول على التاج. وكيف أنني سأحتاج إليها في تجهيز أوك لحفل التتويج. وقلت: «مَن يسيطر على الملك، يسيطر على المملكة. وإذا صار مادوك وصِيًّا على العرش، فأنت تعلمين أن بلاد الجان ستكون في حالة حرب دائمة».



قالت: «إذن، دعيني أصغ ذلك بوضوح: تريدين مني أن آخذ أوك بعيدًا عن بلاد الجان، بعيدًا عن كل شخص يعرفه، وأعلِّمه كيف يكون ملكًا جيِّدًا؟». ثم ضحكت بسخرية، وقالت: «لقد سرقت والدتنا ذات مرة طفلًا جنيًّا وأبعدته عن هنا - وهذا الطفل هو أنا وأنت تعلمين ما حدث بعدها. فكيف سيكون هذا مختلفًا؟ وكيف ستمنعين مادوك وبالكين من تعقُّب أوك ولو إلى أقاصي الأرض؟».

قلت: «يمكن إرسال شخص ما لحراسته، لحراستكما جميعًا - ولكن بالنسبة للبقية، لديَّ خطة. ولن يتتبعكما مادوك».. مع فيفي سأشعر إلى الأبد بأنني سأظل الأخت الصغيرة الحمقاء التي على وشك السقوط على وجهها.

قالت فيفي: «ربما لا أريد أن ألعب دور المربية الحاضنة، وربما أفقده في مرأب للسيارات، أو أنساه في المدرسة. وربما أعلِّمه بعض الخدع الشنيعة. وربما يلومني على كل هذا فيما بعد».

قلت لها: «أعطيني حلًّا آخر. فهل تعتقدين حقًّا أن هذا ما أريده؟». أعلم أنني بدوت كأنني أتوسل إليها، لكني لم أستطع منع نفسي من التصرف هكذا.

وللحظة من التوتر، نظرت كلٌّ منا نحو الأخرى. ثم جلستْ بصعوبة على كرسي، وتركت رأسها يرتاح على الوسادة، وقالت: «كيف سأشرح هذا لهيذر؟».

قلت: «أعتقد أن وجود أوك يمثل أقل جزء صادم فيما يجب عليك أن تخبريها به. وهذا لبضع سنوات فقط، وأنت كجنية لا تخشين الموت. وبالمناسبة، هذا من أكثر الأشياء المروعة التي يجب أن تخبريها بها».

نظرت إليَّ نظرة ساخطة بما يكفي لإشعاري بمدى غضبها، وقالت: «عديني بأن هذا سينقذ حياة أوك».

قلت لها: «أعدك».

قالت: «وعديني أيضًا بأنه لن يكلفك حياتك».



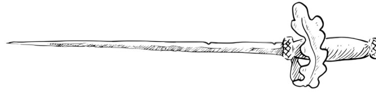


أَوْمَأتُ برأسي، وقلت: «لن يكلفني حياتي».

قالت: «كاذبة. أنت كاذبة سيِّئة وأنا أكره ذلك فيك، وأكره هذا الأمر برمته».

قلت: «نعم. أعرف».

على الأقل لم تقل إنها تكرهني أيضًا.



كنت في طريقي إلى الخروج من المنزل عندما فتحت تارين باب غرفة نومها وكانت ترتدي تنورة بلون اللبلاب، وفيها تطريز على شكل أوراق شجر متساقطة.

حبست أنفاسي، فلم أكن أخطط لرؤيتها.

ثم تبادلنا النظر لفترة طويلة. ولاحظتْ أن هناك حقيبة على كتفي، وأنني أرتدي الملابس نفسها التي كنت أرتديها عندما تشاجرنا.

ثم أغلقتْ بابها مرة أخرى، تاركةً إياي لقدري.







الفصل
29



لم يسبق لي قط عبور الأبواب الأمامية للقصر الأجوف. وفيما مضى دائمًا ما كنت أدخل عبر المطابخ مرتديةً زي خادمة. والآن أقف أمام الأبواب الخشبية المصقولة والمضاءة بمصباحين يحتويان على عفاريت صغيرة حبيسة تطير في دوائر بيأس. هذه الدوائر تضيء نحتًا لوجه ضخم وشرير، ومطرقة الباب عبارة عن حلقة تخترق أنف هذا الوجه.

مدَّ كاردان يده نحو الباب، ولأنني نشأت في أرض الجان فلم أتفاجأ أو أصرخ عندما انفتحت عينا الباب.

وقال الباب بترحاب: «أميري العزيز».





ردَّ كاردان بابتسامة تُعبِّر عن المودة والألفة قائلًا: «بابي المفضل». من الغريب أن ترى سحره البغيض يُستخدم لشيء آخر غير الشر.

ثم قال الباب: «سلامًا ومرحبًا»، وتأرجح لينفتح ويكشف عن أحد الجان من خدم بالكين. حدَّقَ الخادم بفم مفتوح إلى كاردان؛ لأنه كان يفتقد أمير الجان. ثم قال الخادم بعد أن تمالك نفسه: «الضيوف الآخرون هناك».

أمسك كاردان ذراعي بقوة بذراعه قبل أن أخطو خطوةً نحو المدخل فشعرت بدفقة من الدفء تشملني وأنا أجعل خطواتي توافق خطواته. لا أستطيع أن أكذب على نفسي. فعلى الرغم مني، ومن حقيقة أنه شخص فظيع، يجب علي أن أعترف بأن رفقة كاردان ممتعة أيضًا.

وربما ينبغي أن أكون سعيدة بمدى قلة أهمية هذا الأمر بالنسبة لي عمومًا. لكن في الوقت الحالي، ولظروف الموقف الذي نحن فيه، فإنه أمر مقلق للغاية. كان كاردان يرتدي بدلة من ملابس داين المسروقة من خزانات القصر وقد عدلتها جنية ماهرة تدين للصرصور بدين من أحد الرهانات. لقد بدا ملكيًّا في زيه ذي الدرجات المختلفة من اللون الأصفر الشاحب؛ معطف فوق سترة وقميص فضفاض وسروال ووشاح للرقبة، مع الأحذية نفسها ذات الأطراف الفضية المدببة التي كان يرتديها للتتويج، وقرط ياقوتي واحد يلمع في أذنه اليسرى. من المفترض أن يبدو كاردان في هيئة ملكية، وقد ساعدت في اختيار الملابس، وساعدت في جعله يبدو على هذا النحو، ومع ذلك، فإنه لم يفقد تأثيره عليَّ.

كنت أرتدي تنورة خضراء مع أقراط على شكل التوت. وفي جيبي حلية البلوط الذهبية الخاصة بليريوبي، وعلى فخذي سيف أبي. وفي طيات ثيابي كنت أخفي مجموعة من السكاكين. ومع ذلك، لم يبدُ لي كل هذا كافيًا.

عندما سرنا بين الحضور، التفت الجميع لينظروا إلينا؛ لوردات وسيدات أرض الجان، وملوك وملكات الممالك الأخرى، وممثل ملكة البحار، وبالكين. وعائلتي. كان أوك يقف مع أوريانا ومادوك. وألقيت نظرة على اللورد روبين فشعره الأبيض يجعل من السهل العثور عليه في



الحشد، لكنه لم يُظهر أننا التقينا من قبل. ولا تزال تعبيرات وجهه غير قابلة للقراءة، وكأنه يرتدي قناعًا.

سأضطر إلى الوثوق بأنه سيفي بنصيبه من الصفقة، لكنني لا أحب هذا النوع من الحسابات. وقد نشأت على التفكير في الإستراتيجيات على أنها تتمثل في العثور على نقاط الضعف واستغلالها، هذا ما أفهمه. لكنني محدودة المهارة في جعل الناس يحبونك، وجعل الناس يريدون أن يقتنعوا بدورك ويقفوا إلى جانبك.

انتقلت عيناي من طاولة المرطبات إلى العباءات المزركشة، إلى جني من الجوبلن يسحق عظمة بأسنانه. ثم استقرَّت عيناي على التاج الدموي الخاص بالملك السامي. إنه موضوع على رف فوقنا، وتحته وسادة. ومن موضعه يضيء بنور يُنذر بالشر.

وعند رؤيته، تخيَّلت أن كل خططي فشلت. كما أرعبتني فكرة سرقته أمام الجميع. ومع ذلك، فإن فكرة الاضطرار إلى البحث في القصر الأجوف عنه كانت مرعبة أيضًا.

رأيت بالكين ينتهي من التحدث مع امرأة لا أعرفها. كانت ترتدي ثوبًا منسوجًا من الأعشاب البحرية وطوقًا من اللؤلؤ وشعرها الأسود كان مُثبَّتًا بتاج مُزين بمزيد من اللآلئ، ويبدو كأنه حزام فوق رأسها. استغرق الأمر مني بعض الوقت لأخمن من تكون - إنها الملكة أورلاج والدة نيكاسيا. تركها بالكين وعبر الغرفة بهِمَّة مُتَّجهًا إلينا.

لمح كاردان بالكين فقادني نحو المشرب، حيث كانت توجد زجاجات وقوارير مليئة بشراب أخضر فاتح اللون، وأصفر كالذهب، وأحمر أرجواني داكن مثل لون دم قلبي. وتفوح منها رائحة الورد والهندباء، والأعشاب المطحونة، والزبيب والرائحة وحدها جعلت رأسي يدور.

قال بالكين لـ كاردان: «أخي الصغير. لقد بحثت عنك في كل مكان».. كان يرتدي الأسود والفضي من رأسه حتى أخمص قدميه، وكان قماش سترته مُطرَّزًا بكثافة بأشكال من التيجان والطيور لدرجة أنها تبدو ثقيلة كالدرع. وكان يرتدي تاجًا فضيًّا على جبينه يتوافق مع لون عينيه. إنه ليس تاج الملك، لكنه تاج على أية حال.





«لا شك في ذلك». قالها وابتسم كاردان مستعيدًا هيئة الشخص الشرير الذي كثيرًا ما اعتقدت أنه يمثله. ثم أردف بخبث: «لقد تبيَّنَ لي في نهاية المطاف أنني مفيد جدًّا. يا لها من مفاجأة رهيبة».

ابتسم له الأمير بالكين كما لو أن ابتسامات كلٍّ منهما للآخر منافسة خاصة لا يحق للآخرين المشاركة فيها. وأنا متأكدة من أنه كان يتمنى أن يتمكَّن من توبيخ كاردان، وأن يضربه ليفعل ما يريد، ولكن بما أن بقية أفراد أسرتهما قد ماتوا بحدِّ السيف، فمن المؤكد أن بالكين قد تعلَّمَ درسه عن الحاجة إلى وجود فرد واحد من أسرته يرغب في تتويجه كملك.

وفي الوقت الحالي، كان وجود كاردان يكفي لطمأنة الناس بأن بالكين سيكون قريبًا الملك السامي. وإذا دعا بالكين الحراس أو قبض عليه، فإن هذا الوهم سوف يتبدَّد سريعًا.

قال بالكين، وهو يُوجِّه نظره إليَّ، والوحشية تتَّقِد في عينيه: «وأنتِ ما علاقتك بهذا؟ اتركينا بمفردنا».

ناداني مادوك: «جود»، وهو يتقدَّم للوقوف بجانب الأمير بالكين، الذي يبدو أنه أدرك على الفور أنني قد تكون لي علاقة بهذا الأمر في نهاية المطاف.

بدا مادوك مستاءً لكنه غير منزعج. وأنا مُتأكِّدة من أنه كان يعتقد أنني حمقاء تتوقع تلقِّي تربيتة على رأسها، لأنها عثرت على الأمير المفقود، ولربما كان يلعن نفسه لأنه لم يوضِّح أكثر أنه يريد إحضار كاردان إليه هو وليس إلى بالكين. وقد أبديت له أفضل ابتسامة مبهجة مثل فتاة تعتقد أنها حلَّت مشكلات الجميع.

كم هو أمر محبط - بالنسبة لمادوك طبعًا - أن تقترب جدًّا من هدفك وأن يكون لديك أوك والتاج في مكان واحد، وأن تجمع سادة وسيدات بلاد الجان. ثم تفسد ابنة زوجتك الأولى خططك بتسليم الشخص الذي من المرجح أن يضع التاج على رأس أوك إلى منافسك بدلًا منك.

لكنني لاحظت النظرة التقييمية التي رمق بها كاردان. لقد بدا أنه يعيد صياغة خطته.



ثم وضع يده الثقيلة على كتفي، وقال لي: «لقد وجدتِه». والتفت إلى بالكين، وقال: «آمل منك بالطبع مكافأة ابنتي. أنا مُتأكِّد من أن الأمر تطلَّبَ قدرًا هائِلًا من الإقناع لإحضاره إلى هنا».

رمق كاردان مادوك بنظرة غريبة. أتذكَّر ما قاله عن الأمر الذي أزعجه من أن مادوك عاملني جيِّدًا كابنة له، بينما بالكاد كان أبوه إلدريد يلحظ وجوده. لكن الطريقة التي نظر بها دفعتني إلى أن أتساءل عما إذا كان من الغريب رؤيتنا معًا: قائد عسكري وفتاة بشرية.

وعد بالكين بمكافأتي بسخاء قائلًا: «سأعطيها أي شيء تطلبه وأكثر». ثم رأيت مادوك عابسًا، فأعطيته ابتسامة سريعة، وأنا أصب كأسين من نوعيْ شراب - أحدهما فاتح اللون والآخر داكن. كنت حذرة فصببتهما بمهارة، ولم أسكب قطرة.

وبدلًا من تسليم أحدهما إلى كاردان، عرضتهما على مادوك ليختار بينهما. فابتسم، وأخذ الشراب الداكن كلون دم القلب، بينما أخذت أنا الآخر.

وقلتُ: «نخب مستقبل بلاد الجان» وأنا أصدم الكأسين معًا جاعلةً الزجاج يصدر صوتًا مثل الأجراس وشربنا. وعلى الفور شعرت بآثاره - نوع من الطفو، كما لو كنت أسبح في الهواء. ولم أرد حتى أن أنظر إلى كاردان، فسوف يضحك كثيرًا إذا ظن أنني لا أستطيع تناول بضع رشفات من الشراب.

ثم صبَّ كاردان شرابه الخاص وجرعه دفعة واحدة.

قال له بالكين: «خذ الزجاجة. فأنا مستعد لأكون كريمًا جدًّا في هذه الليلة. ودعنا نناقش ما تريد. كل ما تريد».

قال كاردان بتكاسل: «لا موجِب للعجلة، أليس كذلك؟».

رمقه بالكين بنظرة قاسية من شخص يمنع نفسه بصعوبة من استخدام العنف، وقال مُلِحًّا: «أعتقد أن الجميع يرغبون في تسوية الأمر».




قال كاردان، وهو يأخذ زجاجة الشراب، ويشرب مباشرة من عنقها: «ومع ذلك. لدينا الليلة كلها».

قال بالكين: «السلطة في يديك» بطريقة مقتضبة جعلت عبارة "في الوقت الحالي" مفهومة ضمنِيًّا.

رأيت رعشة عضلية في فك كاردان وأنا مُتأكِّدة من أن بالكين كان يتخيَّل لحظتها كيف سيعاقب كاردان على أي تأخير. وبدا هذا في كل كلمة كانت تخرج من فمه.

أما مادوك، فعلى النقيض من ذلك، أخذ يستوعب الموقف، ويقيِّم بلا شك ما يمكنه عرضه على كاردان. وعندما ابتسم لي وأخذ جرعة أخرى من شرابه، كانت ابتسامته حقيقية، وتدل على الارتياح. وأستطيع أن أرى أنه يفكر في أن استغلال كاردان سيكون أسهل من استغلال بالكين في المطلق.

وأصبحت مُتأكِّدة فجأةً من أننا إذا ذهبنا أنا وكاردان إلى غرفة أخرى، فسوف يجد بالكين سيف مادوك مغروسًا في صدره.

قال كاردان: «بعد العشاء، سأخبرك بشروطي. ولكن حتى ذلك الحين سأستمتع بالحفلة».

زمجر بالكين قائلًا: «ليس لديَّ صبر بلا نهاية».

قال كاردان باستخفاف: «فلتكتسبه»، وبانحناءة صغيرة أخذني بعيدًا عن بالكين ومادوك.

تركت كأس الشراب الخاصة بي بالقرب من طبق من قلوب العصافير المغروسة فيها دبابيس فضية طويلة، وانطلقت معه بين الحشد.

أوقفتنا نيكاسيا بوضع إصبعها الطويل على صدر كاردان، وقد لمع شعرها فوق ثوبها البرونزي.



سألتْ نيكاسيا وهي تُلقي نظرة على ذراعينا المتشابكتين: «أين كنت؟». وتجمَّدَ أنفها الرقيق في ادعاء عدم الاكتراث لكن الذعر كان باديًا في كلماتها. إنها تتظاهر بالهدوء مثل بقيتنا.

وأنا مُتأكِّدة من أنها اعتقدت أن كاردان كان ميتًا، أو ما هو أسوأ من ذلك. ومن المؤكد أن هناك الكثير من الأشياء التي كانت تريد أن تسأله عنها، ولم تستطع أن تفعل هذا أمامي.

قال: «جود هذه جعلتني أسيرها، وهي تحكم سيطرتها عليَّ ببراعة». فاضطررت إلى مقاومة رغبتي في أن أضغط بقوة على قدمه.

ومن الواضح أن نيكاسيا لم تكن تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أم تعبس. وقد تفهمت موقفها إذ إنني كنت أشعر بالحيرة بدوري.

قالت نيكاسيا: «من الجيد أنك تمكَّنت أخيرًا من التحرُّر بعض الشيء من قيودها».

رفع كلا حاجبيه، وسأل بتعالٍ وكأنها أظهرت نفسها أقل ذكاءً مما كان يأمل منها: «وهل فعلتُ حقًّا؟».

قالت وقد قرَّرَت بوضوح التخلي عن الحذر: «أيجب أن تظلَّ على هذا الوضع، حتى الآن؟» ومدَّت يدها إلى ذراعه.

لانت ملامح وجهه بطريقة لم أتعوَّد رؤيتها، وقال وهو يبعدها عنه بلطف: «نيكاسيا. ابتعدي عني الليلة. هذا لصالحك».

لقد أدهشني قليلًا، أن لديه مثل هذا اللطف. ولا أريد أن أراه على هذه الحال.

لقد رمقتني بنظرة وهي تحاول بلا شك أن تُحدِّد لماذا لا يخاطبني أنا بهذه النبرة، لكن بعد ذلك ابتعد كاردان عنها، وأنا ذهبت معه. ثم رأيتُ تارين في القاعة ولوك بجانبها. وقد اتَّسعت عيناها في فزع وهي تحاول أن تستوعب من أقف معه. ثم لاح تعبير ما على وجهها، ويبدو أنه كان يشبه إلى حدٍّ كبير شعور الاستياء.

لديها لوك حقًا، لكني هنا بصحبة أمير.

وربما ترى هي أن هذا ليس عدلًا، ولا يمكنني أن أجزم بأنها تفكِّر في ذلك من نظرة واحدة فقط.

قلت لكاردان بصوتٍ خفيض وأنا أنظر بعيدًا عنها: «اكتمل الجزء الأول من الخطة. لقد

وصلنا إلى هنا ودخلنا، ولم يُقيدنا أحد بالسلاسل بعد».

قال: «نعم. أعتقد أن الصرصور أطلق على هذا: الجزء السهل».

والخطة، كما أوضحت له، لها خمس مراحل أساسية:

(1) الدخول، (2) إدخال الجميع، (3) الحصول على التاج، (4) وضع التاج على رأس أوك، ثم (5) الخروج.

أفلت ذراعي من ذراعه، وذكَّرت كاردان قائلةً: «لا تذهب إلى أي مكان بمفردك». فأبدى لي ابتسامة مصطنعة كشخص تم التَّخلي عنه، وأوْمَأ برأسه موافِقًا.

ثم توجهتُ نحو أوريانا وأوك. وعلى الجانب الآخر من الغرفة رأيت سيفرين ينفصل عن محدثه، ويسير باتجاه الأمير بالكين. تدفَّق العرق على شفتي، وتحت ذراعي، وتوتَّرت عضلاتي.

إذا قال سيفرين شيئًا خاطئًا، فسوف أضطر إلى التَّخلي عن جميع مراحل الخطة باستثناء الخروج.

رفعت أوريانا كلا حاجبيها عندما اقتربتُ منهما، ومدَّت يديها إلى كتفي أوك الرفيعتين، فرفع يديه. وقد أردت رفعه وأرجحته بين ذراعي. وأردت أن أسأله عما إذا كانت فيفي قد أوضحت له ما سيحدث. وأردت أن أخبره بأن كل شيء سيكون على ما يرام. لكن أوريانا أمسكت أصابعه، وضغطت عليها بين يديها، وحسمت مسألة عدد الأكاذيب التي كنت سأقولها.



«ما هذا؟». سألتني أوريانا وهي تومئ نحو كاردان.

قلت لها وأنا أنظر إليها: «ما طلبتِه». بطريقة ما، أدخل بالكين كاردان في محادثته مع سيفرين. وضحك كاردان على ما قاله بالكين، وبدا متعجرفًا بشكل أراحني، وعلى نحو لم أرَه من قبل. لقد صدمت لإدراك الأمر - إذا كنت تعيش حياتك دائمًا خائفًا، ودائمًا ما يكون الخطر محيطًا بك، فلن يكون من الصعب عليك التظاهر بأنك قادر على مواجهة مزيد من الخطر. وأنا أعرف هذا، لكنني لم أظن من بين كل المخلوقات أن كاردان قادر على أن يفعل ذلك أيضًا. وضع بالكين يده على كتف كاردان، وكان بمقدوري فقط أن أتخيَّل أصابعه تنغرس فعليًّا في رقبة كاردان. قلت: «ما سيحدث ليس أمرًا سهلًا وآمل أن تفهمي أنه سيكون هناك ثمن...».

قاطعتني بسرعة: «سأدفعه».

قلت بجِدَّة: «لا أحد منا يعرف التكلفة الحقيقية، وعلينا جميعًا أن نفي بنصيبنا». ثم أملت ألا يكون أحد قد لاحظ الجِدَّةَ في نبرة صوتي. كان هناك وهج خفيف يسري في جلدي بسبب الشراب الذي تناولته، وهناك طعم مر في فمي، وقد حان الوقت تقريبًا لتنفيذ الجزء التالي من الخطة. نظرت حولي بحثًا عن فيفي، لكنها كانت بعيدة عني في القاعة ولا وقت لقول أي شيء لها الآن. حتى لو كنت أعرف ما سأقوله.

أبديت لأوك ما أتمنى أن يكون ابتسامة مشجعة. وقد تساءلت كثيرًا عما إذا كان ماضيَّ هو السبب في أنني صرت إلى ما أنا عليه، وإذا كان هو ما جعلني وحشية الطابع. وإذا كان الأمر كذلك، فهل سأصنع منه وحشًا؟

قلت لنفسي، على الأقل لن تفعل فيفي هذا. وظيفتها هي مساعدته على الاهتمام بأشياء أخرى غير السلطة، وعملي أنا هو الاهتمام بالسلطة فقط حتى أتمكَّن من توفير مساحة لعودته. وبعد أخذ نفس عميق، اتَّجهت نحو الأبواب المؤدية إلى الردهة. وتجاوزت زوجًا من الفرسان، وأخذت منعطفًا بعيدًا عن موضع نظرهما. ثم أخذت بضعة أنفاس قبل أن أفتح النوافذ.





وانتظرت بضع لحظات مفعمة بالأمل. إذا تسلَّلَ الصرصور والشبح من خلالها، فسيمكنني أن أوضِّح لهما مكان وجود التاج. لكن، بدلًا من ذلك، فتحت أبواب قاعة المأدبة، وسمعت مادوك يأمر الفرسان بالخروج، فتحركت حتى يتمكَّن من رؤيتي. وعندما فعلت ذلك، أتى نحوي، وقال: «جود. رأيتك تسيرين إلى هنا».

قلت له: «كنت بحاجة إلى استنشاق بعض الهواء النقي»، ما دلَّ على مدى توتري. كما أنني

بوجودي هنا الليلة قد أجبت عن السؤال الذي لم يطرحه بعد.

ولكنه ألمح إليه، فقال: «كان يجب أن تأتي إليَّ أوَّلًا عندما عثرت على الأمير كاردان. وكان بإمكاننا التفاوض من مركز قوي».

قلت له: «اعتقدتُ فعلًا أنك ربما تقول شيئًا كهذا».

قال: «ما يهم الآن هو أنني بحاجة إلى التحدث معه بمفرده. وأريد منك أن تذهبي إلى الداخل وتحضريه إلى هنا حتى نتمكن من التحدث. يمكننا التحدث معًا نحن الثلاثة».

ابتعدت عن النافذة إلى المساحة المفتوحة في القاعة، وسيكون الشبح والصرصور هنا في غضون لحظة، ولا أريد أن يراهما مادوك. سألته: «عن أوك؟».

وكما كنت أتمنى، تبعني مادوك بعيدًا عن النافذة وهو عابس، ثم قال: «أعلمتِ؟».

فأكَّدت جواب سؤاله، بقولي: «بأن لديك خطة لحكم أرض الجان بنفسك؟ لقد اكتشفتُ هذا».

حدَّقَ إليَّ كأنني شخص غريب عنه، لكني كثيرًا ما شعرت بذلك على أية حال. ولأول مرة، كشف كلٌّ منا عن حقيقته.

قال: «ومع ذلك أحضرتِ الأمير كاردان إلى هنا، إلى بالكين. أم إليَّ؟ أهذا هو الأمر في جوهره؟ هل علينا المساومة الآن؟».



قلت: «يجب أن يكون أحدهما ملكًا، أليس كذلك؟».

ازداد غضبه، وقال: «هل تفضلين عدم وجود ملك سامٍ على الإطلاق؟ إذا دُمِّرَ التاج، فستكون هناك حرب، وإذا كانت هناك حرب فسوف أفوز بها. وبطريقة ما، سأحصل على هذا التاج يا جود وأنت ستستفيدين عندما أحصل عليه، ولا يوجد سبب للوقوف ضدي. يمكنك الحصول على لقب فارسة، ويمكنك الحصول على كل الأشياء التي حلمتِ بها». ثم تقدَّمَ خطوة أخرى نحوي، وصرنا على مسافة قريبة أحدنا من الآخر. ذكَّرته قائلةً: «أنت قلت سأحصل على هذا التاج. وستحصل عليه أنت». واتَّجهت يدي نحو مقبض سيفي، وتابعت: «ولم تذكر اسم أوك. إنه مجرد وسيلة لتحقيق غاية، وهذه الغاية هي السلطة. السلطة من أجلك أنت».

فقال مادوك: «جود...»، لكنني قاطعته.

قلت: «سأعقد معك صفقة. عدني بأنك لن تنقلب أبدًا على أوك. وسأساعدك. عدني بأنه عندما يبلغ سن الرشد ستتنحى على الفور من منصبك كوصي. وستمنحه أية سلطة لديك، وستفعل ذلك طواعيةً».

التوى فم مادوك، وضم قبضته في تحفُّز. أعلم أنه يحب أوك، ويحبني. وأنا متأكدة من أنه أحب والدتي أيضًا بطريقته الخاصة. لكن هذه طبيعته وهذه حاله. وأنا أعلم أنه لا يستطيع أن يعدني بهذا.

سللت سيفي، وسلَّ هو سيفه أيضًا، ودوّى اصطدام المعدن بصوتٍ عالٍ في الغرفة. وسمعت صوت ضحك يأتينا من بعيد، لكن هنا في هذه البقعة، كنا وحدنا.

تعرقت يداي لكن ما يحدث كان أمرًا حتميًّا، وكأنَّ هذا ما كنت أهتم به طوال الوقت. طوال حياتي.

قال مادوك وهو يتَّخِذ وضعية القتال: «لن يمكنك هزيمتي».



قلت: «لقد هزمتك بالفعل».

فتابع مادوك: «وليست لديك طريقة للفوز». وضرب نصله بنصلي كي يشجعني على الهجوم عليه، كما لو أن هذه مجرد مبارزة تدريبية. ثم سألني: «ماذا يمكنك أن تفعلي بأمير مفقود حضر إلى هنا في قلب معقل بالكين؟ سوف أطرحك أرضًا، وبعد ذلك سأنتزعه منك. كان من الممكن أن يكون لديك أي شيء تريدينه، ولكن الآن لن تحصلي على أي شيء».

قلت وقد بدت تعابير الغضب على وجهي: «أوه، نعم، دعني أخبرك بخطتي كلها. لقد حثثتني بكلامك على ذلك.. دعنا لا نتوقف بعد الآن، فهذا هو الجزء من الخطة الذي نتقاتل فيه».

قال: «على الأقل أنتِ لستِ جبانة». واندفع نحوي بقوة لدرجة أنني مع صدي لضربته، سقطت على الأرض وتدحرجت، ثم عدت إلى وضعية الوقوف لكنني كنت مصدومة. فلم يقاتلني قط على هذا النحو، لم يقاتلني قط بأقصى طاقة لديه. ولن يكون هناك إذن تبادل لطيف للضربات.

إنه قائد جيوش الملك السامي. وكنت أعرف أنه أفضل مني، لكني لم أعرف من قبل إلى أي مدى هو أفضل.

ألقيت نظرة خاطفة باتجاه النافذة. وفكرت في أنني لا يمكنني أن أكون أقوى منه، لكني لست بحاجة لأن أكون أقوى منه. أنا فقط بحاجة إلى الاستمرار في الصمود فترة أطول. وجَّهت له الضربات، على أمل أن آخذه على حين غرة لكنه صدني للوراء مرة أخرى فراوغت والتففت حوله، لكنه توقع الضربة. وتعين علي أن أتراجع أمامه مرة أخرى بشكل دفاعي بحت، ثم صددت ضربة قوية أخرى من سيفه. وقد آلمتني ذراعاي من قوة ضرباته.

هذا كله كان يحدث بسرعة كبيرة.

طبَّقت سلسلة من الأساليب التي علمني إياها بنفسه، ثم استخدمت قليلًا من مهارات المبارزة بالسيف التي تعلمتها من الشبح. تظاهرت بالتحرك لليسار، ثم وجَّهت ضربة بارعة إلى جانبه. كانت ضربة سطحية، لكنها فاجأت كلينا عندما بلَّلَ خط أحمر معطفه. فاندفع



نحوي غاضبًا، وعندما قفزت جانبًا ضربني بمرفقه في وجهي، وطرحني أرضًا ثانية. فسال الدم من أنفي على فمي.

ثم دفعت نفسي إلى الوقوف على قدمي، وأنا في حالة دوار.

كنت خائفة، بغض النظر عن الطريقة التي حاولت بها إخفاء خوفي. كنت مغرورة، وكنت أحاول كسب الوقت، لكن إحدى ضرباته قد تقسمني بالفعل إلى نصفين.

ثم قال لي وهو يُوجِّه سيفه إلى حلقي: «استسلمي. هذا خير لك. وسوف أسامحك يا جود وسنعود إلى المأدبة. وعليك أن تقنعي كاردان بأن يفعل ما أريده أن يفعله. كل شيء سيكون كما ينبغي له».

بصقت الدم على البلاط الحجري. فارتعشت ذراعه التي تحمل السيف قليلًا. قلت له: «بل استسلم أنت».

ضحك كما لو أنني أخبرته بنكتة مُتقنة. ثم صمت وبدا عليه العبوس.

قلت له: «أظن أنك لا تشعر بأنك على طبيعتك تمامًا».

أخذ سيفه يتدلى قليلًا، وهو ينظر إليَّ كمن يتفق معي، ثم قال: «ماذا فعلتِ؟».

قلت: «لقد سمَّمتك. ولكن لا تقلق، إنها جرعة صغيرة بما يكفي، ستعيش».

قال: «وضعتِ السم في كأس الشراب. ولكن كيف عرفتِ أيهما سأختار؟».

قلت له: «لم أعلم»، معتقدة أنه سيكون سعيدًا – على الرغم منه – بالإجابة ولو قليلًا، إنه نوع الإستراتيجية التي يحبها بشدة. وتابعت: «لقد سمَّمت كليهما على حدٍّ سواء».

قال وقد بلغ الارتعاش رجليه الآن: «سوف تندمين بشدَّة على ما فعلتِ». أعرف هذا، وأشعر بصدى ذلك في رجليَّ أنا أيضًا. لكنني صرت معتادة شرب السم.

نظرت بعمق في عينيه وأنا أضع سيفي في غمده، وقلت: «يا أبي، لقد صرت إلى ما أردتني أن أكونه. وبذلك أصبحت ابنتك بالفعل في نهاية المطاف».

رفع مادوك سيفه مرة أخرى، كما لو أنه سيندفع نحوي مرة أخيرة. ولكن بعد ذلك سقط السيف من يده، ثم سقط هو الآخر مُمدَّدًا على الأرضية الحجرية.

بعد بضع دقائق من التوتر، وعندما دخل الشبح والصرصور من النافذة وجداني جالسةً

بجانبه. كنت متعبة جدًّا بحيث لا أستطيع حتى التفكير في تحريك جسده.

دون كلام أعطاني الصرصور منديلًا، فبدأت مسح الدم من أنفي.

وقال الشبح: «والآن، إلى المرحلة الثالثة من الخطة».






الفصل 30

عندما عدت إلى المأدبة، كان الجميع يأخذون أماكنهم على طاولة طويلة. ومشيت مباشرة إلى بالكين، وانحنيت باحترام.

قلت بصوتٍ منخفض: «مولاي. طلب مني مادوك أن أخبرك بأنه سيتأخَّر، وأن تبدأ دونه. ويتمنى منك ألا تقلق، لكن بعض جواسيس داين موجودون هنا. وسوف يعلمك عندما يقبض عليهم أو يقتلهم».

نظر إليَّ بالكين بشفتين ممدودتين قليلًا، وعينين ضيقتين. لقد لاحظ أثرًا للدم الذي لم أستطع غسله عن أنفي وأسناني، وللعرق الذي لم أستطع مسحه. كان مادوك نائمًا في غرفة

كاردان القديمة، ووفق حساباتي كانت أمامنا ساعة على الأقل قبل أن يستيقظ. وشعرت كما لو أن بالكين إذا حدَّقَ إليَّ بعناية، فسيمكنه رؤية ذلك باديًا على وجهي أيضًا.

قال بالكين، وهو يضع يده على كتفي برفق: «لقد كُنتِ أكثر فائدة مما كنتُ أتوقع». ويبدو أنه نسي مدى غضبه عندما جئت مع كاردان في البداية، وكان يتوقَّع مني نسيان ذلك بدوري. ثم استطرد مُشجِّعًا: «استمري وسترين أنك ستحصلين على مكافآت. هل ترغبين في العيش كواحدة منا؟ هل تودين أن تكوني واحدة منا؟».

هل يستطيع ملك الجان السامي أن يعطيني ذلك حقًّا؟ هل يمكنه أن يساعدني على أن أكون شيئًا آخر غير البشر؟

فكَّرت في كلمات فاليريان عندما حاول أن يسحرني لأقفز من البرج. أن يولد المرء بشرِيًّا يشبه أن يولد ميتًا بالفعل.

رأى النظرة المتطلعة على وجهي، وابتسم؛ لأنه متأكد من أنه اكتشف رغبة قلبي السرية.

وبالفعل، وأنا أمشي إلى مقعدي، شعرت بالضيق. وبينما كان ينبغي أن أشعر بالانتصار، شعرت بالغثيان. لم يكن التفوُّق على مادوك مُرضيًا كما كنت أريده، خاصة أنني كنت قادرة على فعل ذلك وهو لم يكن مستعدًّا؛ لأنه لم يفكر مطلقًا في أنني سأخونه. وربما بعد سنوات من الآن، سيثبُت أن إيماني بهذه الخطة في محله، لكن حتى ذلك الحين سأضطر إلى التعايش مع هذا الألم الساكن في معدتي.

يعتمد مستقبل بلاد الجان على إتقاني أداء لعبة طويلة الأمد، وعلى لعبها بشكل مثالي.

رأيت فيفي جالسةً بين نيكاسيا واللورد سيفرين، وأبديت لها ابتسامة سريعة. فردت بمنحي ابتسامة قاتمة في المقابل.

فيما نظر اللورد رويبين إليَّ بشيء من الارتياب. وبجانبه، كانت الجنية الخضراء تهمس بشيء في أذنه، وهو يهز رأسه. وفي الطرف الآخر من الطاولة كان لوك يقبِّل يد تارين، بينما نظرت الملكة أورلاج إليَّ بفضول. لم يكن يوجد هنا سوى ثلاثة بشر؛ أنا، وتارين، وصاحب الشعر

الأحمر مع سيفرين - ومن الطريقة التي تنظر بها إلينا فكرت في أن أورلاج تتخيَّلنا فئرانًا تتصدر اجتماعًا للقطط.

وفوقنا، كانت توجد ثريًّا مُعلَّقة مصنوعة من صفائح رقيقة من الميكا وبداخلها جنيات متوهجة صغيرة محتجزة بغرض إضافة توهُّج دافئ إلى الغرفة. ومن حين لآخر، كانت هذه الجنيات تطير، فتصنع ظلالًا متراقصة.

قال لوك وهو يلامس ذراعي: «جود»، فأفزعني، وضاقت عيناه الشبيهتان بعيني الثعلب في جذل، وقال: «أعترف بأنني أشعر بالغيرة قليلًا لرؤية كاردان يمشي متبخترًا معك، وذراعاكما متشابكتان».

تراجعت خطوةً إلى الخلف، وقلت: «ليس لديَّ وقت لهذا».

قال: «لقد أحببتكِ، كما تعلمين. وما زلتُ أحبك».

وللحظة، تساءلت ماذا سيحدث لو جذبته بقوة ولكمته.

قلت له: «ابتعد عني يا لوك».

فعاد يبتسم قائلًا: «أكثر شيء أحبه هو أنك لا تفعلين أبدًا ما أتوقع منك فعله. على سبيل المثال: لم أعتقد أنك ستتقاتلين مع شقيقتك من أجلي».

قلت في اقتضاب: «لم أفعل». وابتعدت عنه، وتوجَّهت إلى الطاولة، وأنا أتمايل قليلًا في مشيتي.

قال كاردان وأنا آخذ مكاني بجانبه: «هآنتذا. كيف حال ليلتك؟ لقد كانت ليلتي أنا مليئة بالمحادثات المملة عن كيف سأتعرَّض للعقاب بسبب اختفائي».



ارتعشت يدي وأنا آخذ مكاني، وقلت لنفسي إن السبب هو السم فحسب. كان فمي جافًّا، ووجدت أنني أفقد براعتي في السجال اللفظي. وضع الخدم الأطباق - إوزة مشوية تتلألأ فوقها طبقة من حساء الزبيب والمحار، ولحم مطهو وكعك البلوط، والسمك الكامل المحشو بثمار الورد. ثم صبوا الشراب ذا اللون الأخضر الداكن مع قطع ذهبية اللون تطفو فوقه. وشاهدت فتات بعض القطع يغرق في قاع الكئوس، فتتلألأ رواسبها.

قال كاردان: «هل أخبرتك كم أنت كريهة الليلة؟». واتَّكأ على كرسي منحوت بشكل متقن، وعاطفة المودة التي في كلماته حوَّلت السؤال الذي يبدو سخيفًا إلى شيء يشبه الإطراء.

قلت: «لا». كنت سعيدة لأنه أزعجني، وأعادني إلى اللحظة الحاضرة، وأردفت: «أخبرني إذن».

قال: «لا أستطيع»، وعبس وجهه. ثم تابع وقد رفع حاجبيه معًا في دهشة: «جود، هناك كدمة ظاهرة على فكك؟». ربما لن أتعوَّد أبدًا على سماع اسمي من شفتيه.

فأخذت رشفة من الماء، وقلت له: «أنا بخير».

وقلت في نفسي لم يبقَ إلا القليل.

ثم وقف بالكين ورفع كأسه.

فدفعت كرسيَّ للخلف، حتى أقف على قدمي عندما يحدث الانفجار. وللحظة، أصبح كل شيء صاخبًا للغاية بحيث بدت الغرفة كأنها تميل بشكل جانبي. وصرخ الحضور من الجان، وتساقطت الكئوس البلورية، وتحطمت.

لقد شنَّت القنبلة هجومها.

وفي حالة الارتباك هذه، انطلق سهم أسود واحد من تجويف مظلم وانغرس في الطاولة الخشبية أمام كاردان مباشرة.



فقفز بالكين واقفًا على قدميه، وصاح: «هناك. القاتل المأجور!». فركض الفرسان في اتِّجاه الصرصور، الذي قفز من بقعته المظلمة، وأطلق سهمًا مرة أخرى.

ثم انطلق سهم آخر نحو كاردان الذي تظاهر بأنه مذهول جدًّا مما حدث، تمامًا كما تدربنا. وقد أوضح الصرصور لكاردان بتفصيل كبير كيف سيكون من الأكثر أمانًا له أن يظل ساكنًا، إذ من الأسهل كثيرًا أن يخفق السهم في إصابة هدفه بهذه الطريقة.

ما لم نأخذه في الحسبان هو بالكين. فقد أسقط كاردان من فوق كرسيه وطرحه على الأرض، وغطى جسد كاردان بجسده. وعندما حدَّقت إليهما، أدركت مدى ضآلة فهمي لعلاقتهما. لم يلاحظ بالكين أن الشبح قد تسلَّقَ إلى الرَّف الذي وضع عليه التاج الدموي. وقد أرسل فرسانه خلف الصرصور، ما سمح للقنبلة بإغلاق أبواب هذه القاعة.

كنت أرى في بالكين الأخ الذي يكرهه كاردان، الأخ الذي قتل عائلته كلها. ونسيت أن بالكين هو آخر فرد في عائلة كاردان الآن. وبالكين هو الشخص الذي رباه عندما تآمر عليه داين، وعندما طرده والده من القصر. وبالكين هو كل ما بقي له في الواقع.

ومع أنني مُتأكِّدة من أن بالكين سيكون ملكًا رهيبًا، وشخصًا سيؤذي كاردان مع كثيرين آخرين، لكنني مُتأكِّدة بالقدر نفسه من أنه سيمنح كاردان بعض السلطة. وسيسمح له بأن يكون قاسيًا، ما دام بالكين - كما يدرك الجميع - أكثر قسوة منه جدًّا.

كان وضع التاج على رأس بالكين رهانًا آمنًا. أكثر أمانًا من الوثوق بي ومن الإيمان بأوك الملك المستقبلي. لكنه قد أقسم على الولاء لي، وأنا فقط بحاجة إلى الحرص على أنه لن يجد طريقة للالتفاف على أوامري.

كنت قد تأخَّرت عن باقي الحضور، وكان تخطي الحشد أكثر صعوبة مما كنت أظن، لذا لم أكن في الموضع الذي أخبرت الشبح بأنني سأكون فيه. وعندما نظرت إلى الرف، كان هناك، يتحرَّك خروجًا من منطقة تخفِّيه. ثم رمى التاج، لكن ليس لي. لقد رمى الشبح التاج إلى توأمي المتطابق، فسقط عند قدمي تارين.





أمسكت فيفي بيد أوك. بينما اندفع اللورد روبين وسط الحشد.

والتقطت تارين التاج.

فصحت بها: «أعطه لفيفي». وعندها أدرك الشبح خطأه، وسحب آلة رمي السهام ووجهها نحو أختي، لكن لم تكن هناك فرصة للتصويب في ظل هذا الهرج وقد رمقتني بنظرة فظيعة تدل على شعورها بالتعرُّض للخيانة.

كافح كاردان للوقوف على قدميه. ونهض بالكين أيضًا، وتحرَّك في القاعة صوب تارين.

وقال بالكين لتارين: «يا طفلتي، إذا لم تعطني هذا، فسوف أقسمك إلى نصفين. سأصبح الملك السامي، وعندما أصبح كذلك، سأعاقب كل من أزعجني».

أمسكت تارين بالتاج، وظلَّت تنظر بحيرة بيني وبين بالكين، وكذلك فيفي. ثم نظرت إلى كل السادة والسيدات الذين يراقبونها.

قال بالكين وهو يتَّجه نحوها: «أعطني تاجي».

ثم اعترض اللورد روبين طريق بالكين، وضغط بيده على صدر بالكين وقال له: «انتظر». إنه لم يستل سلاحًا، لكنني رأيت لمعان الأسلحة تحت معطفه.

حاول بالكين دفع يد روبين بعيدًا، لكنه لم يتحرَّك. ووجَّه الشبح آلة رمي السهام نحو بالكين الذي كانت كل العيون في الغرفة تراقبه. وكانت الملكة أورلاج على بعد عِدَّة خطوات.

وخيمت نُذر ممارسة العنف بشدَّة على الموقف.

ثم تحركت أنا نحو تارين لأقف أمامها.

فإذا استلَّ بالكين سلاحًا، وإذا تخلّى عن الدبلوماسية، وأصدر أوامره ببساطة، فإن القاعة بدت جاهزة لتشهد إراقة الدماء. سيقاتل البعض إلى جانبه والبعض الآخر ضده. لم تَعُد

هناك عهود مهمة تخصُّ التاج الآن، ومشاهدته وهو يقتل عائلته لم تدع أي شخص يشعر بالأمان. وقد أحضر سادة وسيدات بلاد الجان إلى هنا لكسبهم إلى صفه. ويبدو أنه يرى أن وقوع المزيد من القتل من غير المرجح أن يؤدي إلى ذلك.

علاوة على ذلك، يمكن للشبح إطلاق سهم عليه قبل أن يصل إلى تارين، وهو لا يرتدي أية دروع تحت ملابسه. وبغضِّ النظر عن مدى كثافة القماش المطرز، فلن ينقذه من سهم موجَّه إلى القلب.

قال بالكين: «إنها مجرد فتاة بشرية».

قالت الملكة أورلاج: «هذه مأدبة جميلة يا بالكين بن إلدريد. لكنها للأسف كانت تفتقر إلى التسلية قبل الآن، فلتكن هذه تسليتنا. وبعد كل شيء، فالتاج آمن في هذه القاعة، أليس كذلك؟ وأنت أو أخوك الأصغر الوحيدان اللذان يمكنهما ارتداؤه. دع الفتاة تختر لمن ستعطيه. وما الضرر إذا لم يضع أيٌّ منكما بنفسه التاج فوق رأس الآخر؟».

كنت مندهشة. فقد اعتقدت أن الملكة أورلاج حليفته، لكني أظن أن صداقة نيكاسيا مع كاردان ربما جعلتها تفضِّله، أو ربما لا تُفضِّل أيًّا منهما، وتريد فقط أن يكون لمملكة البحر سلطة أكبر من خلال تقليص سلطة مملكة البر.

فقال: «هذا سخيف. ماذا عن الانفجار الذي وقع؟ ألم يُسلِّك ذلك بما فيه الكفاية؟».

قال اللورد روييين: «لقد أثار هذا اهتمامي بالتأكيد. ويبدو أنك فقدت قائد جيوشك في مكان ما أيضًا. صحيح أن حكمك لم يبدأ رسمِيًّا، لكنه بالتأكيد يبدو فوضويًّا».

التفتُّ إلى تارين، وأحكمت قبضتي على المعدن البارد للتاج وحينما نظرت إليه عن قرب بدا رائعًا. وتبدو الأوراق المرسومة عليه كأنها أنبتت من الذهب الداكن لتدب فيها الحياة، وتتقاطع سيقانها بعضها مع بعض في تشابك دقيق.





قلت لها: «من فضلك». وأنا أعلم أنه لا يزال هناك الكثير من الأمور السيئة بيننا. الكثير من مشاعر الغضب والخيانة والغيرة.

همست لي تارين قائلةً: «ماذا تفعلين؟». ومن خلفها، كان لوك ينظر إليَّ ببريق غريب في عينيه. لقد أصبحت قصتي أكثر إثارة للاهتمام، وأنا أعرف جيِّدًا مدى حبه للقصص أكثر من أي شيء.

قلت: «أفعل ما بوسعي».

وجذبت منها التاج. ولفترة طويلة، ظلَّت تارين مُمسكةً به. ثم فتحت يدها وتركته لي، فتمايلت للخلف مع التاج.

جلبت فيفي أوك إلى أقرب موضع تجرَّأتْ عليه. وكانت أوريانا تقف مع الحشد، وهي تشبِّك يديها، وتفتحهما في توتر بالغ. من المؤكد أنها لاحظت غياب مادوك، وأنها تتساءل عما قصدته عندما تحدثت عن الثمن الذي يجب دفعه.

قلت: «أيها الأمير كاردان. هذا لك».

فتفرَّق الحشد للسماح له بالمرور؛ فهو اللاعب الرئيسي الآخر في هذه المسرحية الدرامية. ثم مشى حتى وقف بيني وبين أوك.

صاح بالكين قائلًا: «توقَّف! أوقفوهم على الفور». واستلَّ سيفه؛ فمن الواضح أنه لم يَعُد مهتمًّا بممارسة السياسة ومراعاة قواعد الدبلوماسية. وفي القاعة استُلَّ المزيد من السيوف التي صدر عنها صدى رهيب. وكان بوسعي سماع صليل الحديد المسحور في الهواء.

ومددت يدي إلى سيف الظلام في اللحظة التي أطلق فيها الشبح سهمه.

ترنح بالكين للخلف. وسمعت أصوات شهقات الذهول في كل مكان في القاعة. فإطلاق السهام على الملك، حتى لو لم يَكُن يرتدي التاج، ليس بالأمر الهيِّن. وبعد ذلك، عندما سقط سيف بالكين على السجادة القديمة، رأيت موضع إصابته.

كانت يده مُثبَّتة إلى طاولة الطعام بسهم انغرس فيها. سهم يبدو أنه مصنوع من الحديد.

صاح بالكين قائلًا: «كاردان. أنا أعرفك. أعرف أنك تُفضِّل أن أؤدي أنا العمل الصعب المتمثل في تولي مقاليد الحكم، وأن تتمتَّع أنت بالسلطة. أعرف أنك تحتقر البشر والمتوحشين والحمقى. أنا لم أفعل ما تريده دائمًا، لكنك لا تملك الشجاعة لتتحداني حقًّا. أحضر لي التاج».

جذبتُ أوك بالقرب مني، ووضعت التاج في يديه، حتى يتمكَّن من رؤيته. وحتى يعتاد مسكه.

وربَّتت فيفي ظهره بطريقة تشجيعية.

قال بالكين: «أحضر لي التاج يا كاردان».

نظر الأمير كاردان إلى شقيقه الأكبر النظرة الباردة المتعجرفة نفسها التي نظر بها إلى العديد من المخلوقات الأخرى قبل أن يُمزِّق أجنحتها من ظهورها، وقبل أن يُلقيها في الأنهار، أو حتى يطردها من المملكة بالكامل. وقال: «لا يا أخي. لا أعتقد أنني سأعطيه لك. وأعتقد أنني حتى لو لم يَكُن لديَّ سبب آخر لتحديتك لإغضابك».

نظر أوك إليَّ للتَّأكُّد من أنه بخير أمام كل هذا الصياح. فأوْمَأتُ له بابتسامة مُشجِّعة.

وهمست لكاردان قائلةً: «أرِ أوك. أره ما يفترض عليه أن يفعله. اركع أمامه».

فسارع قائلًا: «سوف يظنون...».

لكنني قاطعته قائلةً: «افعلها فحسب».

ركع كاردان، وخيَّمَ الصمت على الحشد، وعادت السيوف إلى الأغماد وتباطأت الحركات.

قال اللورد روبين بصوتٍ منخفض: «أوه، هذا مسلٍّ بالفعل. من يكون هذا الطفل؟ أو ابن مَن؟». وتبادل هو والملكة أنيت ابتسامة مغايرة لطبيعتهما تمامًا.





قال كاردان لأوك: «أترى ما فعلته؟». ثم أبدى إيماءة تدل على نفاد صبره وتابع: «والآن سنضع التاج».

نظرت حولي إلى سادة وسيدات بلاد الجان. لم تبدُ على وجه أحدٍ منهم مشاعر المودة، وبدوا جميعًا حذرين ومُترقبين. كانت تعبيرات وجه بالكين تفور غضبًا، وظلَّ يسحب السهم من يده، كما لو أنه على استعداد لأن يمزق يده إلى نصفين قبل أن يسمح بحدوث هذا. اتَّخذ أوك خطوة مُتردِّدة نحو كاردان، ثم خطوة أخرى.

همس كاردان لي قائلًا: «إلى المرحلة الرابعة»، وهو ما زال يعتقد أننا في الجانب نفسه ونتبع

الخطة نفسها.

فكَّرت في مادوك الذي لا يزال نائمًا في الطابق العلوي، وكل أحلامه مليئة بالقتل. وفكَّرت في أوريانا وأوك اللذين سيُجبران على الانفصال لسنوات، وفكَّرت في كاردان وكيف سيكرهني. وفكَّرت فيما يعنيه أن أجعل نفسي الشخصية الشريرة في هذه القصة. همست له: «للدقيقة الكاملة التالية، آمرك ألَّا تتحرك».

ظل كاردان ساكنًا تمامًا.

وقالت فيفي لأوك: «تقدَّم. تمامًا مثلما تدرَّبنا».

وبهذا وضع أوك التاج على رأس كاردان ليستقرَّ على جبينه، وقال: «أنا أُتوِّجك». وكان صوت أوك الطفولي الصغير مُهتزًّا وهو ينطق الكلمات التالية: «أُتوِّجك ملكًا. ملكًا ساميًا على بلاد الجان». وتوجَّهَت عيناه إلى فيفي، ثم إلى أوريانا. وكان ينتظر أن تخبره إحداهما بأنه أحسن صنعًا، وأنه انتهى مما عليه فعله.

شهق الناس في ذهول، وأصدر بالكين صيحة غضب، وكانت هناك صيحات ضحك، وغضب، وسعادة. يحب الجميع المفاجآت. ويحبها الجان أكثر من أي شيء آخر.

نظر كاردان إليَّ بغضب عاجز. ثم بعد دقيقة كاملة من صدور أمري. نهض ببطء واقفًا على قدميه. كان الغضب البادي في عينيه مألوفًا. ولمعانهما مثل النار المتدفقة، مثل الفحم الذي تتصاعد منه ألسِنة لهب مُحرقة. وفي هذه المرة كنت أستحق أن يغضب مني ويلعنني. لقد وعدته بأنه سيكون قادرًا على الابتعاد عن البلاط وكل ما فيه من تلاعب. ووعدته بأن يتحرَّر من كل هذا. وفي النهاية كذبت عليه وجعلته ملكًا.

ليس لأنني لا أريد أن يكون أوك الملك السامي، بل أريد. وسيصبح كذلك. ولكن هناك طريقة واحدة فقط للتَّأكُّد من أن العرش سيظل جاهزًا له أثناء تعلُّمه كل ما يحتاج إلى معرفته - وهي أن يُتوَّج شخص آخر بصفة مؤقتة. سبع سنوات، ثم يستطيع كاردان التنحي والتنازل عن العرش لصالح أوك. وفعل ما يشاء. لكن حتى ذلك الحين، فإنه سيُجبر على الحفاظ على عرش أخي.

جثا اللورد روبين على ركبة واحدة. كما وعد. وقال: «ملكي». وتساءلتُ ماذا سيكلف ذلك الوعد. وتساءلتُ ما الذي سيطلبه منا الآن بعد أن ساعد على منح كاردان التاج.

ثم ارتفعت الصيحات في جميع أنحاء القاعة. من الملكة أنيت إلى الملكة أورلاج واللورد سيفرين. ومن الجانب الآخر، كانت تارين تحدِّق إلي، وبدا واضحًا أنها مصدومة. فبالنسبة لها، من المؤكد أنني مجنونة لأنني وضعت شخصًا أكرهه على العرش، لكن لا توجد طريقة لأوضح لها الأمر. ثم ركعت أنا على ركبتي مع الجميع، وكذلك هي.

وأصبحت كل وعودي واجبة الوفاء.

ولبرهة طويلة، نظر كاردان في أرجاء الغرفة، لكن لم يكن أمامه سوى القليل من الخيارات، وعليه أن يعرف ذلك. ثم قال: «انهضوا»، ففعلنا.

بعدها تراجعت للخلف، وغبت وسط الحشد.

كان كاردان أمير الجان طوال حياته. وبغض النظر عما يريده فعليًّا، فهو يعرف ما هو متوقَّع منه. ويعرف كيف يجذب الحشد المحيط به، وكيف يتسلَّى. وقد أمر بإزالة الزجاج المكسور. وأُحضِرت له كئوس جديدة، وصُب فيها شراب جديد. وتسبب النخب الذي قدَّمه - كتحية للمفاجآت غير المتوقعة، ولأنه كان ثملًا ما منعه من الظهور في حفل التتويج الأول - في ضحك كل السادة والسيدات. وقد لاحظتُ أن يده تُمسك كأس الشراب بإحكام بما يكفي لتحويل مفاصل أصابعه إلى اللون الأبيض، وأظن أنني الوحيدة التي لاحظت هذا.

ومع ذلك، فقد تفاجأتُ عندما التفتَ نحوي وعيناه تلمعان. وبدا الأمر كما لو أن القاعة فارغة وليس فيها سوانا. ثم رفع كأسه من جديد، وفمه يتقوَّس بابتسامة ساخرة، وقال: «ونخب جود التي قدَّمَت لي هدية الليلة. هدية أخطط لردها بمثلها».

حاولتُ ألَّا أرتعش بوضوح حينما توجَّهت الأنظار نحوي. ورُفعت الكئوس، وتدفَّق المزيد

من الشراب، وارتفعت أصوات الضحك.

ثم لكزتني القنبلة بمرفقها في جانبي وقالت: «لقد توصلنا إلى اسم رمزيّ لكِ». ولم أكن رأيتها تتخطى الأبواب المغلقة.

قلت: «ماذا؟». وشعرت بتعب لم أشعر به من قبل، ومع ذلك، ولمدة سبع سنوات قادمة، فلن أتمكَّن من نيل الراحة حقًّا.

وتوقَّعت منها أن تقول الكاذبة. ولكنها أبدت لي ابتسامة مخادعة وحافلة بالغموض، وقالت: «وأي لقب غيره يصلح لكِ؟ أنتِ الملكة بالطبع».

واتَّضح لي لحظتها أنني ما زلت لا أعرف كيف أضحك ملء شدقيَّ.



خاتمة



كنت في منتصف متجر تارجت أدفع عربة التسوق، بينما يستعرض أوك وفيفي ملاءات الأسرة، وصناديق الغداء، وسراويل الجينز الضيقة، والصنادل. كان أوك ينظر حوله في حيرة وسرور. وأخذ يلتقط الأشياء، ويتطلع إليها مُتعجِّبًا، ثم يضعها مرة أخرى. وفي ممر الحلوى، أضاف قطعًا من الشيكولاتة إلى العربة، إلى جانب حبوب الهلام والمصاصات، وقطع الزنجبيل المسكر. ولم تمنعه فيفي ولا أنا.

من الغريب رؤية أوك دون قرنيه، وأن تبدو أذناه مستديرتين مثل أذنيَّ. ومن الغريب رؤيته في ممر الألعاب وهو يُجرِّب لوح تزلج، ويحمل على ذراع واحدة حقيبة ظهر على شكل بومة.

كنت أتوقَّع أنه سيكون من الصعب إقناع أوريانا بالسماح له بالذهاب مع فيفي، ولكن بعد تتويج كاردان، وافقت على أن ابتعاد أوك عن البلاط لبضع سنوات هو القرار الأفضل. لقد سُجن بالكين في برج، واستيقظ مادوك في حالة من الغضب العارم، ليجد أن لحظة انتزاع التاج قد ولَّت.

سألتْ هيذر فيفي حينما دفع أوك لوح التزلج، وانطلق في ممر بطاقات المعايدة: «إذن هو أخوك حقًّا، صحيح؟ يمكنك أن تخبريني بصراحة إذا كان ابنك».

ضحكت فيفي بسعادة، وقالت: «لدي أسرار كثيرة، لكن هذا ليس أحدها».

لم تكن هيذر متحمسة لظهور فيفيان ومعها طفل، إضافةً إلى تقديم شرح غير مستفيض عن سبب اضطراره للعيش معها، لكنها لم تطردهما. يمكن أن تتحوَّل أريكة هيذر إلى سرير، كما اتفقتا على أن أوك يمكنه النوم عليها إلى أن تجد فيفي وظيفة وتتمكنا من تأجير شقة أكبر.

أعلم أن فيفي لن تحصل على عمل تقليدي، لكنها ستكون بحال جيِّدة أو ربما ما هو أكثر من ذلك. ولو كنا في عالم آخر، وبالنظر إلى ما حدث لوالدينا وما وقع في ماضينا، لكنت سأستمر في تشجيع فيفي على الوثوق بهيذر ومصارحتها بالحقيقة. لكن في الوقت الحالي، إذا شعرت بأن عليها أن تستمر في الخداع، فأنا في وضع لا يسمح لي بمعارضتها.

حينما وقفنا في طابور السداد، ودفعت فيفي ثمن مشترياتها بأوراق سحرتها لتبدو كأنها نقود، فكَّرتُ مرة أخرى فيما تلا المأدبة التي تحوَّلت إلى تتويج. وفي مشهد القوم وهم يأكلون ويمرحون. وفي كل شيء عجيب بشأن أوك الذي بدا سعيدًا ومذعورًا في آن واحد. وفي أوريانا التي لا تعرف بوضوح ما إذا كان عليها أن تشكرني أم تصفعني. وفي تارين الهادئة الوقور التي كانت تُمسك بإحكام بيد لوك. وفي نيكاسيا وهي تعطي كاردان قبلة طويلة على خده الملكي.

لقد فعلتُ هذا الأمر عن طيب خاطر، والآن يجب أن أعيش مع ما فعلته.

لقد كذبت وخنت وانتصرت وليت هناك من يشكرني.



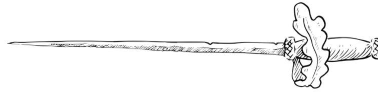
تنهدت هيذر، وابتسمت لفيفي، حينما أفرغنا مشترياتنا في صندوق سيارة هيذر التي كانت من طراز بريوس. وعند العودة إلى الشقة، أخذت هيذر بعض عجينة البيتزا الجاهزة من ثلاجتها، وشرحت لنا كيفية صنع فطائر بطرق مخصوصة وغير تقليدية. سأل أوك وهو يضع قطعًا من الشيكولاتة والمارشملو فوق عجينته: «ستزورني أمي، أليس كذلك؟».

ربَّتُّ ذراعه حينما وضعت هيذر الطعام في الفرن، وقلت له: «بالطبع ستزورك. فكِّر في وجودك هنا مع فيفي باعتباره تدريبًا مهنِيًّا. وسوف تتعلَّم ما تحتاج إلى معرفته، ثم تعود إلى المنزل».

فسأل: «كيف سأعرف أنني تعلمته بما أنني لا أعرف ما هو حتى الآن؟».

بدا السؤال كأنه أحجية، وأجبت في النهاية قائلةً: «ستعرف عندما تبدو لك العودة، كأنها خيار صعب وليست خيارًا سهلًا». نظرت فيفي كما لو أنها سمعت حديثنا، وكانت تعبيرات وجهها تنم عن التفكير العميق.

تناولتُ شريحة من بيتزا أوك، ولعقت الشيكولاتة من أصابعي. وكانت حلوة بما يكفي لجعلي أرتعش، لكنني لم أمانع. أردت فقط أن أجلس معهما لبضع لحظات أخرى قبل أن أضطر إلى العودة إلى أرض الجان وحدي.



عندما نزلت من الحصان المصنوع من سيقان النباتات المسحورة، توجَّهت إلى القصر. فلديَّ جناح هناك الآن - منطقة جلوس واسعة، وغرفة نوم خلف أبواب مزدوجة، ومنطقة تبديل ملابس بها خزانات فارغة. وكل ما عليَّ تعليقه فيها هو ما أحضرته من منزل مادوك وبعض الأشياء التي حصلت عليها من متجر تارجت.





هذا هو المكان الذي سأعيش فيه للبقاء قريبة من كاردان واستخدام سلطتي عليه لضمان سير الأمور بسلاسة. بينما سينمو كيان مجلس الظلال أسفل القلعة، ويعيشون على كونهم جواسيس الملك السامي وحراسه.

وسيحصلون على ذهبهم مباشرة من يد الملك.

وما لم أفعله هو الحديث مع كاردان بصورة مفصلة، فقد تركته مع عدد قليل من الأوامر، والكراهية المألوفة في وجهه كافية لتبث فيَّ بعضًا من مشاعر لخوف والقلق.

لكن سيتوجب عليَّ أن أتحدث معه في النهاية. فلم تَعُد هناك فائدة من تأجيل ذلك لمدة أطول.

مع ذلك، بقلب مثقل بالهموم وخطوات متباطئة شققت طريقي إلى الجناح الملكي، وطرقت الباب، فأخبرني خادم أنيق المظهر ذو أزهار مضفرة في لحيته الشقراء بأن الملك السامي قد ذهب إلى القاعة الكبرى.

وجدته هناك، مُسترخِيًا على عرش الجان، مُتطلِّعًا من فوق المنصة. كانت القاعة فارغة باستثنائنا. وتردَّد صدى وقع قدمي وأنا أمشي على الأرضية.

كان كاردان يرتدي سروالًا وسترة ومعطفًا آخر فوق ذلك مُثبَّتًا في كتفيه ومدببًا بشكل حاد عند الخصر، ثم يتدلى إلى منتصف فخذيه. كانت الثياب مصنوعة من القطيفة غير المصقولة وذات لون عنابي داكن، مع وجود قطيفة ذات لون عاجي عند الياقة والكتفين والسترة. وكانت مُطرَّزة بخيوط ذهبية تغطيها كلها، وتتطابق مع الأزرار الذهبية والسيور الذهبية في حذائه الطويل. وعند عنقه، كان هناك طوق من ريش البوم فاتح اللون.

كما كان شعره الأسود يتدلى على نحو متجعِّد وافر حول خديه. وتُبرِز الظلال حِدَّةَ عظامه وطول رموشه وجمال وجهه الجذاب.

كنت مرعوبة من فكرة كيف أنه يبدو مثل ملك حقيقي للجان. ومرعوبة من رغبتي الخاصة في الخضوع أمامه، ورغبتي الخاصة في السماح له بلمس رأسي بيده التي تتزين بخاتم الملك.




ماذا فعلتُ بتتويجه؟ لفترة طويلة، لم يكن هناك من هو أقل جدارة بثقتي منه. والآن يجب أن أتجادل معه، ويجب أن أجعل إرادتي متفقة مع إرادته. ولا يبدو أن قسمه وعهده يكفي كترياق ضد ذكائه وخبثه.

ماذا فعلتُ بتتويجه؟

واصلت المشي مع ذلك. وأبقيت تعبيرات وجهي فاترة قدر ما استطعت. وهو من ابتسم، لكن ابتسامته كانت أبرد من أي وجه متصلِّب، ثم صاح: «عام كامل. في طرفة عين ستنتهي هذه المدة. فماذا ستفعلين بعد ذلك؟».

اقتربت منه، وقلت: «آمل أن أتمكَّن من إقناعك بالبقاء ملكًا إلى أن يكون أوك جاهزًا للعودة».

قال بهدوء: «ربما يعجبني مذاق السلطة. وربما لا أرغب أبدًا في التخلي عنها».

قلت: «لا أعتقد ذلك»، مع أنني كثيرًا ما فكَّرتُ في أن هذا من بين الاحتمالات. ودائمًا ما عرفت أن إزاحته عن العرش قد تكون أصعب من وضعه عليه.

لديَّ اتِّفاق معه سارٍ لمدة عام كامل. ولديَّ عام دون أية دقيقة إضافية للتوصل إلى مساومة واتِّفاق لمدة أطول من ذلك.

اتَّسعت ابتسامته وظهرت أسنانه، وقال: «لا أعتقد أنني سأكون ملكًا جيِّدًا. لم أرغب قط في أن أكون ملكًا، وبالتأكيد لم أرغب في أن أكون ملكًا جيِّدًا. وقد جعلتِني دميتك. حسنًا، يا جود يا ابنة مادوك سأكون دميتك. أنتِ من سيحكم، وستنافسين بالكين، ورويبين، وأورلاج ملكة البحار. كوني رئيسة شئون البلاط، وانهضي بعبء العمل الشاق، بينما سوف أتناول أنا الشراب وأجعل رعاياي يضحكون. قد أكون الدرع عديمة الفائدة التي وضعتِها لحماية أخيك، لكن لا تتوقعي مني أن أكون مفيدًا بصورة أكبر من ذلك».

كنت أتوقع شيئًا آخر ربما تهديدًا مباشرًا. وعلى نحو ما كان ما قاله أسوأ.

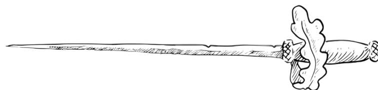


ثم نهض عن كرسي العرش، وقال: «تعالي، واجلسي». كان صوته مُنذِرًا بالخطر، ومفعمًا بالتهديد. لقد أنبتت الفروع المزهرة للعرش أشواكًا كثيفة لدرجة أن البتلات كادت تكون غير مرئية.

وأخيرًا قال لي: «هذا ما أردتِه، وما ضحيتِ بكل شيء من أجله، أليس كذلك؟. إليكِ العرش، كله لكِ».



شكر وتقدير



شكرًا لأصدقائي الكتاب الذين ساعدوني خلال مراحل التخطيط والتخيُّل والكتابة والتحرير لهذه الرواية. شكرًا لكم يا سارة ريس برينان ولي باردوجو وكيلي لينك وكاساندرا كلير ومورين جونسون وروبن واسرمان وستيف بيرمان وجويندا بوند وكريستوفر رو وألايا دون جونسون وباولو باسيجالوبي والين كوشنر وديليا شيرمان وجافين جرانت وجوشوا لويس وكاري رايان وكاتلين جينينجز (التي رسمت صورًا جميلة خلال إحدى ورش العمل، وبذلك قدَّمَت لي النقد المفضَّل لديَّ على الإطلاق).

شكرًا أيضًا للجميع في مؤتمر «كل ما هو رائع في مجال الفنون» (ICFA) الذين قدموا لي تغذية راجعة وافية بعد أن قرأت الفصول الثلاثة الأولى من الرواية بصوتٍ عالٍ أمامهم.

وشكرًا للجميع في دار نشر ليتل براون بوكس فور يانج ريدرز الذين دعَّموا رؤيتي غير النمطية. وشكرًا خاصًّا للمحررين الرائعين ألفينا لينج وخرين كالندر وليزا موراليدا وفيكتوريا ستابلتون.

وشكرًا لباري جولدبلات وجوانا فولبي على رعاية الكتاب حتى تجاوز كل تعثُّراته ومحنه المختلفة.

وبالطبع شكرًا جزيلًا لزوجي ثيو لمناقشته الكثير من نقاط هذا الكتاب معي على مدى سنوات عديدة، وكذلك لابننا سيباستيان لصرف انتباهي عن الكتابة أحيانًا ومنحي قلبًا مُفعمًا بالعواطف الإيجابية.



اقلب الصفحة لقراءة لمحة مختصرة من رواية

«مزيج مثير يحبس الأنفاس من جرائم القتل والسحر والرغبة والخيانة».

موقع كالتشرفلاي

الملك الشرير

«هولي بلاك ملكة القصص الخيالية»

ڤيكتوريا آڤيارد

هولي بلاك







تمهيد

رفعت جود سيف التدريب الثقيل، مُتَّخِذةً الوضعية الأولى في التدريب؛ وضعية الاستعداد.

قال لها مادوك: في البداية عليك أن تعتادي الوزن، يجب أن تكوني قوية بشكل كافٍ لتسديد الضربة تلو الأخرى دون أن تشعري بأي إرهاق، فالدرس الأول يتعلق باكتسابك هذا القدر من القوة.

سيكون هذا مؤلمًا لكِ، لكن الألم سيجعلك قوية.

ثبَّتت قدميها في الأرض المكسوة بالعشب، بينما عبثت الرياح بشعرها أثناء انتقالها بين وضعيات التدريب؛ الوضعية الأولى: السيف أمامها، مائِلًا على جانب واحد ، ومانحًا جسدها الحماية. الوضعية الثانية: رفع المقبض عاليًا، كما لو أن نصل السيف قرن خارج من رأسها.

الوضعية الثالثة: خفض السيف بمحاذاة خصرها، ثم إسقاطه أمامها بهدوء خادع. ثم الوضعية الرابعة: رفع السيف إلى الأعلى مرة ثانية، بمحاذاة كتفها. كل وضعية يمكن أن تتحوَّل بسهولة لوضع الهجوم أو الدفاع، فالقتال يشبه لعبة الشطرنج، إذ يتوقَّع المرء حركة الخصم. ويعترضها قبل أن يتلقى الضربة.

لكنها لعبة شطرنج تُلعب بكامل الجسد. لعبة شطرنج ملأت جسدها بالرضوض، وأصابتها بالإرهاق، وخلفت لديها شعورًا بالإحباط من العالم أجمع، ومن نفسها أيضًا.

أو ربما يكون الأمر أكثر شبهًا بركوب دراجة. فعندما كانت تتعلَّم ركوب الدراجة في العالم الحقيقي تعثرت جود في الكثير من المرات وامتلأت ركبتاها بالتقيُّحات والبثور بدرجة جعلت أمها تعتقد أنها ربما تُخلِّف لديها ندوبًا لا تختفي. لكن جود خلعت عجلات التدريب بنفسها، ورفضت قيادة الدراجة بحذر على جانب الطريق، كما كانت تفعل تارين. أرادت جود قيادة الدراجة وسط الشارع بسرعة، مثل فيفي، حتى لو انغرست حبات الحصى في جلدها جراء القيام بذلك، فلم تكن تمانع في حدوث ذلك، وكانت تستسلم لأبيها وهو يخرج هذه الحصيات بالملقاط ليلًا.

أحيانا، كانت جود تشتاق لدراجتها، لكن لم تكن هناك أية دراجات في أرض الجان، وبدلًا من ذلك، كانت توجد لديها ضفادع عملاقة، ومهور خضراء اللون رشيقة الجسم، وأحصنة ذات أعين شاردة وأجسام نحيلة وكأنها ظلال.

وكانت لديها أيضًا الأسلحة.

والآن، أصبح قاتل والديها مربيها. فمادوك، قائد جيش الملك السامي، هو من يسعى إلى تعليمها كيفية ركوب الفرس والانطلاق به بسرعة الريح، وكذلك كيفية القتال حتى آخر رمق لديها. وبغضِّ النظر عن مدى القوة التي تحاول ضربه بها، كان هذا يُضحكه ليس إلَّا. فقد أحبَّ غضبها، وكان يسميه النار.



كما أحبَّت هي الأخرى غضبها. فأن تكون غاضبة خير من أن تكون خائفة، وهذا أفضل من التذكر على أنها إنسانة فانية بين ثُلَّة من الوحوش. فلم يَعُد هناك الآن من يمنحها خيار عجلات التدريب الآمن.

وفي الجانب الآخر من الميدان كان مادوك يُدرب تارين على مجموعة من وضعيات القتال. كانت تارين تتعلَّم كيفية القتال بالسيف كذلك، مع أنها كانت تعاني مشكلات مختلفة عن جود. فقد كانت وضعيات القتال التي تقوم بها أكثر إتقانًا ودقة، لكنها كانت تكره السجال. فقد كانت تجمع بين أساليب الدفاع والهجوم الصريحة، ما سهَّل جرَّها إلى أداء سلسلة من الحركات، ثم تعريضها لضربة مفاجئة عبر تغيير نمط القتال. في كل مرة كان يحدث فيها هذا، كانت تارين تُجن كما لو أن جود كانت تخطئ في أداء خطوات مُعيَّنة لرقصة معروفة وليس الفوز عليها في النزال.

ثم نادى مادوك جود عبر مساحة العشب الفضي الممتدة، قائلًا: «تعالِ إلى هنا».

سارت جود إليه، وسيفها مُعلَّق على كتفها. كانت الشمس على وشك المغيب لكن الجان مخلوقات تنشط وقت الشفق، الذي يحل فيما يومهم لم يبلغ منتصفه بعد. وكانت السماء مكسوَّةً بخطوط نحاسية وذهبية اللون، فاستنشقت الفتاة بعمق عبقًا من رائحة أعواد الصنوبر وللحظة اعتراها شعور كما لو أنها كانت في سني صِباها، وتتعلم رياضة جديدة.

قال مادوك حينما اقتربت جود منه: «هيا لنتشابك معًا، كلتاكما ضد هذا المقاتل العجوز». استندت تارين إلى سيفها الذي كان نصله منغرسًا في الأرض. ولم يكن ينبغي لها إمساكه بتلك الطريقة؛ فلم يكن هذا جيِّدًا بالنسبة للنصل، لكن مادوك لم يؤنبها على ذلك.

ثم قال: «السلطة؛ السلطة هي القدرة على نيل ما تريد. إن السلطة هي اتِّخاذ الفرد القرارات، لكن كيف نكتسب السلطة؟».

تقدَّمَت جود إلى جانب توأمتها. كان جليًّا أن مادوك يتوقَّع إجابة منهما، وأنه يتوقَّع أيضًا أن تكون الإجابة خاطئة؛ لذا قالت - حتى تكون قد ردَّت بإجابة من أي نوع: «نتعلم طريقة القتال المتقنة».

عندما ابتسم مادوك لها. رأت الحواف المُدبَّبة لأنيابه السُّفلية التي يزيد طولها على بقية أسنانه. ثم داعب شعرها، وشعرت بالأطراف الحادَّة لأظافره التي تشبه المخالب على فروة رأسها. كانت غير حادَّة بما يكفي لتجرحها، لكنها في الوقت نفسه كانت تذكرة لها بطبيعته الحقيقية. ثم أوضح: «إننا نكتسب السلطة بانتزاعها».

بعدها أشار بيده إلى تلَّة منخفضة تنمو فوقها شجرة شوك، قائلًا: «لنجعل الدرس القادم لعبة مسلية. تلك التلة تقع ضمن أملاكي، انطلقا واستحوذا عليها».

سارت تارين بجدية ومن خلفها جود. وجاراهما مادوك في خطواتهما، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة.

سألت تارين دون إبداء أي حماس: «ماذا سنفعل الآن؟».

حدَّقَ مادوك بعيدًا، كما لو كان يستعرض في ذهنه العديد من القواعد ويستبعد بعضًا منها، ثم قال: «الآن احملا السيف في وضع الوقاية من الهجمات».

سألت جود: «انتظر، ماذا تقول؟ وقاية من هجومك أنت؟».

وتساءلت تارين في عبوس: «هل هذه لعبة استراتيجية أم تدريب على السِّجال؟».

وضع مادوك إصبعًا تحت ذقنها، رافعًا رأسها حتى التقت عيناها بعينيه الذهبيتين مثل عيني القطة، وقال بنبرة تكسوها الجدية: «أليس السِّجال لعبة إستراتيجية تُلعب بوتيرة سريعة؟»، ثم استطرد: «تناقشي وأختك. وعندما تصل أشعة الشمس إلى جذع تلك الشجرة، فسآتي للدفاع عن تلتي، أوقعاني أرضًا مرة واحدة وبذلك تفوزان».



ثم غادر باتِّجاه أجمة من الأشجار على مبعدة منهما. وعندئذٍ افترشت تارين العشب. ثم قالت: «لا أريد فعل ذلك».

فذكَّرتها جود وهي منفعلة: «إنها مجرد لعبة».

رمقتها تارين بنظرة طويلة؛ تلك النظرة التي ترمق بها كلٌّ منهما الأخرى عندما تتظاهر إحداهما بأن الأمور تسير بشكل طبيعي، ثم قالت: «حسنًا، ما الذي تعتقدين أن علينا فعله؟».

تطلعت جود بعينيها مُتفحِّصةً أغصان شجرة الشوك، وقالت: «ما رأيك في أن ترمي إحدانا الأحجار، في حين تقوم الأخرى بالاشتباك؟».

قالت تارين: «حسنًا»، ثم نهضت بتثاقل، وبدأت في جمع الأحجار في طيات تنورتها وأردفت: «أنت لا تعتقدين أنه سيغضب، ويثور، أليس كذلك؟».

هزَّت جود رأسها بالنفي، لكنها استوعبت مغزى سؤال تارين ماذا لو أنه قتلهما من غير قصد؟

دائمًا ما قالت أمي لأبي: عليك اختيار أية تلة ستموت عليها، تقصد اختيار معاركك والدفاع عما تحب لآخر نفس. كان هذا أحد الأمثال الغريبة التي كان الكبار يتوقعون منها كطفلة آنذاك أن تستوعبها، مع أنها لا معنى لها؛ ومثل تلك الأمثال: «عصفور في اليد باثنين على الشجرة»، أو «لكل عصا طرفان» أو ذلك المثل الآخر الغامض كليةً «قد تنظر القطة إلى الملك». والآن، وهي واقفة على تلة حقيقية حاملةً سيفًا في يدها، استوعبت المثل الأول بصورة أفضل.

قالت جود: «اتَّخذي وضعية القتال». لم تهدر تارين أي وقت في تسلق شجرة الشوك، فيما تحققت جود من انعكاس أشعة الشمس على الجذع، مُتسائِلةً ما نوعية الخدع التي قد يستخدمها مادوك. وكلما طال انتظاره صار المكان أكثر إظلامًا، وفي حين أنه يمتلك ميزة الرؤية في الظلام، لم تكن جود وتارين تستطيعان ذلك.

لكن في نهاية الأمر. لم يستخدم مادوك آية خدع. وقد اندفع خارجًا من الغابة مُتوجِّهًا نحوهما، وهو يعوي كما لو أنه يقود جيشًا يضم مئات الجنود. فارتجفت ركبتا جود من الرعب الذي اعتراها.

وذكَّرت نفسها باضطراب قائلةً إنها مجرد لعبة. لكنه كلما اقترب، أبى جسدها أن يصدِّق هذه المقولة. فغريزة الإنسان مجبولة على الفرار من الخطر.

بدت الإستراتيجية التي وضعتاها سخيفة الآن بالنظر إلى ضخامته وضالتهما، وبالنظر إلى خوفها. استعادت مشهد أمها وهي تنزف بينما كانت مستلقية على الأرض، وتذكَّرت رائحة أحشائها، وهي تبرز من داخلها. ضربت الذكرى كالرعد في رأسها، وطاف برأسها خاطر أنها كانت على مقربة من أن تلقى حتفها.

وقد حثَّها كامل جسدها: اهربي. سارعي بالفرار!

لا، فقد فرَّت أمها قبلًا. ومن ثم، ثبَّتَتْ جود قدميها.

وأجبرت نفسها على التحرك، واتِّخاذ وضعية القتال الأولى، على الرغم من الضعف الذي اعترى قدميها. وكانت له اليد العليا، حتى أثناء صعوده تلك التلة، إذ كان يحدوه زخم وحماس تجاه الأمر. وبالكاد أبطأ وابل الأحجار الذي أمطرته به تارين من إيقاع حركته.

تنحَّت جود عن مكانها، ولم تتكبَّد عناء صد الضربة الأولى. ولأن الشجرة صارت تقف حاجزًا بينهما، تحاشت الضربتين الثانية والثالثة. لكن عندما أتت الضربة الرابعة، طرحتها أرضًا على العشب.

ثم أغمضت عينيها مُنتظرةً أن تهوي الضربة القاتلة فوقها.

لكن مادوك أخبرها ضاحكًا: «يمكنك أخذ شيء في الخفاء. لكن الدفاع عنه ليس بالأمر السهل، حتى مع كل المزايا التي تنعمين بها». ثم نظرت للأعلى لتجده مادًّا يده إليها عارضًا المساعدة. ثم أردف: «انتزاع السلطة أسهل كثيرًا من الحفاظ عليها».




سرت الطمأنينة في جسدها. كانت مجرد لعبة، على كل حال. درس آخر ليس إلَّا.

بينما قالت تارين مُتذمِّرةً: «لم يكن هذا عادِلًا».

لم تنبس جود ببنت شفة، فلم يكن للعدل مكان في أرض الجان. وقد تعلَّمت ألا تنتظر تحقُّق

أية عدالة في هذا العالم.

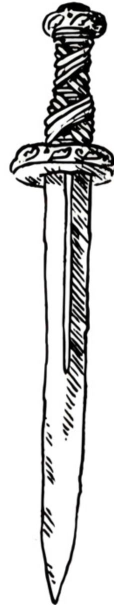
شدَّ مادوك جود ليعينها على الوقوف على قدميها، وألقى بذراعه الثقيلة على كتفها. ثم جذبها هي وتوأمتها تجاهه ليضمهما بين ذراعيه. كانت رائحته تشبه الدخان والدم الجاف، وسمحت جود لنفسها بأن تسترخي على صدره. إنه شعور رائع أن يحتضنك أحدهم، حتى لو كان وحشًا.





زيارة إلى الأرض المحرمة







جلست كاي فيرش على سُلَّم مخرج الطوارئ خارج مبناها وفي يدها فنجان القهوة، وراحت تتنفس الروائح المعدنية لفصل الصيف بالمدينة بما تحويه من خليط القمامة والدخان واللحم المطهو وما يُلقى في النهر والأسفلت المصبوب حديثًا وكذلك الأشياء المتعفنة. لقد تخطى الوقت الساعة الثالثة فجرًا منذ وقت طويل، وكان ذلك هو وقتها المفضل لمشاهدة الشوارع من أعلى، ورؤية بعض أصدقائها وهم يترنحون في طريق العودة إلى منازلهم وقد تأبَّطوا أذرع بعضهم البعض. كما ترى بعض العاملين وهم يتساءلون مُتحيرين كيف انقضى اليوم بهذه السرعة. وترى كذلك تسارع آحاد الناس لاعتصار البقية الباقية من لحظات اليوم وهم متلهفون لفعل شيء يستحق ألا يُنسى - سواء أكانوا يرغبون حقًّا في تذكُّره أم نسيانه - قبل شروق الشمس.

كان هناك جزء منها يودُّ لو خلعت قميصها وانطلقت محلِّقةً في السماء بجناحي الفراشة الرقيقين المطويين فوق ظهرها، وأن تتبع الأضواء المتلألئة للسيارات بالأسفل، وتمر فوق الجسور ومن خلال شبكة الطرق لتُحلِّق بعدها فوق النهر، لكن جزءًا آخر منها جُل ما كان يريده هو فنجان آخر من القهوة.

ثم علا صوت من خلفها بدا وكأنه قادم من عالم آخر بلكنته الأجنبية وهو يقول: «لم أركِ هنا في البدء، لقد ظننت أنك لست بالمنزل». كان هذا هو اللورد روبين ملك بلاط النمل الأبيض - أو لعله كان أكثر من مجرد ملك بالنسبة لها، لأنها قد تجاوزت بنجاح عملية الاستقصاء التي خضعت لها وصارت محبوبته المقربة بصورة رسمية، وهي مرحلة من الارتباط تفوق في تعقيدها كل الاختبارات التي تقدمها مجلة كوزمو.

استدارت مُبتسِمةً له. كان يرتدي قميصًا مُهترِئًا أسود اللون جعل شعره الأبيض وعينيه الفضيتين تبدو أكثر وضوحًا من جراء هذا التباين في الألوان. سبق أن حلق اللورد روبين شعر رأسه مؤخرًا، والذي كان ينساب كثيفًا على كتفيه، لكنه الآن كان مشعثًا وبالكاد يصل إلى مستوى عينيه.

مدَّ يده إليها فأمسكت بها وتركته يساعدها على العودة عبر عتبة النافذة كما لو كانت سيدة راقية تهبط من فوق صهوة الفرس وليس من فوق سُلَّم معدني!

انزلقت إلى داخل شقتها وذهبت لتضع فنجان القهوة في الحوض، وقالت: «إنك تبدو مُتعَبًا».

فأجاب: «أنا متعب من الابتعاد عنكِ لفترة طويلة؟!». وجعلها جوابه تنخر مُبتسِمةً في تشكُّك واضح.

ابتسم لها بدوره إذ كانت تعلم حبه لطريقتها في عدم أخذ كلامه على محمل جدي، في الوقت الذي يتعامل معه كل المحيطين به بتبجيل شديد.

كان كلٌّ منهما يعيش في عالم مختلف تمامًا عن الآخر. أسَّست كاي مع أصدقائها مقهى أسموه "القمر في فنجان" ثم تطور المكان وأصبح يبيع المزيد والمزيد من المخبوزات والمشروبات المسحورة، حتى باتت لديهم قائمة سرية لكعكات القرنفل المسحورة وأنواع القهوة سريعة التحضير بالدموع، وجاء إلى مقهاها كل الجان من أنحاء مدينة نيويورك كي يقيموا اجتماعاتهم أو يتناولوا الإفطار أو يلتقوا في مواعيد عاطفية. في هذه الأثناء، كان روبين حاكِمًا لمملكتين متنازعتين اندمجتا بعد ذلك تحت لواء بلاط واحد غير مستقر وهو بلاط النمل الأبيض، الذي سُمي باسم قصر أنسيلي الذي بُني بدوره أسفل مقبرة تعلو أحد التلال.

لطالما أصرَّ روبين على أنه سعيد لعدم اضطرار كاي للتعامل مع الغضب المشتعل لشعب مملكة أنسيلي ولا مع المكائد الناعمة لأهل مملكة سيلي، وأنه أحب وجود ملجأ له بعيد عن كل هذا - شقتها وحياتها وجوارها.

لكن بمرور السنين، ومع رؤيتها لإرهاقه من النوم على فراش بسيط في شقة فوضوية، واستشعارها للبهجة اللافتة في صوت ضحكاته، وإحساسها بلهفته المستميتة عليها ازداد خوفها أكثر وأكثر وأحست بأنه لا يحكي لها القصة كاملة.

لقد انصاع روبين لطلبات الملكة الأخيرة لمملكة أنسيلي ليكون فارسها وكان مُجبرًا على إطاعتها بغض النظر عن مدى قسوة أوامرها، واضطر لتحمُّل مختلف صور التعامل الوحشي التي كانت تشير عليه بها تجاه الآخرين ومن ثم فقد خشيت كاي من أن تكون معاييره للسعادة الحقة قد أصبحت متدنية للغاية.

سألته: «إذن، لكم من الوقت ستبقى معي هذه المرة؟».

كان روبيين شخصًا كتومًا، لكنها قرأت شيئًا في ارتعاشة شفتيه وحركة فكه.

فرفعت كاي أحد حاجبيها مُتسائِلةً.

قال لها وهو يبسط يديه اعترافًا منه بأنها أدركت ما يدور بخلده: «أرجو أن تصحبيني في رحلة، حيث ستجري مراسم التتويج لنقل التاج من الملك السامي لإلفهايم إلى ابنه، وأريدك أن ترافقيني. أعدك بأننا سوف نمرح ونشرب وسنخصِّص جُلَّ وقتنا للفرح والابتهاج، ولا يوجد شخص آخر أفضل منك كي أسعد بجواره».

نظرت إليه بعبوس رغم كلماته المادحة. فمنذ أسبوع تحدَّثَا عن فكرة ذهابهما في إجازة يقضيانها بجوار إحدى البحيرات والسكن في منزل شجري، بعيدًا عن كل شيء، وبلا رعايا من حولهما سوى اليراعات المضيئة. لكنهما بدلًا من ذلك سوف يذهبان إلى البلاط السامي الذي سيشهد حدثًا لن يمرَّ على الأرجح بسلام.

قال: «سيكون هناك عشرات اللوردات والسيدات النبيلات وسوف نتوه وسط هذا الزحام، ولن يلاحظنا أحد بل سنكون منسيين تمامًا. وستجدين أن الفهايم تتكون من ثلاث جزر يحيطها البحر من كل جانب، حيث تخرج حوريات البحر للاستمتاع بالشمس فوق الصخور السوداء. لقد قيل لي إن المشهد جميل هناك».

سألته وهي تتشكَّك في قدرة روبيين على ألَّا يكون ملحوظًا في أي مكان: «وسوف تقسم حقًّا بالولاء لهذا الشخص الجديد ؟».

«لقد تعهَّدت للأمير داين بالتفكير في الأمر والحضور، لكن نعم على الأرجح هذا ما سيحدث. فقد أعطاني الملك السامي المنتظر ذريعة لتقييد توجُّهات مملكة أنسيلي دون أن يبدو تفضيلي لمملكة سيلي واضحًا. بالإضافة إلى أن البقاء دائمًا في حالة حرب هو أمر منهك».





ثم لمس روبين شعر كاي بنعومة وبطريقته الغريبة المعتادة، كما لو كان يتوقَّع من أصابعه أن تنفذ خلال جسدها، وكما لو كانت مخلوقة شفافة مسحورة من دخان وضياء يضنيه

الشوق إليها.

فقالت: «حسن جدًّا، سوف أذهب إلى ما تدعونني إليه، لكن أتعدني بأن نحظى بالمرح؟».

سألها: «وكيف يمكن ألَّا نحظى بالمرح». وكان يجب أن يكون هذا التساؤل أوَّل علامة تحذير لها مما يمكن أن يحدث هناك.



وهكذا انتهى بها المطاف بالذهاب إلى البلاط السامي لإلفهايم وهي تلبس رداءً حريريًّا قصيرًا وحذاءً عالي الرقبة شبيهًا بأحذية الجيش، كما حدَّدَت عينيها بطبقة كحل سمكية. ونظرًا لوقوفها إلى جوار دولكامارا، فقد لاحظت النظرات القلقة التي تنظر بها الحاشية تجاه روبين والتوجه الذي يطغى على أجواء الحفل، بينما كان روبين نفسه منخرطًا في نقاش جاد مع ألدركينج الجديد، وبدا أنه يتظاهر في تهذيب بعدم ملاحظته لأعداد المرتاعين من وجوده من معشر الجان الحاضرين.

تذكَّرت كاي كلمات روبين: لن يلاحظنا أحد! وقالت لنفسها: هُراء!

سألت كاي دولكامارا التي كانت تُحدِّق إلى أحد العمالقة حتى أشاح الأخير ببصره بعيدًا: «ما الذي يزعج هؤلاء القوم ؟».

هزَّت دولكامارا كتفيها في لا مبالاة. كان شعرها الأحمر مضفرًا بدقة في شكل كعكة أعلى رأسها، ودرعها السوداء مصقولة على نحو جيِّد حتى بدت لامعة. وتقديرًا لأهمية المناسبة كانت كاي قد وضعت مشبكًا أخضر لامعًا في شعرها يتلاءم مع لون بشرتها، لكنها شعرت بأنه ربما كان يتعيَّن عليها ارتداء ملابس أفخم.



أخيرًا أجابت دولكامارا، عندما بات واضحًا أن كاي تنتظر جوابها: «يشكل اللورد رويبين مصدر تهديد، خصوصًا مع اشتهاره بقطع رقاب الملوك».

لم تستطع كاي أن تعارض هذا الكلام، فسألتها: «أيٌّ منهم الأمير داين؟».

قطَّبت دولكامارا حاجبيها في تركيز وقالت: «لم يأت بعد، بينما الأميرات هن: إلوين وسيليا وريا. وإلى جوارهن الأمير الأكبر سنًّا بالكين».

سألت كاي: «هو الأكبر سنًّا ومع ذلك ليس الوريث؟».

أجابت دولكامارا: «لم يختر الملك السامي أيًّا من الأميرين الأكبر سنًّا واختار الثالث. من غير المعتاد في بلاد الجان إنجاب ستة أطفال، بل يعتبر الفرد من الجان محظوظًا إذا أنجب طفلًا واحدًا بعد مائة عام، وإذا أنجب اثنان فتلك نعمة كبرى. أما ستة فتلك ثروة طائلة».

قالت كاي: «لقد ذكرت أسماء خمسة فقط».

أشارت دولكامارا نحو الحشد وقالت: «السادس هناك، الأمير الأصغر كاردان يرقص مع تلك الفتاة الفانية».

ارتفع حاجبا كاي في اندهاش. فقد التقت بالفتاة البشرية الأخرى الوحيدة التي لاحظتها والتي تملك شعرًا أحمر ويبدو عليها التوتر وقد جاءت بصحبة ألدركينج الجديد، الذي تفاجأ قليلًا بالتباين بين بشرة كاي الخضراء وعينيها حالكتي السواد وطريقتها البشرية في التحدث، لكنه سرعان ما قرَّرَ أنها قد تعرف شيئًا عن العروض الفنية التي تؤدى من حوله، ورغم أن والدتها كانت عضوًا في فرقة موسيقية لفترة طويلة من حياتها لكن كاي لم تفعل مثلها، ومن ثم فقد ابتعد عنها ألدركينج وأخذ يتجوَّل لكي يجد شخصًا لديه مثل هذه المعرفة.

كانت الفتاة الفانية التي تتطلع إليها كاي ترتدي قفازين وفستان سهرة طويلًا يبدو لونه كسماء الليل. كانت متوسطة الطول، وشعرها أحمر بني غزير كشجرة الصفصاف وملامحها رقيقة وجميلة بالنسبة لشخص له سماتها الجسدية. لعلها لاعبة أكروبات أو لعلها جندية.

أما الفتى الجني الطويل الذي كان يحيطها بذراعيه فكان شعره الأسود مشعثًا، وكانت وجنتاه مطليتين بالفضة، وعيناه محددتين بالكحل الأسود، وبدا غير مُتَّزن وتاجه مائل على رأسه. كانت الفتاة تنظر إليه بحِدَّة وغضب، وتساءلت كاي كيف انتهى بهما المطاف بالرقص معًا.

وبعدها لاحظت الطريقة التي ينظر بها الفتى إلى فتاته بِوَله وافتتان ما زاد من حيرتها.

سألت كاي: «من هذه الفتاة؟».

أجابت دولكامارا: «لدى قائد الجيوش فتاتان توأم بشريتان، وهذه إحداهما. لكنني لا أستطيع التمييز بينهما».

سألتها كاي: أتعنين مثل الأطفال المبدولين». لقد كانت هي نفسها طفلة مبدولة، فقد وُضعت في العالم الفاني وأُحيطت بقدر كبير من الحماية، ولم تكتشف أنها جنية إلى أن بلغت سن المراهقة. كيف يمكن للمرء أن يكون بشرِيًّا لكنه لا يفهم الأمور البشرية، وهكذا هي حالها أيضًا بالنسبة لفهم أمور الجان؟

ربما لو أنها كبرت في هذا العالم لبدت الحفلات مثل حفل التتويج هذا أكثر اعتيادية. ثم وجَّهَت بصرها نحو روبين الذي رآها وهي تنظر إليه وابتسم لها بأريحية. إذا سارت نحوه فسوف يشركها معه في الحديث الدائر، لكن محاولتها للكلام لن تؤدي سوى إلى كشف جهلها. في مثل تلك الأوقات. فإنها تشعر بالإجهاد لانتسابها إلى عالمين. إن روبين ينتمي إلى هنا، وهي تريد أن تصدق أنها تنتمي إلى روبين لكن اتَّضح لها أن تلك التوليفة ليست يسيرة.

سار الأمير الجني عبر القاعة مُبتعِدًا. عن الفتاة البشرية، تاركًا إياها بمفردها وسط الراقصين. وبعد قليل، توجَّهت الفتاة البشرية نحو المنصة. توقَّفَ الأمير عن سيره ليشاهدها وهي تمضي وقد ظهر على ملامحه تعبير تعرفه كاي جيِّدًا - تعبير شخص يتساءل عما إذا كان الشخص الآخر مخلوقًا رقيقًا مسحورًا من دخان وضياء، وعما إذا كان ممكنًا أن يتلاشى بمجرد لمسه. فقد نظر روبين إليها بتلك الطريقة سابقًا.



بعدها مضى الأمير نحو المائدة، حيث رفع إبريق الشراب إلى فمه دون أن يأبه بتناوله في كأس، وتجرع الشراب لآخر قطرة منه حتى اندلق على ذقنه. سارت كاي نحوه باندفاع، فقد فكرت أنه بطريقته في تناول الشراب على هذا النحو لن يكون من الصعب محادثته. وعلى كل حال إذا كان روبين سوف يتعهَّد بالولاء لشقيق هذا الرجل، فمن الأفضل أن تتعرَّف على تلك العائلة عن قرب.

قالت كاي بطريقة أملت أن تبدو لائقة ولو قليلًا: «أنت الأمير كاردان أليس كذلك؟». كان ريش الغراب يغطي أعلى سترته متلألئًا باللونين الأزرق والأرجواني كأنه بقعة زيت مصقولة، ومع اقترابها منه رأت أن مسحوق التجميل على عينيه قد تلطَّخ.

وضع الأمير الإبريق على المائدة ومسح ذقنه بظهر يده داخل قفازها، وضيق عينيه، وتساءلت كاي حينها عما إذا كان سوف يطلب منها التراجع إلى الوراء عشر خطوات.

قالت له: «اسمي كاي، أنا من بلاط النمل الأبيض». ولوَّحت في إشارة غير واضحة نحو روبين ودولكامارا وآخرين على أمل أن يجعله هذا يتمهَّل إذا كان يفكِّر في توبيخها لتحدثها معه.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على جانب فمه، وقال: «أه، لقد أتيت لتشاهدي اللورد روبين المخيف وهو يجثو أمام شقيقي. لو كنت مكانك لتركت بلاط ملككِ قبل أن تصبحي جزءًا من حدث كهذا».

قالت كاي: «لم أتوقع من أمير أن يقول مثل هذا الكلام».

فسألها: «إذن ما الذي تعرفينه عن الأمراء؟».

أجابت: «أعرف ما يكفي». في تلك اللحظة لم تكن واثقة مما إذا كانت تعرف أي شيء عن أي شيء.





بدأت الأجراس تدق في كل مكان حولهما مُعلِنةً اقتراب بدء مراسم التتويـج، فتوقف العازفون عن عزفهم، وسادت الهمهمات في القاعة.

فزع أحد الغيلان، فاصطدم بالمائدة ما دحرج بعض ثمار الرمان عليها. والتي أسقطت بدورها بعض أطباق الحلوى وإبريق الشراب الذي مال، لكن الأمير كاردان أمسك بيد الإبريق ببراعة، رغم أنها لم ترَ تفاصيل ما حدث بالكامل حيث كانت تنظر في اتجاه آخر.

تكلَّف الأمير كاردان الابتسام وقال: «هل تودين شرابًا؟ إذا أردت، سوف يتعيَّن عليك أن

تجدي كأسًا».

سألت كاي: «هل يجب أن أدفع روبيين إلى إعادة التفكير في انضمامه إلى البلاط السامي؟». عندما كان روبيين فارسًا صغيرًا، أقسم على خدمة الملكة الجميلة التي أحبها، وكان هذا خطأً فادحًا من جانبه. وإذا كان سيرتكب خطأً آخر، فسترغب كاي في منعه من ارتكابه إذا استطاعت.

أجاب الأمير كاردان وهو يُحدِّق إليها بجفنين مثقلين: «هل يمكنك فعل ذلك؟». فأمعنت النظر إلى وجهه بحثًا عن أية علامة تنبئها بما إذا كان باستطاعتها الوثوق في رأيه أم لا وهي مهمة مستحيلة. واصل الأمير كاردان كلامه: «أشك في أنه سوف يشكرك على تلك النصيحة، إن الملوك يشتهرون بتقلبهم، ويغضبون ممن يمس كبرياءهم».

قالت كاي: «ربما ينطبق هذا على الملوك الأشرار».

ضحك كاردان كما لو أنها قد قالت شيئًا مضحكًا، ونظر مباشرة نحو روبيين، حيث كان ابن ألدركينج قد ابتعد عنه وكان روبيين يتحدَّث حينئذٍ مع امرأة من مملكة البحار يتساقط الماء من شعرها المبلل وتظهر خياشيمها الوردية التي تمتد كثلاثة خطوط مائلة تقع أسفل فكِّها مباشرة. ثم سألته: «إذن هل هو شخص طيب يا سيدي؟».



نقلت كاي بصرها إلى رويبين، فلم يكن زويبين يشتهر بالطيبة، وهي تعلم هذا. لكن هذا أيضًا لا يعني افتقاره إلى الطيبة. وربما كانت الحال نفسها مع الأمير داين، وربما لا يعلم الأمير كاردان في الواقع أي شيء.

قال لها كاردان: «الحكم يشبه الشراب المسكر. إنه يُخرج أسوأ ما في الفرد الذي يحسو منه جرعة كبيرة مرة واحدة، ومع ذلك فكلنا نتلهف على تذوقه».

سألته كاي: «حتى أنت؟».

نظر كاردان بعيدًا نحو منصة العرش، وأدركت كاي أنه كان ينظر إلى الفتاة الفانية، ثم قال: «إن ما أريده هو ألا يجلس داين أبدًا على العرش. وإذا لم يتحقَّق ذلك، فإنني أود أن أرى أعضاء بلاط النمل الأبيض كله ينصرفون دون أن يتعهَّدوا للملك بأي شيء. لكن في الحقيقة فإن طبيعتي تميل إلى أن أرغب في أمور لا يمكنني تحقيقها».

قالت كاي: «إذن، إذا كان الانضمام إلى هذا البلاط السامي هو أمر بهذا السوء، قل لي شيئًا أنقله إلى رويبين، شيئًا يزرع الشك في نفسه؟».

هزَّ كاردان رأسه بالنفي: «ماذا يمكن أن يقال؟ في البداية سوف يبدو أخي بصورة معينة، ثم يظهر بصورة أخرى فيما بعد، ثم... حسنًا... حينها لن يمكن فعل أي شيء على الإطلاق. لكن لماذا قد يستمع ملكك إلى أي منا ويتخلى عن الملك السامي المنتظر لإلفهايم؟». ثم ناولها الإبريق، وقال: «انسي حرصك واهتمامك. اليوم نرقص ونحتفل بتخلي أبي عن بقية أبنائه».

وقبل أن تقول شيئًا آخر، دخل الأمير مُترنِّحًا إلى وسط الحشد. بقيت كاي تتطلَّع إليه وقد صارت أكثر توترًا.





وحينما سارت نحو روبيين تردَّدت كلمات كاردان الأخيرة في أذنيها. لطالما تمنَّت كاي أن يتنازل روبيين عن عرشه، لكنها لم تفكِّر أبدًا في الكيفية التي سيشعر بها أفراد شعبه حيال ذلك القرار.

سيشعر بأن ملكه قد تخلى عنه.

سألت كاي وهي تشبك أصابع يدها في يد روبيين: «ماذا لو قلت لك ألا تقسم بالولاء للأمير داين؟». كانت أصابعه الطويلة باردة الملمس وهو يرفع كفها إلى شفتيه.

ارتفع حاجباه في دهشة ثم قال ببساطة وعلى نحو مثير للرهبة إلى حد ما: «إذن لن أفعل». بالطبع أرادت كاي أن يثق روبيين بها، لكنها لم تكن متأكدة من استحقاقها لكل تلك الثقة. وواصل كلامه: «هل هناك سبب مُعيَّن لذلك؟».

قالت: «لديَّ إحساس بأنك ينبغي ألا تفعل». وتمنَّت ألا تكون بفعلها هذا ترتكب خطأً فادحًا.

فقال بعد هنيهة: «سوف يُزيد هذا من تعقيد الأمور بعض الشيء، حيث سوف يُطلب منا بكل كياسة مغادرة الجزر الليلة قبل أن يحاول داين الملك السامي المنتظر أن يجبرنا على المغادرة».

وقد خمَّنت كاي وفق ذلك الكلام أن عدم القسم بالولاء سوف يكون أمرًا سيِّئًا حقًّا، لدرجة قد تعني نشوب الحرب. لكن قبل أن تتمكَّن من سؤاله، بدأ الملك إلدريد يتحدث. أدركت كاي أن كاردان لم يكن على المنصة مع بقية أفراد عائلته. هل غادر مقر الحفل في نهاية المطاف؟ كان هذا ما أملته كاي من أجله.

همست كاي: «عندما ينتهي التتويـج، أريد أن أعود إلى أرض الجان... معك».

فضيق عينيه وسألها: «ماذا تعنين؟».




ومن حولهما بدأ معشر الجان يرددون كلمات الإقرار بتنازل الملك السامي إلدريد عن العرش. لكن كاي أدركت أن روبيين لن يصحبها إلى عالمه - وربما يجب عليه عدم فعل ذلك. وإن لم تَعُد ترغب في أن يعيشا على هامش حياة كل منهما، سوف يتعيَّن عليها أن تتغيَّر.

ثم قالت: «يمكنني أن أعطي متجر القهوة إلى كورني ولويس ليديراه وأعيش في قصر النمل الأبيض. أريد أن أساعدك في القيام بمهام وظيفتك». والآن بعدما توصلت كاي إلى قرار حاسم، فقد شعرت بالحرج لأنه قد لا يتوقَّع منها تقديم أية مساعدة له. صحيح أنها تكون ذكية وماهرة في بعض الأحيان. لكن شعورها الداخلي غالبًا ما يُنبئها أنها تستغل مهاراتها للتغطية على كسلها.

وأيضًا لم تكن تعرف ما إذا كان توصيفها لمهمة حكم المملكة بـ "الوظيفة" مُهينًا أم لا.

إلى جانب أنها ربما تكون قد طالبته لتوِّها بالدخول في حرب إذا لم يتعهَّد بالولاء للملك الجديد!

وازداد حرجها أكثر بسبب الطريقة التي كان يحدِّق بها إليها، فقد بدا مندهشًا تمامًا. وأخيرًا، بعد فترة صمت طويلة قال: «أنا أحبك لدرجة تمنعني من الموافقة».

ووضعت يديها على خصرها وقالت: «إذن الأمر مناسب لك، لكنه غير مناسب لي؟ وماذا يفترض بي أن أشعر؟ هل أفرح عندما أعلم بذلك؟ وأكون سعيدة بما يكفي لكلينا؟».

بدا كأنه على وشك أن يقول شيئًا ما، لكنه ابتلع كلماته.

فوق منصة العرش كان هناك ممثل من بلاط أنسيلي يرسم دوائر بالدم فوق بشرة الأمير داين لتجهيزه للتتويج.

لعل روبيين أراد فقط من كاي أن تصمت وتتظاهر باهتمامها بما يجري. لكنها كانت تشعر بالضيق والرفض ولم يبدُ أنها قادرة على التوقف عن الكلام. فاستطردت: «السعادة لا يمكن

تجرعها بالملعقة كما لو كانت دواء. أنا لا أريدك أن تعاني لكي تثبت لي حبك، وبالتأكيد لا أريدك أن تداري معاناتك. بل أريد أن أشاركك في حمل العبء».

قال: «الحب يجب ألا يعني المشاركة في تَحمُّل أعباء ليست لك أية علاقة بها».

قالت: «لكن هذا ما يعنيه الحب. بل هذا تحديدًا ما يعنيه».

قال روبين بغضب بدا واضحًا في نبرة صوته: «سوف تسأمين. سوف تسأمين من الأمر كله ومني أنا شخصيًّا».

تراجعتْ مندهشةً وأفلتت يده، ثم حدَّقا إلى وجه أحدهما الآخر لفترة طويلة لم تستطع أن تنطق خلالها بشيء.

لطالما تساءلت كاي عن حبه لها، ولم تظن أبدًا أن لديه هو أيضًا شكوكًا عن حبها له. كيف يمكنه ذلك، في حين أنه ملك أنسيلي ومن أبناء النبلاء والفارس الشهير في أرض الجان؟ عندما دخل متجرها "القمر في فنجان" ذات يوم، كثر الهمس من حوله وتوقَّفت الضحكات. وبعدما غادر المكان ظلَّ الزبائن يتحدثون عن مدى جاذبيته.

قالت كاي في محاولة لتخفيف حِدَّة الحديث بينهما: «أنا أشرب الكثير من القهوة، وشعاري هو: لا أسأم أبدًا».

أجابها وهو متجهم: «أرض الجان مكان مميت كما تعلمين». وحينها تأكَّدت كاي أن مزحتها لم تكن مناسبة، وواصل روبين يقول: «مكان يمتلئ بالرعب والقسوة والتقلبات. لكن حتى مع معرفتك بهذا ستظلين لا تعلمين ماذا تفعلين لشغل أيامكِ ولياليكِ».

قالت كاي: «لكنني جئت إلى أرض الجان مرات عديدة، وليست كلها مكانًا خطيرًا، كما أن بلاط النمل الأبيض مختلف الآن بعد أن أصبحت أنت صاحب السلطة. لقد غيَّرت الأوضاع».

في تلك اللحظة ساد القاعة صمت تام وصرخ أحدهم، فاستدارت كاي نحو المنصة لترى أحد الأمراء وقد أخرج سيفه، لكنها لم تستطع تذكُّر اسمه. وكان هذا الأمير، الذي لم يكن كاردان ولا داين يهدِّد الآخرين، وبعد لحظات اخترق نصل سيفه رقبة الأميرة إلوين، سقطت الأميرة على ركبتيها. وتخضَّب كل شيء باللون الأحمر، وتدفَّقت الدماء من حلقها غزيرةً.

تجهَّمت دولكامارا، بل حتى روبين قد أجفل.

ربما كان يتعيَّن على كاي فعليًّا أن تنتبه أكثر لما يدور حولها، فقد سألت: «لماذا فعل هذا؟ هذا ليس جزءًا من المراسم، أليس كذلك؟».

قال روبين بتأنٍّ وقد امتدَّت يده إلى مقبض سيفه: «لعلك تودين مراجعة كلامك السابق حول أن أرض الجان "ليست كلها مكانًا خطيرًا"؟».

قالت كاي: «هل ستلجأ الآن حقًّا إلى أسلوب: "لقد سبق أن حذرتكِ" في الحوار؟».

تركَّزت عينا روبين على مكان الحدث العنيف، وصار صوته صارمًا وهو يقول: «اعترفي أنني قد فزت في ذلك النقاش».

لكن اتَّضح بعدها أن الحرس الملكي كان جزءًا من المؤامرة، وأراد روبين أن يصعد إلى المنصة بنفسه ليفعل شيئًا. بينما اضطرت دولكامارا ومعها العديد من الفرسان الآخرين إلى أن يمسكوا به، بينما يتم ذبح بقية العائلة الملكية واحدًا تلو الآخر. امتلأت القاعة بالصراخ، ونظرت كاي حولها بحثًا عن أصغر الأمراء، لكنه لم يكن موجودًا.

قال روبين لدولكامارا: «دعيني، أنا آمركِ...».

قاطعته دولكامارا قبل أن يكمل كلامه، وقالت: «لا يمكنك أن تجتاز كل هؤلاء الحرس، لا تكن أحمق».

وفوق المنصة أخذ الأمير بالكين يصيح متحدِّثًا عن التاج الذي استحال إلى لعنة.





قالت كاي: «بالطبع!». لم تقلها إلى أحد على وجه التحديد بل كانت تشعر بشيء من الغثيان وقالت مجدَّدًا: «بالطبع إنه ملعون».

وبدأت تفكِّر في أن كل التيجان ملعونة.



الأمر أشبه بأحد المسلسلات التي ينتقل فيها المرء إلى دولة أخرى بدافع الحب.

كان هذا ما قاله لويس لها بعد أسبوع ونصف أسبوع عندما كانت تحزم أمتعتها وتعطي مفتاح مقهاها إلى كورني، فهو قد أسَّسَ معها المقهى على أية حال، وسوف تساعده فال في إدارته بصحبة رافوس، صديقها القزم الذي كان يُحضِر أغلب ما يبيعونه من الأشربة السحرية، بينما كان لويس، الذي تخرج في كلية الطب وأنهى فترة تدريبه، منشغلًا بعمله طبيبًا.

قالت لهم كاي: «توجد واحدة من الجنيات الأقزام تحمِّص حبوب القهوة بنفسها في مقاطعة بروكلين. إنها تُقدِّم حبوبًا شهية، لكن الطلب على حبوبها كثير، ولا تُقدِّم مواعيد محددة لتوفيرها. ومن باب الاحتياط توجد عائلة من البشر يسكنون خارج مدينة نيوآرك، ولديهم تجهيزات كاملة في مرأبهم للقيام بالدور نفسه».

قال كورني تأكيدًا على ما سمعه للمرة المليون: «أعلم هذا».

واصلت كاي تقول: «وبالنسبة للمعجنات، فلا يوجد أفضل من جني البوكا الذي يسكن في شمال كينجستون. حيث تمتلئ حديقته بالأزهار ويضيف الطبقات السحرية الجذابة من السكر وخلافه فوق المخبوزات بحسب رغبته وغالبًا ما تكون هذه الطبقات لطيفة لكنها أحيانًا ما تكون باعثة على القلق».

أجاب كورني: «نعم، نحن نعلم كيف يسير عملنا. هيا اذهبي وكوني سيدة القصر. فنحن بخير».

ثم أخبرتهم بمصادرها للحصول على فواكه حلوى الجان. وذكرتهم بالكرة الحديدية الصغيرة الملتصقة بحافة النضد الخشبي، حتى يُمرِّروا الأموال قبالتها قبل وضعها في صندوق الأموال لكي يتيقَّنوا من عدم تزويرها.

قال كورني: «إنك لن تذهبي بعيدًا جدًّا، بل سوف نراك طوال الوقت. كما أن هاتفك سيظل معك، وسوف أرسل لك رسائل نصية، أعدك بهذا».

فقالت تذكِّره: «إن الاستقبال سيئ جدًّا تحت التل هناك». لكنه نظر إليها بما معناه أنها بالطبع لن تظل مقيمة تحت التل طوال الوقت، بل يمكنها أن تخرج وتصلها رسائله. وإذا ساء أمر ما، فيمكنها العودة.

لديها جناحان، ومن ثم يمكنها الطيران بهما لتعود.

إلى جانب أنهم ليسوا بحاجة حقيقية إليها.

ودون التحجُّج بالمزيد من الأعذار، عانقت كاي الجميع وودعتهم. ثم أخذت أكياس القمامة التي تضع بها ملابسها وصندوق الفناجين الجديدة المصنوع من الورق المقوى، ومضت في اتِّجاه محطة القطار.

الأمر أشبه بأحد المسلسلات التي ينتقل فيها الأفراد إلى دولة أخرى بدافع الحب.

فكرت كاي في هذا الكلام ثم قالت: لكن حبيبي في هذه المرة لم يطلب مني الانتقال.

لم يكن روبين في جناحه عندما وصلت كاي إلى القصر تحت التل في بلاط النمل الأبيض. لكنها اقتحمت المكان على أية حال، وأثارت استغراب وضحكات الخدم بما تفعله. بالطبع سُمح لها بالوجود هناك والتمدُّد على أغطية الفراش المزخرفة، والجلوس كما يحلو لها على مقاعده المُتعبة، وتنظيم أي شيء في المطبخ كما تشاء. لكنها لم تعتد وضع الأشياء في دولاب المطبخ أو إعادة ترتيب الأثاث.



ثم جاءت خادمة تبدو شاحبة كورقة بيضاء ترتدي رداءً بنيًّا ولديها قرنا ماعز صغيران، وقالت: «هل يمكنني المساعدة يا سيدتي؟».

أجابت كاي: «آه نعم، لديَّ شيء أريدك أن ترسليه إلى الملك الجديد السامي لإلفهايم». فقد ظهر الأمير كاردان في نهاية المطاف. وباعتبارها أحد أتباعه، فقد كان عليها أن تهاديه بين الحين والآخر - هذا إلى جانب أنها وجدت الهدية المثالية.

همَّت الخادمة بأن تعترض: «نعم، لكن...».

حينئذٍ مدَّت كاي يدها إلى صندوق الورق المقوى وأخرجت منه علبة ملفوفة بالورق والخيط وسلمتها لها. ثم قالت: «ويمكنكِ أن تقولي لروبين أنني سأقيم هنا».

انحنت الخادمة ذات قرني الماعز بتوتر وأجفلت عندما قالت كاي اسم روبين بلا ألقاب، ثم غادرت.

لم يمضِ وقت طويل حتى وصل ملك النمل الأبيض بنفسه وهو يرتدي عباءة سوداء سادة يكسوها لوحان معدنيان فوق الكتفين يشبهان الدرع الواقية فوق ظهر الخنافس، ورمقها بنظرة تجمع ما بين المفاجأة والشك.

نظر روبين إلى ملابسها، ووسادة مرسوم عليها بعض قطع السوشي موضوعة على أحد الكراسي، ولوحة - انتشلتها من قلب إحدى حاويات القمامة في اللحظات الأخيرة قبل تحطيمها - أسندتها إلى أحد الجدران، وبدا صوته باردًا بعض الشيء وهو يسألها: «ما المفترض أنك تفعلينه هنا؟».

قالت وهي تأمل ألا يبدو صوتها متوترًا بقدر ما تشعر به: «قلت لك أنني سآتي إلى أرض الجان».

أجاب: «ظننت أنني أثبت وجهة نظري في حفل التتويج، وفي الحقيقة لم يسبق أن دعم القدر حجتي بمثل هذه السرعة من قبل».

قالت كاي: «حسنًا، لقد أثبت وجهة نظرك، وفزت في نقاشنا، لكنني أعرفك أفضل مما تظن وأنا أقوى مما تظن ولن أسأم منك. ربما أسأم أحيانًا من أرض الجان لكنني لن أسأم أبدًا منك».

قال ولم يزل صوته باردًا: «وإذا كنت لا أريدك هنا؟».

سحبت نفسًا عميقًا ولجأت إلى السلاح الوحيد الذي لديها، فقالت: «إذن، عليك أن تقولها لي. قل إنك لا تريدني. قل لي إنك لا تريدني هنا وسوف أرحل».

حدَّقَ إلى وجهها باهتمام لوهلة، وأخيرًا تراجع ليجلس فوق الكرسي الموضوعة فوقه الوسادة ذات قطع السوشي. ثم ظهرت ابتسامة على فمه وكانت لحظة من اللحظات النادرة التي يبدو فيها كفتى صغير.

قال رويبين: «نظرًا لأنني لا أستطيع الكذب، فأظن أن باستطاعتك البقاء».



في وقتٍ لاحق استرخى كاردان، الفتى الذي كان أميرًا فيما مضى، فوق عرش إلفهايم. ثم جاءت إحدى الخادمات من ممالك البلاط الأدنى ومعها علبة وضعتها أمامه وانحنت احترامًا. حدَّقَ كاردان إلى العلبة المغلفة بالورق البني والمختومة بختم شمع بلاط النمل الأبيض، ثم فتح الرزمة في ارتياب.

وجد كاردان بين أصابعه الطويلة فنجان قهوة أسود اللون من النوع الذي يستخدمه البشر. فأداره بين يديه حتى رأى المكتوب على جانبه.

كانت العبارة المكتوبة على جانب الفنجان: أنا أحكم.



حدَّقَ الملك السامي كاردان إلى الرسالة بحيرة كبيرة، وبعدها ظهر شبح ابتسامة على فمه.

ثم قال لنفسه وهو يُمسك الفنجان ليملأه بمشروبه الخاص: «أظن أنني أحكم بالفعل، لكن أي نوع من الحكام سأكون يا تُرى؟».





شارونا جاواكيس

هولي بلاك

هولي بلاك مؤلفة لأفضل روايات الفانتازيا مبيعًا على مستوى العالم والحاصلة على العديد من الجوائز، وتشمل أعمالها: «Tithe: A Modern Faerie Tale» و « The Spiderwick Chronicles» (بالتعاون مع توني ديترليزي)، وسلسلة «Magisterium» (بالتعاون مع كاساندرا كلير)، وكذلك أمير الشر، والملك الشرير. « The Coldest Girl in Coldtown» و «The Darkest Part of the Forest». تعيش هولي بلاك في منطقة غرب ماساتشوستس، وتسكن في منزل ذي باب سري.





اقتحم العوالم الساحرة للمؤلفة الأكثر مبيعًا رقم

#1 في قائمة نيويورك تايمز

هولى بلاك





تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

تحرير وتدقيق: mohamed

تجهيز وتنسيق: أشرف غالب.

تقديم: عمرو «3MR»





اشحذ سيفك، وقوِّ قلبك

كانت جود في السابعة من العمر حينما قُتل والداها، وتعرضت هي وشقيقتاها للاختطاف كي يعشن في بلاط ملك الجان. وبعد ذلك بعشر سنوات، صار جل ما تريده جود في الحياة هو الإحساس بالانتماء لذلك البلاط، لكن الكثير من الجان كانوا يحتقرون بني البشر، وخاصة الأمير كاردان، أصغر وأخبث أبناء الملك السامي.

وفي سبيل كسب موضع قدم في البلاط، كان ينبغي على جود أن تتحداه، وتواجه عواقب ذلك.

من مُخيلة هولي بلاك، الكاتبة صاحبة الكتب الأعلى مبيعًا وفق قوائم نيويورك تايمز، يصدر الكتاب الأول ضمن ثلاثية خلابة مليئة بالمنعطفات والأحداث التي تفوق الخيال، حيث تتعلم فتاة واحدة معنى السلطة الحقيقة.

إشادات بالرواية:

"هذا الكتاب ثري بالأحداث الخطيرة والغامضة. ستغويك هذه الحكاية العذبة".

- **لي باردوجو**، مؤلفة الكتابين الأعلى مبيعًا *Six of Crows* و *Crooked Kingdom*

"هولي بلاك، ملكة القصص الخرافية".

- **ڤيكتوريا آڤيارد**، مؤلفة سلسلة *Red Queen* المتصدرة لقائمة نيويورك *تايمز* للكتب الأعلي مبيعًا

"تجربة قراءة رواية مثل هذه يشبه الاستغراق في عالم من السحر".

- ملحق نيويورك تايمز بوك ريڤيو

ISBN 628-1072-12-367-2
6 281072 123642